تقسيم الخواطر

للعارف بالله أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الفسوي الشيرازي المصري
«شطاح فارس»
(المتوفى سنة ٦٠٦ هـ)

obeikandl.com

الشيرازى، روزبهان بن أبى نصر البقتلى
تقسيم الخواطر
تأليف: لابى محمد روزبهان بن أبى نصر البقلى
تحقيق: أحمد فريد المزيدى
ط 1: القاهرة: دار الآفاق العربية 2008
432 ص، 24 سم
تدمك: 6-227-344-977
1- الخواطر (تصوف إسلامى).
أ. المزيدى ، أحمد فريد (محقق)
ب ـ العنوان
ديوى: 268
رقم الإيداع: 21931
الترقيم الدولى: 6-227-344-977

الطبعة الأولى
1428 هـ - 2008م

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

دار الآفـاق العربيـة
نشر ـ توزيع ـ طباعة
55 ش محمود طلعت من شارع الطيـران
مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون: 22617339 ـ تليفاكس: 22610164
E-Mail: Daralsfk@yahoo com

obeikandi.com

تقسيم الخواطر

للعارف بالله أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الفسوي الشيرازي المصري
«شطاح فارس»
(المتوفى سنة ٦٠٦ هـ)

تحقيق الشيخ
أحمد فريد المزيدي

دار الآفاق العربية

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء

إلى الشيخ الإمام العلامة المتكلم المفسر الفقيه الصوفي المحقق، شطَّاح فارس: أبو محمد روزبهان بن أبى نصر البقلي، الفسوي، الشيرازي المصري...

وإلى الشيخ الأكبر ختم الولاية المحمدية سيدي محمد ابن على بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي،العارف الكبير، محيى الدين بن عربي ....

وإلى سيدنا الإمام العارف بالله تعالى، ذو العلوم الزاخرة، والفنون الوافرة، والتصانيف الباهرة: أبو المراحم عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس الحسيني العلوي نسبًا التريمي المصري بلدًا....

رضي الله عنهم ونفع بهم وبعلومهم

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته، ودبرهم بحكمته، وشرّفهم بعبادته وطاعته، فقال عزَّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فسبحانه من إله تجلى بجماله، وتردى برداء كبرياء عظمته وجلاله، وتقدس بأسمائه، وتنزه في علو سمائه، لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون، اختص من شاء لمحبته، وفتح بصائرهم لموارد إسرار حضرته، وأفنى نفوسهم في شهود عظمته، فأشرقت قلوبهم بأنوار شمس فردانيته ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، مظهر أسراره، ومركز أنواره، وخاتم رسله وأنبيائه، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا لنكون من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، وأئمة الاقتداء، والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم يبعثون.

وبعد... فيقول أفقر الورى، وخادم الفقراء، أحمد فريد المزيدي- عامله الله بلطفه الخفي- وأسبغ عليه نعمه الوفية، وحفَّه بإمداد الحضرة القدسية: لما رأيت أهمية علم الخواطر، واعتباره خصوصية المعارف عند السادة الأكابر، وبظاهره وباطنه يدحضون شبه كل معترضٍ ومكابر، وذلك لما خصهم به من المفاخر، بادرت بالإسراع لتحقيق كتاب العلامة الباهر: «تقسيم الخواطر» للشيخ المحقق الفريد

obeikandi.com

العلامة العجيب روزبهان البقلي، وكتابه هذا من أندر كتبه وأعزها وجودًا.

ثم ألحقت المتقدم بالتالي وهو كتاب العلامة العيدروس البحر الزاخر بدرته الثمينة هذه «العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر».

وتتمة للفائدة كان كتاب ختم الولاية المحمدية سيدي محيي الدين بن عربي، في «الإعلام بإشارات أهل الإلهام» وهو كتاب في إشارات القوم في المقامات والأحوال، وذكر ما خصوا به من أسرار سجال.

فجاءني الفتح من الرحمن بوضع «الفوائد الحسان»، وهذه الفوائد منتقاة من كلام الأئمة العارفين الكرام، ليعم النفع للمحب الصوفي ويبلغ إن شاء الله المرام.

هذا .. وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

openikandl.com

مقدمة في معرفة الخواطر

عند السادة الصوفية

الخاطر : لم يرد في القرآن ، ولكنه ورد في السنة على عدة معان:

١- القدر والمكانة: ومنه ما روي عن مالك بن ربيعة ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول: «اللَّهم اغفر للمحلقين، اللَّهم اغفر للمحلقين، فقال رجل من القوم: والمقصرين؟ فقال رسول الله ﷺ في الثالثة أو في الرابعة: «والمقصرين ثم، قال: وأنا يومئذ محلوق الرأس، فما يسرني بحلق رأسي حمر النعم، أو خاطرًا عظيمًا» أخرجه أحمد في المسند (١٧١٤٥) واللفظ له، والبخاري بمعناه (١٦٤٠) ٣/ ٦١٦ .

٢- الاضطراب والحركة : كقول ابن عباس ﷺ : «قام نبي الله ﷺ يومًا يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : «ألا ترى أن له قلبين ، قلبا معكم، وقلبا معهم فأنزل اللهَّ ﷻ: ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب/ ٤] أخرجه في الترمذي كتاب تفسير القرآن (٣١٩٩) وقال: حديث حسن، وأحمد في المسند (٢٤١٠) .

٣- ما يرد على القلب بسرعة لا لبث فيها ولا بطء، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ : «إذا نودي بالصلاة، أدبر الشيطان وله ضرَاطٌ، فإذا قضي أقبل فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضي أقبل ، حتى يخطر بين الإنسان، وقلبه فيقول: اذكر كذا وكذا، حتى لا يدري أثلاثا صلى أم أربعًا» أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٨) في كتاب بدء الخلق.

وعنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين

ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [السجدة/ ١٧] أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق (٣٢٤٤) ٦/ ٣٦٦، ومسلم في كتاب الجنة (٢٨٢٤) ٤/ ٢١٧٤.

وانظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٢٤٩، والمصباح المنير للمقري ١/ ١٧، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ١/ ٤٩٤، ومعجم مقاييس اللغة مادة (خطر).

الخاطر عند السادة الصوفية: هو خطاب يرد على الضمائر، قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون بأحاديث النفس، أو يكون من قبل الحق سبحانه، فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس، قيل له الهواجس، وإذا كان من قبل الشيطان، فهو الوسواس، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقائه في القلب فهو خاطر حق، وجملة ذلك من قبيل الكلام النفسي. كما في اللمع ص٢٦٣.

يقول الحارث المحاسبي (ت:٢٤٣هـ) في المتيقظين لخواطر السوء: «وكذلك من اشتغل بالله ﷻ، رد الخاطر - يعنى خاطر الشيطان - باشتغال قلبه بربه، فهذه الفرقة للقرآن والسنة والصالحين أتبع، وعلى رد الخطرات أقوى وأبعد من الخدع والنقص، فهم في الاشتغال بربهم دائبون، وبالحذر إذا عرض الخاطر متيقظون، وبقوة الاشتغال بالله، يسهل عليهم فحص الخواطر إذا عرضت بفتنة، فسلموا أو غنموا، واتبعوا واستقاموا» انظر: الرعاية لحقوق الله ص١٦٢، ١٦٣.

ويذكر لسهل بن عبد الله التستري (ت:٢٩٣هـ) تفصيل دقيق في التعرف

على الخواطر ومصادرها ، وكيف أنها ابتلاء من الله ، فيرى أن الخواطر إذا كانت عن أواسط الهداية، وهى الملك والروح ، قدحت في قلب العبد نورًا أدركه الحفظة، وهم أملاك اليمين فأثبتوها حسنات، وكانت تقوى وهدى ورشدًا من خزائن الخير ومفتاح الرحمة، وإن كانت الخواطر عن أواسط الغواة وهم العدو والنفس، قدحت في القلب ظلمة ونتنًا، أدرك ذلك الحفظة من أملاك الشمال، فكتبوها سيئات، وكانت فجورًا وضلالاً، وهى من خزائن الشر ومغالق الأعراض، وكل هذا إلقاء من خالق النفس ومسويها، وجبار القلوب ومقلبها، حكمة منه وعدلا لمن شاء، ومنة وفضلا لمن أحب انظر: قوت القلوب ١/ ١٢٣.

ويروى عن أبى الحسن المزين (ت:٣٢٨هـ) أنه قال: «للقلوب خواطر يشوبها شيء من الهوى؛ لكن العقول المقرونة بالتوفيق، تزجر عنها وتنهى والتوحيد أن توحد اللهَّ بالمعرفة، وتوحده بالعبادة، وتوحده بالرجوع إليه في كل ما لك وما عليك، وتعلم أن ما خطر بقلبك ، فاللهَّ تعالى بخلاف ذلك وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه، باينهم لصفاته قدمًا، كما باينوا بصفاتهم حدثًا».

وقد أجاد أبو طالب المكي (ت:٣٨٦هـ) حين استقصى كل ما يتعلق بالخواطر في النفوس، وقسمها تقسيما دقيقًا أحسب أنه لم يسبق إليه في عصره فجعلها عدة أقسام:

(١- خاطر النفس وخاطر العدو، وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين، وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء، ولا يردان إلا بالهوى وضد العلم.

(٢- خاطر الروح وخاطر الملك، وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين، وهما محمودان لا يردان إلا بحق ، وبما دل عليه العلم.

(٣- خاطر العقل وهو متوسط بين هذه الأربعة ، وهو على نوعين:

أ - يصلح للمذمومين، فيكون حجة على العبد لما كان من تمييز العقل وتقسيم المعقول، لأن العبد يدخل في هواه بشهوة جعلت له، واختيار لا يعسر عليه من حيث لا يعقل ولا إجبار.

ب - ويصلح أيضا للمحمودين، فيكون شاهدًا للملك، ومؤيدًا لخاطر الروح، ويثاب العبد على حسن النية وصدق المقصد، ويبن المكي أن خاطر العقل، إنما كان مع النفس تارة، ومع الملك تارة أخرى حكمه من اللهَّ تعالى وإتقانا لصنعه، ليدخل العبد في الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز، فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدًا له وعليه، فاللهَّ سبحانه وتعالى جعل الإنسان مكانًا لجريان أحكامه، ومحلاً لنفاذ مشيئته في مباني حكمته.

(٤- خاطر اليقين وهو روح الإيمان، والعمل الذي يحرك الإرادة على الطاعة والاستجابة، كمحصلة للخواطر الإيمانية المتقدمة.

ويعرض الشيخ المكي أيضًا، كيف يمكن للإنسان أن يفرق بين أنواع الخواطر ومصادرها، والسلوك الأمثل حيالها، فيحدد ذلك فيما يلي:

[١ - ما كان من لائح يلوح في القلب، من معصية ثم يتقلب فلا يثبت، فهذا نزغ من قبل العدو.

[٢ - ما كان في القلب من هوى ثابت، أو حال مزعج دائم لابث، فهو من قبل النفس الأمارة بطبعها، أو مطالبة منها بسوء عادتها.

[٣ - ما ورد على العبد من همه بخطيئة، ووجد العبد فيها كراهيتها فالخاطر مركب:

أ - الورود من قبل العدو.

ب - والكراهية من قبل الروح والإيمان.

والنبوية وما يؤخذ عليه هو تسمية نازع الشر والهوى بالنفس، ونازع الخير بالروح فهم أرادوا بالنفس ما كان معلولاً من أوصاف العباد، أما النفس التى ورد ذكرها في القرآن، فهي على ثلاثة أنواع يشمل، النفس المطمئنة، والنفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء، كما أن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧، ٨]، فجمع في النفس بين جانبين نفسين متقابلين ومتضادين، أحدهما يدعو إلى الخير والآخر ويحض الإنسان عليه، والثاني يدعو إلى الشر ويرغبه فيه، والإنسان بينهما من حيث الاستجابة بالاختيار في القبول أو الرد كما أن النفس تطلق في القرآن ويراد بها معانٍ أخرى.

[٤ - ما وجد من هوى أو معصية، ثم ورد عليه المنع من ذلك، فالخاطر مركب أيضًا:

أ - الهوى من قبل النفس.

ب - المنع من قبل الملك.

[٥- ما وجده عن خوف أو حياء، أو ورع أو زهد، وما شهده من تعظيم وهيبة وإجلال فهذا كله من إرادة اليقين، وهو من مزيد الإيمان.

وتشهد الأصول القرآنية والنبوية لمعظم ما أورده أبو طالب المكي من أركان أساسية لتشكيلة الخواطر في قلب الإنسان، فدل قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس/ ٧:٨] على وجود نازعين نفسيين متقابلين

ومتضادين ليس لأحدهما غلبة على الآخر، أو جدهما الحق تبارك وتعالى في القلب على سبيل الابتلاء والامتحان، تنبعث منهما الخواطر في الجنان بين أصبعين من أصابع الرحمن الأول ويسمى نازع الخير وفطرة الإنسان ومبعث التقوى والإيمان، والثاني يسمى نازع الشر والهوى ومبعث الفجور في الإنسان، وهذان النازعان يسهمان في تشكيل الخواطر خيرها وشرها في منطقة حديث النفس.

قال ابن القيم: «هيأ الله الإنسان لقبول الكمال بما أعطاه من الأهلية والاستعداد ثم ذكر هذه الآية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ثم قال: أخبر الله عن قبول النفس للفجور والتقوى وأن ذلك نالها منه امتحانا واختبارًا، ثم خص بالفلاح من زكاها فنماها وعلاها ورفعها بآدابه التي أدب بها رسله وأنبياءه وأولياءه وهي التقوى، ثم حكم بالشقاء على من دساها فأخفاها وحقرها وصغرها وقمعها بالفجور» مدارج السالكين ٢/ ٣٨١ .

ويقول الكاشاني: «الخاطر عند الصوفية يطلق على ما يخطر بالبال، ويطلق أيضا على القلب، وهذا من باب إطلاق الحال على المحل، والخاطر هو ما يرد على القلب من الخطاب، ربانيا كان أو ملكيا، أو نفسانيا أو شيطانيا من غير إقامة، وقد يكون بواردٍ لا تَعَمُّل فيه للعبد، ويفرق بينها تميزات الشرع».

وقد دلت الأصول النبوية على وجود هاتفين، يهتفان بلمتين أحدهما هو الشيطان، والأخر هو الملك، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما منكم من أحدٍ إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة، قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلا أن الله أعانني عليه، فلا يأمرني إلا بخير أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/ ٢١٦٨.

ومن حديث ابن مسعود ﷺ أيضًا، قال رسول الله ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك، فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى، فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم «أخرجه الترمذي في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ ٥/ ٢١٩، وبهذا تظهر تشكيلة الخواطر التى تتردد على في النفس من النازعين والهاتفين، وعند التحقيق، وعلى ما ذكره أبو طالب المكي في نوعيات الخواطر التى تتردد على القلب إما مفردة وإما مركبة، فإن نوعيات الخواطر بهذه القسمة تنحصر في ستة عشر نوعية، فإما خاطر ينبعث من نازع التقوى، أو خاطر ينبعث من نازع الهوى، أو خاطر ينبعث من الملك، أو خاطر ينبعث من الشيطان، أو خاطر مركب ينبعث من نازع التقوى ويعاونه الملك ، أو خاطر مركب ينبعث من الملك ويعاونه نازع التقوى ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع الهوى ويعاونه الشيطان ، أو خاطر مركب ينبعث من الشيطان ويعاونه الهوى ، أو خاطر مركب ينبعث من نازع التقوى ويثبطه الهوى، أو خاطر مركب ينبعث من الملك ويثبطه.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: والخواطر خطاب يَرد على الضمائر، وهو قد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء شيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه، فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس، قيل له: الهواجس.

وإذا كان من قبل الشيطان فهو: الوسواس.

وإذا كان من قبل الله سبحانه، وإلقائه في القلب، فهو: خاطر حق.

وجملة ذلك من قبيل الكلام.

فإذا كان من قبل الملك، فنما يعمل صدقهُ بموافقة العلم، ولهذا قالوا: كل خاطر لا يشهد له ظاهر فهو باطل.

وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي.

وإذا كان من قبل الشيطان فأكثره يدعو إلى المعاصي.

وإذا كان من قبل النفس فأكثره، يدعو إلى اتباع شهوة أو استشعار كبر، أو ما هو من خصائص أوصاف النفس.

واتفق المشايخ على أن من كان أكله من الحرام لم يفرق بين الإلهام والوسواس.

وسمعت الشيخ أبا علي الدقاق- رحمه الله- يقول: من كان قوته معلوماً لم يفرق بين الإلهام والوسواس، وأن من سكنت عنه هواجس نفسه بصدق مجاهدته نطق بيان قلبه بحكم مكابدته.

وأجمع الشيوخ على أن النفس لا تصدق، وأن القلب لا يكذب.

وقال بعض المشايخ: إن نفسك لا تصدق وقلبك لا يكذب، ولو اجتهدت كل الجهد أن تخاطبك روحكم لم تخاطبك.

وفرّق الجنيد بين هواجس النفس ووساوس الشيطان بأن النفس إذا طالبتك بشيء ألحت.. فلا تزال تعاودك، ولو بعد حين، حتى تصل إلى مرادها، ويحصل مقصودها، اللهم إلا أن يدوم صدق المجاهدة، ثم إنها تعاودك وتعاودك.

obeikandi.com

وأما الشيطان إذا دعاك إلى زلة، فخالفته بترك ذلك، يوسوس بزلة أخرى، لأن جميع المخالفات له سواء، وإنما يريد أن يكون داعياً أبداً إلى زلة ما، ولا غرض له في تخصيص واحد دون واحد.

وقد قيل: كل خاطر يكون من المسلك، فربما يوافقه صاحبه، وربما يخالفه.

فأما خاطر يكون من الحق سبحانه، فلا يحصل خلاف من العبد له.

وتكلم الشيوخ في الخاطر الثاني، إذا كان الخاطران من الحق سبحانه، هل هو أقوى من الأول؟

فقال الجنيد: الخاطر الأول أقوى، لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل، وهذا بشرط العلم، فترك الأول يضعف الثاني.

وقال ابن عطاء الله: الثاني أقوى، لأنه ازداد قوة بالأول.

وقال أبو عبد الله بن خفيف ﷺ: هما سواء، لأن كليهما من الحق، فلا مزية لأحدهما على الآخر.

والأول لا يبقى في حال وجود الثاني، لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء.

وعلى هذا حمل قوله ﷺ: رأيت ربي ليلة المعراج في أحسن صورة أي أحسن صورة رأيتها تلك الليلة لم تشغلني عن رؤيته تعالى، بل رأيت المصور في الصورة، والمنشئ في الإنشاء، ويريد بذلك رؤية العلم، لا إدراك البصر.

obeikandi.com

الواردات:

يجري في كلامهم ذكر الواردات كثيرًا.

والوارد: ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة، مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبيل الخواطر، فهو أيضاً: وارد.

ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم.

فالواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب، أو ما يتضمن معناه.

والواردات تكون: وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض؛ ووارد بسط، إلى غير ذلك من المعاني. انظر: الرسالة القشيرية (١/ ٤٣).

وقال الشيخ الأكبر في معرفة الخواطر الشيطانية:

الخواطر أربعة لا خامس لها: خاطر رباني وخاطر ملكي وخاطر نفسي وخاطر نفسي وخاطر شيطاني ولا خامس هناك، وقد ذكرنا معرفة الخواطر في هذا الكتاب وفي بعض كتبنا فلنذكر في هذا الباب الخاطر الشيطاني خاصة.

اعلم أن الشياطين قسمان: قسم معنويّ وقسم حسيّ، ثم القسم الحسيّ من ذلك على قسمين: شيطانيّ إنسيّ وشيطانيّ جني.

جعلهم الله أهل افتراء على الله وحدث فيما بينهما في الإنسان شيطان معنوي وذلك أن شيطان الجنّ والإنس إذا ألقى من ألقى منهم في قلب الإنسان أمرًا ما يبعده عن الله به فقد يلقى أمراً خاصاً وهو خصوص مسألة بعينها، وقد يلقى أمراً

obeikandi.com

عامًا ويتركه، فإن كان أمرًا عامًّا فتح له في ذلك طريقًا إلى أمور لا يفطن لها الجنيّ ولا الإنسيّ تتفقه فيه النفس وتستنبط من تلك الشبه أمورًا إذا تكلم بها تعلم إبليس الغواية، فتلك الوجوه التي تنفتح له في ذلك الأسلوب العام الذي ألقاه إليه أولاً شيطان الإنس أو شيطان الجنّ تسمى الشياطين المعنوية؛ لأن كل واحد من شياطين الإنس والجنّ يجهلون ذلك وما قصدوه على التعيين، وإنما أرادوا بالقصد الأوّل فتح هذا الباب عليه لأنهم علموا أن في قوّته وفطنته أن يدقق النظر فيه فينقدح له من المعاني المهلكة ما لا يقدر على ردّها بعد ذلك وسبب ذلك الأصل الأول، فإنه اتخذه أصلًا صحيحًا وعوّل عليه فلا يزل التفقه فيه يسرقه حتى خرج به عن ذلك الأصل وعلى هذا جرى أهل البدع والأهواء، فإن الشياطين ألقت إليهم أصلًا صحيحًا لا يشكون فيه، ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا فينسب ذلك إلى الشيطان بحكم الأصل ولو علموا أنّ الشيطان في تلك المسائل تلميذ له يتعلم منه وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ولاسيما في الإمامية منهم، فدخلت عليهم شياطين الجنّ أولاً بحب أهل البيت واستفرغ الحب فيهم، ورأوا أن ذلك من أسنى القربات إلى الله وكذلك هو لو وقفوا ولا يزيدون عليه إلا أنهم تعدّوا من حب أهل البيت إلى طريقين، منهم من تبدى إلى بغض الصحابة وسبهم حيث لم يقدموهم، وتخيلوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية، فكان منهم ما قد عرف واستفاض.

وطائفة زادت إلى سبِّ الصحابة ﷺ القدح في رسول الله ﷺ وفي جبريل عليه السلام وفي الله -جل جلاله- حيث لم ينصوا على رتبتهم وتقديمهم في الخلافة للناس حتى أنشد بعضهم ما كان من بعث الأمين أمينًا، وهذا كله واقع من أصل صحيح وهو حب أهل البيت أنتج في نظرهم فاسدًا، فضلوا وأضلوا، فانظر ما أدى إليه الغلوّ في الدين

أخرجهم عن الحد، فانعكس أمرهم إلى الضد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة آية: ٧٧].

وطائفة ألفت إليهم الشياطين أصلاً صحيحًا لا يشكون فيه أن النبي ﷺ قال: «**من سنّ سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها**».

ثم تركتهم بعد ما حببت إليهم العمل على هذا، فجعل بعض الناس لحرصه على الخير يتفقه لكونه يريد تحصيل أجود من عمل بها، فإذا سنّ سنة حسنة يخاف إذا نسبها إلى نفسه لا تقبل منه، فيضع لأجل قبولها حديثًا عن رسول الله ﷺ في ذلك ويتأول أن ذلك داخل في حكم قوله: «**من سنّ سنة حسنة**».

فأجاز الكذب على رسول الله ﷺ: وأن يقول عليه ﷺ ما لم يقله ولا فاه به لسانه ويرى أن ذلك خير، فإن الأصول تعضده، فإذا أخطر له الملك قوله ﷺ من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار وأخطر له أيضًا قوله ﷺ: «**ليس كذب عليّ ككذبٍ على أحد، من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**».

يتأول ذلك كله بإلقاء الشيطان في خاطره فيقول له إنما ذلك إذا دعا إليه ﷺ وقال عنه أنه صرح بما لم يقله ﷺ، وكذلك إن كان من أهل الخلوات والرياضيات واستعجل الرياسة من قبل أن يفتح الله عليه بابًا من أبواب عبوديته، فيلزم طريق الصدق ولا يقف مع رسول الله ﷺ مثل ما وقف الأول وأنه يجري إلى الافتراء على الله فينسب ذلك الذي سنَّه إلى الله تعالى ويتأول أنه لا فاعل إلا الله، وأنه تعالى المنطق عباده ويصير من وقته مجبورًا ويقول هذا كله خير، فإني ما قصدت إلا أن أعضد تلك

السنة الحسنة، فلم أر أشد في تقويتها من أني أسندها إلى الله تعالى كما هي في نفس الأمر خلق لله تعالى أجراها الله على لساني، هذا كله يحدث به نفسه لا يقول ذلك لأحد، فإذا كان مع الناس يريهم إن ذلك جاءه من عند الله كما يجيء لأولياء الله على تلك الطريق فإذا أخطر له الملك قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

يتأول ذلك مع نفسه ويقول: ما أنا مخاطب بهذه الآية، وإنما خوطب بها أهل الدعوى الذين ينسبون الفعل إلى أنفسهم، فإنه قال افترى، فنسب فعل الافتراء إلى هذا القائل، وأنا أقول: إن الأفعال كلها لله تعالى لا إليّ فهو الذي قال على لساني ألا ترى النبيّ ﷺ قال في الصلاة: «إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده» فكذلك هذا ثم قال أو قال أوحى إليّ فأضاف القول إليه وكذلك قوله: (إليّ) ومن أنا حتى أقول إلي إذ الله هو المتكلم وهو السميع، ثم قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وما أقول أنا ذلك بل الإنزال كله من الله فإذا تفقه في نفسه في هذا كله (افترى على الله كذبًا وزين له سوء عمله فرآه حسنًا) فهذا أصل صحيح لهاتين الطائفتين قد ألقاه الشيطان إليهما وتركه عندهما وبقي يتفقه في ذلك فقهًا نفسيًا، فإن لم يكن الإنسان على بصيرة وتمييز من خواطره حتى يفرق بين إلقاء الشيطان وإن كان خيرًا وبين إلقاء الملك والنفس ويميز بينهما ميزا صحيحًا وإلا فلا يفعل، فإنه لا يفلح أبدًا، فإن الشيطان لا يأتي إلى كل طائفة إلا بما هو الغالب عليها وليس غرضه من الصالحين إلا أن يجهلوه في الأخذ عنه فإذا جهلوه ونسبوا ذلك إلى الله ولم يعرفوا على أي طريق وصل إليهم كأنه قنع منهم بهذا القدر من الجهل وعرف أنهم تحت سلطانه، فلا يزال يستدرجه

في خيريته حتى يتمكن منه في تصديق خواطره وأنها من الله فيسلخه من دينه كما تنسلخ الحية من جلدها ألا ترى صورة الجلد المسلوخ منها على صورة الحية كذلك هذا الأمر جاء إبليس إلى عليه السلام في صورة شخص شيخ في ظاهر الحس لأن الشيطان ليس له إلى باطن الأنبياء عليهم السلام من سبيل فخواطر الأنبياء عليهم السلام كلها إما ربانية أو ملكية أو نفسية لاحظ للشيطان في قلوبهم ومن يحفظ من الأولياء في علم الله يكون بهذه المثابة في العصمة مما يلقى لا في العصمة من وصله إليه قالوا لي المعتنى به على علامة من الله فيما يلقي إليه الشيطان وسبب ذلك أنه ليس بمشرع والأنبياء مشرعون، فلذلك عصمت بواطنهم فقال لعيسى عليه السلام: يا عيسى قل لا إله إلا الله، ورضي منه أن يطيع أمره في هذا القدر، فقال عيسى عليه السلام: أقولها لا لقولك لا إله إلا الله، فرجع خاسئًا ومن هنا تعلم الفرق بين العلم بالشيء وبين الإيمان به وأن السعادة في الإيمان وهو أن تقول ما تعلمه، وما قلته لقول رسولك الأول الذي هو موسى عليه السلام لقول هذا الرسول الثاني الذي هو محمد ﷺ لا لعلمك ولا للقول الأول فحينئذ لك يشهد بالإيمان ومآلك السعادة وإذا قلت ذلك لا لقوله وأظهرت إنك قلت ذلك لقوله كنت منافقًا قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يريد أهل الكتاب حيث قالوا ما قالوه لأمر نبيهم عيسى أو موسى أو من كان من أهل الإيمان بذلك من الكتب المتقدمة ولهذا قال لهم يا أيها الذين آمنوا، ثم قال لهم آمنوا بأنبيائي، قولوا لا إله إلا الله لقول محمد ﷺ لا لعلمكم بذلك ولا لإيمانكم بنبيكم الأول، فتجمعوا بين الإيمانين فيكون لكم أجران فيقنع الشيطان من الإنسان إن يلبس عليه بهذا القدر فلا يفرق بين ما هو من عند الله من حيث ما هو

من عند الله ولا بين طريق الملك والنفس والشيطان فالله يجعل لك علامة تعرف بها مراتب خواطرك ومما تعرف به الخواطر الشيطانية، وإن كانت في الطاعة بعدم الثبوت على الأمر الواحد وسرعة الاستبدال من خاطر بأمرٍ ما إلى خاطر بأمر آخر، فإنه حريص وهو مخلوق من لهب النار ولهب النار سريع الحركة فاصل إبليس عدم البقاء على حالة واحدة في أصل نشأته فهو بحكم أصله، والإنسان له الثبوت، فإنه من التراب فله البرد واليبس، فهو ثابت في شغله وكذلك الخواطر النفسية ثابتة ما لم يزلزلها الملك أو الشيطان ومتعلق أصل الخواطر الشيطانية إنما هو المحظور فعلاً كان أوتر ك إثم يليه المكروه فعلاً كان أوتركًا، فالأول في العامة، والثاني في العباد من العامة وقد يتعلق بالباح في حقّ المبتدي من أهل طريق الله ويأتي بالمندوب في حق المتوسطين من أهل الله أصحاب السماع، فإنه يستدرج كل طائفة من حيث ما هو الغالب عليها فإنه عالم بمواقع المنكر والاستدراج وبأني العارفين بالواجبات فلا يزال بهم حتى نووا مع الله فعل أمر ما من الطاعات وهو فينفس الأمر عهد يعهده مع الله، فإذا استوثق منه في ذلك وعزم وما لقي إلا الفعل أقام له عبادة أخرى أفضل منها شرعًا فيرى العارف أن يقطع زمانه بالأولى فيترك الأول ويشرع في الثاني فيفرح إبليس حيث جعله ينقض عهد الله من بعد ميثاقه والعارف لا خبر له بذلك، فلو عرف من أول أن ذلك من الشيطان عرف كيف يرده وكيف يأخذه كما فعل عيسى عليه السلام وكل متمكن من أهل الله من ورثة الأنبياء، فيراها مع كونها حسنة هي خواطر شيطانية وكذا جاء للمنافق من أهل الكتاب قال له ألم تعلم أن نبيك قد بشر بهذا الرجل وقد علمت أنه هو والنبوة يجمعها فقل له أنك رسول الله لقول نبيك لا

لقوله ولا فرق بينهما فيقول المنافق عند ذلك أنك رسول الله فأكذبهم الله فقال تعالى:

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون: ١].

على ما قررهم الشيطان فقال الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ في أنهم قالوا ذلك لقولك لا في قولهم إنك رسول الله ولو أراد ذلك كان نفيًا لرسالته ﷺ فقد أعلمتك بمداخل الشيطان إلى نفوس العالم لتحذره وتسأل الله أن يعطيك علامة تعرفه بها وقد أعطاك الله في العامة ميزان الشريعة وميز لك بين فرائضه، وبين مباحه ومحظوره ومكروهه، ونص على ذلك في كتابه وعلى لسان رسوله، فإذا خطر لك خاطر في محظور أو مكروه فتعلم أنه من الشيطان بلا شك وإذا خطر لك خاطر في مباح فتعلم أنه من النفس بلا شك، فخاطر الشيطان بالمحظور والمكروه اجتنبه فعلا كان أو تركًا والمباح أنت مخير فيه، فإن غلب عليك طلب الأرباح، فاجتنب المباح واشتغل بالواجب أو المندوب غير أنك إذا تصرّفت في المباح، فتصرف فيه على حضور أنه مباح وأن الشارع لولا ما أباحه لك ما تصرّفت فيه فتكون مأجورًا في مباحك لا من حيث كونه مباحًا إلا من حيث إيمانك به أنه شرع من عند الله، فإن الحكم لا ينتقل بعد موت رسول الله ﷺ فإن الحكم هو عين الشرع، وقد سد ذلك الباب، فالمباح مباح لا يكون واجبًا ولا محظورًا أبدًا، وكذلك كل واحد من الأحكام، وإن خطر لك خاطر في فرض فقم إليه بلا شك، فإنه من الملك وإذا خطر لك خاطر في مندوب، فاحفظ أول الخاطر، فإنه قد يكون من إبليس، فاثبت عليه، فإذا خطر لك أن تتركه لمندوب آخر هو أعلى منه وأولى، فلا تعدل عن الأول وأثبت عليه واحفظ الثاني وافعل الأول ولابدَّ، فإذا فرغت منه أشرع في الثاني، فافعله أيضًا، فإن الشيطان يرجع خاسئًا بلا شك حيث لم

يتفق له مقصوده، وبهذا الدواء يذهب مرض الشيطان من نفسك وتكون عمري المقام ما يلقاك الشيطان في فجٍ إلا سلك فجًا غير فجك إذا عاملته بمثل هذا، فحافظ على ما نبهتك عليه، فإن الله قد أثنى على الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ويكفي هذا القدر والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من معرفة الخواطر فنقول: وبعد أن أعلمتك بحقائقها فتختلف آثارها في النفس باختلاف من يتعرض لها في طريقها، فإن لم يتعرض لها أحد ممن ذكرنا فذلك خاطر العلم لا يكون خاطر عمل ألبتة، وهو الخاطر الرباني وخواطر الأعمال والتروك تكون ملكية وشيطانية ونفسية لا غير ذلك وكل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فأحرى قديمًا فألهمها فجورها عملًا أو تركا لمجيئه على يد شيطان وتقواها عملا أو تركا لمجيئه على يد ملك فمن راقب خواطره من طريقها فقد أفلح فإنه يعلم من يأخذها ومن يتعرض إليها من القاعدين لها كل مرصد ومن غفل عن طريقها وما شعر بها حتى وجدها في المحل كما تجدها العامة عمل بمقتضاها وهو عمل الجاهل بالشيء، فإن كان خيرًا فبحكم المصادفة، وإن كان شرًا فكذلك؛ لأن الخاطر الأول الذي أتاه بالعلم بمن يأتي بعده من الخواطر وعلى يد من يأتيه لم يشعر به ولا علمه ولا شاهده ففاته حكمه، فلما فجئته هذه الخواطر العملية على حين غفلة وعدم تيقظ ومراقبة لطرقها عمل بمقتضاها فكان خيره وشره مصادفة ورأيت ابن الحجازي المحتسب بمدينة فاس، ولم يكن صاحب علم بالشريعة يوفقه الله لإصابة الحكم وأعرف من صلاحه أنه ما فاتته تكبيرة الإحرام خلف الإمام في الصلوات كلها بجامع القرويين إلى أن مات فكانت

أحكامه في حسبته تجري على السداد إلهامًا من الله، فكان يقول أني لأعجب من أمري ما اشتغلت بعلم أحكام الشريعة وأوفق حكم الشرع في جميع أحكامي ولم يقدر أحد من علماء الشريعة يأخذ عليه في حكم لم يقل به مجتهد هذا وحده رأيته من عامة الناس معتنى به ولم يكن من أهل الطريق بل كان حريصًا على الدنيا مكبًا عليها كسائر عامة الناس لكن كان منور الباطن ولا يشعر بذلك والخواطر كلها خطابات إلهية ما هي تجليات ولهذا ينشئها الله صورًا تحدث في العماء الذي هو النفس الإلهي، فمن شهدها ولا يرزقه الله علما بما ذكرناه يتخيل أن الخواطر تجل ألهي لما يرى من الصورة وهذا هو السبب في تسميتها خواطر وأنها لا تثبت كما لا تثبت صورة الحرف في الوجود بعد نطق اللسان به فما له سوى زمان النطق به ثم ينعدم ويبقى في فهم السامع مثال صورته، فيتخيل أن الخاطر باق كما تخيل ذو النون في قوله تعالى:

﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]

فقال: كأنه الآن في أذني فما ذلك هو الكلام الذي سمع وإنما ذلك الباقي مما أخذ الفهم من صورة الكلام فثبت في النفس والقليل من أهل الله من يفرق بين الصورتين، ولما كانت الخواطر من الخطاب الإلهي لذلك دعا من دعا من أهل الله الخلق إلى الله على بصيرة فإن الدعاء على بصيرة لا يكون ألا بالتعريف الإلهي والتعريف الإلهي لا يكون ألا كلامًا لا غير ذلك ليرتفع الأشكال ولو كان التكوين عن غير كلمة كن لم يكن له ذلك الإسراع في قوله فيكون بفاء التعقيب وهي جواب الأمر لأن يكون كان على بصيرة لأنه خطاب فلو كان غير خطاب لم يكن له هذا الحكم ولكن أين النفوس المراقبة العالمة المحسة التي تعرف الأمر على ما هو عليه

وغاية الناظر في هذا الأمر أن يجعل ما هو خطاب حق في النفس أن ذلك المعبر عنه بالعلم الضروري خلقه الله في محل هذا الشخص لا غير وصاحب الكشف الصحيح يدري أن الله ما خلق له العلم الضروري بالأمر ألا بعد أسماعه إياه كلامه فيعلم عند ذلك ما أراد الحق بذلك الخطاب فذلك العلم هو العلم الضروري؛ ولكن ما يشعر به ألا أهل الشعور من أصحاب الأسرار الإلهية من أهل الله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى منه بتصرف يسير.

وفي بريقة محمودية شرح الطريقة المحمدية للبركوي: قِيلَ مِنْ الْخَوَاطِرِ مَا يَعْرِضُ مِنْ جِهَةِ الْمِزَاجِ مُيلًا إلَى مَا يُوَافِقُ فَهَذَا إذَا تَمَكَّنَ سُمِّيَ شَهْوَةً وَضِدُّهُ نُفْرَةٌ وَمِنْهُ مَا يَعْرِضُ لِنَيْلِ رُتْبَةٍ فَإِذَا تَمَكَّنَ سُمِّيَ هِمَّةً وَمِنْهُ مَا يَعْرِضُ بَاعِثًا عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ فَإِذَا تَمَكَّنَ سُمِّيَ سَيِّئَةً وَمِنْهُ مَا يَعْرِضُ بِاسْتِعْجَالِ اللِّقَاءِ فَإِذَا تَمَكَّنَ سُمِّيَ شَوْقًا وَمِنْهُ مَا يَعْرِضُ بِتَثْبِيتِ حُكْمٍ أَوْ شَيْءٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فَإِذَا تَمَكَّنَ سُمِّيَ عِلْمًا وَإِنْ مُتَرَدِّدًا سُمِّيَ شَكًّا فَإِنْ عَرَضَ بِذِكْرِ مَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الثَّبَاتِ سُمِّيَ جَهْلًا وَلِجَمِيعِ الْأَخْلَاقِ وَالْخِصَالِ خَوَاطِرُ مَتَى تَمَكَّنَتْ سُمِّيَتْ بِأَسْمَاءٍ تَخُصُّهَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مِنْ الْخَاطِرِ مَا يَكُونُ مِنْ الْمَلَكِ وَمَا يَكُونُ مِنْ الشَّيْطَانِ مَا خَرَّجَ النَّسَائِيّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ الله تَعَالَى عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «فِي الْقَلْبِ لَمَّتَانِ» تَثْنِيَةُ لَمَّةٍ بِالْفَتْحِ مِنْ الْإِلْمَامِ وَهُوَ الْقُرْبُ وَقِيلَ بِمَعْنَى الْمَسِّ (لَمَّةٌ مِنْ الْمَلَكِ بِإِيعَادٍ) عَلَى زِنَةِ إفْعَالٍ (بِالْخَيْرِ) فِي الْمَنَاوِيِّ عَنْ الْقَاضِي وَإِنْ اخْتَصَّ بِالشَّرِّ عُرْفًا يُقَالُ أَوْعَدَهُ إذَا وَعَدَهُ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلْمُشَاكَلَةِ لِمَا بَعْدَهُ؛ لِأَنَّهَا لَا تَخْتَصُّ بِمَا قَبْلَهَا وَإِنْ كَثُرَ فِيهِ أَوْ لِلْأَمْنِ مِنْ الِاشْتِبَاهِ بِذِكْرِ الْخَيْرِ (وَتَصْدِيقٍ بِالْحَقِّ) فَإِنَّ الْمَلَكَ وَالشَّيْطَانَ يَتَعَاقَبَانِ عَلَى الْقَلْبِ تَعَاقُبَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ لَيْلُهُ أَطْوَلَ مِنْ نَهَارِهِ

وَآخَرُ بِضِدِّهِ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ زَمَنُهُ نَهَارًا كُلَّهُ وَآخَرُ بِضِدِّهِ (وَلَمَّةٌ مِنَ الْعَدُوِّ) أَيْ الشَّيْطَانِ (بِإِيعَادٍ بِالشَّرِّ) مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ خَطَرٌ إِلَى تَرْكِ الْفَاضِلِ بِإِرَاءَةِ الْمَفْضُولِ (وَتَكْذِيبٍ بِالْحَقِّ وَنَهْيٍ عَنْ الْخَيْرِ) كَعَقَائِدِ أَهْلِ الْبِدَعِ .

قَالَ فِي الْفَيْضِ: الْمَلَكُ عِبَارَةٌ عَنْ خَلْقٍ خَلَقَهُ الله شَأْنُهُ إِفَاضَةُ الْخَيْرِ وَإِفَادَةُ الْعِلْمِ وَكَشْفُ الْحَقِّ وَالْوَعْدِ بِالْمَعْرُوفِ .

وَالشَّيْطَانُ عِبَارَةٌ عَنْ خَلْقٍ شَأْنُهُ الْوَعِيدُ بِالشَّرِّ وَالْأَمْرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْقَلْبُ مُتَجَاذَبٌ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَالْمَلَكِ فَرَحِمَ الله امْرَأً وَقَفَ عِنْدَ هَمِّهِ فَمَا كَانَ مِنَ اللهِ - تَعَالَى - أَمْضَاهُ وَمَا كَانَ مِنْ عَدُوِّهِ جَاهَدَهُ وَالْقَلْبُ بِأَصْلِ الْفِطْرَةِ صَالِحٌ لِقَبُولِ آثَارِ الْمَلَائِكَةِ وَالشَّيَاطِينِ مُتَسَاوِيًا لَكِنْ يَتَرَجَّحُ أَحَدُهُمَا بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَالْإِكْبَابِ عَلَى الشَّهَوَاتِ أَوْ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا وَمُخَالَفَتِهَا .

وروى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ الله عَنْهُ قِيلَ عَنْ التَّيْمِيِّ فِيهِ عَدِيُّ بْنُ عَمَّارٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ ضَعْفَهُ لَا يَضُرُّ بِاحْتِجَاجِنَا هُنَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ وَاضِعٌ خُرْطُومَهُ» كَزُنْبُورِ الْأَنْفِ أَوْ مُقَدَّمِهِ أَوْ مَا ضَمَمْت عَلَيْهِ الْحَنَكَيْنِ ، كَمَا نُقِلَ عَنْ الْقَامُوسِ لَكِنْ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ بِهَذِهِ الرِّوَايَةِ وَعَنْ هَذَا الْمَخْرَجِ وَاضِعٌ خَطْمَهُ وَفَسَّرَ أَيْ فَمُهُ وَأَنْفُهُ وَالْخَطْمُ مِنْ الطَّيْرِ مِنْقَارُهُ وَمِنْ الدَّابَّةِ مُقَدَّمُ أَنْفِهَا وَفَمِهَا عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ فَإِنْ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ «فَإِذَا ذَكَرَ اللهَ تَعَالَى خَنَسَ» تَأَخَّرَ وَانْقَبَضَ ﴿وَإِنْ نَسِيَ اللهَ تَعَالَى الْتَقَمَ قَلْبَهُ﴾ يَجْعَلُ قَلْبَهُ لُقْمَةً فِي فَمِهِ .

قَالَ فِي الْفَيْضِ فَبُعْدُ الشَّيْطَانِ مِنْ الْإِنْسَانِ عَلَى قَدْرِ ذِكْرِهِ وَالنَّاسُ فِيهِ يَتَفَاوَتُونَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ رَأَيْت إِبْلِيسَ فَأَخَذَ عَنِّي نَاحِيَةً ، فَقُلْت تَعَالَ ، فَقَالَ

opeikandi.com

أَيُّ شَيْءٍ أَعْمَلُ بِكُمْ لَزِمْتُمُ الذِّكْرَ وَطَرَحْتُمْ مَا أُخَادِعُ بِهِ قُلْت مَا هُوَ قَالَ الدُّنْيَا فَوَلَّى ثُمَّ الْتَفَتَ وَقَالَ بَقِيَ لِي فِيكُمْ لَطِيفَةٌ هِيَ السَّمَاعُ وَصُحْبَةُ الْأَشْرَارِ قَالَ الْغَزَالِيُّ مَهْمَا غَلَبَ عَلَى الْقَلْبِ ذِكْرُ الدُّنْيَا وَمُقْتَضَيَاتُ الْهَوَى وَجَدَ الشَّيْطَانُ مَجَالًا فَوَسْوَسَ وَمَهْمَا انْصَرَفَ الْقَلْبُ إلَى ذِكْرِ اللَّهِ ارْتَحَلَ الشَّيْطَانُ وَضَاقَ مَجَالُهُ وَقَالَ الْحَكِيمُ قَدْ أُعْطِيَ الشَّيْطَانُ وَجُنْدُهُ السَّبِيلَ إلَى فِتْنَةِ الْآدَمِيِّ وَتَزْيِينِ مَا فِي الْأَرْضِ لَهُ طَمَعًا فِي غَوَايَةٍ فَهُوَ يُهَيِّجُ النُّفُوسَ إلَى تِلْكَ الزِّينَةِ تَهْيِيجًا يُزَعْزِعُ أَرْكَانَ الْبَدَنِ وَيَسْتَفِزُّ الْقَلْبَ حَتَّى يُزْعِجَهُ عَنْ مَقَرِّهِ وَلَا يَعْتَصِمُ بِشَيْءٍ أَوْثَقَ مِنْ الذِّكْرِ ؛ لِأَنَّهُ إذَا هَاجَ الذِّكْرُ مِنْ الْقَلْبِ هَاجَتْ الْأَنْوَارُ فَاشْتَعَلَ الصَّدْرُ بِنَارِ الْأَنْوَارِ وَهَيَّجَ الْعَدُوُّ نَارَ الشَّهَوَاتِ وَإِذَا رَأَى الْعَدُوُّ هَيَجَانَ الذِّكْرِ مِنْ الْقَلْبِ وَلَّى هَارِبًا وَخَمَدَتْ نَارُ الشَّهَوَاتِ وَامْتَلَأَ الصَّدْرُ نُورًا فَبَطَلَ كَيْدُهُ وَعَنْ ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْ قَلْبِ الْآدَمِيِّ فَرَأَى فِي الْمَنَامِ جَسَدَ رَجُلٍ يُشْبِهُ الْبَلُّورَ يُرَى دَاخِلُهُ مِنْ خَارِجِهِ وَالشَّيْطَانُ بِصُورَةِ ضِفْدِعٍ قَاعِدٍ عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْسَرِ لَهُ خُرْطُومٌ طَوِيلٌ أَدْخَلَهُ فِي مَنْكِبِهِ الْأَيْسَرِ إلَى قَلْبِهِ يُوَسْوِسُ إلَيْهِ فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهَ خَنَسَ وَمِثْلُ هَذَا قَدْ يُشَاهَدُ فِي الْيَقَظَةِ وَقَدْ رَآهُ بَعْضُ الْمُكَاشِفِينَ بِصُورَةِ كَلْبٍ جَاثِمٍ عَلَى جِيفَةٍ يَدْعُو النَّاسَ إلَيْهَا وَالْقَصْدُ أَنْ يُصَدَّقَ بِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَنْكَشِفُ لِأَرْبَابِ الْقُلُوبِ وَكَذَا الْمَلَكُ انْتَهَى .

وَ أَمَّا عَلَامَةُ خَاطِرِ الشَّرِّ مُطْلَقًا، سَوَاءٌ مِنْ اللَّهِ أَوْ الشَّيْطَانِ أَوْ النَّفْسِ، وَعَلَامَةُ خَاطِرِ الْخَيْرِ كَذَلِكَ، مُطْلَقًا سِوَى النَّفْسِ، فَلِمَعْرِفَتِهِمَا أَرْبَعَةُ مَوَازِينَ، جَمْعُ مِيزَانٍ مَرْتَبَةٌ لَا يَعْدِلُ إلَى ثَانِيهَا بِدُونِ تَعَثُّرٍ أَوَّلِهَا فِي الْكُلِّ الْأَوَّلُ عَرْضُهُ عَلَى الشَّرْعِ فَإِنْ وَافَقَ الْخَاطِرُ جِنْسَهُ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا يَعْنِي لَا يَلْزَمُ مُوَافَقَةُ شَخْصِهِ إذْ رُبَّمَا لَا يُوجَدُ نَصٌّ عَلَى أَعْيَانِ بَعْضِ الْمَسَائِلِ بَلْ يُوجَدُ تَحْتَ الْعُمُومَاتِ، وَكَذَا الْأَحْكَامُ الْمُسْتَخْرَجَةُ مِنْ

obeikandi.com

الْمُجْتَهِدِ بِالنَّظَرِ إِلَيْنَا بَلْ تَحْتَ قَوَاعِدِهِمْ الْكُلِّيَّةِ فَخَيِّرٌ وَإِنْ وَافَقَ ضِدُّهُ ضِدَّ جِنْسِ ذَلِكَ بِأَنْ لَا يَكُونَ عَيْنُهُ ثَابِتًا بِنَصٍّ وَلَا دَاخِلًا تَحْتَ عُمُومِ شَرْعٍ وَلَا يَكُونُ مِنَ الْجُزْئِيَّاتِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ الْكُلِّيَّاتِ فَشَرٌّ، قِيلَ فَإِنْ كَانَ نَفْلًا أَوْ فَرْضًا يُمْضِيهِ وَإِنْ حَرَامًا أَوْ مَكْرُوهًا يَنْفِيهِ وَإِنْ اسْتَوَى الْخَاطِرُ أَنْ يَنْفُذَ أَقْرَّ بِهِمَا إِلَى خِلَافِ هَوَى النَّفْسِ وَهَذَا الْمِيزَانُ لِلْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ لَا لِكُلٍّ ، أَحَدٍ ظَاهِرُهُ أَنَّ مَا لَا يُوجَدُ فِيهِ نَصٌّ فَلَيْسَ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ دُخُولَ الْإِبَاحَةِ الْأَصْلِيَّةِ تَحْتَ ذَلِكَ الْجِنْسِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْأَشْيَاءِ هُوَ الْإِبَاحَةُ فَتَأَمَّلْ .

وَالْمِيزَانُ الثَّانِي عَرْضُهُ أَيِ الْخَاطِرِ عَلَى عَالِمٍ لَا مُطْلَقًا بَلْ مِنْ عُلَمَاءِ الْآخِرَةِ الْمُتَشَرِّعَةِ وَالْمُتَسَنِّنَةِ وَالْمُتَوَرِّعَةِ احْتِرَازٌ عَنْ عُلَمَاءِ الدُّنْيَا الَّذِينَ يَجْعَلُونَ عُلُومَهُمْ آلَةً لِجَمْعِ الدُّنْيَا وَجَلْبِ الْأَمْوَالِ وَوُصُولِ الْمَنَاصِبِ وَالتَّرَفُّعِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَى عُلُومِهِمْ وَلَا يَحْتَاطُونَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَلَا يَجْتَنِبُونَ عَنِ الشُّبُهَاتِ ، بَلْ يَرْتَكِبُونَ الْمَكْرُوهَاتِ وَالْمُحَرَّمَاتِ فَكُلَّمَا ازْدَادُوا عِلْمًا ازْدَادُوا مَقْتًا وَسُخْطًا وَإِنَّ عَمَلَهُمْ رِيَاءٌ وَعُجْبٌ وَنَحْوُهُمَا، فَهُمْ أَظْلَمُ خَلْقِ اللهِ لَا يَصْلُحُونَ لِلِاقْتِدَاءِ بَلِ الْإِعْرَاضُ عَنْهُمْ وَالْفِرَارُ مِنْهُمْ قَالَ اللهُ تَعَالَى ﴿**وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ وَعَلَى مُرْشِدٍ كَامِلٍ فِي صِفَةِ الْإِرْشَادِ بِأَنْ يَكُونَ مُعْرِضًا عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَحُبِّ الْجَاهِ وَقَدْ كَانَ تَابِعٌ لِشَخْصٍ بَصِيرٍ تَتَسَلْسَلُ مُتَابَعَتُهُ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ﷺ، وَكَانَ مُحْسِنًا لِرِيَاضَةِ نَفْسِهِ مِنْ قِلَّةِ الْأَكْلِ وَالنَّوْمِ وَكَثْرَةِ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالصَّوْمِ وَكَانَ بِمُتَابَعَةِ الشَّيْخِ الْبَصِيرِ جَاعِلًا مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ لَهُ سِيرَةً كَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَالتَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ وَالْخَسَارَةِ وَالْقَنَاعَةِ وَطُمَأْنِينَةِ النَّفْسِ وَالْحِلْمِ وَالتَّوَاضُعِ وَالْعِلْمِ وَالصِّدْقِ وَالْحَيَاءِ وَالْوَفَاءِ وَالْوَقَارِ وَالتَّأَنِّي وَأَمْثَالِهَا ، فَهُوَ إِذَنْ نُورٌ مِنْ أَنْوَارِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَصْلُحُ لِلِاقْتِدَاءِ لَكِنْ وُجُودُ مِثْلِهِ نَادِرٌ أَعَزُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ إِلَى آخِرِ مَا قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي نَصَائِحِهِ الْوَلَدِيَّةِ (إِنْ وُجِدَ قِيلَ) أَيْ إِنْ ظَفِرَ وَإِلَّا فَهُوَ مَوْجُودٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَخْلُو الْبِلَادُ عَنْهُ .

(فَإِنْ قَالَ) هُوَ (خَيْرٌ فَخَيْرٌ) فِي نَفْسِ الْأَمْرِ (وَإِنْ) قَالَ هُوَ (شَرٌّ فَشَرٌّ) عِنْدَ اللهِ ؛ لِأَنَّهُ صَاحِبُ أَمَانَةٍ فَإِنَّهُ صَاحِبُ تَصَرُّفٍ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ (وَالثَّالِثُ عَرْضُهُ عَلَى الصَّالِحِينَ) الْقَائِمِينَ عَلَى أَمْرِ اللهِ الْمُنْتَهِينَ عَنْ جَمِيعِ مَا نَهَى اللهُ الَّذِينَ صَرَفُوا رَيْعَانَ أَعْمَارِهِمْ بِمُجَاهَدَةِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَتَفَرَّغُوا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللهِ وَجَعَلُوا عَزَائِمَ الْأَعْمَالِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَالْوَاجِبِ وَرُخَصَهَا كَالْمُحَرَّمِ إِلَّا لِضَرُورَةٍ فَالْأَوْلَى أَنْ يَسْكُتَ عَنْ قَوْلِهِ وَمُرْشِدٌ كَامِلٌ فِي السَّابِقِ وَيَزِيدُ هُنَا أَوْ يَسْكُتُ عَنْهُ بِالْكُلِّيَّةِ وَأَمَّا الْغَزَالِيُّ فِي الْمِنْهَاجِ فَقَدْ ثَلَّثَ الْأَقْسَامَ وَلَمْ يَذْكُرْ الْعَرْضَ عَلَى الْعَالِمِ لَعَلَّهُ أَرَادَ بِالصَّالِحِينَ مَا يَشْمَلُ الْقِسْمَيْنِ أَوْ طَرِيقَ دَلَالَةِ النَّصِّ، وَالْمُصَنِّفُ أَرَادَ زِيَادَةَ تَوْضِيحٍ (فَإِنْ كَانَ فِي فِعْلِهِ اقْتِدَاءٌ بِهِمْ فَخَيْرٌ وَإِنْ بِالطَّالِحِينَ) الْفَاسِقِينَ ضِدُّ الصَّالِحِ (فَشَرٌّ وَالرَّابِعُ عَرْضُهُ عَلَى النَّفْسِ وَالْهَوَى) الَّذِي شَأْنُهُ الْمَيْلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْحَظِّ الْعَاجِلِ (فَإِنْ تَنْفِرُ عَنْهُ نَفْرَةَ طَبْعٍ) أَيْ هَوَى وَشَهْوَةٍ لَا نَفْرَةَ خَشْيَةٍ مِنْ اللهِ تَعَالَى (فَخَيْرٌ) لِأَنَّهَا إِذَا خُلِّيَتْ وَطَبْعُهَا تَمِيلُ إِلَى الشُّرُورِ وَتَنْفِرُ عَنْ الْخَيْرِ ؛ لِأَنَّ الْمَنَاهِيَ مَحْبُوبَةٌ فِي الْقُلُوبِ (وَإِنْ مَالَتْ إِلَيْهِ مَيْلَ طَبْعٍ لَا مَيْلَ رَجَاءٍ مِنْ اللهِ - تَعَالَى - فَشَرٌّ إِذْ النَّفْسُ إِذَا خَلَتْ) عَنْ الْعَوَارِضِ وَالْمَوَانِعِ (وَطَبْعُهَا) مَعَ طَبْعِهَا (لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ).

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾.

قَالَ فِي الْمِنْهَاجِ عَنْ الْعُلَمَاءِ مَعْرِفَةُ خَاطِرِ الْخَيْرِ مِنْ الشَّرِّ بِثَلَاثَةٍ عَرْضُهُ عَلَى الشَّرْعِ فَإِنْ وَافَقَ جِنْسَهُ فَخَيْرٌ وَإِنْ بِالضِّدِّ بِرُخْصَةٍ أَوْ شُبْهَةٍ فَشَرٌّ فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ فَبِاقْتِدَاءِ الصَّالِحِينَ أَوْ الطَّالِحِينَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِنَفْرَةِ الْهَوَى وَمَيْلِهِ فَبِالتَّثْلِيثِ وَالتَّرْتِيبِ وَالْمُصَنِّفُ بِالتَّرْبِيعِ وَالْإِطْلَاقِ لَعَلَّ الظَّاهِرَ التَّخْيِيرُ لَا التَّرْتِيبُ.

وانظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية (٣ ٦٦).

obeikandl.com

ترجمة الشيخ المصنف

هو الشيخ الإمام العلامة المتكلم المفسر الفقيه الصوفي المحقق، شطَّاح فارس:

أبو محمد روزبهان بن أبى نصر البقلي ، الفسوي، الشيرازي المصري؛ المتوفى سنة ٦٠٦ هجرية.

أصله من «شيراز» زار مصر، فقضى في القاهرة والإسكندرية زمنًا، حتى عرف باسم «روزبهان المصري» ثم عاد إلى شيراز، واستمر بالوعظ والتذكير خمسين سنة في الجامع العتيق بمدينة شيراز، واشتهر في هذه السنوات الخمسين الأخيرة بلقب شطاح فارس.

ويعد روزبهان من أعظم صوفية الإسلام، واعتبره الفرس من مفاخر إقليم فارس، ومن مقدسات شيراز!

وقد ترك الشيخ روزبهان العديد من المؤلفات، منها:

- تفسير القرءان بعنوان «عرائس البيان في حقائق القرآن»، (بتحقيقنا).
- منطق الأسرار في بيان الأنوار وهو «شرح الشطحيات» بالعربية والفارسية.
- شرح كتاب «الطواسين» للحلاج، بالعربية والفارسية.
- الأنوار في كشف الأسرار.
- سير الأرواح -المصباح لمكاشفة الأرواح- مشرب الأرواح.
- كتاب القدسية.
- مكنون الحديث.

- حقائق الأخبار.
- تقسيم الخواطر (كتابنا هذا).
- الموشح في المذاهب الأربعة وترجيح قول الشافعي بالدليل.
- كتاب العقائد.
- عبر العاشقين.
- رباعيات من الشعر الفارسي.

ويقول الشيخ في الفصل الحادي والثلاثين من «عبر العاشقين»: بعنوان كمال المعشوق ما نصه: إن الله سبحانه و تعالى ذاته القديمة موصوفة أزلاً و أبدًا بصفاته القديمة، ومن جملة صفات الحق: (الأول، العشق) وقد عشق ذاته بذاته، فهو العشق والعاشق والمعشوق، فصار العشق واحد، صفة له قائمة به لا تغير فيها؛ بل هو عاشق بنفسه لا يجوز له التغير الحدثاني وأعرف محبة الحق في أن يكون علمه لم يزل محبًا بنفسه لنفسه؛ كمال المحبة، فالمحبة صفة الحق، فلا تخطئ في الاسم، فإن العشق والمحبة أمر! إنه لم يزل علماً بنفسه و ناظرًا إلى نفسه بنفسه، لا يوجد انقسام في أحديته، و لما أراد – تعالى – أن يفتح كنز الذات بمفتاح الصفات، تجلى على أرواح العارفين بجمال العشق، وظهر لهم بصفات خاصة، وأنهم حصلوا في كل صفة لباسًا، فمن العلم علمًا، ومن القدرة قدرة، ومن السمع سمعًا، ومن البصر بصرًا، ومن الكلام كلامًا، و من الإرادة إرادة، ومن الحياة حياةً، ومن الجمال جمالاً، ومن العظمة عظمةً، ومن البقاء بقاءً، ومن المحبة محبةً ومن العشق عشقاً؛ كانت كل هذه (هو) فيهم، وأثرت الصفات فيهم، و الصفة قائمة بالذات، فأصبحت صفتهم قائمة من أثر ذلك؛ لا يوجد من (الحلول) شيء في العالم: العبدُ عبدٌ والربُّ ربٌّ.

فأصل العشق قديم، و عشاق الحق قدماء! عشقهم بالروح، والعشق لبلاب الأرض القديمة الذي التف حول شجرة روح العاشق، والعشق سيف يقطع رأس الحدوث من العاشق، وهو ذروة قاعدة الصفات، فما وصلتها روح العاشق إلا واستسلمت للعشق، وكل من صار معشوقًا للحق، وعاشقًا للحق، لا يستطيع النزول من تلك الذروة، و يصير في العشق متحدا بالعشق؛ ولما اتحد العاشق والمعشوق صار العاشق والمعشوق بلونٍ واحد، وعندئذٍ يصبح العاشق حاكمًا في إقليم الحق، فعندما غلب عليه الحق، أصبح قالب صورته جنانيًّا، ونفسه روحانية، وروحه ربانية.

العشق كمال من كمال الحق، فإذا اتصل بالعاشق، تحول من الحدوث المحض إلى الجلال الإلهي، ويصبح باطنه ربانيًا ويطلب معدن الأصل، ولا يتغير من حوادث الدهور وصروف الزمان وتأثير المكان؛ فإذا بلغ عين الكمال، تزول ستائر الربوبية! والعاشق الرباني يذهب بالمعدن الأصلي، وليس في العشق مقصود، فالعشق مع المقصود ليس بموجود:

العشـــق والمقصـــود كفـــر   و العاشق بريء مـن روحـــــه

وليس للصورة مكان في العالم العشق؛ لأن العقل والنفس ليسا معًا في طريق العشق، فالعشق هو الطائر الطاهر للروح - و العشق و الروح، كالحمام و الصقر:

العـــشق لا يقبـــل الـــنفس الحيـــة   و الـصقر لا يـصطاد الفـأرة الميتة

الأمر والنبي منسوخان في طريق العشق!

والكفر والدين حجبا عن سراي العشق!

والآفاق محترقة بإشراق العشق!

والكون مضمحل تحت حافر فرس العشق!

عنـد مـن كـان العـشق مرشـده يكون الكفر والدين ستار بابه

وجوهرة العشق عجنت من الأزل، ولم يكن في ذلك العالم للروح والعقل من طريق؛ كل من ظهر له طريق العشق، يخطف جوهر أوصافه من هذه التربة:

أم كان في الكائنات من جزء وكـل هـي أطـواق قنـاطر العـشق

العشق أرقى مـن العقـل و الـروح «لي مع الله» هـو وقـت الرجـال

وليس في العشق مجوسية ولا كفر، ولا شراسة ولا بلاهة، وصفة العشاق كمال الحيرة.. و الخضوع صفة المتيمن.

يجعل حِمْلُ العشق الطفـلَ شـيخًا ويجعل العشق البَاشِق صَيَّادَ البَعُوضة

و الجنة مأوى الزاهدين، والحضرة مأوى العاشقين! ليس في العشق فجاجة، وليس في طريقه عجز ولا ضعف.

وكل ما قلناه ليس من صفة العشق العاشق .. ونهاية العشق بداية المعرفة.. والعشق في المعرفة مبني على الكمال؛ وإذا اتحد العاشق بالمعشوق، بلغ مقام التوحيد. وإذا تحير في المعرفة، فقد أحرز مقام المعرفة.. ونهاية العشق إلى هذين المقامين؛ فإذا صار عارفًا، تبدو صفات الحق من صفاته.

ذاك الذي تكلم بالشطحيات، إنما أراد أن يقول الحديث السبحاني (ما في الجبة) وسر (أنا الحق) وإذا لم تعرف ذلك، فاستمع إلى قول أسد مرج التوحيد وفارس ميدان التجريد أبي بكر الشبلي –رحمه الله– فإنه وجد رمز ذلك الحديث ذات يوم في مجلس الموحدين، و لما غلبه سُكر الوجد قال:

تباركــت خطــراتي في تعــالائي فــلا إليــه إذا فكــرت آلالي!

وحيث إنهم بلغوا ذلك العالم؛ صار قلبهم ربانيًّا، وقولهم أزليًا وأبديًا.. كما قال أبو سعيد الخراز- رحمه الله تعالى-: للعارفين خزائن أودعوها علومًا غريبة، وأنباءً عجيبة، يتكلمون فيها بلسان الأبدية، ويخبرون عنها بعبارات الأزلية.

من مصادر الترجمة:

- شذ الإزار المعروف بهزار مزار للشيرازي (٢٤٣، ٢٤٧).
- تاريخ التصوف لقاسم غانم (ص٥٦٧).
- مقدمة فوائح الجمال، يوسف زيدان (ص٤٩).
- معجم المؤلفين لكحالة (٤/ ١٧٥).

كتبه

العبد الفقير الحقير إلى الله السميع البصير الرَّاجي عفو الله العلي الكبير

بجاه سيدنا البشير النذير ﷺ

تراب أقدام أصحاب الوراثة النبوية

أحمد فريد المزيدي

دار الحقيقة المحمدية

لبحث وتحقيق تراث السادة الصوفية

٠١٠١٤٦٣٠٢٧

٥ من شهر ربيع الأول ١٤٢٨من الهجرة النبوية المصطفوية

obeikandi.com

obeikandl.com

تَقْسِيمُ الخَواطِرِ

تصنيف

العارف بالله أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الفسوي الشيرازي المصري

«شطَّاح فارس»

المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

تحقيق ودراسة وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

obeikandl.com

obeikandl.com

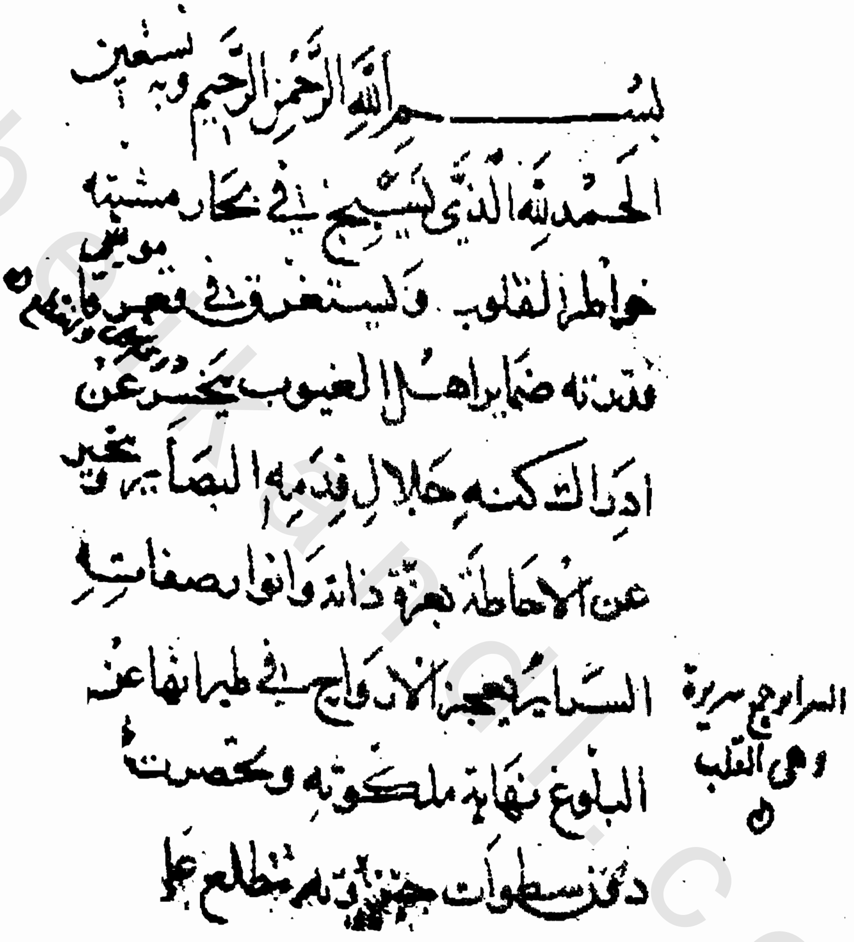
بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين
الحمد لله الذي تسبح في بحار مشيئته
خواطر القلوب وتستغرق في [illegible]
قدرته ضمائر أهل الغيوب تحسر عن
إدراك كنه جلاله قدمه البصائر وتتحير
عن الإحاطة بعزة ذاته وأنوار صفاته
السرائر تعجز الأرواح في طيرانها عن
البلوغ نهاية ملكوته وتحسرت
دون سطوات جبروته مطالع [illegible]

السرائر جمع سريرة وهي القلب

صورة الصفحة الأولى

obeikandi.com

مكنونات الفؤاد وعالم بما يجمع اليه

شوق المريد والمراد وصلى الله على محمد لبيب

ببايتن القدم وباكنة لطايف بكم وعلى

آله الاخيار وصحبه الابرار اما بعد فان

لله طرقا الى معارفه ومنهاجات الى كاشفه

وهي المعرفة بجنود القلوب والعقول

والنفوس والارواح وهواتف الغيوب

وهواجس النفوس الامارة ووساوس

الشياطين والهامها ولمات الملايكة

والملهما والفرق بين صحيحها او ...

غثها وسمينها وعللها ومداوايتها

... معرفة اشكال الخيال والكلا... ش

صورة الصفحة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي يسبح في بحار مشيئته خواطر القلوب، ويستغرق في قهر قاموس قدرته ضمائر أهل الغيوب، وينحسر عن إدراك كنه جلال قِدمه البصائر، وتحير عن الإحاطة بعزة ذاته وأنوار صفاته السرائر، وتعجز الأرواح في طيرانها عن البلوغ نهاية ملكوته، وتحصرت الأشباح دون سطوات جبروته، متطلع على غيب مكنونات الفؤاد، وعالم بما يجمع إليه شوق المريد والمراد.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمدٍ عدد أوراق بساتين القدم، وباكورة لطائف الكرم، وعلى آله الأخيار، وصحبه الأبرار.

أما بعد..

فإن لله طرقًا إلى معارفه، ومنها جاءت كواشفه، وهي المعرفة بجنود القلوب والعقول والنفوس والأرواح، وهواتف الغيوب، وهواجس النفوس الأمارة، ووساوس الشياطين وإلمامها، ولمات الملائكة وإلهامها، والفرق بين صحيحها وسقيمها، وغثّها وسمينها، وعللها ومداواتها.

ومعرفة أشكال الخيال والمكاشفات، والفرق بينهما، وما ذكرنا من هذه الجنود هي معرفة النفس التي هي مجمع هذه الأشياء المذمومة، وتلك مرقاة إلى معرفة الصانع القديم حيث قال ﷺ: «**مَن عرف نفسه فقد عرف ربه**»[1]، فأحببت أن أرسم سطورًا

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٠٨)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (١/ ٢٢٥)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٣٤٣).

في معرفة الخواطر، وسقت بعض أحكام الكواشف حتى يكون مرآة لذوي القلوب ليروا فيها عجائب الغيوب، ويعرفوا بمعرفته حقائق أسرار الربوبية والعبودية، ويعلموا أقدار الأولياء والأصفياء والأنبياء النجباء، ويقتدوا بهم في جميع ما أشاروا إليه من لطائف علوم المكاشفات والمشاهدات، وما بينهما من غوامض أسرار البواطن والظواهر، وبالله أستعين.

افهم يا لبيب، فإن الله سبحانه خلق الأكوان والحدثين من عدم محض، وخصّ من الأماكن: العرش والكرسي والفردوس الأعلى ودونها من الجنان، فأجرى من العرش والكرسي والجنة ماءً مستلاً من خلاصة روح هذه الجواهر التي هي ينابيع ذلك الماء، وأجرى ذلك في الماء هواء هو نور بدا من أنوار القدرة، وصار فعلاً بقوة الألوهية، فيختلط الماء بالنور، والنور بالماء.

ثم أنشأ سبحانه ريحًا من معدن القدس فسلطها على الماء والنور حتى مخضته مخضًا فألقى بحر الماء والنور زبدة لطيفة نورية مائية فخمرها الله بسبائك خصائص خلاصة طين الأرض التي هي تلك الصلصالية والسلالية التي أخبر الحق أنها هي أصل آدم بقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢].

وخلق الإنسان من صلصال كالفخار، وهي القوة النامية من القدرة التي خرجت [من] الفعل ثم نثر عليها من تربة الجنة والفردوس الأعلى ترابًا، ثم رش عليها مياه بحر القدس، ثم خمرها بيده بلا واسطة أربعين ألف سنة كل صباح ألف سنة، وأطلع فيها وعليها نور من أنوار الذات والصفات، حتى كمل التخمير، وذلك

ما أخبر ﷺ بقوله: «**خمّر الله طينة آدم أربعين صُبْحًا**»[١].

ثم تجلى لها من القدرة والسمع والبصر والكلام والحياة؛ فأورثه لها من كل هذه الصفات صفة حتى خلقها صورة بصورة الحسن والجمال بقوله: ﴿**خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ**﴾ [التين:٤]، فحسن تقويمه أن خلقته بخلقه، وصوره بصورته؛ لقوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»[٢] فاستوت صورته بتسويته إيّاها بعد قوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾ [الحجر:٢٩].

وذلك إن وجدت مباشرة الصفتين الخاصين اللتين هما تجليا الأزل والأبد بقوله: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص: ٧٥][٣]، فهذه صورة ظاهر الإنسان في معنى تسوية

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٦٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٤٦) بنحوه، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٤٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (١٨/ ١٧٥)، بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٢٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٣٣)، والربيع في «مسنده» (١/ ٣١٨).

(٣) قال المصنف في عرائس البيان: لم يعرف-إبليس- مفهوم الخطاب، وهو أن من كان له مباشرة أنوار يد الأزل ويد الأبد في ظاهره، وروح تجلي جلال الذات في باطنه يكون مستحقًا في جميع الأحوال لكرامات سنية وأحوال رفيعة وخدمة أهل الملكوت له وسجود الملائكة له إذ كان مشرق أنوار جلال الأزلي، وجمال الأبدي جئنا إلى مقالة المشايخ رحمة الله عليهم فيما قالوا في هذه الآية.

قال بعضهم في قوله: ﴿إني خالق بشرًا من طين﴾ امتحنهم بالإعلام وحثهم بذلك على طلب الاستفهام فيزدادوا علمًا بعجائب قدرته ويتلاشى عندهم نفوسهم.

قال بعضهم في قوله ﴿فإذا سويته﴾ أي كاملاً يستحق التعظيم بخصائص الاختصاص التي خص بها من خصوص الخلقة ﴿فقعوا له ساجدين﴾.

خلقته في ظاهر الصورة والكلام فيها طويل، والقرآن والحديث مملوءان من ذكر ذلك، وما ذكرت من هذا القبيل لا يتعلق بغرضي، فإن غرضي بيان أحكام باطن الإنسان، وتقسيم خواطره، وشرح عجائب أشكال جنود الباطن؛ لذلك اختصر ذكرها من خلق صورته فأُبين بعون الله ما يتعلق بغرضي من شرح ماهية قسم خواطرها وجواهرها وأعراضها، فافهم.

إن الله تعالى لما خلق صورة الإنسان وزينها بصفاتها، ووشحها بوشائحها، وأحكم بأطرافها خلق قلبها وجميع أعضاء الباطن، وجعل جميعها مواضع العناصر الأربعة، وفتح أبواب بعضها إلى بعض من القلب إلى الدماغ، فمن القلب والدماغ إلى الكبد، وأجرى من المعدة جميع العروق دمًا صافيًا؛ حتى يسقي جميع العروق الظاهرة و الباطنة حتى صارت نامية كاملة صافية روحانية، وجعل كل عضو من الظاهر والباطن بعد ذلك محلاً لمعنى من معاني فعله وحكمته، وجعل القلب دائمًا موضع الروح والعقل والنفس، وجعل النفس موضع الطبع الشهواني الشيطاني، وجعل العقل والروح محل الطبع الروحاني، والخلق الرحماني.

قال ابن عطاء في قوله: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ أبديت عليه آثار شواهد عزتي وروَّحت ستره بما يكون به العبيد روحانيين.

قال بعضهم: هو روح ملك وهو الذي خصصه به فأوجبت تلك الخصوصية سجود الملائكة له.

وقال بعضهم: وهو قول الفناء جذبهم بشهود التعظيم فلم يستجيزوا المخالفة وحجب إبليس برؤية الفخر بنفسه عن التعظيم، ولو رأى تعظيم الحق لما استجاز الفخر عليه؛ لأن من استولى عليه الحق قهره.

فصل

القلب موضع جميعها

فموضع النفس من القلب[1] دون شغاف القلب، وموضع العقل والروح في داخل الشغاف، حيث انتشر نور الحيوانية، الذي يسمى روح الحياة، وذلك دم مرقق مشرق يأخذ من لطافة الهواء قوتًا وقوة، وذلك الموضع مركز نزول الوحي من الغيب، ومنظار هذا الملكوت، وهو مرآة أشكال عالم الغيب، يلم الملك أُذُن عين القلب، وتحدث مع الروح والقلب، ويلم الشيطان أُذُن يسار القلب، وتحدث مع النفس ويلقيها بالوسواس، وهذا بعد أن يسوي الله هذه الصورة بظاهرها وباطنها بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٧، ٨].

وقال ﷺ: «إن للملك لمة، وللشيطان لمة، وللروح جنود»[2] وحواشي من الظاهر والباطن، وكذلك للعقل والنفس جنود وحواشي من الظاهر والباطن.

وإن الله تعالى خلق وراء منظر الروح منظرًا في حجب قدام غيب القلب، وهو موضع السر الذي هو سفير بين الله وبين الروح، ويسمى هو في بعض المقالات لطيفة، وهي ميزاب بحر العيان إلى عالم القلب.

---

(١)، قال الحكيم الترمذي: «القلب هو معدن التقوى، والسكينة والوجل والإخبات واللين»، ثم استدل له بقوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج/ ٥٤]».

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٥/ ٣٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٠١)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١/ ١٥٧)، وابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٤٤)، دون لفظ «وللروح جنود».

وله أيضًا جنود وحواشي، فهو إذا التصريف والترصيف والترصيع والتعديل والتسوية والتقويم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين:٤]، ويقلبها في أطوارها إلى استقرار الروح في البدن مع جنود الظاهر والباطن، وأداتها وأدواتها، وصفاتها وأعراضها، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢]، إلى قوله: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [المؤمنون:١٤].

فلما سوها على مشيئته الأزلية، وعدلها بحكمته الأبدية، وقومها بأمره الصادع، وحكمه القاطع أثنى نفسه بذلك وقال: ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤] أخبر سبحانه عما صدر من الصفات إلى الفعل، وهو صورة مع جنود الظاهر فالباطن والقلب الذي هو موضع الجنود الروحانية والجسمانية.

ثم ذكر وصف ما صدر من تجلي ذاته سبحانه وهو الروح القدسي والعقل والملكوتي بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص:٧٢] أفهمنا أن الروح بان من نفخه في صورة آدم، وليست البينونة ها هنا معنى مفارقة الجزء من الكل، فإنه تعالى منزه عن الإبعاض والتجزيء، بل أظهره من بين تجلي الجلال والجمال.

وإن روح آدم خلقها كما أراد في الأزل، وكانت مخلوقة منقادة لأمر الله عرّف نفسه إياها، وجعلها عارفة به وبأسمائه وصفاته، وصيرها مُحِبة له مشتاقة إليه، عاشقة به، وهي أمر رباني، وهي جسم لطيف كامل في جميع المعاني، وإن الله أبهم كيفيتها على أفهام الخلائق، وأخرج عن إدراكهم كيفيتها، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥].

وجعل العقل بذاته جوهرًا لطيفًا مدركًا لحقائق الأمور، وهو معين الروح ووزيره، وهو كصفته يرى الروح بنوره مغيبات الغيب، ويحكم به أمور العبودية خرج من معدن القدس إلى القلب الروحاني، وهما محلان لخطاب الله تعالى، وهما مخاطبان، وهما محدثان، أسكنهما الله في دار القلب على سرير الملك بين أطباق الأنوار، والملائكة يدخلون عليهما من كل باب، وهم يلهمونهما، ويوحونهما من الله، وهم واسطة بينهما وبين الله.

وإن الله سبحانه خلق نفسًا جسمانية في جوارهما، وأصلهما من عناصر ترابية، ومزجها بهواء شهوانية، وهي تميل إلى الحظوظ البشرية، وجعل بينها وبين الشيطان أهلية، والشيطان يحدث معها ويغيها إلى طلب الشهوات.

وللروح والعقل والنفس والقلب جنود مختلفة، وهي جنود الله لا يُحصى عددها، ولا يعرف شأنها إلا الله، قال الله تعالى: **﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾** [المدثر:٣١].

وهي خواطر تنقسم إلى جهاتٍ شتى وبعضها إلهي، وبعضها روحي، وبعضها عقلي، وبعضها نفساني، وبعضها قلبي، وبعضها سري، وبعضها ملكي، وبعضها شيطاني يأتي من الله بواسطة وغير واسطة.

ولكل خاطر منها أصل وفرع، وبداية ونهاية، وموضع ومحل، وزمان وحال ووقت، وهي كلها كلمات من بحار قهر القدم، ولطف الأبد، قال الله سبحانه: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾** [لقمان:٢٧].

وهذا العبد الضعيف يبين هون الله وحسن تأييده ما يسهله الله له من لطائف أسرارها، وعجائب لماتها، وافهم أن القسم الذي هو أخلاق فبعضها أيضًا إلهي، وبعضها روحاني، وبعضها قلبي، وبعضها شيطاني، وهي كلها يظهر في مرآة الروح والسر والعقل والقلب والنفس، فخازن ما يظهر في السر والروح والعقل والقلب، هو الملك.

وخازن ما يظهر في النفس والطبع هو الشيطان، والملك يبين جميعها للروح والعقل، بأمر الله، وتأثير ذلك الأخلاق يظهر عن جنود الظاهر التي هي اليد والرجل والسمع والبصر واللسان.

والحواس الظاهرة والباطنة شبكة مشتركة بعضها ببعض، والجميع في حكم الروح والعقل والنفس، وكل واحد من النفس والعقل والروح أمير جنوده فإذا كانت الغلبة مع الروح فالعقل والملك معه، وإذا كانت الغلبة مع النفس فالشيطان معها، وإذا كانت النفس مقهورة أسيرة يكون الروح متمكنًا بأمر العقل والنفس، والجنود في طاعة الله، ويكون الباطن روحانيًا، والنفس مع جنودها خاضعة للروح في العقل.

وهذه الأمراء الثلاثة سماها الله في كتابه بثلاثة أسماء، سمى الروح بالنفس المطمئنة، وهي التي جاءت من عند الله فدعاها إلى معدنها بقوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

وسمى العقل بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها بعد مباشرته المعصية، وذلك ما أخبر النبي ﷺ أنه أول ما خلق الله بقوله: «أول ما خلق الله

العقل»[1]، وهو مدرك الأشياء بحقائقها.

وسمى النفس الهوائية: النفس الأمارة بالسوء بقوله تعالى: **﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾** [يوسف:٥٣].

وأصل المملكة الظاهرة والباطنة بيد الروح، وهؤلاء مع جنودهم في حكم الوزير والخادم، والشحنة والرعية عندها.

وفي موضع العلم والعقل والروح لطيفة: يسمى عقلاً وهو العقل المميز بين ما يستحسن ويستقبح، وذكرنا أن موضع الروح هو القلب، وهو بمنزلة العرش في الملكوت، وما تحته بمنزلة الكرسي والجنة والنار، فمنبع الجنود المحمودة من الجنة، ومنبع الجنود المذمومة من النار.

وقال سهل بن عبد الله رحمة الله عليه: القلب هو العرش، والكرسي هو الصدر، فالروح ملك الله، والعقل وزيره، وموضعهما القلب، والجنود الظاهرة مثل الأطراف والحواس، والجنود الباطنة مثل الحواس الباطنة تأمر الملك، فإذا أراد الملك شيئًا يأمر العقل، والعقل يأمر الأعضاء الظاهرة والباطنة؛ فيتحرك ذلك العضو بأمره فيفعل مراده، فالجنود الغالبة في القلب هي الحس والوهم والذهن والذكاء والطبيعة السليمة القابلة لأصل الروح.

وما يكون في باطن الدماغ مثل الخيال، والقوة الحافظة، والقوة المذكرة والمفكرة، وقوة الحسن المشترك من الجنود الباطنة والحواس الظاهرة مثل:

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ١٣)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٥١٠)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٢٧٥).

السمع والبصر والشم والذوق واللمس.

وأيضًا من جنود الباطن: قوة الحلم والعلم والصبر والجرأة، ويخالف هذه الجنود النفس الأمارة بالسوء منها الغضب والشهوة.

وهما يغلبان العقل والعلم إذا كان العبد ممتحنًا بمباشرة الفهم يأت، كما قال أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه: «الشهوة والغضب يغلبان العقل والعلم والبيان»، ومثلهما الحرص والحسد والبغض والغل والغش والعداوة والبخل والكسل والأشر والبطر، وأمثالها من جنود النفس والشياطين.

وخازن هذه الصفات من طبع النفس بما يلقيها مذكر، والشهوات من الأكل والشرب واللباس وشهوة الفرج وشهوة المال والجاه.

ويجيء الملك من طبع الروح والعقل ما يوافق مراد الله من الطاعة والأخلاق الجميلة، وبين حديث النفس، والشيطان فرق هذه المعارف، وافهم أن الله تعالى جعل بدن الإنسان كالمدينة والقلب كالدواء، والصدر كالميدان، والروح كالملك، فالعقل كالوزير، والعلم المدبر، والحلم القاضي، والفطنة الطبيب، والحس الحاجب، والغضب كالشحنة، والشهوة كالشرطي، والنفس كالسارق، والشيطان كالطراد، والملك كالعدل، وهو منازع الشيطان كما أن النفس منازع العقل والروح.

والحواس الظاهرة والباطنة كالجنود والرعية، وإذا أرادنا صلاح العبد يكون الروح والعقل غالبين على النفس والشيطان، وإذا انهزم هذان صار الروح والعقل على غاية الكمال في طيرانهما في عالم الملكوت، والنظر إلى مشاهدة الجبروت، كما قال

عليه السلام: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»(١).

والشيطان إذا لم يجد في القلب موضع وسواسة لا يحوم على ذلك القلب، ولا يطيق أن يوسوسه، ولا يقدر أن يلقي فيه شيئًا من الخواطر الرذية؛ لأن القلب إذا كان خاليًا عن الأخلاق المذمومة مثل: الشهوة والغضب والحسد والحرص والأمل والشره، المركبة في مزاج الإنسان يكون مثل لهب بلا دخان، ونور بلا ظلمة، لا يقدر الشيطان أن يوسوس في ذلك القلب؛ لأنه منور بنور الإيمان والإيقان والعرفان، وصار صافيًا بصفاء الذكر(٢)، وقد خرج من أن يكون هدفًا لسهام

---

(١)رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٥٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٣٥) بنحوه.

(٢) ورد لفظ الذكر في القرآن والسنة بمعنى حضور الشئ في القلب وذكره وتذكره بإرادة أو بغير إرادة ، وضده نسيانه وتناسيه ، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِي إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾[الكهف:٦٣] .

وقال: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠].

الرسالة القشيرية ١/ ٣٠٦ .

وعن عبد الله بن عباس رضي اللهَّ عنهما أنه قال : «إن أم الفضل سمعته وهو يقرأ: (والمرسلات عرفا) فقالت: يا بني ، واللهَّ لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة، إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب » أخرجه البخاري في كتاب الأذان برقم (٧٦٣) ٢/ ٢٨٧.

وورد أيضا الذكر، ويعنى ذكر اللسان سواء باستحضار القلب أو غيره، كقوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ [الأحزاب:٤١] .

والذكر قد يطلق على بعض المعاني الاصطلاحية الواردة في الكتاب والسنة كالقرآن سماه الله ذكرا في قوله تعالى : ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ [طه:٩٩]، وكاللوح المحفوظ في حديث عمران بن حصين رضي اللهَّ عنهما سماه رسول الله ﷺ ذكرًا، فقال: «كان اللهَّ ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض » أخرجه البخارى في كتاب بدء الخلق برقم (٣١٩٢) ٦/ ٣٣١).

ويراد بالذكر أيضا الصلاة ، لقوله سبحانه وتعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا قَلِيلا﴾ [النساء:١٤٢].

وسواس الشيطان؛ لأنه لا يجد مادته وغذاءه هناك.

والشيطان يحوم حول قلب فيه ظلمة وضلالة، ولا يدور حول قلب فيه نور مشاهدة الله، لكن إن الله تعالى جعل في قلب الإنسان نفسًا فهي موافقة بذاتها مع هواها لمراد الشيطان، وإذا قويت وغلبت على العقل والروح تأخذ من الشيطان

ولما روي عن حنظلة الأسدي ﷺ قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي ، وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم» رواه البخاري حديث رقم (٣٢١١) ٦/ ٣٥١ .

وقد استعمل السادة الصوفية مصطلح الذكر متماسك الدلالة في إطار هذه المعاني القرآنية والنبوية، ولم يخرج في بدايات التصوف عن هذه المعاني، واعتبروه ركنًا قويًا في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل جعلوه عمدة الأمر فلا يصل أحد إلى الله عندهم إلا بدوام الذكر ، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٤١] .

ومن خصائصه عندهم أنه غير مؤقت، بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله إما فرضا وإما ندبا، فروى عن أحمد بن الحواري (ت:٢٣٠هـ) أنه قال : (إنما كره الأنبياء الموت لانقطاع الذكر عنهم ، وعلامة حب الله حب ذكر الله) الرسالة القشيرية ٢/ ٤٦٤:٤٦٨ .

وعن ذي النون المصري (ت:٢٤٨هـ) أنه قال: (من ذكر الله تعالى ذكرًا على الحقيقة نسى في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضا عن كل شيء) طبقات الصوفية ص١٠١.

وروي أيضا عن أبي عثمان النيسابوري (ت:٢٩٨هـ) أنه قال : (الذكر الكثير أن تذكره في ذكرك له، أنك لم تصل إلى ذكره إلا به وبفضله) الرسالة ٢/ ٤٦٦.

ويروى أن أبا بكر الواسطي (ت:بعد٣٢٠هـ) سئل عن الذكر فقال: الخروج من ميدان الغفلة إلى قضاء المشاهد على غلبة الخوف وشدة الحب له) طبقات الصوفية ص١٠١.

وسواسه وخداعه؛ لأن هناك السارق من البيت، ومن أجلها يقدر الشيطان على إلقاء الشر في داخل القلب، ويؤثر هوى النفس فيه، ويغري فيه الغضب، ويهيج نيران الشيطان والأخلاق المذمومة، فافهم.

وإن لقلب الإنسان خواطر بعضها محمودة، وبعضها مذمومة، ومعنى الخواطر ما يعرض لباطنه من الأفكار والأذكار التي تخطر بالقلب من ظاهره وباطنه، وكل حال يبدو في القلب ببديهة يسمى خاطرًا، وهو المحرك لإرادة ونية وعزم، فالأول هو الخاطر، ثم بعد ذلك الرغبة، وبعد الرغبة العزم، وبعد العزم النية، ثم تحريك الأعضاء بمباشرة الفعل، إما خيرًا وإما شرًّا.

وهذه الخواطر بجملتها تنقسم على عشرة أقسام: قسم إلهي، وقسم لسان الغيب، وقسم سر، وقسم سر سري، وقسم روحي، وقسم عقلي، وقسم ملكي، وقسم قلبي، وقسم نفساني، وقسم شيطاني.

ويسمى بعض هذه الخواطر وحيًا، وبعضها إلهامًا، وبعضها نفثًا، وبعضها إلقاءً، بعضها لمات، وبعضها نداء، وبعضها كلامًا، وبعضها حديثًا، وبعضها نجوى، وبعضها وسواسًا، قال الله سبحانه: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل:٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾ [مريم:٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل:٥].

openkand.com

وقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [طه:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف:٢٠١].

وقال ﷺ: «**إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم**»[1].

وقال ﷺ: «**إن للملك لمة، وللشيطان لمة** »[2].

وقال ﷺ: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدَّم، فضيقوا مجاريه بالجُوع والعطش**»[3].

وهذه الخواطر لا تصدر من هذه المصادر إلا بحكم حاكم قديم ومشبه جبار عليم، فبعضها منه سعادة وتوفيق، وبعضها منه إغواء وخذلان، ينقدح في القلوب من قداح خزائن الغيوب التي وراءها ملكوت القدرة التي تنتقش صورتها في اللوح المحفوظ للملائكة والأرواح، والعقول والأسرار وسر الأسرار، إلى أن تجعل في عالم الجبروت، وتقر لمعروفها من اللوح المحفوظ، وتفيض إلى القلوب التي هي مدائن أنوار الملكوت.

فأما القسم الإلهي من الخواطر: فهو خطابه مع العبد بلا واسطة، وذلك كلامه الأزلي الأبدي.

---

(١) ذكره القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٧٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٢/ ٧١٧)، ومسلم (٤/ ١٧١٢)، والترمذي في «سننه» (٣/ ٤٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٦٣)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ١٥٦)، وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: متفق عليه دون قوله: «فضيقوا مجاريه بالجوع» فهذا من كلام بعض الناس.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ﴾ [لقمان:٢٧].

وقال ﷺ: «**إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم**»(١)، **وذلك في وقت** المسامرة والمناجاة والمحادثة، عند غلبة روح الأنس على الروح الملكوتية، وكشف حجب الجبروتية، وسطوع أنوار جلال الحق في القلب، وظهور ضباب العظمة يكلم الحق مع الروح والسر وسر السر بغرائب أسرار الربوبية، وحقائق الأمور الإلهية.

ويجري كلامه تعالى على وفق كشف الصفات، ونزول أنوار القرب والدنو، ووقوف العارف مواقف مشاهدة الحضرة الجبارية، فيجري الخطاب في مقام الهيبة من الهيبة، وفي الصولة من الصولة، وفي العطف من اللطف، وبغرامه بخطابه في مقام الانبساط إلى الجرأة عليه، وكشف الحسن والخطاب من التقريب منه إلى إفشاء السر، وربما يكون ذلك في مقام القبض عند كشف اللقاء، وكلامه هنالك تعريف الصفات، والإشارة إلى كشف عذائب العُلو يسمع بسمع التمكين، والسكون في لذة الخطاب.

وعلامته هناك التمكين في الوجود، وبروز نور الجمال في وجهه، ومزيد فصاحته في نشر مكنون الأسرار، بعبارات لطيفة وإشارات شريفة، ويكون في مقام السكر عند كشف عظمة جلال القدم.

وعلامته هناك الزفرات، والعبرات، والشهقات، وتخريق الثياب، والصرع، والتمرغ في التراب؛ لأن هنالك موضع البهتة والحيرة والصعقة كما يحكي الله تعالى

(١) سبق تخريجه.

عن المحبين الصادقين المرسلين ومقامهما، في بيان حالهما، وهما الحبيب والكليم عليهما السلام فقال في مقام مشاهدة الحبيب وخطابه معه: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ٩، ١٠]

وقال في مقام مشاهدة الكليم وخطابه معه بقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ [الأعراف:١٤٣].

وهذه علامة مقامهما الذوق، وعلامات سماع كلامه في المسمع أكثر من أن يحصى، واكتفينا بهذا القدر لمن له ذوق من هذا المقام، وإن الله سبحانه وتعالى يدعوك في هذا المقام عنده بكلامه إلى التبري من الكون وما فيه، وإلى الفناء في القدم والبقاء في الأبد، وطيب عيشه في الوصال والطرب في مشاهدة الجمال.

وأما لسان الغيب وهو القسم الثاني من الخواطر: فهو لسان القدرة ظهر ونطق من ملكوتها، وهي عالم الصفات مخبر سر السر، وبسمعه حتى تبلغ إلى عالم الملك والشهادة يدعو به العبد إلى مراقبة الكشف، ومزيد المعرفة، ويشوقه به إلى جمال القدم ووجدان الألطاف والكرم، وذلك هو الوحي الخاص والإلهام الخاص، وإذا أراد الله أن يخبر من عالم القدرة وملكوتها يتكلم بلسان الغيب وهو الدرجة الثانية من لسان الذات.

وأما القسم الثالث من الخواطر: فهو لسان سِّر السِّر، وذلك لسان الفعل الخاص الذي بين الفعل العام والقدرة، وهو واسطة الوحي الخاص الصفاتي، وهو

يسمى أيضًا إلهامًا، يقول مع السر نداء الحق حيث يدعو العبد إلى محبته وطلب مشاهدته في صورة الالتباس مزيد قوة وعشقًا وشوقه، وأنسه بالله وتأثيره استحسان العارف من الخلق جميع ما يرى ويعلم منه علوم عالم القدرة في الغيب وظاهر الصنائع في العالم، وهو علم إلهي لدني أيضًا.

أما القسم الرابع من الخواطر: فهو لسان السر(١)، وهو روح الروح، وهو نور في الروح له سمع يسمع من الحق، وله لسان يقول من الحق، وهو لسان فعل الحق يلهم به الروح، ويعلمها أسرار الأقدار المقدرة في الملكوت، ويسمى هذا اللسان هو الفِراسة وذلك هو مشرف على القلوب والغيوب، وهو ما أخبر سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

وقال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله ﷻ»(٢).

وروي عن سعيد بن ابي الحسن أخي الحسن البصري -رحمه الله- عن النبي ﷺ قال: قال الله ﷻ: «**صفوة من قسم هم من حظوظ كل نفس، فهم مشرفون على هموم الخلائق كلهم أجمعين، وإن أبا بكر منهم**»(٣).

(١) لا شك أن السر أوسع من الروح، والروح أوسع من الجسد، وذلك إن الجسد من عالم الملك، والروح من عالم الملكوت. كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس:٨٣]: أي روحه الذي يلي الحق؛ ولذا يقبضه الحق بيده.

وأمَّا السرُّ فمن عالم الجبروت، وسرُّ السرِّ من عالم اللاهوت، وربما يطلقون السرَّ ويريدون به سرَّ السرِّ؛ وهو السرُّ المطلق الساري في الأرواح الإنسانية، وهو مكشوف عند الإكليل، مُخفى عند غيرهم، وبه يظهر الفرق بين العارف والجاهل.

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٥/ ٢٩٨)، والطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣١٢)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣٥٤)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ١٦٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٩٤).

(٣) ذكره المتقي الهندي في الكنز (١١/ ٥٦١).

وموضع ذلك السر في ملكوت الحق في القلب والروح.

قال أبو يوسف بن الحسين: قلوب الرجال قبور الأسرار، وإن الله تعالى يتكلم بلسان السر مع الزوج وقائع الغيب، ويسمي ذلك السر الروع، كما أخبر أبو بكر ﷺ عما في بطن أمته أنه أنثى قال: « الذي في روعي»، أو قال : «نفث في روعي أنثى».

وأما القسم الخامس من الخواطر: فهو لسان الروح تسمع تارة من الحق بلا واسطة، ويكون ذلك مع العقلي الملكوت والقلب وكلاهما من جملته، فيكون في الحقائق والدقائق، وما يسمع عن الحق، وما يرى ما في عالم القدرة، وملكوت غيب الغيب يغري صاحبها إلى التبري من الناسوت، والانفراد مع اللاهوت، ويسمع بواسطة الملك، ويسمى ذلك أيضًا إلهامًا.

ولمة العبد بالتقوى[1]، وبعدها ينل القربات والمدانات.

---

(١) التقوى: ورد اللفظ في القرآن والسنة بمعنى حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحذور، فالمتقى هو الذي يجعل طاعته لله وامتثاله لأوامره وقاية له من عذابه، ويتم ذلك أيضا بترك بعض المباحات المشتبهات حتى لا يقع في الحرام، ويمكن تتبع هذا المعنى الدلائلي من خلال ألفاظ التقوى التي وردت في الأصول القرآنية والنبوية ، كقوله تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣]. وقال تعالى :﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ﴾ [محمد:١٧] . وفى حديث النعمان بن بشير ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه » أخرجه البخاري في الإيمان (٥٢) ١/ ، ١٥٣ومسلم في الإيمان (١٥٩٩) ٣/ ١٢١٩ . وعن تميم بن طرفة ﷺ قال : سمعت رسول اللهّ ﷺيقول: «من حلف على يمين ، ثُمَّ رَأَى أَتْقَى لله مِنْهَا ، فَلْيَأْتِ التَّقْوَى مَا حَنَّثُ يَمِينِي» أخرجه مسلم في الإيمان برقم (١٦٥١) ٣/ ١٢٢٣ .

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر» أخرجه البخاري في الإيمان ، انظر: فتح الباري ١/ ٦٠ .

وأما القسم السادس من الخواطر: فهو خاطر العقل، وهو لسانه يسمع بنفسه أيضًا من الحق منفردًا، ومن الملك والروح، وهو بذاته مكان الإلهام لكن له لسان، وما يقول في القلب، وهو خاطر العقل، وبذلك يخبر عن سر العبودية، ويدعو إليها صاحبه، ويعرفه حقائق الأشياء بما يجد من الحق تعريف حكمته إياه، وكلامه يقتضي الإخلاص والصدق والخوف والرجاء، والخروج من أوصاف النفس وهوائها قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾ [طه: ١٢٨].

وهذا المعنى القرآني لمصطلح التقوى، باق على معناه الدلالي في استعمال السادة الصوفية له، ولم يطرأ عليه أي تغير يذكر، فقد ورد عن أبي العباس الطوسي البغدادي (ت:٢٩٩هـ) في قوله: « التقوى ألا تمد عينيك إلى زهرة الدنيا ولا تتفكر بقلبك فيها »، وينسب إلى أحمد بن عطاء الآدمي (ت:٣١١هـ): «للتقوى ظاهر وباطن، فظاهرها محافظة الحدود وباطنها النية والإخلاص».

وروي عن أبي الحسن الوراق النيسابوري (ت:٣٢٠هـ) أنه قال: «أجل شيء يفتح الله تعالى به على عبده التقوى، فإن منها تتشعب جميع الخيرات وأسباب القرب والتقرب، وأصل التقوى الإخلاص وحقيقتها التخلي عن كل شيء إلا ممن إليه تقواك» ولأبي القاسم النصرابادي (ت:٣٦٧هـ) أيضًا نحوه.

وفي التبصير بمعنى التقوى: من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا لأن اللهَّ سبحانه يقول: ﴿وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢].

وقال الطوسي (ت:٣٨٧هـ) معنى قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢] راجع إلى قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦].

انظر: طبقات الصوفية ص٢٤١ ، والرسالة القشيرية ١/ ٣٠٨، واللمع ص١٢٢ .

ويقول القشيري أيضًا (ت:٤٦٥هـ): (أصل التقوى، اتقاء الشرك، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات، ثم بعده اتقاء الشبهات، ثم يدع بعده الفضلات.

وأما القسم السابع من الخواطر: فهو لسان الملك، ويسمى في الشرع ذلك لمة الملك يلهم الروح والعقل والقلب ما يتعلق بالتقوى والطاعة لله، ويخوف النفس من عذاب الله، ويعد الروح والقلب ما عند الله من الثواب وكشف النقاب، وابتعاد الشيطان الذي يوسوس النفس باتباع الشهوات، وهما ضدان خلقهما الله في عين القلب ويساره لإلقاء الفجور والتقوى، قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨].

أما القسم الثامن من الخواطر: فهو لسان القلب وللقلب أيضًا لسان وسمع يسمع من لسان الغيب، ويقول مع الروح والعقل، وزجر به النفس والشيطان، وربما يقرأ من لوح الملكوت واللوح المحفوظ مسطور أحكام الغيب التي وراءها ملكوت الصفات، قال الله جل اسمه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧][1].

---

(١) قال الشيخ المصنف: أثبت الله سبحانه رؤية أنوار حكمته الأزلية وسناء الكبرياء والعظمة وظهور قهر الجبارية لمن له قلب وله إلقاء السمع وله شهود السر، والقلب عبارة عن نقطة دائرة الفطرة القدسية التي خلقها الله من نور فعله الخاص وهو يتجلى لها من نور صفته ونور ذاته وهناك لطيفة الكبرى وهي سر النقطة حولها دائرة العقل وراء الدائرة حواشي فعله، ألقي تحتها ستر الصفات ثم تحت ذلك الستر ظهور الذات لها، فهو بذاته وصفاته حافظ فعله الخاص، أليس ستر الفعل العام على غاشيتها وحولها عالم الملك والشهادة، وباطنها كشف الصمدية وجلال الأزلية، وبينها وبين الحق لم يبق حجاب امتناع قدمه عن إحاطتها، وذلك الكشف والعيان من بدو وجودها إلى أبد الأبد لا ينقطع؛ لذلك قال الشبلي: وقتي مسرمد وتجري بلا شاطئ سقط عنها أضداد التجلي إذ لم يبق بين الحق وبينها جريان الحوادث ولتلك اللطيفة عيون وأسماع؛ إذ كل وجودها سمع مبصر فجميع سمعها

وبصرها مشغولة بخطاب الله ورؤيته فألقت سمعها لأصوات وصلة الأزلية شهدت أبصارها بمشاهدة القديم، ثم نورث الهيكل بالحضور والخدمة وطلب مزيد الصفا والقرابة وجعلتها مركب سيرانها وطيرانها إلى عالم الملكوت ورأت من روزنة البصر ما رأت بلا واسطة وسمعت بسمع الظاهر ما سمعت بلا وسيلة، فإذا رأى صاحب هذا القلب شيئًا من عجائب صنعه صار خاضعًا لعظمته خاشعًا لهيبته مطيعًا لأمره، جعلنا الله وإياكم من أصحاب القلوب وأقر عيوننا بأنوار الغيوب.

قال الحسين: [لمن كان له قلب] لا يخطر فيه إلا شهود الرب.

وقال ابن عطاء: قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب له وانقطع إليه عما سواه.

وقال الواسطي: ذكري لقوم واحد لا لسائر الناس لمن كان له القلب أي: في الأزل وهم الذين قال الله [أو من كان ميتًا فأحييناه] وقال القاسم هم الأنبياء فإن الله خلقهم للمشاهدة يشهدون له بقلوبهم عند إقبالهم وإدبارهم بأنه المنشئ والمبدئ والمعيد.

قال الحسين: بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين، وطرق السابقين الناجين والأزل والأبد وما بينهما من الحدث غيره [لمن كان له قلب أو ألقى السمع] وقال ابن عطاء: هو القلب الذي يلاحظ الحق فيشاهده ولا يغيب عنه خطرة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده، فإذا لاحظ القلب الحق بعين التخويف رعب وارتعد وهاب، وإذا طالعه بعين الجمال والجلال هدأ واستقر، وقال: قلب لاحظ الحق بعين التعظيم فذاب وانقطع إليه عما سواه وإذا لاحظ القلب الحق بعين التعظيم لان وحسن.

وقال بندار بن الحسين: القلب مضغة وهو محل الأنوار ومورد الزوائد من الجبار وبها يصح الاعتبار جعل الله القلب للجسد أميرًا وقال: [إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب] ثم جعله لربه أسيرًا فقال [يحول بين المرء وقلبه] وقال جعفر: إذا هم القلب عوقب على المكاره ولا يعرفه إلا العلماء بالله.

وقال ﷺ: «**لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء**»(١)، وأكثر إلهامه الذكر والفهم والعلم وقصد الانفراد من الأغيار، وكلامه يوافق كلام الملك والعقل والحقيقة والشريعة.

وأما القسم التاسع من الخواطر: هو خواطر النفس ولها لسان تدعو به العبد إلى الشهوات واتباع الهوى، و ترك الحق، والكسل في العبادة، والرغبة في الفترة، والجمع والمنع، وجميع الأخلاق المذمومة من الكبر والحسد والبغض والبخل، وأشباهها، وهي أمارة بالسوء الذي يسمعها من ملكوت القهر وجميع كلامه ما يوافق الشيطان.

وأما القسم العاشر من الخواطر: فهو خاطر الشيطان، وهو ظاهر في العلم

وقال الصبيحي: خاطب أصحاب القلوب؛ لأن «القلوب في قبضة الحق يقلبها كيف يشاء» وسعها وصفاها من البين، ونقاها وشرحها وفسحها ثم حشاها بمودته وإيمانه ويقينه؛ ولذلك خاطب القلوب بخصائص ما أودع فيها.

وقال بعضهم: للقلوب مراتب فقلوب في قبضة الحق مأسورة وبكشفه مسرورة، وقلوب المحبين إليه والهة فقلوب طائرة بالشوق إليه وقلوب هاجت بالشغف هيمانًا أو قلوب اعتقدت فيه الآمال، وقلوب إلى ربها ناظرة، وقلوب تبكي من الفراق وشدة الاشتياق، وقلوب ضاقت في دار الفناء وسمت إلى دار البقاء، وقلوب خاطبها في سرها فزال عنها مرارة الأوجاع، وقلوب سارت إليه بهمتها وقلوب صعدت إليه بعزائم صدقها، وقلوب تقدمت بخدمته في الخلوات، وقلوب مرّت في الهدايات وابتغت من الله العناية، وقلوب شربت بكأس الوداد فاستوحشت من جميع العباد، وقلوب ساقت في الطريق إليه، وقلوب انقطعت بالكلية إليه، فهذه مراتب القلوب في السلوك والقصد فهو متبع قصده.

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٥٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٣٥) بنحوه.

ليس فيه أشكال؛ لأن كلامه لم يكن موافقًا للعلم، وهو بخلاف الحق، وهو ملقى الفجور للنفس؛ لأنها مئولة له، وربما يدعو العبد المؤمن إلى كثرة السهر والجوع والعبادة الكثيرة والمجاهدات الطويلة، وهذا لسان العلم بالظاهر للعبد لتوقعه في الجنون، والماليخوليا، والفترة الدائمة والدعاوي الباطلة، ولا يعلم هذا الكيد إلا مؤيد من الله بالولاية، ومعلم الشيطان في هذا قارئ حروف القهر من ألواح مكر القدم؛ لأن الهادي والمضل هو الله تعالى لا غير.

وأكثر كلام إبليس(١) في الكفر والشك والنفاق والتشبيه والتعطيل وإسقاط

---

(١) قال ابن ناصر في شرح الفص الآدمي: و(إبليس) وكان اسمه حارث فأبلسه الله تعالى وطرده من رحمته، وطرد رحمته منه، فَسُمِّيَ إبليسًا: أي طريدًا.

(جزءٌ من العالم لم يحصل له هذه الجمعية)؛ لأنه مظهر اسم المضل، وآدم ﷺ مظهر لاسم الله الجامع لجميع الأسماء الظاهرة في المظاهر المسمّاة بالعالم، والاسم المضل من جملة تلك الأسماء، واللبس على إبليس حقيقة الأمر لجهله بنفسه، فظنّه أنه الشرف من حيث النشأة العنصرية، ثم ظن أن أشرف الاستقصاءات النار؛ فرتَّب بالفكر الفاسد على هذا الوهم الكاسد الأقيسة الباطلة والمقدمات العاطلة في نفسه وتوهَّم منها النتيجة، وامتنع عن السجود حين أمره الله تعالى وما اكتفى بمجرد الامتناع وكان أستر له بل فضح نفسه عند العلماء بإظهار استدلاله، وجمع بين الجهل وسوء الأدب لخفته وطيشه.

وقال تعالى: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

وهذه أول معارضة ظهرت من إبليس في صنعة الجدال، فإنه جادل ربه وما أحسن في جداله؛ لأنه ما أعطي حقه إن الحق تعالى أراد بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [صٓ:٧٥]: أي يد تنـزيه وتشبيه، وإن شئت قلت يد وجوب وإمكان، أو يد بخلاف سائر العالم مُلكًا وفلكًا.

قال تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢] فهو مجموع العالم أجزاءه وله شرف الكلية على الأجزاء، وعلى الأجزاء أن يطيعوه ولا يعصوا له أمرًا، فأمر بهذه الحكم البالغة له سجدة إلا طاعة، والانقياد له إظهارًا لشرفه على الخلق المخلق؛ سيَّما الملائكة عليهم السلام؛ لأنه كل الوجود، فما فهم اللعين هذه المقدمات المطوية والأسرار الوجودية، وحمَّل الخطاب

الشرع، وهو معين النفس في هيجان الغضب والشهوات، وما يضران بالعبد إلا بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة:١٠٢]، ولهما المعارضات والفضولات ما لا يحصى عددها.

وعلامات ذلك واردة في الشرع، وإذا اشتبه هذا الأمر، ولا يعلم أمور هذه الخواطر الملكية والشيطانية والنفسانية، يذكر الله تعالى حتى يطمئن قلبه فيعرفها بمباشريها، فإن هنالك يتبين الحق من الباطل قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦].

وقال ﷺ: «**الإثم خفقان القلوب، والبر ما اطمأن به الصدر**»(١).

وقال: «**الإثم ما حاك في صدرك**»(٢).

على غير محله حسدًا من عنده؛ فجادل وعارض وتطاول، وذلك أنه لما فهم من لحن المخاطبة والقول إثبات الشرف لآدم، وما علم أيُّ شرفٍ يوجب أن يطاع، وينقاد بهذه السجدة، فادَّعى بطريق المعارضة لنفسه الشرف، واستدلَّ بأنه خُلق من نارٍ، وظنَّ أنه أعلى الاستقصاءات من حيث المكان، ولم يعلم أن الطين أشرف الاستقصاءات؛ فإن له الثبات والقرار، وللنار الطيش والتهتُّك والاستكبار، وما أعتبر أن التبن في الماء فوق التبر في المكان، فغفل عن المكانة أو استكبر وعاند واستكثر من الحسد، فعوتب. استكبرت وعاندت أم كنت من العالين في الاحتجاج، ولك حجة في قولك ودعواك، فهذا لسان تبكيت وتعريض، وكان الأمر كما قلنا ظهر من آدم التمكين والثبات والتوجُّه في الأمور والأناة، والتدبُّر وإصابة الفكر والنظر في العواقب، وظهر منه قلة الأدب والجهل والتهتُّك والطيش والخفة، فإنه من مارج، وهو نار مختلط بالهواء فله الخفة وعدم القرار والاستكبار.

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٩٨٠)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٨٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٧).

وقال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من قلبه**»[١].

وقال ﷺ: «**من كان له من قلبه واعظٌ كان عليه من الله حافظ**»[٢]، وقال تعالى: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨] سكينة من الله يعرف بها مع يعرض في قلبه من الخواطر.

وواعظ القلب الملك وخطاب الحق، وهذا لمن كان له قلب ذَكور، ولسان شكور قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ**﴾ [ق: ٣٧]، وهذه درجة من له استعداد قبول نور الحق الذي يقذفه في الصدور المشروحة بنوره، قال تعالى: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ**﴾ [الزمر:٢٢]، وقد أجاب ﷺ لوابصة حيث سأل عن البر والإثم قال: «**استفت قلبك ولو أفتاك المفتون**»[٣]، وافهم.

إني ذكرت شواهد الخواطر، ولخاطر الشيطان علامات كثيرة بينها الله في جميع كتبه إلا ما شاء الله، وبين الطَّيِّلا مكائده وأخلاقه، وما يفعل بالإنسان، وذلك مثلما روى أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال: يا رب، أنزلتني إلى الأرض، وجعلتني رجيمًا فاجعل لي بيتًا، قال: الحمام، قال: فاجعل لي مجلسًا، قال: الأسواق ومجامع الطرق، قال: فاجعل لي طعامًا، قال: ما لم يذكر اسم الله عليه، قال: اجعل لي شرابًا، قال: كل مسكر، قال: اجعل لي مؤذنًا، قال: المزامير، قال: اجعل لي قرآنًا، قال: الشعر، قال: اجعل لي كتابًا، قال: الوشم، قال: اجعل لي**

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٦٤)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١/ ٣٠٦)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٢٥٦).

(٢) ذكره الحجة الغزالي في الإحياء (٢/ ٢١٤).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٦١) بنحوه.

حديثًا، قال: الكذب، قال: اجعل لي مصائد، قال: النساء»(١).

وهذا الملعون لم يخل أحد من شره حتى نبينا ﷺ فربما يعترضه ويؤذيه، وذلك أنه ﷺ كنز الله في الأرض، والملعون السارق يحوم حول ذلك الكنز؛ ليسرق منه شيئًا، ألا ترى كيف حكى الله سبحانه وتعالى مما ألقاه في صلاته، قال: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج:٥٢].

قال الحسين بن علي –رضي الله عنهما-: «نُبئت أن جبريل ﷺ أتى النبي ﷺ، وقال: إن عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي»(٢).

وقال أبو إمامة، قال رسول الله ﷺ: «**وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا يذبون عنه ما لم يقدر عليه، من ذلك البصر سبعة أملاك يذبون عنه كما يذبون عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصائف**»(٣).

وما لو بدا لكم لرأيتموه على كل سهل وجبل كلهم باسط يده فاغر فاه، وما لو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين، وهذا من كمال فضل الله حرس عبده بمعقباته من الملائكة المقربين من العوارض والحوادث كلما يلقي الشيطان إليه ألقى يريه الملك شيئًا من أحكام الآخرة، ويحدث معه بشيء من الخيرات ما يدفع به شر عدوه، وربما يقذف الحق نورًا من غيبه على قلبه يرى به مكائد العدو، فيحترز من شره(٤).

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١١٩).
(٢) رواه النسائي في الكبرى (٦/ ٢٣٨).
(٣) ذكره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣)، وابن حجر في «الدراية في تخريج أحاديث الهداية» (١/ ١٦٠)، والزيلعي في «نصب الراية» (١/ ٤٣٤).
(٤) قال الله سبحانه حكاية عن إبليس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧].

قال أبو الدرداء ﷺ: «**المؤمن ينظر من وراء ستر رقيق، والله إنه للحق يقذفه الله في قلوبهم، ويجريه على ألسنتهم**».

ذكرت جملةً قسم الخواطر وألسنته الباطنية الغيبية التي تصدر من عالم الغيب، وما وراء الغيب من ملكوت القدرة والصفات والذات الذي هو مصدر الجميع من حيث المشيئة والإرادة، والقدرة والحكمة الأزلية والعلم والكلام والأمر والأحداث والخلق، فإيرادها إلى مكان القلب والروح والعقل والسر وسر السر والنفس والشيطان، وهن معادن جواهر أسرار ألسنة الحق التي معادنها الصفات والذات الأزلية، يتكلم بهذه الألسنة المختلفة في خزائن القلب الذي وراءه عالم القدرة والمشيئة.

قال أبو طالب المكي في تقسيم الخواطر: الخواطر ستة[1]: هي جنود القلب وقوادحه، من ورائها خزائن الغيب من ملكوت القدرة، وهي جنود الله عنده

أي: من طرق الأبديات، والأزليات المتعلِّقة بالمعاد والمبدأ، فالآخرة داخلة في الأبديات، والدنيا في الأزليات؛ لأن الأولى أبدية نسبية ليست بأبد الآباد، والثانية أزلية إضافية أيضًا ليست بأزل الآزال.

قال ﷻ: ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧] أي: الأعمال الصالحة والأعمال الطالحة.

لأن الأولى: مظهر الإيمان؛ ولذا قال تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [التحريم:٨].

والثانية: مظهر الشمائل.

ولذا لم يكن للفجّار، والكفار نورٌ إذ لا يمين لهم آخذة بالطريقة اليمنى للعرش؛ بل لهم شمال آخذة بالطريقة اليسرى له، ويسار العرش أكوان ظلمانية، كما أن يمينه آثار نورانية، فكل فريق يهتدي في الدَّارين لطريق السالك فيه، إمَّا بإرشاد الله تعالى، أو بإضلال إبليس.

(١) انظر: قوت القلوب (١/ ١٨٠).

سلطان فيه متين، والقلب خزانة من خزائن الملكوت، قد أودعه مقلبه من لطائف الرغبوت والرهبوت، وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت لأهل الرفيق الأعلى وذوي الملكوت الأدنى، ما أراد وارتضى.

قال أولها: أراد خاطر النفس وخاطر العدو: وهما مكانان لإلقاء العدو والملك، وهما شخصان ملقبان بالفجور والتقوى، ومنها عرضان متمكنان في مكان، وهما العقل والهوى عن حكمين من مشيئة حاكم، وهما التوفيق والإغواء، ومنها نوران ساطعان في القلب عن تخصيص من رحمة راحم، وهما العلم والإيمان.

قال: أول الخاطر خاطر النفس وخاطر العدو، وهما مذمومان لا يعدوهما عموم المؤمنين، محكوم لهما بالسوء، لا يزدان إلا بالهوى وضد العلم، وخاطر الروح وخاطر الملك، وهذان محمودان محكوم لهما بالخير، لا يزدان إلا بموجب العلم وضد الهوى، وهذان لا يعدمان خصوص الموقنين.

وخاطر العقل متوسط بين هذه الأربعة فيكون حجة على العبيد، وخاطر اليقين وهو روح الإيمان، ومزيد العلم يزدان عليه، ويصدران عنه.

وهذه الخواطر مخصوصة لا يجدها إلا الموقنون، وهم الشهداء والصديقون، لا يرد إلا بحق وإن خفي وروده.

وقد ذكرت أن الله تعالى خلق الروح والعقل من ملكوت العرش والكرسي، التي هي مساقط تجلي الجمال والجلال، وإذا أراد الله أن يريهما شيئًا من عالم الغيب وغيب الغيب من أحكام الربوبية يكشف لهما من اللوح المحفوظ سطورًا قضيات الغيب؛ فيظهر لهما خزائن الملكوت الأعلى كالمرآة فيريهما أسرار القدرة على أمثلة أفعالية فيتبعان مراد الحق، ويتحركان بالقوة الإلهية فيظهر منها في القلب نور الغيب،

ويصدر من ذلك للقلب إرادة، امتثال مراد الله فيرى ذلك الملك اليمين فيكتب لصاحبه حسنات، ويفرح بذلك الملك، ويتنور به جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة.

فصار طيب الرائحة في ظاهره وباطنه، وربما سمع الملك من باطن القلب رائحة طيب؛ فيعلم أن ذلك همة الروح بالحسنة؛ فكتب حسنة.

وهذا كما قيل لبعضهم: هل تطلع الملك على أسرار القلب؟

قال: الآن يجد من القلب ريحًا طيبة، فيعلم أنها همة حسنة فيكتب حسنة، وإذا أراد الله بالعبد امتحانًا وبلاء من شر فتح خزائن القهر على النفس الأمارة، وأوصل إليها منها ظلمة الشهوات المباشرة فيها؛ فتحركت بطلب مرادها من الشر والفساد واتباع هواها، وعزمه على ما يكون بخلاف العلم؛ فيرى ملك اليسار ظلمتها، ويجد منها رائحة منتنة، فإذا باشرت حظها من الشر والفساد يكتب سيئة بإذن ملك اليمين، هكذا روي في الحديث.

وقد ذكرت أن الله تعالى خلق النفس الأمارة من تربة الأرض، وهي أرضية كثيفة تميل إلى شهواتها التي بخلاف مراد الروح والعقل؛ لأنهما خلقا من عالم القدس ونور الملكوت، فلا يأتي منهما شيء يكون فيه حظ النفس والشيطان؛ لأنهما من خزائن ملكوت السماء، والنفس من خزائن ملكوت الأرض، والشيطان خلق من النار التي هي خزائن القهريات، وافهم أن لأصحاب هذه الألسنة التي سميتها الخواطر(١) أوصاف ونعوت وأخلاق.

---

(١) لأن الخواطر: ما يرد على القلب والضمير من الخطاب مع سرعة زواله بخاطر آخر وقدرة صاحب الخاطر على دفعه عن القلب مراراً، وهو إما واجب (الحق) أو حرام (من الشيطان)

وأول الخاطب بكلامه، والملهم بخطابه، والموحي بوحيه هو الله تعالى، وله ذات سرمدي، وصفات أبدية، منزه عن المشابهة بالحدثان من جميع الوجوه، يتكلم مع الأنبياء والرسل والملائكة والصديقين من الأولياء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ [المائدة:١١١]، وقال ﷺ: «**إنّ في أمتي محدثين، وعمر**... »[1] الحديث.

الله تعالى يتكلم معهم بنفسه بلا واسطة، وربما يحدث، وربما يوحي، وربما يليهم، إما بنفسه وإما بواسطة الملك، وربما يتكلم بالصفة الخاصة الأزلية، وربما يتكلم بفعله، وربما يوجه بخطابات في قلبه، ولكل واحد من هذه الخطابات له أثر وبركة ونماء وعلامة.

وللمخاطب في سماعه وجد وحال وكشف ومعرفة وعلم خبر وسر وبيان وبرهان وحقائق لا يعلمها إلا من له قلب كقلب الأنبياء والرسل والملائكة، فالخطاب إذا كان صادرًا من صفة خاصة أزلية التي مصدرها الذات الأزلي فيكون في سمع سر السر، ويكون في سمع السر، ويكون في سمع الروح، ويكون في سمع العقل، ويكون في سمع القلب.

فيقتضي من سماع سر السر: الكتمان، ويقتضي من سماع السر: العرفان، ويقتضي من سماع الروح: الإيقان، ويقتضي من سماع العقل: الإيمان، ويقتضي من سماع القلب: الفهم والعلم.

وعند سماع كلامه العزيز يقع في أبصار أسار السامع لله مشاهدة المتكلم،

أو مندوب (من ملك) أو مكروه (من النفس)، وزادوا على **الخواطر** الأربعة خاطر العقل، واليقين، والقلب، والشيخ، وخاطر الشيخ هو إمداد همة من **الشيخ** يصل إلى قلب المريد الطالب لكشف مفصل وحل مشكل باستمداد المريد ذلك من ضمير الشيخ.

(١) سبق تخريجه.

وسناء صفائه، فيقع لكل واحد من الخاطبين بعد الفهم والعلم مكاشفة ومشاهدة، فيقتضي منها ومن إدراكها الأحوال والمواجيد والقربات والمعاناة، ولها مثوبات في المعاملات وزكيات الأخلاق ما لا نهاية لها حتى صارت روحانية ربانية ملكوتية، قدسية، جلالية، وصارت أسرارهم عاشقة والهة، مستغرقة في بحار هويّة الأزل، وأحديِّة الأبد.

أما الإلهام الفعلي: يفهم القلب عنه الحكمة، ويدرك العقل منه البصيرة، فتعرف منه الروح مزيد الألفة، ويعلم منه السر وسر السر روح الأنس في مقام العشق والمحبة، والمخاطب الموحد يجد في القلب حس الروح بما وجد من خير الغيب وغيب الغيب، والوحي والإلهام مقتضيان للقلب والعقل الفرق بين علوم الطريقة والشريعة، والوسواس ولمة الملك، والعلم بآداب الحضرة، والوقوف عند غوامض أمر العبودية.

أما لسان الغيب ربما يتكلم به الحق سبحانه وتعالى وحكمه ما ذكرنا، وربما يتكلم به ملك الغيب، وهو ألطف الملائكة، وهو الذي يسكن عنه ستر الحضرة الخاصة، وصفته الأنس، والاستبشار، وربما يتكلم نور الحضرة، وذلك لسان فعل الخاص، وتأثيره الإنس مع الهيبة.

وأما لسان سر السر: يتلطف في بطون سر الروح، وذلك أمرٌ خفي، وهو مع جريان الخطاب الخاص بوصف الإلهام، وهناك محل الذكر الخفي الذي قال فيه ﷺ:

«**خير الذِّكر الخفي**»(١).

وهو علم يجده الفؤاد من الغيب وتأثيره بقدر محل إدراك الروح عند سماع الخطاب الخفي الذي جريانه ألطف من دبيب النمل، عن خاطر يشير إلى عند الله.

وأما لسان السر: فهو ما يأخذ بسمع باطن الروح من سر السر الذي وصفنا، وربما يتكلم الحق معه لا غير، وذلك الوحي الخاص الذي قال تعالى: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ [النجم:١٠].

وذلك أمر أخفاه الله تعالى عن جميع المخلوقات حتى الملك المقرب، ولم يكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وهو سر الربوبية وسر العاشق والمعشوق، الذي استتر من روحه وعقله وقلبه، ووصف السر استغراقه في بحار الذات والصفات، ولا يحتجب أبدًا بغير الله، وهنالك محل شهود أنوار الجمال والجلال صرفًا، ويسمى ذلك السر لطيفة اللطيفة، وهو روح الروح وهو حياة تصدر من تجلي نور الحق.

أما وصف الروح وما يظهر من لسانها فذاتها من حيث الخبر والعلم الخبري، هو أمر رباني أبهم الله تعالى علمه وسره على قلوب الخلائق بقوله تعالى: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء:٨٥].

ومن حيث الحكمة هي لطيفة ربانية روحانية وجودها وأنوارها متعلقة بالقلب والعقل والبدن، وهي أصل الإنسان، وهي العالم المدرك المخاطب والمطالب

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ١٧٢)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٩١)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١/ ٧٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٨٥).

والمعاقب والمثاب، وهي سلطان ملك القلب والعقل والبدن وسائر جنوده، وجميع ذلك دار هي مسكنها وآلتها وتعلقها بهذا البدن والقلب والعقل والجنود كتعلق السلطان الغالب بالبلد، وهي إشارة إلى ربوبية الحق، وتصرفه في العالم، وأنه منزه عن الأحياز والأماكن، لكن له فيه تعلق الربوبية، وأبرز ذلك في أمر الروح في العالم ليعلم الباطن وجه تعلقه بالعالم بالأدلة العقلية والعلمية لذلك قال ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»[(١)] [(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فالمراد بآدم في قوله ﷺ: «خلق الله آدم على صورته» آدم الأول الذي هو من عالم الجعل والإبداع؛ وهو الروح المحمَّدي؛ لكن لَمَّا كانت الكمالات بأمرها منوطة بالوجود البشري؛ أنزله إلى مرتبة آدم الثاني الذي هو أبو البشر لا أبو الأرواح؛ فجعله على صورته في الجملة؛ لأنه جزء من جزئياته، فاعرف هذا المقام إن كنت إنسانًا.

قال الشيخ الأكبر ﷺ: كما أن الإنسان جسمٌ صغيرٌ، كذلك ملكٌ حقيرٌ من جهة الحدوث وصحَّ له التألُّه؛ لأنه خليفته في العالم، والعالم مسخَّر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى، وهو روح العالم.

واعلم أن الذاتي الحق لما ظهرت أعيان الممكنات في مرآة ذاته أدركها في نفسه بنوره، فلحقه المرئي بالرائي؛ حيث أدركه في ذاته، وهو واحدٌ في الوجود؛ لأن الممكنات المرئية في هذه الحالة منعوتة بالعدم، فلا وجود لها مع ظهورها للرائي، كما ذكرناه.

فسمِّي هذا الظهور توحيد إلحاق: أي الحق الممكن بالواجب، فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من النسب الأسمائيَّة حتى الوجوب، ولا نقول بالغير؛ لأنه قلة الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله تعالى في حضرة الوجود والحق موجود للخيال في حضرة الانفعال الممثل، فإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه فهو على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل الذي هو جلاء المرآة وروح تلك الصورة، فإنه

وقد غلط من قال: تعلقها بالبدن كتعلق الأعراض بالأجسام؛ لأنها هي الأصل والأعراض صفاته، وهذه المواضع محل تصرفها وأفعالها، ومن حيث الحقيقة وما يستفاد من المكاشفة فهو جوهر خلقه الله من نور الملكوت الذي صدر من تجلي الجمال والجلال كما قال الواسطي: تقادح النعتان الجلال والجمال، فظهرت من بينهما الأرواح، وهو جسم لطيف في حيز القلب، وله صفات وأوصاف ونعوت، وأخلاق روحانية ربانية، وله علم وحكمة، وعقل، وسر، وأمرٌ ونهي، وسلطنة، وقوة، وسيرة، وسمع، وبصر، ولسان، وإدراك، ورؤية وفهم، وفطنة، وطلب، ومحبة وشوق إلى معدنها، وعشق، ومعرفة، وتوحيد.

ومثالها مثال شمع في المشمعة في البيت، فتضيء المشمعة، ويكون مثل مصباح في زجاجة ينور من الزجاجة حواليها كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ [النور:٣٥]، فالبدن كالمشكاة، والقلب كالزجاجة، والروح كالمصباح ينور القلب والعقل، وينفذ أنوارها إلى السمع والبصر واللسان والشم وجميع الحواس الظاهرة والباطنة.

وقد سمى الله تعالى ذلك روحًا في كتابه بـ«النفس» وهي النفس بالحقيقة؛ لأنها أصل يقوم بها جميع وجود الإنسان، وقد سمى أيضًا الروح بـ«العقل» حيث

ما ثَّم على الصورة الحقيقية مثله فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ما عدا نفسه، ويسمى هذا توحيد الوصلة والاتصال وتوحيد الإلحاق، فإن توحيد الخيال مع كونه من الموجودات الحادثة صعب التصور إلا هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه علمت أنه في غاية الوصلة.

قال ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل، فقال: أقبل ... »**[1] إلى آخر الحديث.

---

(١) سبق تخريجه. فائدة : قال أبو الفتح المكي في عين الحياة: واعلم أن المشهور عن الفلاسفة في ترتيب سلسلة الموجودات هو أن الصادر الأول هو العقل الأول، كما ورد في الحديث: «أول ما خلق الله العقل».

قال السيد: في «شرح المواقف»، وقال بعضهم: وجه الجمع بينه وبين القلم والنور الأولي في قوله: «أول ما خلق الله القلم» و «أول ما خلق الله نوري» أن المعلول الأول من حيث مجرد يعقل ذاته، و مبدؤه يسمى عقلاً.

و من حيث إنه واسطة في صدور سائر الموجودات ونقوش العلوم يسمى علمًا ومن حيث توسطه في إفاضة أنوار النبوة، كان نورًا لسيد الأنبياء – عليه وعلى آله صلاة دائمة – بعدد ما في الأرض والسماء، واحتجوا على إثبات العقل بأن الصدر الأول يمتنع أن يكون جسمًا لتركيبه فلو صدر أولًا لزم تعدد الصدر في المرتبة الأولى، أو عرضًا إذ لا يستقل بالوجود دون الجوهر الذي هو محله، فكيف يوجد قبله ولا نفسًا إذ لا تستقل بالتأثير دون الجسم الذي هو آلتها فيمتنع أن يكون سببًا لما بعده.

فتعين أن يكون هو العقل؛ لأنه واحد مستقل بالوجود والتأثير، وغير العقل ليس كذلك، والمراد به موجود ممكن هو جوهر مجرد في ذاته مستغنٍ في فاعليته عن الآلات الجسمانية، وله اعتبارات ثلاثة :وجوده، ووجوبه، وإمكانه، فباعتبار وجوده يصدر عقل، وباعتبار وجوبه نفس، وباعتبار إمكانه جسم، الفلك الأول إسنادًا للأشرف على جهة الأشرف، والأخص إلى الأخص، فإنه أحرى وأخلق.

وكذلك يصدر من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان، وهكذا إلى العقل العاشر الذي هو مرتبة التاسع من الأفلاك يعني فلك القمر، و يسمى العقل الفعال المؤثر في هيولي العالم السفلى المفيض للصور وغيرها في عالم الكون والفساد، انتهى باختصار وتغيير ما.

ويرد عليهم فيما ذكروه أمور كثيرة مذكورة في أماكنها، والغرض إيراد ما يناسب كتابنا هذا.

openelkandal.com

فاعلم أن مما أورد كثرة الكواكب في الفلك الثامن، واختلاف محالها، واختصاص كل قطب بمحله، ورقة المتمم الحاوي والمحوى و تحتها وكثرة الأفلاك؛ لأنها تشتمل على خوارج المراكز والتداوير، والحال أن العقول على ما صرحوا عشرة والوجوه المعتبرة بها ستة أو ثلاثة أو اثنان، وذلك لا يفي بصدور هذه الكثرة.

قال المحقق الطوسي: إذا فرضنا مبدأ أول وليكن: «أ» و صدر عنه شيء واحد وليكن «ب» فهو في أولى مراتب معلولاته، ثم من الجائز أن يصدر عن «أ» بتوسط «ب» شيء وليكن «ح» ،وعن «ب» وحده شيء وليكن «د» فيصير في ثانية المراتب، شيئان لا تقدم لأحدهما على الآخر، وإن جوزنا أن يصدر عن «ب» بالنظر إلى شيء آخر صار في ثانية المراتب ثلاثة أشياء.

ثم من الجائز أن يصدر عن «أ» بتوسط في وحدة شيء و بتوسط «د» وحدة ثان، وبتوسط «ح، د» معًا ثالث «و»، وبتوسط «ب، ح» رابع، وبتوسط «ب، د»خامس، وبتوسط «ب، ح، د» سادس ، وعن «ب، ص» بتوسط «ح» سابع و بتوسط «د» ثامن، وبتوسط «ح، د» معًا تاسع وعن «ح» وحدة عاشر «د» وحده حادي عشر، وعن «ح، د» معًا ثاني عشر، ويكون هذه كلها في ثلاثة المراتب، ولو جوزنا أن يصدر عن السافل بالنظر إلى ما فوقه شيء، واعتبرنا أن الترتيب في المتوسطات التي تكون فوق واحدة ، صار ما في هذه المرتبة أضعافًا مضاعفة، ثم إذا جوزنا هذه المراتب جاز وجود كثرة لا تحصى عددها في مرتبة واحدة إلى ما لا نهاية له، فهكذا يمكن أن يصدر أشياء كثيرة في مرتبة واحدة من مبدأ واحد، **انتهى**.

وقال صاحب «الإشراق» في كتبه: صدور الكثرة عن الواحد يحصل على النور من أقرب ثان، ومن الثاني ثالث، وهكذا رابع وخامس إلى مبلغ كثير، وكل سافل يقبل الشعاع من نور الأنوار بتوسط ما فوقه فوق رتبة رتبة، حتى أن القاهر الثاني يقبل من النور السانح وهو الشعاع الفائض من نور الأنوار مرتين مرة منه بغير واسطة، وباعتبار النور الأقرب مرة أخرى، والثالث أربع مرات والرابع ثمان مرات، أربع مرات من انعكاس صاحبه و هو الثالث، ومرة الثانية ومرتان من النور الأقرب، ومن نور الأنوار بغير واسطة، وهكذا تتضاعف الأنوار السانحة في النـزول إلى مبلغ كثير تعجز قوي البشر عن الإحاطة به،

ولما قصرت الأفهام عن العلم بكيفية الروح وإدراك ماهيتها يحصل العلم لها بأوصافها التي يظهر من أخلاقها في حواس صورتها، ومن وصفها: النور، والضياء، والطيب، والصفاء، والرقة، واللطافة، والروحانية، والفرح، والاستبشار، وحب الطيب والريحان، والوجوه الحسان، والأصوات الطيبة، والألحان الشجية، والأنس بالخلوة، وصحبة الأولياء، والإقبال على الله.

وطلب معادنها من عالم الملكوت، والذكر، والفكر، والمحبة، والشوق، والعشق، والمعرفة، والعلم، والفِراسة، ورؤية الغيب، وشهودها مشاهدة الحق، والوجد، والحال، والسماع، والخوف، والرجاء، والقدس، والطهارة، والأحدية، والعبودية، والانفراد من غير الله في طريق الله، وميل الحق والغلبة والسلطنة، وما لا يحصى عددها من الأخلاق الجميلة من الحلم، والرفق، والحياء، والإنابة، والخضوع، والخشوع، ولسان الروح لسان ثاني الفعل الخاص في مقام العشق والمشاهدة، ولسان الصفة في مقام التوحيد والاتحاد يخبران بهما عن الجميع، وإفراد القدم عن الحدوث.

وأما العقل: فإنه جوهر قدسي ملكوتي نوري له علم وإدراك، وهو مخاطب

وذلك لأن النور الخامس يقبل من الشعاع الفائض ست عشرة مرة ثمان مراتب ينعكس عليه من الرابع، وأربع مرات من الثالث، ومرتان من الثاني ومرة من النور الأقرب، ومرة من نور الأنوار بلا واسطة، وعلى هذا القياس يقبل السادس اثنتين وثلاثين مرة، والسابع أربع وستين مرة إلى أن يحصل مالا يحصى كثرة، ويكون جميع هذه الأنوار قائمة بذواتها؛ لأن الإشراقات العقلية الواقعة على الأنوار المجردة تقتضي حصول مثلها. انظر: عين الحياة (ص١٥١) بتحقيقنا.

مطالب، فهو معين الروح في طاعة الله، وهو كالنور في البصر عند الروح، وهو روح الروح خرجا من حضرة الجبروت معًا، وسمى ذلك العقل في موضع النفس والروح.

وله صفات منها: التفكر، وإدراك حقائق الأشياء بماهيتها، وحب الأخوة والطائفة، والرجوع إلى الحق، وتربية الصفات، وتهذيب الأخلاق، وهو أيضًا أمر رباني عالم بالله وبصفاته، له استعداد قبول معرفة الله، وبه يكون شرف الدنيا والآخرة كقوله ﷺ: «**أهل العليين: ذوو الألباب**»[1].

وأما لسان العقل فهو ما يخاطب به القلب من تهذيب الأسرار، وبيان الحقائق والأفكار، والخبر عن لطائف الحكم والأسرار.

وأما النفس عند أهل الحق فهي جبلة وطبيعة، مائلة إلى الشهوات والكسل في العبادات، والفرار من الطاعات، وهي في داخل القلب مستعدة لقبول وسواس الشيطان، وهي أمارة بالسوء.

ولها أخلاق معروفة عرفت النفس بها حيث ظهرت يدرك صاحبها أنها صفات نفسانية، فمنها: الغضب، والشهوة، والحرص، والحسد، والعداوة، والشحناء، والبغضاء، وحب المال والجاه والبقاء في الدنيا وزينتها.

ومن خلقها: كثرة الأكل والنوم والكلام، والاشتغال بالكذب والزور والبهتان، والنميمة والغيبة، وما لا يحصى عددها من الأخلاق المذمومة، لذلك قال

---

(١) لم أقف عليه.

ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[1].

ولفظ النفس[2] يقع على الروح والقلب والعقل والبدن؛ لأن الله سبحانه

---

(١) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٢/ ١٥٧)، وذكره ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٩٦)، والمناوي في «فيض القدير» (٥/ ٣٥٨)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ١٤٨).

(٢) النفس في الاصطلاح الصوفى ، ما كان معلولا من أوصاف العبد كذميم الأفعال وسفساف الأخلاق وذلك مثل الكبر والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال.

روي عن أبى تراب النخشبى (ت:٢٤٥هـ) أنه قال : «يا أيها الناس أنتم تحبون ثلاثة وليست هى لكم ، تحبون النفس وهى لله، وتحبون الروح والروح لله، وتحبون المال والمال للورثة، وتطلبون اثنين ولا تجدونهما، الفرج والراحة وهما في الجنة» فتح القدير ٥/ ٣٣٥ .

وعن أبى سعيد الخراز (ت:٢٧٩هـ) قال : (مثل النفس مثل ماء واقف طاهر صاف ، فإن حركته ظهر ما تحته من الحمأة ، وكذلك النفس تظهر عند المحن والفاقة والمخالفة ، ومن لم يعرف ما في نفسه كيف يعرف ربه) فتح القدير ٣/ ٣٥ .

ويذكر لعلى بن سهل الأصبهاني (ت:قبل٣٠٠هـ) : (العقل والهوى متنازعان ، فمعين العقل التوفيق ، وقرين الهوى الخذلان ، والنفس واقفة بينهما فأيهما ظفرت كانت في حيرة) طبقات الصوفية ص١٤٨.

وقال أبو القاسم القشيري (ت:٤٦٥هـ): (النفس : نفس الشيء في اللغة وجوده وعند القوم ليس المراد من إطلاق النفس الوجود ، ولا القالب الموضوع إنما أرادوا بالنفس، ما كان معلولا من أوصاف العبد ، ومذموما من أخلاقه وأفعاله ، ثم إن المعلولات من أوصاف العبد على ضربين، أحدهما: ما يكون كسبا له كمعاصيه ومخالفاته ، والثاني: أخلاقه الدنيئة فهي في أنفسها مذمومة فإذا عالجها العبد ونازلها ، تنتفي عنه بالمجاهدة تلك الأخلاق على مستمر المادة. الرسالة القشيرية ص٢٧١/ ٢٧٠.

والقسم الأول من أحكام النفس ما نهى عنه نهى تحريم أو نهى تنزيه، وأما القسم الثاني من قسمي النفس فسفساف الأخلاق والدنيء منها، هذا حدها على الجملة، ثم تفصيلها، فالكبر والغضب والحقد والحسد وسوء الخلق وقلة الاحتمال وغير ذلك من الأخلاق المذمومة، وأشد أحكام النفس وأصعبها توهمها أن شيئا منها حسن ، أو أن لها استحقاق قدر، ولهذا عد ذلك من الشرك الخفي، ومعالجة الأخلاق في ترك النفس وكسرها، أتم من مقاساة الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات ، التي تتضمن سقوط القوة وإن كان ذلك أيضا من جملة ترك النفس ، ويحتمل أن تكون النفس لطيفة مودعة في هذا القالب هي محل الأخلاق المعلومة.

ويذكر الكاشاني أن النفس أنواع:

١- النفس الأمارة : النفس الأمارة هي التي تميل إلى الطبيعة البدنية ، وتأمر باللذات والشهوات الحسية ، وتجذب القلب إلى الجهة السفلية، فهي مأوى الشر ، ومنبع الأخلاق الذميمة ، والأفعال السيئة ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف/ ٥٣] .

٢- النفس اللوامة : هي التي تنورت بنور القلب ، تنورا قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة ، فتيقظت وبدأت بإصلاح حالها ، مترددة بين جهتي الربوبية والخلقية ، فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها تداركها نور التنبه الإلهي، فأخذ تلوم نفسها ، وتتوب عنها، مستغفرة راجعة إلى باب الغفار الرحيم ، ولهذا نوه الله بذكرها بالإقسام بها في قوله تعالى: ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة/ ٢].

٣- النفس المطمئنة : هي التي تم تنورها بنور القلب، حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة ، وتخلقت بالأخلاق الحميدة، وتوجهت إلى جهة القلب بالكلية مشايعة له في الترقي إلى جانب عالم القدس، متنزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات، مساكنة إلى حضرة رفيع الدرجات، حتى خاطبها ربها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٧:٣٠]. انظر: لطائف الإعلام ٢/ ٣٥٩:٣٦١، معجم اصطلاحات الصوفية ص١١٥، ١١٦.

سماهن بالنفس في مواضع قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣] وهي ما ذكرنا، وقال تعالى: ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢] وأراد به القلب، وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر:٢٧] وأراد به الروح، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس:٧] وأراد به البدن.

وأما لسان النفس في ظاهرها وباطنها وخواطرها وهواجسها موافق للشيطان يسمع في الظاهر من الشيطان؛ لأن جبلتها ممزوجة بطباع الشيطان، ويسمع في الباطن من لسان القهر، إما من فعل، وإما من صفة خاصة، وفي الحقيقة يُعلِمُها الحق في جميع أمورها ما يجري عليها، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨].

الفجور لها، والتقوى للقلب، والفجور والتقوى معلقان بإرشاد الله وإغوائه، ليس للنفس ولا للقلب ولا للروح ولا للعقل اختيار مخترع من جهتهم بل الاختراع لله وحده، وأكثر كلامها يتعلق بدعاء صاحبها إلي الشهوات، وكلامها مموه مزخرف يكون من عالم المكر.

وربما تأتي في صورة حسنة وهي مملوءة من المكر، وتلك إشارة قهرية، ولها في كل لحظة مع صاحبها ألف ألف لسان، كل لسان يدعو صاحبها إلى الهوى والشهوات والحجاب والظلمات، ومن لم يعرف تلك الألسنة من نفسه لا يعرف نفسه، ومن لا يعرف نفسه لا يعرف ربه، لقوله ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[١].

---

(١) سبق تخريجه.

وتلك الألسنة مجاري كلمات الحق التي تجري من بحار قهريات القدم، وعند أهل الحقائق أن الله سبحانه وهو نفس النفس حيث لا نفس إلا نفسه، وكل نفس قائمة بنفسه تعالى الله من كل وهم وخيال.

وأما الملك القائل فهو جسم لطيف، وهو عالم جاء من الملكوت يلهم العبد بإذن الله، وهو موافق لطبع الروح، وهو يخاطب بالإلهام الخاص والوحي الخاص الصفاتي والذاتي مع السر وسر السر، والروح والعقل والقلب وبالإلهام العالم الفعلي، مع القلب والعقل والروح ويزجر به النفس الشيطان وهو يحرس القلب والروح من شر النفس والشيطان.

فلسانه موافق لسان الشارع والحقيقة، ولسانه في المعارف والكشوف والفِراسات والإشارات والعبارات، وبيان الطريقة وتعليم آداب الحضرة.

وهذه الألسنة التي ذكرناها من لسان الملك والروح والعقل يكون في السير، فإذا فضّل العبد خطاب الحق بلا واسطة سقطت هذه الوسائط، وهو آخر درجة الخطاب.

وأما الشيطان فهو جسم لطرف خلق من النار، خلقه الله لامتحان العباد، وعلمه ما يشاء من علم الإغواء والإضلال، وهذه العلوم تصدر من عالم القهر، وهو يقرأ سحر الضلالة من لوح قهر الله، وجملة كلامه ووسواسه مع النفس؛ لأنها مواضع إلقائه، وهي تقبل وسواسه من داخل القلب، والشيطان يوسوسها من ظاهر القلب؛ لأنه لا يقدر أن يدخل في القلب؛ لأن هناك أنور تجلي الحق يحترق إن دنى منه، قال تعالى: ﴿يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس:٥]، ومن الصدر إلى القلب

مسافة بعيدة، وأكثر كلامه يجري على نعت الكفر، وما يكون ضد الرشد، وهو أمر ظاهر مبين في الكتاب والسُّنة، قال تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال ﷺ: «للملك لمة، وللشيطان لمة»(١)، فأما لمة الشيطان فاعتياد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فاعتياد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان ثم يقرأ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وأوصاف ما يلقي العدو إلى النفس أكبر من أن يحصى عدده، يوسوس الشيطان في الصدر من وراء القلب إلى النفس الأمارة في كل لحظة بألف لسان يدعو بجميعها النفس إلى المهلكات، وتجيب النفس دعوته، وتتبع جميع ألسنته ووسواسه، لمن طبعها مستعدًا لقبول وسواسه.

وبين النفس والشيطان حبائل متعلقة بالنفس، ورءوسها بيد الشيطان يجذبها من وراء القلب، وهو لا يقدر أن يدخل في القلب؛ لأن القلب حصن الله، وهو بيد الله، ولكن امتحنه الله بالنفس والشيطان والنفس من قبيل الشيطان توافق وسواسه من داخل القلب، وهذا من قدرة الله سبحانه قد أعطى رءوس تلك الحبال إلى يد الشيطان، ليحركها بتلك الحبال، ويلقيها إلى متابعة هواها.

فإذا أراد الشيطان أن يحرك النفس ويهيجها إلى هوى بها فيذكرها بإلقائه ما يكون أصله في طبعها من الشهوة، والحرص، والغضب، وحب الجاه والرياء

(١) سبق تخريجه.

والسمعة والهيبة والأكل والشرب، فإذا ذكرت تلك الأشياء تحركت باختيار الله إلى ما يدعوها والشيطان من بين تلك الصفات المذمومة لها، وإن دعاها إلى الحسد أو الكبر أو الغضب رأيتها كجمرات النيران التي تنتشر من كور الحداد، وأعظم مغاليق الشيطان شهوة النساء، ألا ترى كيف قال ﷺ: «**النساء حبائل الشيطان**»[1]، فخواطرها إما من قبل طبعها، وإما من قبل الوساوس.

ومن أراد أن يقطع الشيطان من نفسه فينبغي أن يقطع تلك الحبائل من نفسه الأمارة بالمجاهدات، والرياضات، والمكابدات، واتباع السُّنة وطريقة القوم حتى يعرف المناسبة التي بين نفسه وبين الشيطان، فإذا عرف ذلك عرف النفس والشيطان.

وإن من عظائم مغاليق الشيطان: الحرص، والحسد، والغضب، والشهوة، والشبع، والطمع، والرياء، والكبر، والريبة، وحب المال والجاه، ومعاشرة النساء والصبيان، وهما من أعظم فتن الشيطان.

وما ذكرت من هذه المساوئ فهي من أعظم أسلحة الشيطان، ومنها يتولد جميع الآفات؛ لأنها أصل جميع المعاصي، فإذا أطفأ العارف الصادق هذه النيران في نفسه بسهر الليالي، وقلة الأكل، وانفراد من الخلق، وحبس نفسه في الخلوات، ويقيدها بقيد المراقبات آيس الشيطان من هذه الأبواب ويطوف حول أبواب الكفر، يأتي فيلقي على النفس من وراء القلب كلمات الكفر والأهواء لتوقعه في التشبيه

(١) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ٤١٨).

والتعطيل والزَّندقة والضلالة والبدع، وهذا كما روي في الحديث عن عائشة –رضي الله عنها– عن النبي ﷺ قال: **«إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالى، فيقول: فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فيقل: آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه»**(١).

فالإشارة إلى أن الشيطان يدعو العباد إلى الضلالة ويعلمنا علاجه بأنا نذكر الله سبحانه وتعالى بوصف تنزيهه وتقديسه وتسبيحه، والالتجاء إلى الله.

ومقصود الملعون فنزلك عن طاعة الله، وتشويش خاطرك بامتحانه عن ذكر الله، فإذا ذكرت الله خنس من قلبك، ثم ينكشف لك لوائح الملكوت، فنفر منك الشيطان، ولا يبقى في نفسك موضع إلقائه، وافهم أن المرء مأخوذ بخواطره المذمومة، إذا عزم على استعمالها قال تعالى: **﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾** [الإسراء:٣٦].

وذلك حين يخطر علَى سره وارد القهر الذي يدعوه إلى متابعة الشهوات، وهو يفرح بذلك ولا يكره، فإذا خطر وهو يكره ذلك ولم يعزم فعله فهو غير مأخوذ بذلك، وذلك قوله ﷺ: **«رُفع عن أُمتي الخطأ والنسيان، وما توسوست به نفسه ما لم يفعل أو يتكلم به»**(٢).

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٣١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ١٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ٢٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٣).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه» (١/ ٦٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٦٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨/ ١٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ٢٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢١٦).

وأما ألسنة الخواطر التي تأتي من قِبل الشيطان فأولها: وارد القهر، والمكر[١]،

---

(١) المكر التدبير في خفاء بحيلة، لصرف الغير عما يقصده، وذلك ضربان:

أ- مذموم وهو المكر بالسوء ابتدءًا، ليتحرى به الفعل القبيح، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلا نُفُورًا اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر/ ٤٢:٤٣].

وقوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]

انظر: لسان العرب ٥/ ١٨٣، والمفردات ص٤٧١، وكتاب العين ٥/ ٣٧٠.

وعن ابن عباس رضى اللهّ عنه أنه قال في قوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال:٣٠]: «تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق، يريدون النبي ﷺ.

وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع اللهّ عز وجل نبيه ﷺ على ذلك، فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار، وبات المشركون يحرسون عليا، يحسبونه النبي ﷺ، فلما أصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا عليا، رد اللهّ مكرهم، فقالوا: أين صاحبك هذا؟ قال: لا أدري فاقتصوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت، فقالوا: لو دخل هاهنا، لم يكن نسج العنكبوت على بابه، فمكث فيه ثلاث ليال) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٤١).

وعن أبي بكر الصديق ﷺ قال رسول الله ﷺ: «ملعون من ضار مؤمنًا أو مكر به» أخرجه الترمذى في كتاب البر والصلة برقم (١٩٤١).

ب- مكر محمود وذلك على وجهين، أن يكون في مقابل المكر السيئ لتدميره كقول الله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل:٥٠].

وقوله : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠] أو يكون المكر على وجه الابتلاء والاختبار، وعلى ذلك قال

سبحانه: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف/ ٩٩]، فمكر الله إمهال العبد، وتمكينه من أعراض الدنيا على وجه الابتلاء، وروى في ذلك أيضًا عن ابن عباس ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يدعو يقول: رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي» أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات برقم (٣٥٥١).

والمكر عند السادة الصوفية من جانب الحق تعالى، إرداف النعم مع المخالفة وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر. التعريفات للجرجاني ص٢٤٥، واصطلاحات الصوفية لابن عربي١١، ولطائف الإعلام ٢/ ٣٣٤.

وقال القشيري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلْ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس:٢١] يعني إذا أصابهم ضر ومحنة، فرحمناهم وكشفنا عنهم، أحالوا الأمر على غيرنا وتوهموه مما هو سوانا، مثل قولهم مطرنا بنوء كذا، ومثل قولهم: إن هذه سعادة نجم، أو مساعدة دولة، أو تأثير فلك، أو خيرات دهر، فهذا كان مكرهم أما مكر الله بهم، فهو جزاؤهم على مكرهم، وإشارة في هذا، أنه ربما يكون للمريد أو للطالب حجبة أو فترة، فإذا جاء الحق بكشف أو تجلٍّ أو إقبال فمن حقهم ألا يلاحظوها، فضلا عن أن يساكنوها؛ لأنهم إذا لم يرتقوا عن ملاحظة أحوالهم إلى الغيبة بشهود الحق، مكر الله بهم، بأن شتتهم في تلك الأحوال من غير ترقٍّ عنها أو وجود زيادة عليها، وهذا مكره بخواصهم. لطائف الإشارات ٢/ ٨٧.

وقال أبو حامد الغزالي: «والمكر ثلاثة: مكر عموم، وهو الظاهر في بعض الأحوال، ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال، ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات».

ويرى ابن عربي أيضًا، أن المكر عند الصوفية إرداف النعم مع المخالفة، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الآيات والكرامات من غير أمد ولا حد. اصطلاحات الصوفية للشيخ ابن العربي ﷺ ص١١.

والامتحان من الحق سبحانه.

والثاني: تحريك موضع استعداد قبول الخاطر بالشهوة، ثم الهيجان، ثم رغبة النفس وحديثها، ثم الهمة، ثم النية، ثم الاعتقاد، ثم العزم على إنفاذ المراد حتى تجري المعصية على الجوارح، فإذا كان الأمر كذلك فالعبد مأخوذ بخاطره وظاهره، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

وإذا أكمل الخواطر من الشيطان بلغ إلى أن يحيل الباطل وصورة الحق مثل أن يدعو صاحبه على المشاق من العبادات والصعاب من الرياضات حتى يمل ويفر من الواجبات والطاعات، ويقع في الفترة، وينقطع عن سبل العباد وأهل النحلة، وهذا مكر وتلبيس لإبليس.

وافهم أن الوسواس لا ينقطع عن صدر الإنسان إلا بخالص ذكر الله تعالىَ، فإذا ذكر العبد قدم الله وجلاله وجمع صفاته بنعت جلال إدراك مشاهدته حتى يفنى الذاكر والذكر في المذكور ويحترق بالشيطان عند جريان نفسه، ولا يبقى له قدرة عليه والإشارة في ذلك قوله ﷺ: «**فإذا ذكر الله خنس الشيطان**»(١).

وذلك مقام المريدين العارفين في ذلك، فإن الله تعالى إذا تجلى من جماله وجلاله وعظمته وكبريائه لقلب العارف نفى الشيطان إذا وقع في إزاء هذا العبد العارف؛ لأن العارف فنى هناك في عظمة الله، فإذا فني العارف وصفاته كيف تبقى

---

(١) رواه ابن شاهين في فضائل الأعمال (ص١٧٧)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٣٥٣).

نفسه الأمارة والشيطان ومحل الوسواس لا يبقى.

وأما لسان القلب وخواطره، فإما الكلام الخاص الأزلي، وإما وحي ملكي، وإما لسان الغيب، وإما لسان الستر وسر السر، وإما الإلهام الخاص، وإما الإلهام الفعلي، وإما وحي فؤادي، وإما وحي روحي، وإما وحي عقلي، ولا يكون فيه حديث الشيطان إلا بواسطة النفس، وللقلب في كل لحظة ألف لسان عند كل نفس له لسان، وخاطر روحي، وإلهام، وكلام فهم وكشف وسر وغيب، ويقين، ومشاهدة، وإدراك، ورؤية، ومعرفة، ووقوف على أحكام الصفات، والغوص في بحار الذات.

قال ﷺ في تلك الإشارات: «**القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء**»(١).

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٤٥)، والترمذي في «سننه» (٤/ ٤٤٨)، وابن ماجه في «سننه» (٢/ ١٢٦٠)،

والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٨٤).

بنو آدم مائة وخمسة وعشرون جزءًا: مائة في بلاد الهند، والباقية فيما عداها من البلاد مطلقًا كلهم في النار إلا جزءًا واحدًا هم أهل السنة، والجماعة من المؤمنين.

وفيه إشارة إلى كثرة أفراد الجلال، وقلة أفراد الجمال؛ لكن لمَّا كان المقصود الأعظم: ظهور الإنسان الكامل، وبروز الخلافة الإلهية؛ كان الواحد في كل عصر من الكُمَّل كألف من غيرهم، وذلك من باب الغيرة الإلهية؛ لأن الجمال الإلهي لا ينبغي أن يراه إلا أولو الأبصار.

والمراد بالأصابع: الصفات الإلهية؛ كالقدرة، والإرادة، والقدرة ونحو ذلك، وأُضيفت إلى الرحمن لا إلى الاسم الله؛ إمَّا لأنهما بمعنى واحد في الحقيقة كما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

فالرحمة الظاهرة في الرحمن باطنة في الجلالة، والجلال الظاهر في الجلالة باطن في الرحمن.

وإمَّا لأن تقليب القلوب من باب الرحمة، وإن كان في صورة الغضب؛ لأن مآل الغضب إلى

الرحمة، فكم من مبتلى ابتلاؤه عين الرحمة في حقه؛ لأنه به يعرف قدر العافية، وفي حق غيره؛ لأنهم يعتبرون به.

وكم من معافٍ عافيته عين الغضب في حقه؛ لأنها تكون استدراجًا له، وفي حق غيره إن كانوا من أهل الابتلاء؛ إذ به يردُّون الأقضية الإلهية، ويعترضون على الله تعالى في أحكامه الأزلية المبرمة.

والإصبعان: الصفتان المتضادتان من الهداية، والإضلال، والرحمة، والغضب، والإكرام، والإهانة، والإعزاز والإذلال، وغير ذلك.

وبذلك يتحوَّل العبد من حال إلى حال: مرة من الحالة الحسنة اعتقادًا وعملاً إلى الحالة السيئة اعتقادًا وعملاً وأخرى بالعكس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤].

فإنه إذا كان حائلاً بينه وبين قلبه؛ كان أقرب إليه منه، فيفعل ما يفعل من التصريفات على ما يقتضيه استعداده الأزلي، الغير المجعول التابع له الحكمة الإلهية، فتصريفه إياه من حال إلى حال: أي حال كان عدلاً محضًا من الله تعالى؛ فإن الله تعالى ليس بظلام للعبيد.

فمَن وجد خيرًا؛ فليحمد الله، ومَن وجد خلافه؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه، فالكل يجري على القضاء الأزلي، والسر القدري لا يقدر أن يخالف ذلك؛ ولكون فهمه من الغوامض؛ مُنع العامة من بحث القدر؛ بل الخواص أيضًا، وإن كانوا قد فهموا ذلك؛ لأن البحث عنه يفضي إلى تعطيلات فاسدة، ثم إنه تعالى شبَّه تقلب القلوب كلها مع كثرتها بتقليب قلب واحد، لِما يقتضيه سر الحقيقة، فإن العين واحدة، والكثرة إنما هي باعتبار التعينات الخارجية.

فكما أن أنوار الشمس وأشعتها لا تتجزَّأ إلا باعتبار الكُوى والمنافذ؛ فكذا نور الوحدة، ومنه يعلم سرَّ قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [فاطر:٤١] ونحوهما.

وإضافة المشيئة إلى نفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ﴾ [الإنسان:٣٠]؛ لأن الحقيقة الإلهية الظاهرة في كل فرد من أفراد الكائنات هي الفاعلة المؤثرة.

يقلبها في أنوار الصفات ومشاهدة جمال الذات، ففي كل نفس لها رؤية صفة

وأمَّا المشيئة من وجهة القوائل؛ فتابعة لتلك المشيئة الذاتية، فعليك بالفهم التام من غير زيغٍ وضلالٍ.

قال سيدي علي وفا: اسمع: قال الناطق المحمدي: «قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن»، والأصابع هي مبادئ، ولذلك يُقال في لغة العرب: لفلان على رعيته إصبع حسنة: أي أثر، ويريدون مبدأ الأثر، وكل ما ظهوره من نتائج الظهور الآدمي ظهورًا توليديًّا خلقيًّا، فهو ابن آدم في المعنى، وقال عن آدم: «خُلقت بيدي»، وهما النظام الجامع للأصابع.

فدائرة الوجوب اليمين الأقوى، ودائرة الإمكان اليمين اليسرى، وذلك بها لآدم من العين الذي هو في مرآة الإمكان مثال الواجب في إحاطية الخالق لآدم بذلك على صورته هو، فظهر بذلك عالم الأسماء، وسجد لَه ملك الأرض والسماء، ولما تحقق العين المحمَّدي بالحق الذي آدم على صورته ظهر بأنه روحه وسر حياته، فسمَّى حقَّه نور السماوات والأرض، وقال كليمه لسميعه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

ومن تحجب عنه بمثاله الآدمي تسمَّى لَه بأسماء نزوله عينًا واسطةً في تعليمه أسماء عُلاه غيبًا، وهذا هو الاسم الأكبر، والروح هو الاسم الأعظم الأول حقيقة الثاني، والثاني حقه، والاسم عين المُسمَّى، والباء الداخلة عليه في قوله: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، إما زائدة يتم المعنى مع حذفها فيكون اسم خبر مبتدأ محذوفًا تقديره: أنا، أو نحو هذا، أو للسبب، فالتقدير: استفتح، أو ابتدئ، أو استفتاحي، أو ابتدائي، أو نحو هذا فكلٌّ صحيح، فهو عين.

(الله): وجوده الإحاطي بعلمه وحياته.

(الرحمن): وجوده العقلي الروحاني.

(الرحيم): وجوده الفعلي النفساني، ومن خزائن الأول أفاض خلع المعارف، ومن خزائن الثاني أفاض خلع الحكم، ومن خزائن الثالث أفاض خلع الأحكام وفيضه، بيديه كشفه وبيانه على القوابل الفهمية تبيينًا، وعلى القوابل الفعلية تكوينًا، فعلم فكوَّن، فعلم فردَّ الكون إلى أصله، فتأويل تكوينه في تنـزيل تبيينه، فمن نفر من حجابه الجاني سمعه وقال: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ [الجن: ١، ٢].

obeikandl.com

أو نعت أو وصف أو اسم أو كشف سر أو رؤية ربوبية أو وحدانية، قلبها في أنهار الصفات وسواقي المحبة والعشق والشوق، ولها فيها سكر وصحو، وبقاء وفناء في بحار الذات، لها مشارب المعرفة والتوحيد والفناء والبقاء.

ولكل مقام بها خطاب، ووحي، وإلهام، فإذا كان القلب في مقام الإيمان، فيكون خطابة بواسطة الملك، وإذا كان القلب في مقام الإيقان فيكون خطابه الوحي الخاص بلا واسطة الملك، وإذا كان في مقام المشاهدة فيكون خطابه وحي خاص الخاص، وإذا كان مقامه مقام العرفان فيكون خطابه الكلام القديم الأزلي الأبدي بلا واسطة الملك والإلهام والوحي بل يتولى الحق خطابه بذاته وصفاته بلا رسم الأفعال، ويخاطبه بأسراره، وواطأه أنوار الغيب، ولوائح الجبروت والملكوت، وما لا تطلع عليه الملائكة، وسكان الحضرة من عجائب الربوبية والسبحات القدوسية، وهذا كما قال الشيخ أبو طالب المكي رحمة الله عليه: لا يزال العبد مع إلهام الملك في مقام الإيمان، فإذا ارتفع إلى مقام اليقين تولى الله بواسطة أنوار الروح، فكان الروح مكان إلهام الحق حتى يرد عليه من الله ﷻ باقي الكلمات في القلب.

وافهم أن القلب خزانة من خزائن الملكوت، ينزل عليه في مقام الإيمان والإيقان والعرفان نوازل الحقيقة من عالم الغيب، فما ورد عليه إذ هو في مقام الإيمان فهو إلهام الملك.

وما يرد عليه في مقام الإيقان فهو الوحي الخاص، وما يرد عليه في مقام العرفان فهو كلام الله، ويكون ذلك بعد المشاهدة، وقبل كشف المشاهدة، فإذا كان بعد المشاهدة، فهو ما أخبرنا من حال حبيبه ﷺ حيث قال سبحانه: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠]، وهذا بعد كشف المشاهدة، وما قبل الكشف فهو ما

أخبرنا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ [الشورى:٥١].

وإذا دخل القلب في عالم الغيب فما يراه فهو كشف، وما يسمعه فهو كلام وما يتكلم به فهو وحي، فيتولد مما يسمع الفهم، وما يتولد مما يبصر فهو بيان وكشف ونظر، وما يتولد مما يتكلم به فهو حكمة ومعرفة وعلم، وما يقع في موضع العقل من القلب فهو علم لدني، وما يقع في الفؤاد وهو الرؤية والإدراك، قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم:١١].

وقال أبو طالب المكي رحمة الله عليه: القلب خزانة من خزائن الملكوت قد أودعه مقلبه من لطائف الرغبوت والرهبوت، وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت لأهل الرفيق الأعلى، وذوي الملكوت الأدنى ما أراد وارتضى.

ومعرفة خواطر القلب، وما فيه من قلب القلب، ولطيفة الروح، والعقل، والنفس، والوحي، والكلام، والأسرار، والأنوار، ومكاشفاته، ومشاهداته، ومعرفة محل الإيمان منه، ومحل الإتقان في محل العرفان مما فيه من خزائن الغيب، وغيب الغيب، وبساط الملك والملكوت فيه، فإنه أوسع من العرش والكرسي والسماوات والأرض، وإنه محل استواء قدم القدم.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

وقال: «لن يسعني السماوات والأرض ويسعني قلب عبدي المؤمن»(١) لا يحصل جميع هذه المعاني ومعرفتها ومحلها إلا لعالم رباني يقرب حاله من حال الأنبياء والمرسلين، ومن لم يعرف قلبه لم يعرف ربه، قال ﷺ:

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤) بنحوه.

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»(١).

وأصل الإنسان هو القلب؛ لأن هنالك الروح التي هي أصل الأصل، والقلب معدن العلم والحكمة، ومهبط التجلي والنزول، وهو العالم بالله، والعامل لله، والمشاهد جلال الله، والمكاشف بها عند الله، والمطالب، والمعاقب، والمثاب، وهو شمع منور بنور الله يظهر أنواره من الصورة والجوارح، وهو غواص بحار أنوار الذات، يهيج ويتقلب في أنهار الصفات.

قال ﷺ: **«القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء»**(٢) يتقلب في كل ساعة بألف تقلبه بين الصفات والذات ساعة في الملكوت، وساعة في الجبروت، وساعة في الرحموت، وساعة في الرهبوت، وساعة في القدم، وساعة في البقاء، وساعة في أنوار العظمة فانيًا، وساعة في الصمدية باقيًا، وساعة في المعرفة هائمًا، وساعة في التوحيد متلاشيًا، وساعة في الفكرة ممحوًا، وساعة في الوجد صاحيًا، وساعة في الفقد مضمحلاً، وفي كل لحظة له كشف، ووقت، وذوق، ووجد، وحال، وسماع، وفتح، واطلاع؛ لأن تقلبه بين أصبع الرحمن يقتضي السير في هذه المقامات، والنزول في هذه المنازل، والدنو في هذه المعاناة، والوقوف في هذه المشاهدة والمشاهدات، ويلوح له أنوار خزائن الملكوت، ويخطر عليه أسرارها في لطائفها وحكمها، وفتح للقلب روازن(٣) من عالم الغيب، يظهر له من اللطفيات والقهريات وأسرار الربوبية والهُوية ما لا يطلع الملك وغيره؛ لأن مجامع البحار

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أي: طَاقَاتٌ، ورَوَازِنُ جَمْعُ رَوْزَنٍ، وَهُوَ الْكَوَّةُ وَهُوَ فَارِسِيٌّ مُعَرَّبٌ.

الأزليات والأبديات وجميع ما ظهر من عالم الملكوت يظهر من القلب؛ لأنه مرآة فعل الله يتجلي له بكل صفة، ويظهر فيه الرموز الإلهاميات، وحقائق الأمور المغيبات.

وذكرت فيما قبل بعض أسرار وجنود القلب وافهم أن في القلب أجنادًا متفرقة، جنود النفس، وجنود العقل، وجنود الروح، وجنود السر وسر السر الغيب وغيب الغيب، وأفضل الجنود جنود عساكر التجلي، والكلام القديم، فجنود التجلي والكلام عند كشف الصفات والذات له، وجنود الغيب وغيب الغيب جنود أسرار أنوار القرب والدنو، وجنود السر وسر السر جنود كشوف منقوشات رقوم اللوح المحفوظ، وجنود الروح هي جنود خزائن ملكوت الحضرة وسرادق المجد والصفيح الأعلى، وجنود العقل هي جنود خزائن ملكوت العليين، ألا ترى كيف قال عليه السلام: «وأهل العليين ذوو الألباب»[1].

وجنود النفس من ملكوت الأرض، وجنودها من خزائن ملكوت قهر الصفة، فالملك الملهم مع جنود الروح والعقل، والشيطان مع جنود النفس، وذكرت أوصاف هذه الجنود في بعض ما أنشأت في هذا الكتاب، لكن أشير إلى ما هو أفصح.

وافهم أن جنود الروح بعضها ما خلق في ذاته من أنوار الأخلاق الربانية، وبعضها ما يرد عليه من كشف ملكوت الحق والعقل، هكذا خلق في طبعه من أنوار الأخلاق الروحانية، وبعضها يزل عليه من ملكوت الغيب، وللقلب أخلاق سماوية وأخلاق أرضية.

فأما الأخلاق السماوية فهي أخلاق الملائكة، والأخلاق الأرضية أخلاق

---

(١) لم أقف عليه.

لطيفة أخفاها الله في طينة آدم من حُلم، وسخاء، وكرم، وحياء، ولطف، وإماتة، ودِبَابَة، وشفقة، ورحمة، وأمثالها.

وأما جنود النفس، فهي خلقت في طبع النفس، فبعضها من إمداد عالم القهر وجنودها، وهي كل خلق دني، وذلك معروف في الكتاب والسنة، مثل: الشهوة، والغضب، والشره، والبطر، والحرص، والبخل، والرياء، والسمعة، والقبح، والفحش، وكثرة الأكل والنوم والكلام، وتجتمع في النفس.

وموضع طبعها، ومعادن شرها الصفات السبعية، والبهيمية، والشيطانية، فمن حيث غضبها مثل: السباع الضواري في الحرب، والضرب، والعداوة، ومن حيث الشهوة مثل: البهائم في الشره، والبطر، والحرص، والشبق، ومن حيث الشيطنة يستعمل المكريات، والحيل، والخداع، واستبطان النفاق في إضلال صاحبها، وليس لمكرها حد؛ لأنها تقرأ الفجور من لوح القهر، قال تعالى: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**﴾ [الشمس:٨].

ذكرت بعض أوصاف النفس، ثم افهم أن القلوب معادن ما ذكرنا من الأقسام التي أشرت إليها في أوصاف الروح والعقل والنفس؛ لأنها عالم الغيب، وخزائن ملكوت، الحق يتصرف فيها بالأحكام الربوبية.

ثم جعل الله تعالى القلوب أربعة: قلوب الفاسقين، وقلوب الكافرين، وقلوب المنافقين، وقلوب المؤمنين، ووصف الجميع في كتابه، فوصف قلوب أهل الفسق بالقساوة والشدة والصلابة بقوله: ﴿**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**﴾ [البقرة:٧٤]، فشبه قلوبهم بالحجارة، وزاد في صعوبتها

وقساوتها بقوله: ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]، وبيّن أن الحجارة مع صعوبتها تلين وترق وتخشع عند عظمة الله، وظهور كبريائه فقال: ﴿وَإِنَّ مِنَ الحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ المَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾ [البقرة:٧٤].

وفيه توبيخ أهل الفسق حيث قلوبهم أشد من الحديد والحجارة، زاد في وصف تلك القلوب بالرَّان بقوله: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] أي: غلب على قلوبهم كسب القلوب.

ووصف قلوب الكافرين بأنها في غاية الضلال، والبعد عن استماع كلامه حاكيًا عن قلوبهم حيث تعللوا في مواجهة سماع الخطاب بقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ [البقرة:٨٨] أي: في غلاف الكفر، ووصف قلوبهم بالزيغ عن الحق عند طلبهم حقائق المتشابهات لطلب الفتنة بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:٧].

ثم أوعدهم بالويل والثبور من تنافر قلوبهم عند ذكره، وقساوتها عند سماع ذكره، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللهِ﴾ [الزمر:٢٢]، ثم بين سبحانه أنه يجازيهم بإلقائه الرعب والجبانة في قلوبهم بقوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [آل عمران:١٥١] ليجبنوا عند لقاء أولياء الله فيفروا وينهزموا عن أهل الحق.

ووصف قلوب المنافقين بالشك والمرض والفتور عن الحق بقوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة:١٠]، ثم أوجب مزيد الشك والمرض على مرضهم

بقوله: ﴿فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ [البقرة:١٠]، ثم أوعدهم بأليم عذابه بقوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٠]، ثم أعلم نبيه ﷺ أنهم يجدون من كشف الله عن سرائرهم الفاسدة، وعقود قلوبهم الرديئة بقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة:٦٤]، وزاد في ذمهم؛ لأنهم أهل الخداع بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ﴾ [النساء:١٤٢].

وأعلمنا أنهم أهل كسل وبطالة عند ورود الأمر بالصلاة والذكر، وإن صلوا وذكروا قليلاً لا يفعلون ذلك إلا بالرياء والسمعة، وهم أهل الشك، والنفاق، والتردد في الدين بآية جامعة في ذمهم فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً*مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء:١٤٣،١٤٢]، هذا جملة أوصاف قلوب أهل النفاق.

ثم بَيّن الله تعالى أن قلوب الطائفة الثالثة من الفسقة والكفرة والمنافقين مختومة مراده عرف إشارة قوله ﷺ: «**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»(١)، وما كان من إشارة قوله: «**خلق الله آدم على صورته**»(٢).

من رأى صورة الإنسان ويرى ما ذكرنا فيه بعين الحقيقة فقد رأى الحق؛ لذلك قال ﷺ: «**من رآني فقد رأى الحق، ومن عرفني فقد عرف الحق**»(٣)؛ لأنه مرآة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري (٦/ ٢٥٦٨)، ومسلم (٤/ ١٧٧٦) بنحوه.

تجلِّي الحق تبارك وتعالى(١).

(١) أي: رأى الله على قول بعض أهل الإشارات حيث جعل رؤية العبد له ﷺ يقظة أو منامًا رؤية للحق سبحانه.

ولما كان قيامه بحق التجليين تجلي الذات وتجلي الصفات، وتوفيته بأدائهما عبَّر عن ذلك في الصلاة البكرية بقوله: (عبدك من حيث أنت كما هو عبدك من حيث أسماؤك وصفاتك).

وبالحق: أي بذاته لا بشيءٍ دونها، بتجليه لَه كان عن الذات العلية لا عن غيرها. ذكره في الجواهر والرماح.

وما أخرجه الترمذي وقال حسن غريب عن جابر قال: دعا رسول الله ﷺ علياً يوم الطائف فانتجاه فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه فقال رسول الله ﷺ: «ما انتجيته ولكن الله انتجاه»، حيث جعل انتجاءه ﷺ لعلي انتجاء منه تعالى له.

ولهذا نظائر في الكتاب والسنة ينـزل الحق تعالى فيها عبده حالة قيام بعض الأوصاف والحالات به منـزلة نفسه ويضيف أوصافه وحالاته إليه حتى كأنها حالة به وهو المنـزه عن اتحاده بغيره أو حلوله به أو قيام أوصاف خلقه به تعالى عن ذلك علوا كبيراً وإنما ذلك كله إشارة إلى مظهريته تعالى عن ذلك وتجليه في خلقه فيصير العبد مرآة لظهور ذاته تعالى وصفاته من غير اتحاد به ولا حلول فيه ولا تشبيه ولا تكييف ولا تغير لذاته العلية عما هي عليه من التنـزيه بل على حسب ما يليق به ويعلمه هو سبحانه، ومعلوم أن أكمل مظاهره تعالى وأعلاها على الإطلاق مظهريته ﷺ فهو المظهر الأتم والمجلى الأعظم ﷺ فلذا كان في مجاز القول هو هو وكانت ذاته من ذات الله وأوصافه من أوصافه وبيعته بيعة الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله وحكمه حكم الله وأمره كله أمر الله ومن انتجاه فقد انتجاه الله فأي تمليك أعلى من هذا وأي تحكيم أرفع منه وأي استخلاف يصل إليه، وقد عد في تحفة الأخيار من أسمائه ﷺ «المبايع» أخذا من هذه الآية ثم قال في تفسيره ما نصه: وأما المبايع فلقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح:١٠] وقد أخذ الله تعالى العهد والميثاق على جميع النبيين لئن جاءهم ليؤمنن به ويتبعوه وينصروه، وأخذوا العهد بذلك على أممهم فقد بايعه الناس أجمعون من السابقين واللاحقين قال: ولم أر من ذكر هذا في الأسماء.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيرى في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح:١٠] أي عقدك عليهم هو عقد الله يعني المبايعة مفاعلة من البيع لأن ﴿إِن اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١] ثم قال: وفي هذه الآية تصريح بعين الجمع كما قال ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

قال شيخ شيوخنا أبو محمد عبد الرحمن أي ابن محمد الفاسي يعني وكما في حديث: فإذا أحببته كنت سمعه ويديه وسائر قواه الذي هو سر الخلافة والبقاء بالله. والله أعلم. وقال الإمام الورتجيبى في الآية المذكورة صرح تعالى بأنه ﷺ مرآة ظهور ذاته وصفاته كما أشرنا يعني في قوله: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ [الأحزاب:٤٥] وهو مقام الاتصاف والاتحاد بأنوار الذات والصفات في نور الفعل فصار هو هو، إذ غاب الفعل في الصفة وغابت الصفة في الذات وإلى ذلك يشير الحلاج وغيره.

وقال الشيخ أبو طالب المكي في كتابه القوت هذه أن آية في كتاب الله عز وجل، وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله ﷺ لأنه جعله في اللفظ بدلا عنه وفي الحكم مقامه، ولم يدخل بينه وبينه كاف التشبيه فيقول كأنما ولا لام الملك فيقول لله، وليس هذا المقام من الربوبية لخلاف رسول الله ﷺ، انتهى كلام صاحب تحفة الأخيار بلفظه.

وقال الشيخ إسماعيل حقي: وأمَّا المعنى الحقيقي للحديث فهو: إن مَن رآه ﷺ في المنام، أو في اليقظة؛ فقد رأى الحق سبحانه وتعالى؛ لأن الله تعالى خلق آدم على صورته؛ وهو ﷺ أكمل أفراد آدم، فقد خلقه على صورته الحقيقية الأسمائية والصفاتية، فمَن رآه، وهو مظهر تام الحقائق جميع الأسماء والصفات؛ فقد رأى الحقيقة الإلهية متجلية بجميع الحقائق.

وكذا مَن رأى خليفة من خلفائه ونوابه؛ فقد رآه؛ لأنه صورة من صورة الكلية؛ وبوساطة رؤيته رأى الله تعالى، فالله تعالى مرئي أبدًا في الصورة المحمَّدية الكلية الصورة الإنسانية؛ ولكن

فهذه الأوصاف والصفات يتجلى منها للعالمين، ولو بقي الإنسان كما كان في المعدن الأصيل -أعني آدم- لم يطق الخلائق أن ينظروا إليه؛ لأن آدم لما صدر من الغيب على كسوة القدس وما كساه الحق من أنوار صفاته وسنا جلاله لم يطق الملائكة أن ينظروا إلى وجه آدم؛ لأنه كان حديث العهد من الفياض الوهاب الذي فاض نور وجهه من وجه آدم، ولذلك صار قبلة الملائكة، وكان أحسن الخلق حتى أن الله تعالى أمره أن يدور في الجنة، وينظر إلى ما خلق الله من الحور والولدان والغلمان، فدار في الجنة جمعها ولم ير أحداً أحسن منه فرقص في الفرح بذلك.

وكانت حواء -عليها السلام- شقيقته، وكانت أحسن من الحور، وذلك من تأثير تجلي صفاته وذاته، حين خلقهما بان لهما في إيجاده إياهما، فذلك النور فاض وشاع من آدم وحواء في أولاده كما روي في الحديث:

المحجوبين لا يرونه في عين رؤيتهم؛ لاحتجابهم بأنفسهم عنه، ولو كُوشفوا عن حقائقهم لرأوا أن حقائقهم عين الحقيقة المحمَّدية، ولو من وجه الجزئية، كما أن الحقيقة المحمَّدية عين الحقيقة الإلهية من وجه الكلية؛ لأن لم يكن في الإمكان أبدع مما كان، فالله تعالى ظاهر لأُولي الأبصار، باطن عن أعين الأغيار، وليس في البين إلا حجاب الغفلة.

وفي «الإلمام والإعلام» بنقله من بحور علم ما تضمنته صلاة القطب مولانا عبد السلام للشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن زكرى الفاسي ما نصه: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ [الفتح:١٠] جعل نبيه مرآة لظهور ذاته وصفاته وقال في قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الفتح :٩] أي ليشاهدوا بأسرارهم الله ويدركوك في محل الجلال والجمال ويعرفوا قدرك في قدرى وقدرى في قدرك حيث صرت مرآتي أتجلى منك لهم؛ لذلك قال ﷺ: «من رآني فقد رأى الحق» انتهى.

«إن سارة - عليها السلام- كانت أحسن الخلائق على وجه الأرض»(١) .

وكان حُسن يوسف عليه السلام معجزة له، قال عليه السلام: «**لقد أعطي يوسف شطر الحسن**»(٢) وكان إذا آن الحامل تضع حملها فعلت ما فعلته صويحباته، وبذلك السبب كان مسجد الأنبياء والشمس والقمر والسيارات قال تعالى: **﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾** [يوسف:٤].

وقيل في التفسير: كان سبب حُسن يوسف حُسن إسحاق وحُسن سارة، وسبب حُسن سارة حُسن حواء، وقيل: إن حسن حواء من حسن آدم، وحسن آدم خرج من معدن القدس الذي هو مصدر كل حُسن وحَسن، وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**مررت ليلة أسري بي عالي السماء، فرأيت يوسف، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا يوسف، قالوا : وكيف يا رسول الله رأيته؟ قال: كالقمر ليلة البدر**»(٣) ، وروي عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعطي يوسف وأمه شطر الحُسن**»(٤).

وعن أبي إسحاق بن عبد الله قال: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يُرى تلألأ وجهه على الجدران، كما يُرى نور الشمس والماء على الجدران.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٢٢٥)، ومسلم (٤/ ١٨٤٠).

(٢) رواه أبويعلى في «مسنده» (٦/ ١٠٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٤٢)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٢).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ١٤٣).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٢٢)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ٣٤٧)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٣٨٥).

وقال كعب الأحبار: إن الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر، فأراه الأنبياء-عليهم السلام- شيئًا شيئًا فأراه في الطبقة السادسة يوسف متوجًا بتاج الوقار، متزرًا بحلة الشرف، مرتديًا برد الكرامة، وقميص البهاء، وفي يده قضيب الملك، وعن يمينه سبعون ألف ملك، وعن يساره سبعون ألف ملك، ومن خلفه أمم الأنبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس، وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيث مازال، وتحول حيث ما حال، فلما رآه آدم قال: إلهي من هذا الكريم الذي أبحت له بحبوحة الكرامة، ورفعت له الدرجة العلية؟ قال: يا آدم، هذا ابنك المحسود على ما آتيته، قال آدم: قد نحلته ثلثي حسن ذريتي، ثم ضم آدم يوسف إلى صدره، وقبله بين عينيه، وقال: يا بني، لا تأسف، فأنت يوسف، فأول من سماه يوسف آدم، فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين، وقسم بين العباد الثلث، وكان يشبه آدم يوم خلقه الله تعالى بيده، وصوره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية، وقد كان الله أعطاه الحسن والبهاء والجمال، يوم خلقه فلما عصى نزع الله تعالى ذلك منه، ووهب لآدم الثلث من الجمال حين تاب عليه وأعطى الله تعالى يوسف الحسن والجمال والبهاء، الذي كان نزعه من آدم حين أصاب الذنب، وذلك أن الله تعالى أحب أن يري العباد إنه قادر على ما يشاء، فأعطى يوسف من الجمال ما لم يعط أحدًا من الخلق، وكان حسن يوسف كضوء النهار على الليل، وكان يوسف أبيض اللون، حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العين، مستوي الخلق، غليظ الساقين والساعدين والعضدين، خميص البطن، قني الأنف، صغير السرة، وكان بخده الأيمن خال أسود، وكان ذلك الخال تزين وجهه، وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر، وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور، وكان إذا تبسم رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور ينتهر من ثناياه،

ولا تقدر ولا أحد على وصف يوسف .

وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**هبط عليّ جبريل، فقال: يا محمد، إن الله تعالى يقول لك: كسوت حسن وجه يوسف من نور الكرسي، وكسوت نور وجهك من نور عرشي**»(١).

قيل لبعض الحكماء: يوسف أحسن أم محمد ﷺ؟ فقال: يوسف من أحسن الناس، ومحمد أحسن الناس، يدل عليه حديث حدثنيه جابر بن عبد الله، قال: «**نظرت إلى رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء، فنظرت إلى القمر ليلة البدر، فهو في عيني أحسن من القمر**»(٢)، ونعم ما قال؛ لأن حبيب الله -صلوات الرحمن عليه- كان المنبع الثاني من مصدر الأول ، ونشعت منه جميع الكون من العرش إلى الثرى، ومنه فاض حسن آدم وحواء وجميع الحسن في العالم، ولزيادة قربه من الله زاد جماله وجلاله على جميع الخلائق من العرش إلى الثرى، ومن قدر قربه إلى معدن الأصل ومصدر الكل زاد نوره وجماله، وقد وصف الله تعالى موسى كليمه بالحسن والملاحة حيث قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩]، قيل: الملاحة في عينيه لا يراه أحد إلا أحبه.

وفي الحديث: «إنه لما كلمه الله ظهر على وجهه نور من الحق لا يطيق أحد أن يراه»، وكان مبرقعًا إلى آخر عمره، وكان نبينا ﷺ إذا مرَّ على صحراء سجد له الشجر

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٤/ ٣٤٢)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٣٩).

(٢) رواه مسلم (٤/ ١٨١٨) بنحوه، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٢٨١)، وأبويعلى في «مسنده» (٣/ ٢٦٢).

والحجر، ولولا ذلك النور والبرهان لما فاق على جميع الأولين والآخرين.

وهذه الإشارات بجملتها موجودة في آيةٍ من كتاب الله سبحانه ضرب مثل نوره في آدم وذريته وجميع الأولياء والأنبياء والمؤمنين بقوله: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥][1].

---

(١) (النور) ورد في القرآن والسنة بمعنى الضوء المنتشر الذى يعين على الإبصار وهو المحسوس بعين البصر ، نحو قوله : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:٥] ويطلق أيضًا على نور الإيمان والبصيرة ونور العقل ونور القرآن وحجاب الحق، والنور المحسوس بمدار الإنسان في الآخرة .

والنور أيضًا ورد كوصف لله تعالى ، فمن ذلك قوله :﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢] وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].

ومن النور الذى هو حجاب الحق ، ما روى عن أبي موسى الأشعرى ﷺ قال : «قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات وذكر منها .. حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ،ما انتهى إليه بصره من خلقه»، أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم (١٧٩) ١/ ١٦١ وانظر: المفردات في غريب القرآن ص٥٠٨ ، لسان العرب لابن منظور ، مادة نور .

ومن النور الأخروى قوله تعالى :﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ [الحديد:١٣]، وسمى اللهَّ تعالى نفسه نورًا فقال سبحانه وتعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] وتسميته تعالى بذلك لمبالغة فعله .

قد أوضح الحق بيان ما ذكرنا في صدر الفصل، وما أشرنا إلى موضع الاتحاد

والنور في اصطلاح الصوفية يطلق على نور الوجود ، يقول الشيخ ابن عربى : «والله نور منبسط على جميع الموجودات يسمى نور الوجود ، والله تعالى أخرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود ، فكنا نورا بإذن ربنا إلى صراط العزيز الحميد فنقلنا من النور إلى ظلمة الحيرة».

ويتضح معنى النور أكثر إذا علمنا مقصوده بنور الشهود ، فيقول الشيخ ابن عربى حديث: «من عرف نفسه عرف ربه»، فيعلم أنه الحق فيخرج العارف المؤمن الحق بولايته، التى أعطاه الله من ظلمة الغيب إلى نور الشهود ، فيشهد ما كان غيبا له ، فيعطيه كونه مشهودًا.

ويفسر الكاشاني النور في القرآن من منظور مذهب الشيخ ابن العربي، فقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صفة وجوده وظهوره في العالمين بظهورها به كمثل ﴿مِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾، وهى إشارة إلى الجسد لظلمته في نفسه ، وتنوره بنور الروح فلما وجد الوجود بوجوده وظهر بظهوره، كان نور السماوات والأرض أي: مظهر سماوات الأرواح وأرض الأجساد، وهو الوجود المطلق الذي وجد به ما وجد من الموجودات والإضاءة، والنور الإلهي هو المعبر عنه باللوح المحفوظ وهو نور ذات الله تعالى ، ونور ذاته عين ذاته لاستحالة التبعيض والانقسام عليه، فهو حق مطلق وهو المعبر عنه بالنفس الكلية.

ويرى الشيخ عبد الكريم الجيلي - من أبرز أعلام مدرسة الشيخ ابن عربى - أن النور الأحدي هو نور محمدﷺ وهو التجلي الأول، وهو ظهور الذات لذاتها في عين وحدتها فلكونه أول التعينات، قالﷺ: «أول ما خلق الله نوري» وهو روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

قلت : أصل جميع الأسماء الإلهية، ومن بين كل ما ورد من الأدلة القرآنية والنبوية وهو كثير جدًّا تخير المستشرق الفرنسى لويس ما سينيون بالذات الآية الخامسة والثلاثين من سورة النور:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥] ليرد إليها مصطلح (النور).

انظر: الفتوحات المكية ٣/ ٤١٢، وفصوص الحكم ص١٢٢، ١٢٣، وتفسير القرآن الكريم للكاشاني، ولكنه منسوب لابن عربي ٢/ ٣٥، ولطائف الإعلام ٢/ ٣٦٦ .

وعين الجمع الخارج من وهم أهل الحلول والتشبيه(١) ظهر نوره في سماء الروح،

(١) **فائدة مهمة**: قال الشيخ إبراهيم الكوراني: فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلُها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»، وقد وقع من طائفة من المتكلمين والفقهاء الإنكار على الشيخ الإمام أن الحقائق أُعجوبة الخلائق الوارث المحمدي الشيخ مُحيي الدين محمد بن علي ابن العربي الطائي الحاتمي نفع الله به، وعلى محققي أتباعه كالشيخ صدر الدين محمد بن إسحاق القونوي، والشيخ شرف الدين إسماعيل ابن سودكين النوري، وغيرهما ممن هو على مشربهم من القول بتوحيد الوجود في تعدد الموجود نفع الله بهم بأنهم قائلون بالتجسيم أو الاتحاد أو العينية أو الحلول، وهم برآء من ذلك كله، وأن منشأ إنكارهم سُوء الفهم لكلامهم، وعدم تنزيله على أصولهم المؤيدة بالبرهان بعد كونها مدركة بالعيان؛ لعدم العلم باصطلاحاتهم فكان اللائق بهم عدم الخوض إلا بعد معرفة الاصطلاح، فإن العلوم الرسمية مع أن أصولها مأخوذة من طور العقلة من حيث إنها منكرة لا يسلك فيها بالإرشاد أستاذ فيها، فكيف يسوغ لعاقل التعرض لكلام طائفة أصول علمهم من العلم اللدني؟

والفيض الإلهي فوق طور العقول من حيث إنها منكرة لكنها تدركها من حيث إنها قابلة بالوهب الإلهي.

قال الشيخ محيي الدين نفع الله تعالى به في كتاب «الفناء في المشاهدة»: ينبغي لمن وقع في يده كتاب في علم لا يعرفه ولا سلك طريقه ألا يبدي فيه ولا يعيد، وأن يرده إلى آخره، ولا يؤمن به ولا يكفر، ولا يخوض فيه ألبتة: «رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه»، ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس : ٣٩]، ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ﴾ [آل عمران : ٦٦]، فقد ورد فيهم الذم بحيث تكلموا فيما لم يسلكوا طريقه، وإنما يتبعوا هذا كله؛ لأن كتب أهل طريقتنا مشحونة من هذه الأسرار، ويتسلط عليها أهل الأفكار بأفكارهم، وأهل الظاهر بأول احتمالات الكلام فيقعون فيهم، ولو سألوا عن مجرد اصطلاح القوم الذي تواطؤا عليه في عباراتهم ما عرفوه، فكيف ينبغي لهم أن يتكلموا فيما لم يحكموا أصله؟ انتهى.

ولما كانت تلك الشبهات الصادرة عن المنكرين أذى في طريق عقائد المؤمنين أردتُ بتوفيق الله تقرير أصولهم، وتحرير كلامهم، ونقل نصوصهم الدالة على مرامهم المؤيدة بالبراهين، إماطة لأذى الشبهات عن طريق عقائد المسلمين لتبين للذكي الطالب أنهم على الحق المبين.

فأقول وبالله التوفيق: مقدمة فيها تنبيهات الأول: الوجود المحض المجرد عن الماهية القائم بذاته المتعين بذاته هو الواجب الوجود لذاته، إذ قد ثبت بالبرهان أن الواجب الوجود لذاته موجود لذاته موجود، فهو إما الوجود المحض المتعين بذاته، أو الوجود المقترن بالماهية المتعين بحسب استعدادها، أو الماهية المعروضة للوجود المتعين بحسبها، أو المجموع المركب من الماهية، والوجود المتعين بحسبها لا سبيل إلى شيء من الشقوق الثلاثة الأخيرة.

أما الثاني: فلأن التركيب من لوازم الاحتياج.

وأما الثالث: فلاحتياج الماهية في تحققها الخارجي إلى الوجود.

وأما الرابع: فلاحتياج الوجود إلى الماهية في تشخصه بحسبها، والاحتياج ينافي الوجوب فتعين الأول.

الثاني: ماهيات الممكنات معدومات متميزة في أنفسها تميزًا ذاتيًا ثابتة في نفس الأمر الذي هو علم الله تعالى باعتبار عدم مغايرته للذات الأقدس، والعلم باعتبار مغايرته للذات تابع للمعلوم أي: متعلق به كاشف له على ما هو عليه في نفسه، فالعلم بهذا الاعتبار كاشف المتميزات الثابتة في نفس الأمر الذاتية للماهيات، فالماهيات في ثبوتها غير مجهولة، لأن الجعل تابع للإرادة التابعة للعلم التابع للمعلوم الذي هو المعدوم الثابت في نفس الأمر، والمتبوع بمراتب لا يصح أن يصير تابعًا، وماهيات الممكنات الغير المجعولة هي الأعيان الثابتة في اصطلاحهم.

قال الشيخ محيي الدين قدس سره ونفع به في الباب التاسع والسبعين ومائتين: الموجودات لها أعيان ثابتة حال اتصافهم بالعدم الذي هو للممكن لا للمحال.

وقال في الباب الثالث والسبعين وثلاثمائة: فإن الأمور أعني: الممكنات متميزة في ذواتها في حال عدمها.

وقال في الفصل الرابع والعشرين من الباب الثالث والسبعين: إن في مقابلة وجوده تعالى أعيانًا ثابتة لا وجود لها إلا بطريق الاستفادة من وجود الحق فتكون مظاهرة في ذلك الاتصاف بالوجود، وهي أعيان لذاتها ما هي أعيان لموجب ولا لعلة، كما أن وجود الحق لذاته لا لعلة، وكما أن الغنى لله ذاتي على الإطلاق، فالفقد لهذه الأعيان على الإطلاق إلى هذا الغنى الواجب الغنى بذاته لذاته.

وقال في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة: العالم أصله الفقر، والمسكنة في ظهور عينه لا في عينه، وإنما قلنا: لا في عينه؛ لأن أعيانها لا نفسها ما هي بجعل جاعل، وإنما الأحوال التي يتصرف فيها من وجود وعدم، وغير ذلك فيها يقع الفقر إلى من يظهر حكمها في هذه العين انتهى، وهذه الأعيان الثابتة لها استعدادات ذاتية.

قال الشيخ محيي الدين نفع الله به في الباب السابع والسبعين ومائتين: أما كونه أي: المعدوم الممكن معدًا لما حصل له، فلا بد أن يكون في نفسه على ذلك لا بجعل جاعل، وأخفاه العدم الممكن، فلولا أن العدم الممكن هو معد في نفسه لقبول أثر المرجح ما كان له الترجيح إلى أحد الجانبين في وقت، وترجيح الجانب الآخر في وقت آخر انتهى.

وقال في الباب الثالث والستين وأربعمائة: الاستعداد المؤثر إنما هو في الخلق، وهو استعداد ذاتي، وأما الاستعداد العرضي فرتب أظهرها الاستعداد الذاتي، وغاب هذا القدر من العلم عن أكثر الخلق انتهى.

قال في الباب الموفي الستين وخمسمائة: ما ظهر حكم في موجود إلا بما هو عليه في حال العدم في ثبوته الذي علمه الله تعالى منه ﴿فَلله الحُجَّةُ البَالِغَةُ﴾ [الأنعام : ١٤٩] على كل أحد مهما وقع نزاع ومحاجة انتهى.

وقال في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة: هو بديع كل شيء على غير مثال وجودي إلا أنه على مثال نفسه وعينه من حيث إنه ما ظهر عينه في الوجود إلا بحكم عينه في الثبوت من غير زيادة ولا نقصان انتهى.

وقال الشيخ صدر الدين القونوي نفع الله به في «مفتاح الغيب»: الحقائق من حيث معلوميتها لا

توصف بالجعل عند المحققين من أهل الكشف والنظر أيضًا، إذ المجهول هو الموجود فما لا وجود له لا يكون مجهولاً.

وقال في «إعجاز البيان»: اعلم أن التمييز للعلم، والتوحيد للوجود لا بمعنى أن العلم يكسب المعلوم التميز بعد أن لم يكن متميزًا بل بمعنى أنه يظهر تمييزه المستور عن المدارك؛ لأنه نور والنور له الكشف قد يكشف هو التميزات الثابتة في نفس الأمر، وتوحيد الوجود هنا عبارة عن انبساطه على الحقائق المتميزة في علم الموجد أزلاً فيوجد كثرتها.

الثالث: قال الشيخ محيي الدين نفع الله به في الباب السابع والسبعين ومائة: حقيقة الخيال المطلق هو المسمى بالعماء فتح الله في ذلك العماء صور كل ما سواه من العالم، وهو المعبر عنه بظاهر الحق في قوله تعالى: هو هُوَ ﴿الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد:٣]، وظهوره بالنفس، وكان أصل ذلك الحب وقع التنفس فظهر النفس فكان العماء؛ فلهذا وقع عليه الشارع اسم العماء، والحقائق لا تتبدل وحقيقة الخيال لها التبدل في كل حال والظهور في كل صورة، فلا وجود حقيقي لا يقبل التبديل إلا ذات الحق، فما في الوجود المحقق إلا الله، وأما سواه ففي الوجود الخيالي، وإذا ظهر الحق في هذا الوجود الخيالي ما يظهر فيه إلا بحسب حقيقته لا بذاته التي لها الوجود الحقيقي، وبهذا جاء الحديث الصحيح بنحو له في الصور في تجليه لعباده، فكل ما سوى الحق فهو في مقام الاستحالة فلا شيء مما سوى ذات الحق على حالة واحدة بل يتبدل من صورة إلى صورة دائمًا أبدًا، وليس الخيال إلا هذا فهذا عين معقولة الخيال.. إلخ انتهى.

فهذا العماء الذي فتح الله فيه صور ما سواه من العالم هو الوجود القابض المنبسط على حقائق الممكنات؛ ولهذا قال القونوي: وتوحيد الوجود هنا عبارة عن انبساطه على الحقائق المتميزة في علم الموجد أزلاً فيوجد كثرتها يعني: تظهر صور الممكنات فيه على مقتضى استعدادات حقائقها الغير المجعولة المختلفة من اللطافة والكثافة والعلو والسفل، والصغر والكبر، والألوان والأشكال، فالوجود المنبسط عليها وهو العبد الذي هو صورة النفس الرحماني موجود في الخارج، وإلا لم يوجد شيء من الممكنات إذ المعدوم لا يحصل للماهية بضمه إليها

وصف لم تكن عليه قبل الضم؛ لأن الوجود المعدوم كالماهية في كونه محتاجًا إلى وجود يتحقق به في الخارج، وما هو كذلك لا يترتب على الماهية بضمه إليها آثارها المختصة بها؛ لأنها ما زادها إلا افتقارًا، فلو كانت توجد بصفة الافتقار لكانت توجد بافتقارها الذاتي قبل الضم، واللازم ضروري البطلان.

فلا بد أن يكون الوجود الفائض على الماهيات موجودًا في الخارج بوجود هو نفسه حتى يصح أن يظهر فيه صور الممكنات، وهو واحد والصورة متعددة مختلفة بسبب اختلاف مقتضيات حقائقها الغير المجعولة، فصح أنه يوجد كثرتها لكون جميع الصور ظاهرة فيه لا في غيره وهو واحد.

الرابع: قال الشيخ محيي الدين نفع الله به في الباب الثاني من «الفتوحات»: إن الحق تعالى موجودٌ بذاته مطلق الوجود غير مقيد بغيره، ولا معلول من شيء، ولا علة لشيء، بل هو خالق المعلولات والعلل والملك القدوس الذي لم يزل، وإن العالم موجود بالله لا بنفسه ولا لنفسه مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته، فلا يصح وجود العالم ألبتة إلا بوجود الحق تعالى إلخ.

وقال في الباب السادس: الحق تعالى هو الموصوف بالوجود المطلق؛ لأنه سبحانه ليس معلولاً لشيء ولا علة لشيء، بل موجود بذاته انتهى.

واعلم أن تصريح الشيخ -نفع الله به- بأنه تعالى موجود بذاته دليل على أن الواجب لذاته هو الوجود المحض المتعين لذاته فإن المتعين بأمر زائد على ذاته، أو بمقتضى الماهية محتاج إلى الغير، وذلك ينافي الوجوب الذاتي، ثم تصريحه بأنه غير مقيد بغيره فليس بمعلول ولا علة، إما أولاً: فلأن المعلول لا يصح وجوده بدون العلة فهو مقيد بها غير مطلق الوجود، فلهذا قال: وإن العالم موجود بالله لا بنفسه ولا لنفسه، مقيد الوجود بوجود الحق في ذاته، فلا يصح وجود العالم ألبتة إلا بوجود الحق.

وأما الثاني: فلأن العلية تقتضي الارتباط بالعالم لامتناع انفكاك العالم عن علته التامة، والموجود بذاته لذاته غنيٌ عن العالمين بالذات، ومقتضى الغنى الذاتي عدم الارتباط بالعالم؛ لأن بين الغنى الذاتي عن العالمين، والارتباط الواجب بشيءٍ منها منافاة محققة، فوجب أن يكون الحق

تعالى مطلق الوجود بهذا المعنى كما قال في الباب الرابع والستين وثلاثمائة: إن الله تعالى له الأسماء الحسنى، وهي التي تطلب العالم، وهو من حيث هو غني عن العالمين، فالأسماء الإلهية لها التصريف وبها التصريف، وهو غني عن العالمين في حال تصرفه انتهى.

فالله تعالى خالق الأشياء باختياره على وفق حكمته بمقتضى جوده ورحمته من غير وجوب ارتباطه بشيء منها، فهذا نصوصه الدالة على مراده بمطلق الوجوه، وذلك أوضح دليل على خطأ من فسر المطلق في كلامه بالكلي الذي لا يتحقق إلا في ضمن إفراده، وسبحان الله كيف يتوهم ذلك عاقل بعد أن يسمع التصريح بأن الله تعالى موجود بذاته لذاته؟ وكيف يظن عاقل أن الموجود بذاته لذاته كلي الحق؟ ﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون : ٩١]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٤٠].

واعلم أنه العلامة التفتازاني ممن فهم من المطلق معنى الكلي فبسط الكلام في ردِّهم في: «شرح المقاصد» مع أنه نقل عنهم أن الموجود المطلق واحد شخصي موجود بوجود هو نفسه، وأن التكثر في الموجودات، فسبحان مقلب القلوب، أفلا يتدبرون الكلام؟ ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤].

وقد رددته عليه عقلاً ونقلاً في «إتحاف الذكي» فليراجع من أراد الإطلاع على رده على التفصيل ﴿وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

وإذا علمت ما تقدم من تقرير كلامهم وتحرير مرامهم فتقول: إما أن الشيخ محيي الدين وأتباعه نفع الله بهم لم يقولوا بالتجسيم فلما تبين أن الحق تعالى عندهم هو الوجود المحض الموجود بذاته القائم بذاته المتعين بذاته، وكل جسم فهو صورة في الوجود المنبسط على الحقائق المعبر عنها بالعماء متعينة بمقتضى استعداد ماهيته المعدومة، ولا شيء من الوجود المجرد عن الماهية المتعين بذاته بالصورة المتعينة في الوجود المنبسط بمقتضى الماهية المعدومة، فلا شيء من الجسم بالوجود المجرد عن الماهية المتعين بذاته، وتنعكس إلى لا شيء من الوجود المجرد عن الماهية المتعين بذاته بجسم وهو المطلوب.

قال الشيخ محيي الدين -نفع الله به- في فصل المعرفة من «الفتوحات»: عجبت من طائفتين

كبيرتين الأشاعرة والمجسمة في غلطهم في اللفظ المشترك كيف جعلوه للتشبيه، ولا يكون التشبيه إلا في لفظ المثل أو كاف الصفة بين الأمرين في اللسان، وهذا عزيز الوجود في كل ما جعلوه تشبيها من آية أو خبر، وساق الكلام إلى أن قال: ولو قلنا بقولهم لا نعدل من الاستواء الذي هو الاستقرار إلى الاستواء الذي هو الاستيلاء كما عدلوا، ولا سيما فالعرش مذكور في نسبة هذا الاستقراء فيبطل معنى الاستنباط مع ذكر السرير، ويستحيل صرفه إلى معنى آخر ينافي الاستقرار، فكنت أقول: إن التشبيه مثلاً وقع بالاستواء، والاستواء معنى لا بالمستوى الذي هو الجسم، والاستواء حقيقة معقولة معنوية تنسب إلى كل ذات بحسب ما تعطيه حقيقة تلك الذات، ولا حاجة لنا إلى التكلف في صرف الاستواء عن ظاهره.

قال: ولا يمكن عندنا معرفة كيفية ما ينسب إلى الذوات من الأحكام إلا بعد معرفة الذوات المنسوبة إليها، وحينئذ تعرف كيفية النسبة المخصوصة لتلك الذوات المخصوصة كالاستواء والمعية والعين وغير ذلك، وأما المجسمة فلم يكن ينبغي لهم أن يتجاوزوا باللفظ الوارد إلى أحد محتملاته مع إيمانهم ووقوفهم مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] انتهى.

فهذا نصه: بأن القول بالتجسيم غلط، فإن الإيمان بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ينبغي القول بالتجسيم؛ فلهذا أعجب من المجسمة القول به مع إيمانهم بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١]، مع أن الشيخ قائل بإجراء المتشابهات على ظاهرها مع التنزيه بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١] على طريقة السلف، قال فيما رواه عنه: لما اقتضته الحكمة تكونها مطلوبة لموسى عليه السلام ومن حولها وسبحان الله عن التقييد بالصورة والمكان والجهة، وإن ظهر فيها بمقتضى الحكمة لكونه موصوفًا بصفة رب العالمين الواسع القدوس الغني عن العالمين، وما هو كذلك لا يتقيد بشيء من صفة المحدثات؛ ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «سبحانك حيث كنت» (١)

فأثبت له التجلي في حيث ونزهه عن أن يتقيد بذلك ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ [النمل: ٩] أي: المنادى المتجلي في النار ﴿أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [النمل : ٩] فلا أتقيد [بشيء] ما للعزة

الذاتية، لكني الحكيم، ومقتضى الحكمة الظهور في صورة مطلوبك.

فهذه الآية بمقتضى تفسير ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- دالة على أن الله تعالى هو المتجلي في النار بمقتضى حكمته، وأنه منزه عن التقيد بذلك لربوبيته وعزته، وأما تقدير المضاف إلى النار كما ذهب إليه البيضاوي حيث قال: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ [النمل: ٨] وهو كل مَنْ في تلك الوادي وحواليها من أرض الشام.

وقيل: المراد موسى والملائكة الحاضرون فعدوله عن الظاهر ليفر مَن في النار بغير الله تعالى خلافًا لابن عباس ظنًّا منه أن تفسير ابن عباس يستلزم محذورًا، وقد تبين أنه لا محذور فلا حاجة إلى العدول عن الظاهر، وكيف يحسن العدول مع قوله تعالى:

﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ﴾ [النمل:٩] وما يوهمه التجلي في مظهر النار من التشبيه قد أزاله التنزيه بقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [النمل:٨] لمن آمن، ولكن الله أنزله من السماء ماء ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧] فالحمد لله على كل حال، وبالله التوفيق وتحقيق الآمال.

خاتمة فيها تنبيهان الأول: في نقل أقاويل السلف في المتشابهات، وأنهم أجروها على ظواهرها مع التنزيه بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى : ١١].

قال البخاري في صحيحه: «وقال أبو العالية: ﴿اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ ارتفع، وقال مجاهد: ﴿اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ عالٍ على العرش».

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ونقل مُحيي السُنة البغوي في تفسيره عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- وأكثر المفسرين أن معناه: ارتفع، وبنحوه قال أبو عبيدة والفراء وغيرهما.

وأخرج أبو القاسم اللالكائي في كتاب «السُنة» من طريق الحسن البصري عن أمه عن أم سلمة أنها قالت: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر».

ومن طريق ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه سُئل: كيف استوى على العرش؟ فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وعلى الله إرساله، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم»

وأخرج البيهقي بسندٍ جيدٍ عن الأوزاعي أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ [الفرقان:٥٩]: «فقال هو كما وصف نفسه».

وأخرج البيهقي بسندٍ جيد عن عبد الله بن وهب قال: «كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله! ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]: فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه، فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ﴾ كما وصف نفسه، ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة أخرجوه».

ومن طريق يحيى بن يحيى عن مالك نحو المنقول عن أُمِ سَلمة؛ لكن قال فيه: «الإقرار به واجب، والسؤال عنه بدعة».

وأخرج البيهقي من طريق إلى داود الطيالسي قال: كان سفيان الثوري وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمه وشريك وأبو عوانة لا يحدون، ولا يُشبهون، ويرون هذه الأحاديث، ولا يقولون: كيف.

قال أبو داود: وهو قولنا، قال البيهقي: وعلى هذا مضى أكابرنا، وأسند اللالكائي عن محمد بن الحسن الشيباني قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان، والقرآن، والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب من غير شبيه ولا تفسير.

ومن طريق الوليد بن مسلم: قال الأوزاعي ومالك والثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفة فقالوا: أمروها كما جاءت بلا كيف.

وأخرج ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي» عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات وننفي عنها التشبيه، كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].

وأسند البيهقي سند صحيح عن أحمد بن أبي الحواري عن سفيان بن عيينة كما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته، والسكوت عنه.

ومن طريق أبي بكر الضبعي قال: فذهب أهل السنة في قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال: بلا كيف، والآثار فيه عن السلف كثيرة، وهذه طريقة الشافعي وأحمد بن حنبل.

وقال الترمذي في «الجامع» عقب حديث أبي هريرة في النزول: وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه، كذا قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبهه من الصفات.

وقال في باب أفضل الصدقة: قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها، ولا يتوهم ولا يقال كيف، كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أَمروها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكروها وقالوا: هذا تشبيه، فقال إسحاق بن راهويه: إنما يكون التشبيه لو قيل: يدٌ كيد، وسمع كسمع، وقال في تفسير المائدة قال الأئمة: نؤمن بهذه الأحاديث من غير تفسير، منهم الثوري ومالك وابن عيينة وابن المبارك.

وقال ابن عبد البر: أهل السنة مجمعون على الإقرار بهذه الصفات الواردة في الكتاب والسنة، ولم يكيفو أشياء منها.

وقال إمام الحرمين في «الرسالة النظامية»: اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر، فرأى بعضهم تأويلها، والتزام ذلك في آي الكتاب وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى: الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الله عز وجل، والذي نرتضيه رأيًا وندين الله به: عقيدة اتباع سلف الأمة للدليل القاطع: أن إجماع الأمة حجة، فلو كان تأويل هذه الشريعة حتمًا لا في شك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك هو الوجه المتبع انتهى.

وقد تقدم النقل عن أهل العصر الثالث، وهم فقهاء الأمصار كالثوري والأوزاعي ومالك والليث، ومن عاصرهم، وكذا من أخذ عنهم من الأئمة، فكيف لا يؤثر بما اتفق عليه أهل القرون الثلاثة وهم خير القرون بشهادة صاحب الشريعة؟! انتهى كلام ابن حجر.

وقد تقدم أن إجماع القرون الثلاثة على إجرائها على مواردها مع التنزيه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، ودليل على أن الشارع -صلوات الله عليه- أراد بها ظواهرها، والجزم بصدقة ﷺ دليل على عدم المعارض العقلي الدال على نقيض ما دل عليه الدليل النقلي في نفس الأمر، وإن توهمه العاقل في طور النظر والفكر، فقد مرَّ أن معرفة الله التي جاءت به الشريعة من التجلي في المظاهر فوق طور الفكر؛ ولهذا قال ﷺ: «وآمنوا بمتشابهه»، ولم يقل: أولوها بأفكاركم، فلا حاجة إلى التأويل بالفكر؛ فإن التنزيه الصحيح هو التنزيه الشرعي[١]، وهو عدم التقيد بشيء من المظاهر مع التجلي فيما شاء منها كما قال تعالى: ﴿ وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨] بعد قوله: ﴿أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [النمل: ٨].

وقوله ﷺ: «سبحانك حيث كنت» لا التنزيه العقلي الصرف، وهو عدم التجلي في شيء من الظاهر، والحمد لله الأول الآخر.

والتالي نُورد فيه أحاديث مسندة تبركًا وذكرى: أخبرنا شيخنا -العارف بالله- صفي الدين أحمد ابن محمد المدني نفع الله به عن شيخه -العارف بالله- أبي المواهب أحمد ابن علي العباسي التناوي ثم المدني عن الشمس محمد بن أحمد الرملي عن زين الدين زكريا بن محمد الأنصاري عن الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني عن أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد التنوخي عن السند أبي نصر محمد بن محمد المزي عن جده أبي النصر محمد بن هبة الله الشيرازي عن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي عن أبي الحسن عبيد الله بن محمد بن أبي بكر أحمد بن البيهقي عن جده الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي أنا أبو علي الحسين بن محمد الروذباري أنا أبو بكر بن دامة ثنا أبو داود ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن موسى عليه السلام قال: يا رب أرنا الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله ﷻ آدم عليه السلام، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم، قال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك، قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة، قال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت موسى نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب لم يجعل بينك وبينه رسول من خلقه، قال: نعم، قال: فما

وأرض القلب وذلك النور ما قال: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر:٢٢].

وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أُخلق، قال: نعم، قال: تلومني في شيء سبق من الله عز وجل القضاء قبلي؟! قال رسول الله ﷺ: **عند ذلك فحجَّ آدم موسى** عليه السلام».

أخبرنا شيخه العارف بالله صفي الدين أحمد بن محمد المدني نفع الله به بسنده السابق إلى البيهقي: ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن فوركة ثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد ثنا يونس بن حبيب ثنا أبو داود يعني: الطيالسي ثنا حماد بن سلمة عن واصل بن عطاء عن وكيع عن أبي رزين يعني: العقيلي قال: كان النبي ﷺ يكره أن يُسأل، فإذا سأله أبو رزين أعجبه، قال: قلت: يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض؟ قال ﷺ: «**كان في عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء، ثم خلق العرش على الماء**».

أخبرنا شيخنا العارف بالله صفي الدين أحمد بن محمد المدني بسنده إلى البيهقي: أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد الله الحرفي ببغداد ثنا أحمد بن سلمان هو أبو بكر النجار ثنا عبد بن عبد الواحد بن شريك ثنا نعيم بن حماد ثنا عثمان بن كثير بن دينار عن محمد بن مهاجر عن عروة ابن رويم عن عبد الرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله عز وجل معه حيث كان» انتهى.

اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت مالك السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ربُ السماوات والأرض ومن فيهن، اللهم صلِّ على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آله وأصحابه وسلم صلاةً وتسليمًا فائضي البركات على الآفاق والأنفس عدد خلقك بدوامك، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وذلك النُّور في مشكاة القلب، وهو مصباح يزيد نوره بدُهن العقل في قنديل الفؤاد، يتلألأ من صورة الإنسان، ويبرز منها أنوار الربوبية، وذلك الدُّهن لا من شرق ملكوت الأرض، ولا من غرب ملكوت السماء، إنما هو يخرج من برق سنا شجرة قدس القدم، يكاد أن يضيء بنفسه قبل تجلي القدم؛ لأنه نور صدر من الفعل الخاص، ولو لم تمسسه نيران أنوار الكبرياء، لكن غلب نور القدم على نور الحدث، نور على نور وما وهب الحق ذلك النور إلا من اصطفاه الله بما اصطفى آدم ونوحًا وموسى وعيسى وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وزكريا ويحيى ومحمدًا - صلى الله عليهم أجمعين- يهدي الله لنوره من يشاء.

فبان لك بهذا البيان الشافي سبب وجود الإنسان، وشرفه على جميع البرية.

قال بعض الحكماء: خلق الله تعالى الخلق ليظهر كمال وجوده، فلو لم يخلق لما عرف أنه موجود، ولم يظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة؛ لأنها لا تتأتى إلا من قادر حكيم، وليعبدوه فإنه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليه على قدر أفضاله لا على قدر أفعالهم، وإن كان غنيًّا عن عبادة خلقه؛ لأنه لا يزيد في ملكه طاعة المطيعين، ولا ينقص من ملكه معصية العاصين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وليظهر إحسانه؛ فإنه محسن فأوجدهم ليحسن إليهم، ويتفضل عليهم؛ فعامل بعضًا بالعدل، وبعضًا بالفضل، وخلق المؤمنين خاصة للرحمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب:٤٣].

وقال: ﴿لاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨، ١١٩].

قال الإمام جعفر الصادق ﷺ: للرحمة خلقهم وليحمدوه، فإنه يحب الحمد.

ويروى: أن آدم ﷺ لما خلقه الله تعالى عرض عليه ذريته، فوجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والأسود والأبيض، فقال: يا رب، هلا سويت بينهم، فقال الله: «إني أحب أن أشكر».

قال أبو الحسن القتاد: خلق الله تعالى الملائكة للقدرة، وخلق الأشياء للعبرة، وخلقك للمحبة له، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم:٤٠].

وأنا أقول: خلقهم لحبه لهم ولحبهم له، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، وليريهم جمال مشاهدته بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

وقالت العلماء: خلقهم لإظهار القدرة، ثم رزقهم لإظهار الكرم، ثم يميتهم لإظهار القهر، ثم يحييهم لإظهار العدل والفضل والعقاب والثواب.

ومنهم من قال: خلق الله الخلق جميعًا لأجل محمد ﷺ فعن قتادة، عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: «أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم: آمن بمحمد ﷺ، وأمر أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد لما خلقت آدم، ولولا محمد لما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن صدق الله»[١]، وزاد في ذلك بقوله: «لولاك لما خلقت الأكون»[١]؛

(١) رواه الخلال في «السُّنة» (١/ ٢٦١).

(١) قال الشيخ جعفر الكتاني في جلاء القلوب: وفي «شفاء الصدور» لابن سبع قال الله تعالى: «يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضي ولا سمائي ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء».

وفي خبر قدسي ذكره فيما تقدم «شارح المشارق» وعلي القاري في «شرح الشفا» وفيما يأتي القاشاني في «لطائفه» والجيلي في «كمالاته» كما ذكره غيرهم وهو «أن الله تعالى قال لسيدنا محمد ﷺ لولاك لولاك لما خلقت الأفلاك» قال بعضهم: والمراد من الأفلاك فيه جميع العالم إطلاقاً للبعض وإرادة الكل، وهذا الخبر وإن طعن فيه بعضهم ونفيعنه الثبوت بالأحاديث قبله تشهد له وتؤيده معناه وبها كلها تعلم صحة قول البوصيري في بردة المديح:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

وقول ابن الفارض:

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت ... شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

وقوله أيضاً في تائيته الكبرى على لسان الحضرة النبوية:

ولا تحسبن الأمر عني خارجاً ... فما ساد إلا داخل في عبوديتي
فلولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعقد عهود بذمتي
فلا حي إلا عن حياتي حياته ... وطوعي مرادي كل نفس مريدة
ولا قائل إلا بلفظي محدث ... ولا ناظر إلا بناظر مقلتي
ولا منصت إلا بسمعي سامع ... ولا باطش إلا بأزلي وشدة
ولا ناطق غيري ولا ناظر ولا ... سميع سواي من جميع الخليقة
وفي عالم التركيب في كل صورة ... ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينت
وفي كل معنى لم تبنه فظاهري ... تصورت لا في هيئة هيكلية

إلى آخر ما قال رضي الله عنه.

قال القاشاني في شرحها: وإنما لم يوجد وجود إلا به لأنه صورة الروح الأعظم وهو رابطة الإيجاد، انتهى.

وقول القطب سيدي علي بن وفا في داليته المشهورة:

روح الوجود حياة من هو واجد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد

وقول الآخر:

لـولاك مـا خلقـت شـمس ولا قمـر ولا نجـــوم ولا لـــوح ولا قلـــم

والآخر

لـولاه مـا كـان لا ملـك ولا ملـك ....

إلى غيرها مما يطول ذكره من كلام المادحين وتعلم أيضاً أن هذا المعنى وارد في السنة في عدة أحاديث، وإن قال بعضهم معترضا على قول القائل:

لـولاه مـا كـان لا ملـك ولا ملـك ....

مثل هذا يحتاج إلى دليل ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يدل عليه، انتهى.

فإنه قصور عظيم وإن توقف فيه أيضاً جماعة من الشارحين كالشيخ أبي عبد الله محمد الأليورى الأندلسي في «شرحه لبردة المديح» قائلاً ما نصه: وبيت الناظم - يعني السابق - يعطى أن الدنيا خلقت من أجل نبينا صلوات الله عليه وسلامه وقد أكثر الناس في هذا المعنى وأطالوا وأطنبوا وصرحوا بأن الله ﷻ إنما أخرج الدنيا وأبرزها من العدم إلى الوجود من أجل هذا النبـي وبسببه كرامة له وعناية به وتعظيماً لأمره وتفخيما لمنصبه الرفيع وقدره، إلا أني لم أقف على صحة ما أرتهن فيه الناظم ولا رأيت فيه توقيفا استند إليه ولا نقلاً أعتمد عليه إلا ما وقفت عليه في كتاب «انتقال النور» وغيره من الكتب التي لا أصل لها في الصحة، ثم قال: ولو صح أن الدنيا خلقت من أجل هذا النبـي الشريف، لم يكن فيه مقال لقائل إذ ليس في ذلك ما تحيله العقول ولا ما يرده حديث منقول فلا يستعظم في ذلك الجناب العلي النبوي ذلك كله لاسيما، وليس في الشرع ما يعارضه ولا عثر في السنة على ما يقدح في صحته وينازعه ولا هو مستحيل في العقل انتهى منه بلفظه.

وقال: غيره من بعض شراحها إن هذا المعنى غير صحيح والأخبار به مطعون فيها وقد علمت أنها بانضمامها يتقوى ولا يقصر معناها هذا عن درجة الحسن إن لم تقل أنه يبلغ درجة الصحة ومما يشهد له زيادة على ما سبق حديث جابر عند عبد الرزاق في مصنفه وعمر عند أبي مروان الطيبي في فوائده وقد تقدم وأيضاً فإن العلماء العاملين والصوفية المخلصين وأولياء الله المفلحين كلهم أو جلهم شرقاً وغرباً قد تلقوا معناها بالقبول والتسليم وتداولوه في مصنفاتهم وأشعارهم وكتاباتهم جازمين به من غير تردد ولا بحث والمعنى، إذا تلقى بالقبول حكم بصحته وإن لم يكن له إسناد ولا دليل ظاهر لأنهم يحملون على أنهم وقفوا له على شواهد تثبته وإن لم تصل إلينا ولم نعلمها.

وقد ذكر الشيخ الأكبر في أول الفتوحات من خطبة خطبها بين يديه ﷺ في حضرة الجلال ومعه جميع الإرسال، إن أول اسم كتبه القلم في اللوح المحفوظ أني أريد أن أخلق من أجلك يا محمد العالم الذي هو ملكك.

وفي حاشية العارف بالله القطب أبي زيد عبد الرحمن الفاسي على «دلائل الخيرات» لدى قوله فيه: والسبب في كل موجود ما نصه: قال في شرح الشفا على قوله لولاه ما خلقتك والخطاب لآدم ما نصه: هذا أدل دليل على ما هو المعهود الصحيح أنه ﷺ سبب الوجود وأنه لولاه لم تكن الأكوان والعجب ممن يتكلم في مثل هذا وأخذه في الكلام فيه ويبحث عن الأدلة في ذلك ومن أين يؤخذ وهل وجد في الحديث ما يدل عليه وكان يتوقف عليه قول البوصيري في قصيدته البردة:

لولاه لا تخرج الدنيا من العدم ....

ويقول من أين أخذه وفي هذا الحديث أقوى دليل عليه والحمد لله، انتهى.

قلت أي قال العارف: وبيت البوصيري وإن توقف فيه بعض شراحه وقد سبقه إلى مثله ابن الفارض في قصيدة له تشاكل صدر البردة في ما هو من نفس المحبة:

لولاك يا أحمد المحمود ما طلعت شمس ولم تخرج الدنيا من العدم

هذا وقد وردت أحاديث تقتضي بصحة ما أشار إليه كقوله ﷺ «أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيء» وكقوله: «أنا يعسوب الأرواح» يعني أصلها ورئيسها الكبير ومنه يعسوب النحل لأميرها وكقوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين أو الروح والجسد» يعني قبل أن يكون واحدا منهما وعلى ذلك نبه ابن الفارض بلسان الترجمانية عنه ﷺ بقوله:

وأني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوة

وأفصح بذلك سيدي عبد السلام بقوله: في صلاته ولا شيء إلا هو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، وقد تقدم لنا التنبيه على أن هذا ومثله قد تحققه الصوفي من حيث كشفه وحظ غيره منه، إنما هو التصديق لما ورد من الخبر في ذلك وقد تقدم ما فيه كفاية وغنية، والله أعلم انتهى منه بلفظه.

وفي الوصية الصغرى للعارف بالله الشهير الغوث الكبير سيدي عبد السلام بن سليم الأسمر الفيتوري ما نصه: ويجب عليكم أن تعتقدوا في حق رسول الله ﷺ أنه لا يفضل عليه شيء لا رسول ولا ملك، ولا ولي ولا عالم، ولا الجن ولا الإنس، ولا غير ذلك بل هو أفضل مما

لأنه غرض الأكوان والحدثان، وما حمله من عرفان الحق، وما أودعه من أسراره لم

خلق الله تعالى وكيف يفضل عليه شيء ولولاه ﷺ ما أوجد الله تعالى شيئا من جميع المخلوقات انتهى منه بلفظه.

وعند الصوفية الحق المخلوق به قال القاشاني في لطائفه: يعنون به الإنسان الكامل قال: بالمعنى أنه المخلوق بسببه المشار إلى ذلك بقوله: «لولاك ما خلقت الأفلاك».

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الجاثية:١٣] فما يسخر الشيء إلا لأجله، فإنه هو العلة الغائية من وجوده ولهذا جاء في الزبور وغيره من الكتب الإلهية، يا ابن آدم خلقت الأشياء كلها من أجلك وخلقتك من أجلي، فقالوا كل ما سوى الإنسان خلق للإنسان، انتهى المراد منه بلفظه.

وقال أيضاً في الكلام على عين العالم ما نصه: وقال الشيخ في كتاب فصوص الحكم وإنما كان الإنسان هو عين الحق، لأنه تعالى نظر به إلى العالم فرحمهم، يعني بإفاضة الوجود عليهم من أجله إذ لولا الإنسان الكامل، لما وجد العالم المشار إلى ذلك بقوله: لولاك لما خلقت الأفلاك. وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [الجاثية:١٣] انتهى المراد منه بلفظه أيضًا.

وقال الشيخ العارف أبو العباس أحمد التجاني: في «شرحه لجوهرة الكمال» لدى قوله فيها (عين الرحمة الربانية) ما نصه: لولا هو ﷺ ما خلق شيء من الأكوان ولا رحم منها لا بالوجود ولا بإفاضة الرحمة والجود ولا يقال إن هذا تعجيز للحق سبحانه وتعالى، بأنه لا يقدر أن يخلق شيئا إلا به ﷺ فليس هذا الوهم هو المراد في هذا الكلام، كما يظنه بعض من لا علم عنده، بل تحقيق ما قلناه: إن الله سبحانه وتعالى لو سبق في علمه ونفوذ مشيئته أن لا يخلق محمداً ﷺ لسبق في علمه ونفوذه ومشيئته، ألا يخلق شيئًا من المخلوقات، فمن هذه الحيثية إن وجود كل موجود من الأكوان يتوقف على سبقية وجوده ﷺ لذلك الوجود فإنه ﷺ كلية مراد الحق وغايته من الوجود فإنه ما خلق الكون إلا من أجله ﷺ ولا أفاض الرحمة على الوجود إلا بالتبعية له ﷺ فوجود الأكوان كلها مناط بوجوده ﷺ وجوداً وإفاضة انتهى المراد منه بلفظه.

قال بعضهم: وهذا يعني خلق الله العالم من أجله ليس لغيره من نبي ولا ملك:

وما عجب إكرام ألف لواحد   لعين تفدى ألف عين وتكرم

قال وهذا من باب الحكمة والمصلحة الراجعة إلى الخلق بإظهار عظمة هذا النبي الكريم وإشهار كرامته عند المولى العظيم، فجعل وجوده سببا في وجود الموجودات ونيل جميع الكرامات انتهى.

يقسم بأن يوجد ذرة منها جميع الكون، وما فيه فصل في بيان أصل الإنسان، وتركيب العناصر فيه.

وافهم أن الباري سبحانه خلق التراب أكرم الأشياء وأغرها عليه، ولولا ذلك لما خلق منه صورة أكرم الخليقة آدم ومحمد، وجميع صورة الأنبياء والأولياء والصديقين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران:٥٩]، وذلك التراب الذي خلق الله آدم منه هو سبيكة لطيفة خالصة من جميع الأرض، وكان فيها سر الله الأعظم، وذلك السر سر الربوبية وصنعه فيه، ولم يضعه في شيء غير التراب، من العرش إلى الثرى؛ لأن ذلك كان مستعدًا لقبول ظهور صفات القدم منه.

وأبهم تلك الخاصية على جميع الملائكة حتى قالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة:٣٠]، ولم يدرك ذلك السر إبليس، وكان رأس خزان الجنة حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

ولم يحل ذلك التراب من طبائع جميع الحدثان من العرش والكرسي والجنة والنار والسماوات والأرض والجبال والبحار؛ لأن أصل الجميع من تلك الجوهرة التي خلقها الله أول الخلق، فنظر إليها بوصف بروز أنوار جميع الذات والصفات حتى صارت ماء من صولة تجلي الحق تعالى، واستفادت من أنوار الذات والصفات، خلق القدم، وباشرت نور الأزل فيها، وبقيت فيها آثار بركة تجلي الحق.

وذلك أسرار الربوبية ثم مخض بقوة الأزل ذلك الماء اجتمع على رأسه زبدة لطيفة الهدية مائية، فدخل فيها سر جميع تلك الأسرار الخاصة الإلهية؛ لأنها كانت مستعدة لقبول ذلك السر لا غير.

ثم أخذها الحق ووضعها في هواء، وأدخل فيها من ذلك الهواء نارًا نورانية حتى يبست، وأجرى عليها رياحًا حتى نفشت فصار ترابًا مركبًا من العناصر الأربعة، ولولا ذلك لم ينعقد بذاته، فخرج من العدم معجون بهذه العناصر بإيجاد القديم المنزه، ليس كما يزعم الحشوية -لعنهم الله- أن الأشياء تكون بطبعها؛ لأنه مستحيل من جهة العقل أن يكون الشيء بطبعه.

ثم خلق الله الأكوان والحدثان، وفي الحديث: «أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السماوات والأرض، خلق جوهرة خضراء عظمها أضعاف أطباق السماوات والأرض ثم نظر إليها نظر هيبة فصارت ماء، ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد وبخار، وأرعد من خشية الله تعالى، ومن ثم يرعد إلى يوم القيامة، وخلق الله تعالى من ذلك الدخان السماء، وهي دخان، وخلق من ذلك الدخان السماء، فذلك قوله تعالى، ثم خلق من ذلك الزبد الأرض، فأول ما ظهر من الأرض على وجه الماء مكة فدحى الله الأرضين من تحتها، ولذلك سُميت أم القرى، قال تعالى:

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات:٣٠].

ثم لما خلق الله الأكوان والحدثان وأراد خلق آدم، نادى وقال: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١]، وذلك بعد أن أخذه من نفس الأرض، وخمّره بالماء أربعين صباحًا من أيامه حتى حصل عنصران، فإذا بلغ إلى كمال التغير من تخميره أثر فيه عنصر الهواء، وذلك قوله في وصف أصله: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٦].

ثم إذا صار طينًا لزجًا مستعدًا لقبول نقوش الصورة المنقوشة على خاتم القدرة، وهو ما أخبر الحق عن وصفه بقوله: ﴿مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ﴾[الصافات:١١]

صورة على ما كان في علم القدم، وهو ما أخبر به ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»(١)، فلما كملت الصورة أطلع عليها الشمس زمانًا حتى صلصلت ويبست، وجرت فيها قوة نارية فصارت على كمال الاعتدال، وهذا ما أخبر الحق من تلك القوة النارية بقوله: ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ**﴾ [الرحمن:١٤].

فجدَّد الله العناصر الأولية الأصلية في التراب بالعناصر الثانية التي هي أصل الإنسان من أركان الوجود، فإذا استوت بتسوية الحق إياها، وتمت تكميلها باستقرار الطبائع الأربعة فيها، وفيض مباشرة الصفتين القديمتين فيها بإشارته تعالى، حيث امتن الحق عليه بقوله: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[ص:٧٥] ثم نفخ الله فيه الروح فذلك قوله: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾[الحجر:٢٩] نبه تعالى على تكميل صورة الإنسان بنفخ الروح فيها، فحصل الروح في آدم عليه السلام بعد ظهور تجلي الذات له.

فتكاملت الروح والصورة بتكامل تجلي الذات والصفات، وفيهما تكونت الروح والصورة بتكوين الحق إياهما، قلبها في هذه الأطوار المختلفة من بدء العدم إلى الوجود، ومن بدء الوجود على كمال الفطرة إياها من أنوار القدرة والحكمة والعلم وسنا حسن الاصطناع، وما كساها من ضياء جمال الصفات، وبهاء جلال الذات هذا تقليب صورة آدم عليه السلام من بدء الأول في درجات كينونة أطوار الخلقة بأمر الحق سبحانه، فإذا أدرك من فيض الحق ما أدرك أخبر الحق سبحانه من كمال حسن اصطناعه فيه، وما امتن عليه من حسن صورته قال: ﴿**صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ**﴾ [غافر:٦٤](٢)، فكساه حلى سنا قدرته، ونور ما جلاه من لطيف صنيعه وحكمته،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) قال الشيخ المصنف في العرائس: بأن ألبستكم أنوار جلالي وجمالي وخلقي وإيجادكم بنفسي ونفخت من روحي فيكم الذي حسن الهياكل من حسن الهياكل من حسنه ومن عكس جماله فإنه مرآة نوري أتجلى منه للأشباح أرزاقه ذكره وصفاء كشوف أنواره للأرواح والعقول فقوت النفوس من أفعاله وقوت القلوب من صفاته وقوت الأرواح من ذاته وهو أحسن الأرزاق إذ قامت به حقائق المحبة ولطائف المعرفة ودقائق التوحيد.

وكونه شاهدًا إما في ذاته وصفاته من النعوت والأوصاف؛ لأنه تعالى مصدر صنعة الغريب، ولطيفة العجيب، وقد أشار أمير المؤمنين على بن أبي طالب –كرم الله وجهه– في خلق آدم في بعض الخطب قال: «ثم جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وملحها تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلة حتى لزبت(١)، فجبل منها صورة ذات أحناء(٢) ووصول وأعضاء، وفصول، أجمدها حتى استمسكت وأصلدها حتى صلصت لوقت معدود، وأجل معلوم.

ثم نفخ فيها من روحه فمثل إنسانًا، ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الأذواق والألوان والأجناس، معجونًا بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة من الحر والبرد، والبلة والجموة، والمساءة والسرور.

واستأذن الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيفه إليهم في الإذعان بالسجود له والخشوع لقوله سبحانه: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [البقرة:٣٤]، ثم إنه خلق بني آدم من العناصر والطبائع المختلفة، وتقلبه في الأطوار والدرجات والحالات في الأحايين والأدهار على حسب حال خلقه وخلقه مع جعلهم أمثاله في التركيب فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ*ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون:١٢، ١٣]، إلى هنا العناصر الأربعة من التراب والماء والريح والهواء.

ثم ذكر أطوارًا أخرى فقال: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً﴾ [المؤمنون:١٤]، نبه تعالى من أوصافها حين تقلبت في العناصر الثابتة، وما لحقها من التغاير في التقلب والمشام الطين، ومن هذه الوجوه خلق أولاده أيضًا من التراب في الحقيقة، والإشارة فيما ذكرنا قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَباًّ * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقاًّ * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَباًّ﴾ [عبس:٢٥، ٢٦، ٢٧].

---

(١) أي: تصلبت.

(٢) حِنْوُ الجبل: ناحيته، والجمع أحناء.

ثم قال وأشار إلى الأصل: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [فاطر:١١]، وهذا من مقتضى الحكمة الإلهية المشيئة الأزلية.

وروى وهب بن مُنبه أنه وجد في «التوراة» صفة خلق آدم حين خلقه الله وابتدعه، حيث قال: إني حين خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء، ثم جعلته وارثه في ولده ، فنمى في أجسادهم، وينمون عليها إلى يوم القيامة، وركبت جسده حين خلقته من رطب ويابس، وسخن وبارد، وذلك لأني خلقته من تراب وماء، ثم جعلت فيه نفسًا وروحًا، فيبوسه جسده خلقته من التراب، وبرودته من قبل الروح، ورطوبته من قبل الماء، وحرارته من قبل النفس، ثم خلقت في الجسد بعد هذا الخلق الأول أربعة أنواع من الخلق أخر، وهن ملاك الجسد فقوامه لا يقوم إلا بهن، ولا تقوم منهن واحدة إلا بالأخرى، منهن المرة السوداء، والمرة الصفراء، والدم، والبلغم، ثم أسكنت بعض هذا الخلق في بعض، فجعلت مسكن اليبوسة في المرة السوداء، ومسكن الرطوبة في المرة الصفراء، ومسكن الحرارة في الدم، ومسكن البرودة في البلغم، فأيما جسد اعتدلت فيه هذه الفِطر الأربع التي جعلتها ملاكه وقوامه، فكأنما كل واحدة منهن ربعٌ لا يزيد ولا ينقص، كمل صحته واعتدل بنيانه، فإن زادت منهن واحدة عليهن قهرتهن، ومالت بهن، ودخل عليهن السقم من ناحيتها بقدر ما ازدادت، وإذا كانت ناقصة تقل عنهن، ملن بها، وعلونها، أدخلن عليهن السقم من نواحيهن، بقدر قلتها عنهن حتى تضعف عما فيهن، وتعجز عن مقارنتهن بين الله سبحانه، فيما رواه وهب: مما ركّب في آدم ذريته من الطبائع والعناصر التي باعتدالها يستوي الإنسان، ويكون كاملاً، كدار لا تكون قائمة إلا بالجدران والأساس والأعمدة والعوارض.

فإن الله سبحانه خمَّر طينة آدم بهذه العناصر وهي سر أفعاله، لا يطلع عليه إلا من خلقه، فالموجد علم من نفسه ما ركب فيه، وهذا متغور عن الفهوم، وإدراك العقول فإنه خصائص لأحكام الربوبية.

ومن عرف ماهيتها بالحقيقة يعرف العلل، والتصاريف، والأحكام، والمشيئة، والأولية، والآخرية، والعين، وعين العين، والحق، والحقوق، والحقيقة، والحروف، ومركبات الوجود، وهذا مستحيل من الخلق.

ومنها أن تمنى الخليل عليه السلام أن يقف على بعض هذه الأسرار حين قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة:٢٦٠]، فلما رأى إحياء الموتى حيث سعى الأطيار الأربعة إليه علم أنه لم يعلم، فخاطبه الحق في ابتداء السؤال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ [البقرة:٢٦٠] يعني أنك لا تحيط بمشيئتي ومقدرتي وإيجادي: ﴿قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة:٢٦٠] بأني أعجز عن إدراك حقائق الربوبية بعد المعاينة، ثم قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[البقرة:٢٥٩]، والخلق محجوبون عن سر الأسرار، والوقوف على الأقدار.

* * *

فصل

في بيان مقتضى الحكمة في تركيب أركان صورة الإنسان من الأطراف والجوارح، ومشابهتها بصورة العالم(١)

---

(١) **فائدة:** قال أبو الفتح المكي: ذكر الشيخ في الباب الثامن والتسعين ومائة «سلسلة الوسائط» بتفصيل تام، فمما قال فيه: إن الاسم الإلهي البديع توجه على كل مبدع، وعلى إيجاد العقل الأول، وهو القلم وتوجه على إيجاد الهمزة من الحروف، وتوجه على إيجاد الشرطين، الاسم الإلهي الباعث، وتوجه على إيجاد اللوح المحفوظ، وإيجاد الهاء، والبطين الباطن وتوجه على إيجاد الطبيعة، وإيجاد العين المهملة، والثريا الآخر، وتوجه على إيجاد الهباء، وإيجاد الحاء المهملة، والدبران الظاهر توجه على إيجاد الجسم الكل، وإيجاد الغين المعجمة، والهقعة الحكم توجه على إيجاد الشكل الكل، وحرف الخاء المعجمة والهقعة المحيط توجه على إيجاد العرش، وحرف القاف، والذراع الشكور توجه على إيجاد الكرسي، والقدمين، وحرف الكاف، والنثرة الغني توجه على إيجاد الأطلس، وحرف الجيم، والطرفة المقدر توجه على إيجاد فلك المنازل، وحرف الشين، والجبهة الرب توجه على إيجاد السماء الأولى، والبيت المعمور، والسدرة، والخليل إبراهيم عليه السلام ويوم السبت، وحرف الياء بالنقطتين من أسفل، والخرتان، وزحل العليم توجه على إيجاد السماء الثانية وخانسها، ويوم الخميس، وموسى عليه السلام والضاد المعجمة، والصرفة القاهر توجه على إيجاد السماء الثالثة وكوكبها، ويوم الثلاثاء، وهارون عليه السلام العواء وحرف اللام، النور توجه على إيجاد السماء الرابعة، والشمس، ويوم الأحد، وإدريس عليه السلام والسماك، وحرف النون، المصور توجه على إيجاد السماء الخامسة وكوكبها، ويوم الجمعة، ويوسف عليه السلام والمغفرة، وحرف الراء، المحصي توجه على إيجاد السماء السادسة وكوكبها، ويوم الأربعاء، وعيسى عليه السلام والربانيين، وحرف الطاء المهملة، المبين توجه على إيجاد السماء الدنيا، والقمر، ويوم الإثنين، وآدم، والإكليل، وحرف الدال المهملة، القابض توجه على إيجاد الأثير، والتاء المعجمة باثنين من فوق، والقلب الحي توجه

على إيجاد الهواء، وحرف الزاي وانشق له المحيي توجه على إيجاد الماء، وحرف السين المهملة، والغنائم المميت توجه على إيجاد المعادن وله حرف الظاء، وحرف الطاء الأرض، وحرف الصاد المهملة، والبلدة العزيزة توجه على إيجاد المعادن، وحرف الظاء المعجمة، ومن المنازل سعد الذابح الرازق توجه على إيجاد النبات، وحرف الثاء المنقوطة بثلاث، وسعد بلع المذل توجه على إيجاد الحيوان، وحرف الذال المعجمة وسعد السعود القوي توجه على إيجاد الملائكة، وحرف الفاء الأخبئة، اللطيف توجه على إيجاد الجن، وحرف الباء المعجمة بواحدة والمقدم الجامع توجه على إيجاد الإنسان، وحرف الميم، والمؤخر رفيع الدراجات توجه على تعيين المراتب الأعلى إيجادها؛ لأنها نسب لا تتصف بالوجود إذ لا عين لها، وحرف الواو، والراء شاهد آخر «سلسلة الوسائط» وعددها ثمانية وعشرون على عدد الحروف والمنازل، وعلى عدد الصور التي أولها الحروف الأنون إلا وعلى عدد الأنبياء المذكورين في الفصوص مع خاتم الولاية أعني المهدي – سلام الله عليه– وعلى عدد عقد الأصابع، والكلام على المناسبات بين هذه الأمور يطول إن أردته فعليك بـ «الفتوحات المكية».

ولقد رأينا لبعض المتأخرين وهو مولانا شمس الدين محمد التبريزي المعروف بالمغربي له رسالة سماها «جام جهان نماي» بالفارسية، وجعل فيها دائرة صغيرة قسمها بقطر، فالدائرة حضرة الوجود المطلق وأحد قوسيها الأحدية، والآخر الواحدية، والقطر الوحدة وهو برزخ البرازخ، والتعين الأول في الذهن والحقيقة المحمدية بمعنى أنها نهاية سيرة العروج.

وأما العقل الأول فهو التعين الأول من الموجودات الخارجية في عالم التدوين والحقيقة المحمدين بمعنى أنه هو روحه الذي كان يدير جسده الطاهر الطيب، صلى الله على روحه وجسده جمعًا وفراد و سلم، وإليه الإشارة بقوله: «كنت نبيًا وآدم بين الطين والماء».

ثم رسم دائرة كبيرة قسمها قطر وهي ظل تلك الدائرة الصغيرة، فالقطر ظل الحقيقة المحمدية فجعله الإنسان الكامل، وقسم أحد قوسيها بثمانية وعشرين، جعل في كل قسم دائرة صغيرة، وكتب في كل دائرة اسم واحد من «سلسلة الموجودات» من العقل الأول إلى تعيين المراتب، وقسم القوس الآخر كذلك، وكتب في كل دائرة الاسم الإلهي الذي هو رب واحد

وافهم أن إقامة الإنسان مثل إقامة العالم مثال رأسه الشمال، ومثال عينيه الشمس والقمر، ومثال أسنانه وفمه النجوم والأبراج، ومثال أنفه الأقطاب، ومثال أذنيه أطراف أركانها وأطباق الناس مثل أطباقها، ومثال الجبهة الكرسي، ومثال الهامة مثال العرش، ومثال شعر الرأس مثال الحجب والطرق في الملكوت، ومثال البطن الهواء وما بين السماء والأرض، ومثال يديه مثال المشرق والمغرب والخافقين، ومثال الأليتين مثال القاف، ومثال الرجل الأرض، وحركات العين مثال حركات

من «سلسلة الوسائط» من البديع إلى رفيع الدرجات، وسمي القول الأول ظاهر العلم، والثاني ظاهر الوجود، والقطر الإنسان الكامل، فظاهر العالم عالم الإمكان، وبحر الأكوان، وظاهر الوجود، وعالم النسب الإلهية، وبحر الأسماء الربانية، والإنسان الكامل، وبرزخ بين البحرين؛ لأنه جامع بين الطرفين، فله من ظاهر العلم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠] ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وأمثال ذلك، وله من ظاهر الوجود «لي مع الله وقت لا يسعني فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب»، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ الله رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله﴾ [الفتح:١٠]، وأمثال ذلك، فجمع ذلك بين محامد الوجوب ونقائص الإمكان.

ومن هذه الحقيقة اتصف الإنسان بصفات الرحمن تخلقًا حتى صح فيه خلق آدم على صورته، واتصف الحق بالاستحياء، والوجه، واليد، والقدم، والضحك، والنـزول وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسُّنة.

ثم كتب الحروف ومنازل القمر في طرف قوس ظاهر العلم، وهو ظل الواحدية؛ لأنها وحده حقيقته وكثرة نسبية، وهذا القوس وحدة نسبية وكثرة حقيقية فهو عكسها وظلها؛ لأن الكثرة من الكثرة، وأما قوس ظاهر الوجود فهو ظل الأحدية؛ لأن كثرته نسبية، ووحدته حقيقية، فإنه في الحقيقة أمهات الواحدية؛ لأنه عبارة عن الأسماء الإلهية. انظر: عين الحياة (ص١٨١) بتحقيقنا.

الشمس والقمر، وحركات الجوارح مثل حركات الأفلاك والأجرام.

وقيل: إن القلب مثل العرش، ومثل الكرسي مثل الصدر، وهذا قول سهل بن عبد الله، فعلى هذا تبين أن صورة الإنسان مع صغرها يجتمع فيها ما يجتمع في الكون من العرش إلى الثرى ظاهرًا وباطنًا، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣].

وقال واحد ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد، وقد بين الله تعالى خلق آدم عليه السلام في التوراة، وذكر فيها تشريح أعضاء الإنسان، وحقائق حكمته في إبداع أركانها، وتراكيبها، وعناصرها.

وذلك ما روى عبد الله بن سلام رضي الله عنه ذكرًا عن النبي ﷺ قال: «يا رسول الله، وجدت بخطِّ هارون وإملاء موسى: قال الله تعالى: ظالمٌ من هدم بنياني، فقال موسى عليه السلام: ما بنيانك يا رب؟ فقال تعالى: أبوك آدم الذي خلقت صورته بيدي، ونفخت فيه من روحي...» الحديث بطوله، حتى ذكر جميع أجزائه، وما صنع فيها من أسباب حكمته، وكل جزء منه يشبهه بشيءٍ من العالم.

وقد ذكر الحكماء لذات الإنسان وقواه **أمثالاً** صوروها بها، فتمثل كل ما لا يدرك العقل متصور الحسن يقرب من الفهم، فقالوا: ذات الإنسان كما كان عالمًا صغيرًا جرى مجرى بلدًا أُحكم بناؤه، وشيد بنيانه، وحصن سور، وخطت شوارعه، وقسمت محاله، وعمرت بالسكان دوره، وسلكت سبله، وأجريت أنهاره، وفتحت أسواقه، واستعملت صناعه، وجعل فيه ملك مدبر، وللملك وزير وصاحب بريد، وأصحاب أخبار، وخازن، وترجمان، وكاتب، وفي البلد أخيار وأشرار.

فصناعها هي القوى السبعة التي يقال لها: الجاذبة، والماسكة، والهاضمة، والدافعة، والنامية، والغاذية، والمصورة.

-والملك العقل، ومنبعه من العقل.

-والوزير القوة المفكرة، ومسكنها وسط الدماغ.

- والخازن القوة الحافظة، ومسكنها مؤخر الدماغ.

- وأصحاب الأخبار الحواس الخمس، ومسكنها الأعضاء الخمسة.

- والترجمان القوة الناطقة، وآلتها اللسان.

- والكاتب القوة الكاتبة، وآلتها اليد.

- وسكانها الأخيار والأشرار وهي القوى التي منها الأخلاق الجميلة والأخلاق القبيحة.

وكما أن الوالي إذا تُرك وساس الناس بسياسة الله تعالى صار ظل الله في الأرض، كما روي أن النبي ﷺ قال: «**السلطان ظل الله في الأرض، وجبت على الكافَّة طاعته**»[(١) (٢)].

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٤٩٢) بنحوه.

(٢) في قوله: «السلطان ظل الله» إشارة إلى أن السلطان الظاهر ظل الحقيقة الإلهية التي كان القطب ونحوه مُظهرًا لها، فإذا لم يُرخَّص في إفشاء سرِّ السلطان الظاهر، ومجلسه أمانة صغرى، فكيف يُرخِّص في إفشاء سرِّ السلطان الباطن، ومجلسه أمانة كبرى.

فإن قلت: كيف لا يُرخِّص والكل عباد الله؟.

كما قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النساء:٥٩].

كذلك متى حصل العقل سائسًا وجب على سائر القوى أن تطيعه، كما أن الله تعالى جعل الناس متفاوتين كما بينه بقوله: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف:٣٢].

كذلك جعل قوى النفس متفاوتة، وحق كل واحدة أن تكون داخلة في سلطان ما فوقها، ومتأمرة على من دونها، فحق القوة الشهوانية أن تكون مؤتمرة للقوة الغضبية، وحق القوة الغضبية أن تكون مؤتمرة للقوة العاقلة، وحق القوة العاقلة أن تكون مستضيئة بنور الشرع، مؤتمرة لمراسمه حتى تصير هذه القوى متظاهرة غير متعادية، كما قال: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾ [الأعراف:٤٣]، وكما لا ينفك أشرار

قلت: نعم؛ لكنهم متفاوتون في الأسماء والأحكام، فيخفي سرَّ اسمٍ عن اسمٍ من حيث إن كلاً منهما ظاهر بما لا يقتضيه الآخر، فلا معنى لكشف سرِّ العالم عند الجاهل، كما لا معنى للتكلُّم مع الحيوان بما يقتضيه نشأته دون الحيوان.

فالإنسان اسم، والحيوان اسم، وبينهما تباين جزئي، والمتباينان لا يأتلفان كل الائتلاف، وإن كان الأصل والمعدن واحدًا، فإذا عرفت هذا؛ وجب عليك أن تقوم بسرِّ النفاق الأكبر، فإن لك من حيث جمعيتك وجوهًا كثيرة، فبكل وجه لك يقابل عين من الأعيان، وسرٌّ من الأسرار بحيث لا يتعدَّى أحد السرَّين إلى الأخر، وبه يتم المراتب في حفظها، وبالحفظ يتم النظام لظاهر العالم، فكُن من الأمانات والآداب.

فصل

في بيان ما يجتمع في الإنسان من عناصر العالم، وجميع قواه

وافهم أن الله سبحانه جمع في الإنسان في ظاهره وباطنه ما جمع في جميع العالم، وما فيه من قوى الأشياء المختلفة، وما صنع في لطائفه وصوره وأركانه من الجسمانيات والروحانيات، والمصنوعات والمبدعات، والإنسان العالم الصغير، وهو نسخة العالم الكبير، ومثاله مثال المرآة التي يظهر فيها صورة العالم، فمن نظر إلى نفسه وتفكر فيها يرى العالم بأسره بعين العقل بل يرى بعْين المعرفة، فيها خالق العالم؛ لأنه تعالى يظهر نفسه في مرآة صورة الإنسان للإنسان، لا بنعت الحلول لذلك قال ﷺ: **«من رآني فقد رأى الحق»**(١)، و **«من عرفني فقد عرف الحق»**(٢)، و **«من عرف نفسه فقد عرف ربه»**(٣)؛ لأن الإنسان خليفة الله، والخليفة يقوم مقام من يخلف قال تعالى: **﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾** [البقرة:٣٠](٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) قال الشريف ابن ناصر: جعل آدم خليفة، وأعطاه حكم الخلافة، والخليفة لفظة مؤنثة؛ لأنها محل التكوين، وبها ظهر الكون.

فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] ولم يقل: في الأرض والسماء مع أنه هكذا، كما أنه في السماء إله، وفي الأرض إله حتى لم يزل في مقام الذلّة والعبوديّة في نفسه ولا تحجبه مرتبة الخلافة بالصفات التي أمدَّه بها عن رتبة عبوديته، بل منهم من الأدباء الذين يجعلون بينهم وبين نعوت الحق تعالى عند التخلُّق بأسمائه ما وصف به الملأ الأعلى من تلك الصفة، فيأخذونها من حيث هي صفة لعبيدٍ من عباد الله مطهَّرين، لا من حيث هي صفة

فهذا التدبير والتصرف في الإنسان وإن كان محدثًا مصنوعًا، فهو نموذج من عالم الربوبية؛ لأن الله تعالى خلق آدم بخلقه، وهو عالم، قادر، سميع، بصير، متكلم، مريد، حي، وخلق آدم بهذه الصفات لذلك قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم على صورته»(١) فإذا كان كذلك فالإنسان مجمع عالم الربوبية والعبودية، ومنقوش نقش الملك والملكوت، ومرآة أفعال الحق في جميع المخلوقات.

فصورة الإنسان مختصر صورة العالم، وإن كان من خلاصة العالم ولبابه، وصفوته فهو العالم الكبير في المعنى، وإن كان صغير الحجم، خلقه الله من صفو سبائك العالم؛ لأنه تعالى مخض مخاض الوجود وأخذ من صفة زبدته وجمع فيه ما جمع في جميع الأكوان والحدثان، وأودع فيه من خصائص علومه وحكمته ومعرفته ما لم يخص به الكون، وهو أشرف ما أوجد من العدم إلى الوجود؛ لأنه مختص باجتماع الأضداد فيه من الصفة الروحانية والجسمانية، وليس في الكون وأهله من كان بهذه

للحق أدبًا مع الله تعالى حتى لا يكونوا تخلَّقوا بأخلاق الله تعالى، فهم لا يرجعون من مقام العبوديَّة ولا يجدون طعمًا للربوبيَّة التي تستحقها هذه الأسماء.

وهذا الذوق في العارفين عزيزٌ وهو من شيم الأولياء الكرماء الأخفياء الأبرياء، وهذا هو التأسِّي بسيد الخلق مع سيادته يقول: «أنا عبدٌ وأنا بشرٌ مثلكم»

وأيَّ أُسوة أعظم من هذا التأسِّي لمن عقل عن الله تعالى، رحم الله امرؤ عَرِفَ قدرهُ ولم يتعدَّ طوره، فطوبى لمن كان على صورةٍ تقتضي له المنـزلة من العلو والسيادة، ولم يؤثر فيه ولا أخرجته عن عبوديته، كما قال سيد أرباب الآداب ﷺ بالأمر الإلهي والتأديب الربَّاني: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠].

فتلك عصمة وحظ أوفر، حققنا الله وإيَّاكم بهذا المقام المطلق والحال المحقق بمنِّه وفضله الحق.

(١) سبق تخريجه.

الصفة غير الإنسان؛ لأنه عين الجميع، وليس في الكون شيء إلا وفي الإنسان مثله.

فمن جملة ما يكون في الإنسان استواء الأركان، والعناصر المختلفة من الحرارة، والرطوبة، والبرودة، واليبوسة، وهو أيضًا جسم مثل أجسام المعادن، وهو معدن الجوهر والأعراض من الجسمانيات والروحانيات، وكل ذرة من الإنسان من معدن منافع ومضار، وهو منابت نبات أفعال نبتت فيه الصفات الإنسانية، والحيوانية، والجسمانية، والروحانية، وله نما من جهة الترابية، والغذاء، وفيه الصفة البهيمية؛ لأن فيه روح الحياة، والحيوانية به له الحس، والوهم، والخيال، واللذة، والشهوة، والشره، والبطر، والضرر، والألم.

- وفيه الصفات السبعية؛ لأنه يغضب، ويخرب، ويضرب، ويخرق.

- وفيه من الصفات الشيطانية؛ لأنه يفسد، ويغوي، ويضل.

- وفيه الصفات الملكية؛ لأنه يعبد الله، ويطيعه، ويقبل أمره ونهيه بما وهبه الله من العقل، والعلم، والمعرفة، والفطنة، والإدراك، والفهم.

ووجود الإنسان مثال اللوح المحفوظ؛ لأن الله تعالى يكتب على ظاهره حروف الأفعال، وعلى باطنه حروف الأسرار، والحقائق، والمعارف، والإيمان، والإيقان، والبرهان، قال تعالى: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة:٢٢].

ويكتب أشكال عالم الملكوت والجبروت من العرش إلى الثرى، فيه على سبيل الاختصار، وقد قال أهل الحكمة والعلم: إن في بدن الإنسان أربعة آلاف حكمة، ولم يبلغ ما في نفس العالم إلى هذه النهاية التي في نفس الإنسان، وإن الله جعل لسان الإنسان مثال قلمه يكتب على لوح صدره، وقلبه، وعقله، وروحه، ما

كان مرقومًا هناك، ويحصل معنى الغيوب، ويلبسها لباس الخيال، ويخرجها من معادنها بمصائرها، مصورة بالصورة المدركة، ويثبتها بصورها في أوراقها الأربعة، وينقشها في أرواح القلوب كما يثبت العالم الحكام في اللوح المحفوظ.

ولا يبقي ذرة من العرش إلى الثرى إلا ومثالها وقواها وعنصرها موجود في الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان:٢].

وإنه تعالى خلق آدم، وأودع فيه ما أودع في العالم قال: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان:٢٨] يعني: نفس العالم بأسره، وللإنسان خاصية ليس في العالم مثلها، من حيث الصورة التي يميز بها عن غيره مثل انتصاب القامة، وعرض الظفر، واستواء الخلق، وانتساب الهيئات، ومن حيث الخليقة والطبيعة الضحك، والحياء، وقبول أوامر الشرع من حيث الفطرة، واستبدال الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة، واكتساب معالي الأمور، ومباشرات أوصاف الصناعات، وتصور المعقولات، وإدراك المغيبات بأمثلة مختلفة بآلة الاستدلال العقلية والعلمية.

ومن حيث الحقيقة: الفطرة الباطنة، وسرعة الاشتياق إلى العالم العلوي، والمصادر الأصلية من غيب الملكوت الذي صدر منه في الأصل، واكتساب معالي الدرجات الأخرى بالتدريج.

وهذه العلوم، والأعمال، والأخلاق، والصورة، والمعاني المختلفة له خصائص على جميع المخلوقات.

فصل

في بيان ما ركّب الله في الإنسان من طباع جميع الموجودات من حيث السجية والخليقة، وما انشأ فيها من جميع المعنى الذي يكون محمودًا ومذمومًا

واعلم أن الإنسان ظرف جميع معاني العالم، وما جمع الله فيه من أقوية مختلفة، وأضداد متباينة، وأشكال متقاربة، وأوصاف متشابهة؛ لأنه أصل مركب من تركيب جميع المكونات من الجمادات، والحيوانات، والنبات، والناميات، ومن السباع والشياطين، والروحانيات من الملائكة، فتارة في الجمادات كالكسل، وكالحجارة في القسوة.

قال تعالى في وصف القاسية قلوبهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤].

وتارة مثل الأشجار الطيبة النافعة الخلق كالنخيل، الذي جميع وجوده نفع الخلق، وكذلك جميع الأشجار المثمرة مثل الكرم والفاكهة والخوخ، وغير ذلك ويكون مثل الأترنج في طيب الرائحة والمنفعة، ولطافة النور والورق، والعود وخفة المحمل وأطرافة اللون، وحلاوة الوجود والشراب، وكذلك اللوز والموز في منفعة الدهن.

قال النبي ﷺ يومًا لأصحابه، وهم عنده مجتمعون، وفيهم عبد الله بن عمر، وهو أحدثهم سنًا فقال النبي ﷺ:

«أي شجرة يشبه ابن آدم؟ قال: فوقع الناس في أشجار الأودية، ووقع في قلبي أنها النخلة، واستحييت أن أجيب رسول الله ﷺ فسكت حتى قال ﷺ: إنها

النخلة، فقال ابن عمر فقلت: نعم، لقد كدت أن أقول أنها النخلة، وهبت رسول الله ﷺ، فقال عمر: لئن قلت ذلك كان أحب إليّ من حمر النعم»[١].

انظر كيف شبه النبي ﷺ النخلة بالإنسان، لما فيها من لطائف الثمر، وما يخرج منها من الشراب والأدوية، واستواء قامتها، وثبوت أصلها، ووجود قلبها ورأسها، وما يخرج منها من المنافع، ولا يسقط منها شيء إلا وينتفع به الناس، ومنها نسبة طينة آدم قال ﷺ: «**خلق الله الحنطة والشعير والكرم والتين والزيتون والنخل والأرز من بقية طينة آدم**»[٢]؛ لذلك قال رسول الله ﷺ: «**أكرموا عمتكم النخلة**»[٣].

وكما له فيها نسبة الخلقة والطبيعة كذلك نسبته في جميع الأشياء منها، الرياحين والأنوار، والبهار، والورد، من حيث الطيب والألوان، ويجري عليه أوقات يكون مثل شجر الشوك والحنظل، في قلة المنفعة، وإن الله سبحانه شبه الإنسان بهاتين الشجرتين النافعة والضارة، قال: ﴿**ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ**﴾ [إبراهيم:٢٤]، وقال: ﴿**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ**﴾ [إبراهيم:٢٦].

ويصير تارة مثل الظبي الذي معه المسك، والثور الذي معه العنبر، والنحل الذي معه العسل الذي يكون منه شفاء الناس، قال تعالى: ﴿**فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل:٦٩].

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣٤)، ومسلم (٤/ ٢١٦٤)، والترمذي في «سننه» (٥/ ١٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٧١).

(٢) انظر: الفتوحات المكية (٣/ ٤٠٦).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٥٣)، والديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ٦٨)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٩٤).

وربما يظهر منه الصفات السبعية وطباعها فيكون كالخنزير في الشر، وكالذئب في الظلم والفساد، وكالكلب في الحرص، وكالفيل في الجماع والأكل، وكالفأرة في السرقة، وكالثعلب في الروغان والحيل، وكالحمار في البلادة، وكالثور في الغارة، فالإنسان من هذه الوجوه يشبه ما في الكون من جميع الأشياء من الجن والملائكة والحيوان والجمادات والأشجار، قال تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**﴾ [الأنعام:٣٨].

فإذا كان روحه روحانية، وجسمه مهذبًا يكون مثل الطير يطير في الملكوت بقلبه وروحه، قال ﷺ: «**إن في أمتي أقوامًا أفئدتهم كأفئدة الطير**»(١).

ومن حيث إنه معادن العلم والحكمة يكون مثل معادن الجواهر وأبحر اللآلئ، فيخرج من المعادن والبحار أصناف الجواهر وعجائب البحر، مثل: الذهب، والفضة، والياقوت، والزمرد، والفيروز، والعقيق، والحديد، والنحاس، وغيرها من الجواهر يخرج من الإنسان حقائق علوم العقليات، واستنباط حقائق علوم الألوهية، ودقائق معاني الخطاب من الله ورسوله، وينبع من قلوب الأولياء ينابيع اليقين، والمكاشفة، والمعرفة، والمحبة، والشوق، والعشق، والتوحيد، والإيمان، والإسلام، والصدق، والأخلاق، قال ﷺ: «**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الإسلام، خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا**»(٢)، هذا بيان مشابهة الإنسان بالعالم، وما فيه من جميع أصنافه ومركباته.

---

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (٥/ ٥٠٦)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (٣/ ٥٢١).

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٢٣٨)، ومسلم (٤/ ١٩٥٨)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٥٧)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٢١٧).

فصل

في بيان فطر الإنسان، وتركيب الأركان، وارتباط الأعضاء الرئيسة وغيرها، ونبذة من شرح تشريح الأعضاء، وما يتولد من الأركان، والأمزجة من الأخلاق، وبيان ما اصطنع الله بحسن أفعاله في ترتيب جنود الجسد الإنساني

افهم أيها اللبيب أن الله تعالى فطر أصل الإنسان على أربع فطر، فطرة الماء والتراب والنار والهواء، فالرطوبة مع البرودة من الماء، واليبوسة مع البرودة من التراب، والحرارة مع اليبوسة من النار، والحرارة مع الرطوبة من الهواء، وهذه الأمزجة مركبة، والحار الرطب، والبارد اليابس، والبارد الرطب.

وهذه العناصر الأربعة المركبة والمفردة هي أمزجة أربعة أخلاط منها: الدم، وهو طبع الهواء، وهو حار رطب، والبلغم وهو طبع الماء، وهو بارد رطب، والصفراء وهي طبيعة النار وهي حارة يابسة، والسوداء وهي طبيعة الأرض باردة يابسة.

ثم جعل الحق سبحانه لهذه العناصر مواضع، وهي تنقسم إلى رؤساء، وهي: الدماغ، والقلب، والكبد، والأنثيان، وجعل الدماغ باردًا لئلا يلتهب، ويحترق بالحركات الحسية، والفكرية، الإرادية، وليكون أصلح لحركات الفكر، وجريان الأنفاس، وليسهل تغيره بحسب الحركات، ولينبت منه الأعصاب اللينة، وجعل لها حزمًا كالأعصاب للدماغ، والشريان للقلب، والأوردة للكبد، وأوعية المني لآلة التناسل.

وجعل سبحانه للإنسان أعضاء مختصة لها قوى غريزية كالشحم واللحم والعظام، وجعل أعضاء لها قوى غريزية، ويجري إليها من الأعضاء الرئيسية قوى

آخر كالمعدة والكلى والطحال والرئة.

وجعل تعالى في الإنسان قوى آخر، وهي تنقسم إلى طبيعة، وهي في الكبد وحيوانية وهي في القلب، ونفسانية وهي في الدماغ.

وأما الطبيعة منقسمة إلى مخدومة، وهي القوة المولدة، وهي التي يحل النطفة بأمر الله تعالى وإرادته، وهي من الأملاك الملكوتية الفعلية الإلهية، وتعمل بها أعضاء متشابهة الأجزاء.

ثم يؤلف من هذه الأعضاء الأزلية وجعل لها خدامًا، وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة، والدافعة.

ثم جعل لها خادمة من وجه، ومخدومة من وجه، كالقوة المغيبة وهي التي تمدد الأعضاء طولاً وعرضًا وعمقًا بإذن الخالق المنزه عن الشريك، وجعل لها خادمة وهي القوة المولدة، وجعل القوة المربية خادمة للقوة المغذية، وهي التي يشبه الغذاء بالمعتدي، وجعل للقوة المولدة خادمة، وهي القوة المغيرة الثانية، التي تغير وتهدم الغازية بطريق التشبيه، وهي الصورة التي تصور بإذن واهب الصور جل جلاله.

ثم جعل سبحانه القوة الحيوانية فاعلة تفعل انبساط القلب والشرايين وانقباضها للترويح وإخراج الأبخرة الدخانية، وجعلها منفعلة بها يكون الغضب والأنفة.

وجعل القوة النفسانية منقسمة على مدبرة، وبها يكون التخيل والتفكر والتذكر، وإلى محركة بإرادته تحرك العضلات، وإلى حساسة وهي الحواس الخمس، ثم جعل سبحانه بعد ذلك الأفعال منقسمة إلى مفرد كالجذب، والإمساك، والهضم، والدفع، وإلى مركب كنفوذ الغذاء، وهو يتم بقوتين، الجاذبة والدافعة، وكشهوة

الغذاء يتم بالجاذبة والحساسة.

وجعل سبحانه فيه أرواحًا إما طبيعية ينفذ في العروق غير الضوارب من الكبد إلى جميع البدن، وإما حيوانية ينفذ في الشرايين من القلب إلى جميع البدن، وإما نفسانية وينفذ في الغضب من الدماغ إلى جميع البدن، وهذه الأرواح من قبل العالم السفلاني بخلاف العقل الملكوتي والروح القدسي فإنهما من العالم العلوي، وهذه الأرواح التي ذكرناها قائمة بهما، وهما قائمان بالله سبحانه.

وهو تعالى خلق الإنسان في ظاهره وباطنه على أربعة أجزاء: الرأس جزء، واليدان جزء، والصلب جزء، والرجلان جزء، وهي مقسومة على اثني عشر فصلاً، الكفان، والساعدان، والعضدان، والقدمان، والساقان، والفخذان، وفيها من العظام مائتان وثمانية وأربعون عظمة، من ذلك في الرأس اثنتان وأربعون عظمة، وفي اليدين اثنتان وثمانون عظمة، وفي الصلب أربعون عظمة، وفي الرجلين أربعة وثمانون عظمة.

وخلق سبحانه فيه ثلاثمائة وستين عرقًا، رأس بعضها في الفؤاد مثل الوتين يمص قوة الطعام والشراب، ثم يقسمه بين الكبد والطحال والمرارة والرئة، وبعضها أنهار الجسد مثل الأخدعان اللذان يسقيان جميع عروق الجسد، من مشارب الوتين الذي رأسه في الفؤاد، وعروق الرجل مثل السالفان يسقيان جميع عروق الرجل، ثم خلق سبحانه في الإنسان مائتين وستين عضلة من الفرق والقدم، وربط جميع هذه العضلات والأعضاء والعروق بالأعصاب، مثل أطناب الخيام المربوطة بالأوتاد، سبحان من يدبر جسد الإنسان بهذه الصفات.

ثم من حكمته القديرة يجري من كل ركن، وعنصر، وعضو، وعصب، طبعًا من الطباع الإنسانية، والحيوانية، والشيطانية، والروحانية، والعقلية، والروحية، والأخلاق الربانية، وأنه تعالى ركب على جسد الإنسان ما ذكرنا من الفطر التي تنبت أخلاقًا، فمن التراب العزم، ومن الماء اللين، ومن الحرارة الجدة، ومن البرودة الأناة، فإن مالت به اليبوسة كان عزمه قسوة، وإن مالت به الرطوبة كان لينه مهانة، وإن مالت به الحرارة كانت حدته طيشًا وسفهًا، وإن مالت به البرودة كان بليدًا، فإن غلبت فطرته كان عازمًا في أمره، لينًا في عزمه، حادًا في لينه، متأنيًا في حدته، لا يغلبه خلق من أخلاقه، ولا يميل، من أيها شاء استكثر، ومن أيها شاء أقل، ومن أيها شاء عدل، يعلم كل خلق منها إذا علا عليه بأي شيء يمزجه ويقربه، فأخلاقه كلها معتدلة، كما يجب أن يكون فمن التراب قسوته، وبخله، وحرصه، وفظاظته، وشحه، وبأسه، وقنوطه، وعزمه، وإصراره، ومن الماء لينه، وكرمه، ومعرفته، وتوسعه، وسهولته، وقربه، وقبوله، وبكاؤه، واستبشاره، فإذا خاف ذو العقل أن تعلو أخلاق التراب، وتميل به ألزم كل خلق منها أخلاقًا من أخلاق الماء يمزجه ويلينه، فيلزم القسوة اللين، والحصر التوسع، والبخل العطاء، والفظاظة الكرم، والشح السماح، واليأس الرجاء، والقنوط الاستبشار، والعزم القبول، والإصرار [الرضا].

ثم من النفس حدته، وشهوته، ورخصته، ولعبه، ولهوه، وسخطه، وضحكه، وخوفه، ومن الروح حلمه، ووقاره، وعفافه، وحياؤه، وبهاؤه، وفهمه، وكرمه، وصدقه، ورفقه، وصبره.

فإذا خاف ذو العقل يغلب عليه أخلاق النفس، ويميل به ألزم كل خلق منها خلقًا من أخلاق الروح يقومه يلزم الحدة الحلم، والخفة الوقار، والشهوة

العفاف، واللعب الحياء، واللهو البهاء، والضحك الفهم، والشح الكرم، والخداع الصدق، والعنف الرفق، والخوف الصبر.

ثم بالنفس سمع ابن آدم وأبصر وأكل وشرب وقام وقعد وضحك وبكى وفرح وحزن، وبالروح عرف الحق من الباطل، والرشد من الغي، والصواب من الخطأ، وبه يعلم، ويُعلم، ويتعلم، ويعقل، ويستحي، ويتكرم، ويتفقه، ويتفهم، ويحذر، وأن يقدم ثم يعزم إلى أخلاقه عشر خصال أخرى:

الإيمان، والحلم، والعقل، والعلم، والعمل، واللين، والورع، والصدق، والصبر، والرفق، فهذه الأخلاق العشرة تجمع الدين كله، ولكل خلق منها عدو فعدو الإيمان الكفر، وعدو العقل الغي، وعدو العلم الجهل، وعدو العمل الكسل، وعدو اللين العجل، وعدو الورع الفجور، وعدو الصدق الكذب، وعدو الصبر الجزع، وعدو الرفق العنف، فإذا وهن الإيمان يسلط عليه الكفر وتعبده، وحال بينه وبين كل شيء يرجو منفعته، فإن كان الإيمان صلبًا يوهن له الكفر وتعبد واستكان، واعترف الإيمان، وإذا ضعف الحلم علا الحمق، وإذا استقام الحلم نصح الحمق وبين عورته وأبدى سوءه، وكشف ستره.

هذا بيان حقائق تهذيب الأخلاق التي صدرت من معادن الأركان متضادة متباينة، والغرض من ذلك تقديس الصفات، والتطرق من الإنسانية إلى الروحانية، ومن الروحانية إلى الربانية، كما قال عليه السلام: «**تخلق بأخلاق الرب**»(١).

فإذا صار متمكنًا يكون ملكًا يملك نفسه، ويمنعها من الغلو في عالم القلب،

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

وهذا كما أشار أهل النحلة، كل إنسان مع بدنه كالوالي في بلده، قيل له: طهر بلدك من النجاسات، وأدب من يقبل التأديب من أهله، ومن ما يقبل الرياضة من حيوانه وسباعه، ومن عاث فيه ولا يقبل التأديب والرياضة فاحبسه واقتله، ولكن بالحق كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١].

وإن عجزت عن تطهير عرصته من الأنجاس، وعن تأديب طغاته، ورياضة حيواناته وسباعه، فلا تعجز عن صيانة نفسك، وعن التلطخ بنجاسته، وعن الاحتراس من أن يفترسك سباعه، وأن يسلبك طغاته حتى إذا لم يكن غالبًا لم يكن مغلوبًا، فصار الناس في ذلك بين ثلاثة أصناف: متهور فيما فوض إليه جُرح وأُسر فصار عند ربه مع كونه مجروحًا مأسورًا ملومًا مخذولاً، وصنف فعل ما أُمر، وأدى حق الإله، فصار عند ربه مشكورًا مأجورًا، وصنف جدّ تارة وقصر تارة، فجَرح وجُرح، وغَلب وغُلب، فهو كما قال تعالى: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٢].

* * *

فصل

في بيان ما جمع الله تعالى في الإنسان من طبائع جميع الأشياء وقواها، وما أبدى فيه من الفطرة التي هي أصل الإنسان، وبها يكون الإنسان كاملاً في قبول أحكام العبودية، ومعرفة الربوبية، وبلوغه بها إلى كمال التسوية التي وصف الله تعالى بها آدم عليه السلام بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩].

وافهم أن الإنسان لما كان ترابًا وصلصالاً وفخارًا وحمأ وماء ونطفة، جمعه الله بقوته الأزلية، وجعل صورته معادن قوى الأشياء التي هي جنود الله الغيبية، ولما صوره ونفخ فيه روحه، أرسل إليه أجناد حكم الربوبية؛ لأن بالروح حصل جميع القوى في الإنسان، لأنه كان مخلوقًا فيه محل استعداد وقبولها، فأول ما يظهر في الإنسان بعد دخول الروح فيه الحياة الحيوانية، والقوة النامية، وقوة نزاع العناصر الأربعة، وتوافق البشرية ثم قوة الحس، ثم قوة الخيال والتخيل والتصور، والتمييز الحيواني.

ثم بان فيه العقل الغريزي، الذي كان في ذات قلبه تطورًا كاختفاء النار في الحجر، فيتبين بانقداح الحديد، وبروزه فيه بعد ظهور أنوار الروح الملكوتي مثل ظهور الذرة بطلوع الشمس، وهو الفصل الذي يميز بين المضار والمنافع.

ثم يظهر فيه العقل القدسي الملكوتي الذي هو وزير الروح، يفرق بين الحق والباطل، والخير والشر، والجميل والقبيح، ويقبل الشرائع والأحكام، وبه يثبت التكليف، ويظهر من قبله التفكر والفكر، وبه صار الإنسان إنسانًا؛ لأنه حسن به أفعاله وأعماله، قال تعالى: ﴿صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤].

ثم تبين النفس وهواها، وهي موضع الشهوة، والغضب، والشيطنة، والحرص، والحسد، والحمية، واللذة، وشهوة الأكل والشرب والجماع، وهي امتحان الحق امتحن الإنسان بها، ومنها تظهر البهيمية، والنفسانية، والشهوانية، تحرص على تناولها، وجميع اللذة الروحانية من العلم والحكمة والأفعال الجميلة، والأخلاق المحمودة من محل الروح والعقل، فالشيطان يغري النفس إلى لذتها، والملك يغري الروح والعقل على اللذة الروحانية، قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس:٨]، وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠].

فصارت جبلة الإنسان على ضربين: فطرة الروح والعقل والملك، وفطرة النفس والشيطان.

فالقسم الأول: اللذات المعقولة، كلذة العلم والحكمة، واستقبال الأفعال الجميلة.

والقسم الثاني: اللذات المحسوسة، كلذات المذوقات، والملبوسات، والملموسات، والمشمومات، والمسموعات، والمبصرات، والمأكولات، والمشروبات، ولذة الخلق والفرج.

والنفس غالبة بهذه اللذات، والروح والعقل غالبان بلذات العلم والحكمة، والشرع يدفع الروح والعقل إلى اكتسابه حظوظها من العلم والعمل، الذي يزيد لهما الضياء والنور، الذي يطيران به إلى معادن الملكوت.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً﴾ [الكهف:١٠٧].

ويمنع النفس من متابعة الهوى والشيطان كرهًا قال الله تعالى:

﴿لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور:٢١]، ولولا أن الله تعالى منعها بتأديب الشرع عما لا يحل لها لهلكت، واقتحمت المهالك، قال رسول الله ﷺ: «عجبت من أقوام ينقادون إلى الجنة بالسلاسل»(١).

وإذا أراد الله أن يسير الروح الملكوتي في أنوار الذات والصفات، يحل أثقال النفس عن جناحها حتى يطير بجناح القدس في أنوار القدس، ويرى مشاهد القرب، ويشرب من زلال بحار المشاء، ويقوى بها في طيرانها إلى هواء الهُوية ليفنى عن وجودها، ويرى وجود الكون في طلوع شموس المعارف، فإذا رجعت إلى المعادن الإنسانية تغلب أنوارها على ما في الهياكل كما يغلب ضياء الشمس على سواد الدُّجى.

***

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٩)، وذكره ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٦٩٦).

obeikandl.com

فصل

في بيان ما أبدى الله تعالى من العدم إلى الوجود من العلويات والسفليات

وما خص به الإنسان من بينهما

افهم أن الله تعالى خلق أول الأشياء جوهرًا قدسيًا، في فضاء نور القدرة، وأنه أول شيء صدر من الحق، ثم صدر منه العالم، وتجلى له من جماله وجلاله، ثم تجلى له من عظمته فذاب الجوهر، وصار بحرًا زخارًا، فأول ما خلق منه هو ملك بسيط، وهو العرش، والكرسي، وجميع العلويات.

ثم خلق منه ملكوت السماوات والأرض، فمن ذلك الجوهر صدر العالم بأسره وهو جوهر العقل قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل**»[١]، وأشار إلى ذلك الجوهر الذي تنشعب منه العقول والأرواح، ثم أبلغ به أرواح الملائكة، ثم الجنة والنار، ثم أركان العالم وما فيه من الجمادات، والناميات والحيوانات، ثم خلق صورة آدم عليه السلام، فتم صورته يوم الجمعة، قال رسول الله ﷺ: «**خلق الله تعالى الأرض يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الإثنين، والظلمة والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، والدواب يوم الخميس، وآدم يوم الجمعة**»[٢].

وروي: «**أن الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء يوم الأحد إلى يوم الخميس، وخلق في يوم الخميس ثلاثة أشياء السماوات، والملائكة، والجنة إلى ثلاث ساعات بقيت يوم الجمعة، فخلق في الساعة الأولى الأوقات والآجال، وخلق في الثانية الأرزاق، وفي الثالثة آدم عليه السلام**»[٣].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (١/ ٣٣).

(٣) ذكره الشيخ الأكبر في الفتوحات (٢/ ٦٠)، والمناوي في «فيض القدير» (٣/ ٤٤٧).

وذلك قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [فصلت:١٢].

فخلق العلويات على أماكن لا يعترضها الفساد المغير خلقها، أما السفليات لا تخلو من عوارض الفساد الذي يفسدها في أوقات، وأقرب الأشياء إلى عوارض الفساد هو الإنسان؛ لأنه خلق ضعيفًا، قال تعالى: ﴿وخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ [النساء:٢٨]، وقال: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء:١١].

ولأنه خلق ممتحنًا لجميع عوارض البلاء المغيرة شأنه وصورته، وقلبه وروحه وعقله، لكن أراد سبحانه تربيته في طوارق القهريات واللطيفات، لينقله بتربيته من المقام البشري إلى أخلاق أهل العليين، وليس هذه العارضات في حق الإنسان نقصًا له إنما هي مزيد وجدان فيض مباشرة أنوار الحق في أطوار الزمان، ومراد الحق في امتحان الخلق ليدعوهم إلى حد كمال العبودية ومعرفة الربوبية.

وكل ما ترى فيه نقصًا بقياسكم، لم يكن ذلك نقصًا عند ذوي الحقائق؛ لأن الله تعالى خلق الأشياء بلا نقص؛ لأن قدرته منزهة عن النقائض، وهو تعالى أنشأ آدم ﷺ في أحسن صورة، وأشرف هيئة بلا واسطة الملائكة، وغيرهم قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢]، فتولى خلقه بجلاله وكماله وقدرته، وعلمه الأسماء الحسنى، وكساه كسوة الروحانيين والملكوتيين، ورباه في حجر وصاله ومشاهدة جماله، ثم خلق ذريته لكن بواسطة، وجعل تربيتهم وتعليمهم بوسائط الروحانيات، والجسمانيات، والجسمانيات الآباء والأمهات، والروحانيات الملائكة المأمورة الموكلة بالأرحام والأصلاب، ولا يفارق الإنسان من تربية الروحانية والجسمانية أبدًا، والحكمة في ذلك بيان إظهار خصائص آدم، وحقوق الآباء والأمهات والأستاذين قال تعالى: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤].

ومن حيث الظاهر يتبين فرق بين أمره الخالص في إيجاده وفعله، ومن حكم الحقيقة وعين الجمع إيجاد الكل له؛ لأن فعله متعلق بصفاته، وصفاته قائمة بذاته، فالكل صدر منه بالحقيقة، ولا غير في البين، ألا ترى أنه أول ما أوجد من العدم إلى الوجود جوهر أخضر، وذكرنا أنه العقل الذي قال ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل**»[1]، وذلك الفعل خاص لا يتعلق بالوسائط، وذلك الفعل قائم به، ومن طريق الحقيقة الفعل، والفاعل كأنهما واحد من حيث عين الجمع، لكن كان ذلك مخلوقًا له كان معه.

قال ﷺ: «**كان الله ولم يكن معه شيء**»[2] خلق أصلاً، وكان كقدر فيه مجامع الحوائج، وهو ما روي: «إن الله تعالى أراد أن يخلق السماوات والأرض، خلق جوهرة خضراء عظمها أضعاف أطباق السماوات والأرض، ثم نظر فيها بنظر هيبته فصارت ماء، ثم نظر إلى الماء فغلى وارتفع منه زبد، وبخار وأرعد من خشية الله تعالى، ومن ثم يرعد إلى يوم القيامة، وخلق تعالى من ذلك الدخان السماء، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت:١١]».

ثم جاءت نوبة خلق آدم، فخلق أصلاً من كل أصل، وصيره زبدة مخيض ممخاض الكون، فصار أصل الفعل الخاص الذي وجد مباشرة، تجلي الذات والصفات بعد أن وجد مباشرة الأمر في أول إيجاد الجوهر، وكان خالصًا من جميع البرية بكينونيته بتجلي الذات والصفات من ذلك صار غرض العالم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١١٦٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ١١) بنحوه.

فصل

في ماهية الإنسان

وافهم إنا ذكرنا أصل صورة الإنسان وماهيتها، وما خلق الله آدم منه، وذكر ماهيته، ومشابهته بالعالم، لكن الآن أذكر أن الإنسان اسم جامع للصورة، والروح، والعقل، والنفس، والقلب، وصفاتها، وأشكالها، وهو على الحقيقة جزءان، جزء جسماني، وجزء روحاني، فالجسماني هو بدن محسوس، والروحاني هو روح معقول، فالجسماني خلق من ملكوت الأرض، والروحاني خلق من ملكوت الغيب، والجسماني قائم بالروحاني، وقد أبهم الله تعالى الجزء الروحاني وماهيته بقوله: ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ [الإسراء:٨٥].

وعندي الروح جسم لطيف، خلقه الله من نور الغيب، والذي هو عالم الأمر والعلوم الخاصة، والله تعالى وصف أروح الشهداء بأنها تسرح في الجنان وتأكل من ثمارها، وتشرب من أنهارها، قال تعالى: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران:١٦٩]، وقال رسول الله ﷺ: «**أرواح الشهداء في أجواف طير خضر...**»[١] الحديث، فظاهر الإنسان وصورته المحسوسة يرى بالعين الظاهرة؛ لأن صورته البدنية هي منتصبة القامة، وهيئته المستوية، مع جبلة النقص، **والنماء مشهودة**[٢].

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٦٥)، والدارمي (٢/ ٢٧١)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤/ ٢٠٤).

(٢) قال الصدر القونوي: قاعدة كلية تتضمن التعريف بكيفية تدبير الأرواح الأجساد وصورة الارتباط بين كل منها مع الآخر: اعلم أن الارتباط الذي بين الروح الحيواني، وبين المزاج الطبيعيُّ الإنساني ثابت بالمناسبة، كما أن الارتباط بين النفس الناطقة وبين الروح الحيواني إنما

صح وثبت أيضًا بالمناسبة، ولو لا ذلك ما تأتي للنفس تدبير المزاج البدني لما بينهما من المباينة من جهة بساطة النفس، وتركيب البدن، وفرط كثرة أجزائه، واختلاف حقائق ما تألَّف منه.

فالبخار الذي في تجويف القلب، وإن كان جسمًا فإنه ألطف أجزاء بدن الإنسان وأقربها نسبة إلى الأجسام البسيطة؛ وهو كالمرأة للروح الحيواني.

والروح الحيواني: من حيث اشتماله بالذات على القوى الكثيرة المختلفة المنبثَّة في أقطار البدن، والمتصرفة بأفانين الأفعال والآثار المتباينة تناسب المزاج البدني المتحصِّل من العناصر، وما يتبعه من الخواص المعدنية والنباتية والحيوانية، ومن حيث أنه قوة بسيطة متعلقة غير محسوسة مجعولة في ذلك البخار القلبي الذي قلنا أنه كالمرآة له تناسب النفس الناطقة؛ وإنه أيضًا كالمرآة لها: أي للنفس.

ونسبة النفس الجزئية الإنسانية إلى النفس الكلية، نسبة الروح الحيوانية إليها من جهة الافتقار إلى المادة، والتقيُّد بها وملابسة الكثرة، ومن جهات غير هذه المذكورة كخواص إمكانات الوسائط من الأفلاك والنفوس والعقول والشئون المعبر عنها بالأسماء.

ونسبة النفس الكلية إلى القلم الأعلى المسمَّى بالعقل الأول، والروح الكلي؛ نسبة النفس الجزئية إلى النفس الكلية، ونسبة الروح الكلي المشار إليه إلى جناب الحق سبحانه نسبة النفس الكلية إليه؛ بل أقل وأضعف هذا وإن كان هذا الروح الكلي الذي هو القلم أشرف الممكنات، وأقربها نسبة إلى الحق، وأنه حامل الصفات الربانية، والظاهر بها علمًا وعملاً وحالاً.

فالسير، والسلوك، والتوجه بالرياضة، والمجاهدة، والعلم، والعمل؛ المحققين المتأصِّلين بأصولِ الشرائع والتعريفات الربَّانية يثمر بعناية الله ومشيئته انصباغ القوى المزاجية بوصفِ الروح الحيواني في الجمع بين خاصية البساطة والتجريد، وبين التصرُّفات المختلفة بالقوى المتعددة في فنون الأفعال، والتصريفات الظاهرة في بدنِ الإنسان بالقوى والآلات.

والروح الحيواني كماله الأول انصباغه بأوصاف النفس الناطقة، والنفس الناطقة الجزئية كمالها الأول تحقُّقها بوصفِ خازن الفلك الأول المسمَّى في الشرائع بـ «إسماعيل»؛ وعند أهل النظر بالفعال، وكمالها المتوسط ظهورها، وتحققها بوصف النفس الكلية، واكتساب

أحكامها على وجهٍ يوجب لها التعدي منها إلى المرتبة العقلية والروح الكلي.

ثم الاتصال بجناب الحق والاستهلاك فيه بغلبة حكم الحقية على الخلقية، وزوال الخواص الإمكانية والتقييدية بأحكام الوجوب، وبقهر حكم الحق الواحد القهار كل حكم، ووصف كان يُضاف إلى سواه، وهذا القهر يرد على كل ما امتاز من مُطْلق الغيب الكليِّ الربانيِّ، وتلتبس بواسطة الأحوال الإيجادية بأحكام الإمكان والتقييدات الكونية المتحصِّلة من الشروط الوسائط.

فيستهلك الجزء في كله، ويعود الفرع إلى أصله، مستصحبًا خوص ما مرَّ عليه واستقر فيه مدة، ووصل إليه؛ كماء الورد كان أصله ماء فسرى في مراتب التركيب والمواد، واكتسب بسراينه ما صحبه بعد مفارقةِ التركيب من طعمٍ، ورائحةٍ، وخواص آخر، ولا يقدح شيء منها في وحدته وبساطته.

وإذا عرفت هذا، فاعلم أنه يتحصَّل بين كيفيات المزاج الإنساني وبين ما يكون قلب الإنسان وذهنه مغمورًا به من المقاصد والتوجهات وغيرهما كانت ما كانت، وبين ما ارتسم أيضًا في نفسه من العلوم، والعقائد، والأوصاف، والأخلاق في كل وقتٍ؛ هيئة اجتماعية.

تلك الهيئة مع ما ذكرناه أولاً في القاعدة بالنسبة إلى جناب الحق من جهة عدم الوسائط، وبالنسبة إلى سلسلة الحكمة والترتيب، وما أودع سبحانه من القوى، والخواص، والأوامر، والأسرار في السماوات العُلا وما فيها من الكواكب والأملاك، وما يتكيَّف به من الأوصاف والتشكُّلات؛ كالمرآة يتعين فيها من تجلِّي الحق، وشأنه الذاتي، وأمره الترتيبي الحكمي العلوي، وما يتبعه جميع التصورات والتصرفات الإنسانية وما ينضاف إلى الحق من الأسماء والصفات والشئون والآثار.

فمنها: أي من الأمور المتعينة المشار إليها: ما هي دائمة الحكم ثابتة الأثر.

ومنها: ما يقبل الزوال؛ لكن ببطء.

ومنها: سريعة الزوال والتبدُّل من حالٍ إلى حالٍ.

ومنها: ما نسبته إلى الحق أقوى وأخلص.

ومنها: ما نسبته إلى الكون أو الإنسان جمعًا وفرادىً من حيث ظاهر المدارك غالبا أحق وأنسب.

ومنها: ما يفيد معرفة الاشتراك بين الحق وما سواه من إنسان وغيره.

ومنها: ما يقضي بالاشتراك بين الحقِّ والإنسان فقط.

ولست أعني بالإنسان هنا نوع الإنسان؛ بل يُعنى به الإنسان الحقيقي الذي هو بالفعل إنسانٌ كاملٌ الذي من جملة مناصبه مقام النيابة عن الحقِّ، وكونه واسطة بين الحق وما سواه في وصول ما يصل من الحق إلى الخلق في عصره، هكذا كل كامل في كل عصرٍ.

وهذا المشهد لما أريته عرفت منه سرَّ التجدُّد بالأمثال، وبالأضداد، والمتخالفات، وأعني بالتجدد تجدُّد وجود الكون، والخواطر، والتصورات ونتائجها في كل زمان، وظهور الخلق الجديد الذي الناس منه في لبسٍ كما أخبر تعالى. وقول الحق: ﴿ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[ق: ١٥]

ورأيت تعين الوجود المطلق بصورِ الأحوال؛ وهي ذات وجهين، فكلها إلهية من وجهٍ، وكونية من وجهٍ، وصادق على الجهتين باعتبار آخر.

ورأيت تعين الأسماء، والصفات الإلهية والكونية بحسب تلك الأحوال.

ورأيت كيف ينتج بعض الأفعال، والعقائد، والأحوال الإنسانية سخْط الحق ورِضاه، وأحكامه وتعدد أثره الوحداني مع عدم تغير أمر في ذلك الجناب الأقدس؛ بل رأيت بعض الأفعال والتصورات العلمية والاعتقادية من الإنسان، إذا اقترن بحالٍ مخصوص من أحواله؛ استجلب بحكم علم الله السابق فيه، وتقديره اللاحق؛ تعينًا جديدًا من مطلق غيب الحق يظهر بحسب تلك الهيئة الاجتماعية المتحصلة كما قلنا من التصورات العلمية الروحانية، أو الاعتقادية الذهنية الظنية، والكيفيات المزاجية، والنقوش والتعشُّقات النفسية، والأوصاف والأخلاق الشريفة والدنيئة، فإن كان أثر ذلك الأمر الظاهر التعين شيئًا موافقًا لما سبق به التعريف الإلهيّ بلسان الشريعة، وما تدرك العقول، والفطر السليمة وجهِ الملائمة والحسن فيه أضيف إلى الحق؛ بمعنى أن ذلك أثر رضاه ورحمته، وإن كان الأمر بالعكس أضيف إلى الحق بمعنى أنه أثر غضبه وقهره، سلمنا الله منهما.

وإن كان الغالب على مزاج تلك الهيئة المتحصلة من اجتماع ما ذكرنا؛ حكم حال الإنسان؛ أعني: الحال الجزئي الحاكم عليه؛ إذ ذاك كان ذلك السخط أو الرضاء أو الحكم الإلهي المتعين في الإنسان بحسب حاله الحاضرة؛ قابلاً لزوال بسرعة، وكان قصير المدة.

وإن كان الغالب على الشخص، والجالب ما ذكرنا حكم العقائد، والعلوم الراسخة، والأوصاف والأخلاق الذاتية الجبلية، والمكتسبة الثابتة؛ ثبت الأثر والحكم أو تماديًا المدد الطويلة شرًّا كان أو خيرًا، وكذلك إن كان الغالب فيما ذكرنا من الإنسان حكم صورة مزاجه، وقواه البدنية الطبيعية، والأوصاف والأحوال اللازمة للبدن وقواه؛ انقضى الحكم بمفارقة هذه النشأة العنصرية.

وإن كانت الغلبة للأمور الباطنية النفسانية، وما بعدت نسبته من عالم الشهادة؛ بقيَ الأثر، والحكم مصاحبين إلى حين ما يشاء الله.

وإن كان الغالب فيما ذكرنا الأمور الذهنية الخيالية الظنية؛ تمادى الحكم في النشأة البرزخية أيضًا حتى يشاهد ما قُدِّر له أن يشاهده ممَّا كان يتصوَّره على خلافِ ما كان عليه، وإليه الإشارة بقول الله تبارك تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧] وحتى تظهر غلبة أحكام الروح، وعلمه، وحكم صحبة الحق بالمعية الذاتية، وسره على حكم المزاج، وتخيلات صاحبه التخيلات الغير المطابقة لما عليه المتصور.

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٣٠].

ثم اعلم أن كل نشأة ينتقل الإنسان إليها بعد الموت، فإنها متولدة عن هذه النشأة العنصرية، وإن في ضمن هذه النشأة ما يدوم ويبقى، وإن تتنوع ظهوره، واختلفت كيفياته، وتراكيبه؛ وفيه ما يفنى بالموت، وفيه ما يصحب الروح في البرزخ من الفاسدة والتصورات الرديئة، والمقاصد القبيحة المستحضرة والباقي من لوازم ما ذكرنا من صور الأفعال، والأقوال الإنسانية بموجب القصد والاستحضار المذكورين.

وأما النشأة الحشرية فإنها باطن هذا الظاهر فيبطن هناك ما ظهر الآن، ويظهر ما بطن على وجهٍ

جامع بين جميع أحكام ما بطن الآن، وظهر وما نتج من هذا البطون والظهور، والجمع والتركيب.

ثم عند الصراط يفارق السعداء ما يبقى فيهم من خواص هذا المزاج، والدار مما هو عنصريٌّ غير طبيعيٍّ، وتبقى معهم أرواح قوى هذه النشأة وجواهرها الأصلية المتركِّبة بالتركيب الأبدي الطبيعي الغير العنصري، وصورة الجمع والتأليف الغيبي الأزلي.

وأهل الشقاء ينفصل عنهم ما قد كان يبقى فيهم من أرواح القوى الإنسانية والصفات الروحانية، وتتوفَّر في نشأتهم صور الأحوال المزاجية الانحرافية والصفات الرديئة والكيفيات المردئة الحاصلة في تصوُّراتِهم وأذهانهم، والتي ترتبت عليها أفعالهم في الدار الدنيا وأقوالهم.

وينضم إلى صورهم ما تحلَّل من أجزائهم البدنية في هذه النشأة، فإن كل ما تحلَّل من أبدانهم يعاد إليهم، ويجمع لديهم بصورة ما فارقهم عقلاً، وعلمًا، وحالاً، وعملاً، وما يقتضيه ذلك الجمع والتركيب الذي يغلب عليه حكم الصورة على الروحانية.

وأهل الجنة بالعكس، فإن أكثر قواهم المزاجية، والصفات الطبيعية، وما تحلَّل من أبدانهم ينقلب بوجهٍ غريبٍ شبيه بالاستحالة صورًا روحانية مع بقاء حقيقة الجسم في باطن صورة السعداء، فالباطن هنا مُطلَقٌ، والظاهر مقيَّدٌ، والأمر هناك بالعكس؛ حكم الإطلاق في ظاهر النشأة الجنانية، وحكم التقييد في باطنها؛ وغالب الحكم والأثر فيما ظهر هناك لما بطن هنا وبالعكس.

والنشآت المشار إليها هنا أربعة:

أولها: هذه «النشأة العنصرية»: وهي كالبذرة لباقي النشآت؛ ولها الإدماج والجمع الأكبر.

وبعدها: «نشأة البرزخ»: وإنها متنشئة من بعض صور أحوال الخلق، وبعض أعمالهم، وظنونهم، وتصوراتهم، وأخلاقهم، وصفاتهم، فيجتمع مما ذكرنا أمور تحصل لها هيئة مخصوصة؛ كالأمر في المزاج المتحصِّل من اجتماع الأجزاء التي منها تُركِّب ذلك المزاج كان ما كان، فتقتضي تلك الهيئة ظهور النفس في الصورة المتحصلة من تلك الهيئة، وذلك الاجتماع،

وصفة الصورة بحسب نسبة الصفة الغالبة على الإنسان حين مفارقة هذه النشأة.

فيظهر بعضهم في البرزخ؛ بل وبرهة من زمان الحشر في صورة أسد وطير؛ كما ورد في الشرِّ، وشهد بصحته الكشف والتعريف الإلهي، وليس بالمسخ والتناسخ المستنكر، فإن القائلين بذلك زاعمون أنه في الدنيا، وهذا إنما هو في البرازخ بعد الموت، فافهم.

ومن غلبت عليه الأحكام الروحانية وإفراط إعراضه عن هذه الدار وهذه النشأة؛ كالشهداء المقبلين في سبيل الله للجهاد بطيبِ قلبٍ، وصحة إيمان؛ تظهر نفوسهم في صور طيور روحانية؛ كما أخبر ﷺ : «إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاء فِي حَوَاصل طَيْرٍ خُضْر تَعَلَّق مِنْ ثَمَرِ الْجَنَّةِ تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ العَرْشِ».

وورد في المعنى في الحديث الصحيح: إن في غزوة أُحُد قال بعض الصحابة لبعضهم معاتبًا له: «أتقعد عن جنةٍ عرضُها السَّماوات والأرض، والله إني لأجد ريحها دون أُحُدٍ».

وهذا من بكرة نور الإيمان، وفرط استفراغ الهمَّة حال التوجُّه مع الإعراض التام عن هذه النشأة وهذه الدار، واستشهد صاحب هذا القول يومه ذلك ﷺ، والمتوسطون من الأولياء المفرطين في الانقطاع عن الخلق والمجاهدات البدنية أيضًا كذلك، وأما الكُمَّل فإنهم لا ينحرفون إلى طرفٍ من الوسائط، بل يوفون كل مرتبة حقها؛ فمنهم تامُّون في عالم الطبيعة، وتامُّون في الحضرات الروحية؛ كربِّهم سبحانه الذي أعطى كلَّ شيءٍ خلقه، فلا تغلب عليهم الطبيعة ولا الروحانية. ومن سواهم؛ إمَّا: «مغلوب الروحانية، مستهلك الطبيعة»، وإما: «مغلوب الطبيعة المستهلك قواه الروحانية في عرصة طبيعته»؛ كما هو حال جمهور الناس.

و«الكُمَّل المقرَّبون في حاق الوسط»؛ برازخ بين الطبائع والأرواح؛ بل بين المرتبة الإلهية والكونية، فافهم.

وأما الباقيان من النشآت: فأحدهما: «النشأة الحشرية»، وثانيهما: «النشأة الاستقرارية في إحدى الدارين» وقد سبق التنبيه عليهما، والله الميسر.

جاء وارد بكتابه في جملته أمر مضمونه: اعمل لي، قلت: اعمل له تصديقًا بوعده ووعيده، وترجِّيًا لفضله المرغب فيه، قالت نفسي: هذا لا يصلح لمقامي، قلت: اعمل له بموجب أمره

امتثالاً وانقيادًا، قالت: هذا أيضًا لا يصلح؛ لأني حالتئذ أكون عبدًا لأمره لا عبده، قلت: اعمل له لا نظرًا إلى الأمر؛ بل نظرًا إليه من كونه آمرًا، قالت: إن الوارد يأبى هذا أيضًا؛ فإني أكون عبدًا له من كونه آمرًا؛ لا عبدًا حقيقة، قلت: اعمل له؛ شكرًا على ما أنعم به عليّ، قالت: مقامي يَأباه، قلت: اعمل له؛ ابتغاءَ وجهه الكريم، قالت: وفوقك مع حظك منه، وابتغاء عملك على علة أمرٍ ينافيه كمال المقام، قلت: فاعمل به سبحانه له، قالت: نِعْمَ الآلة، وبئْسَ المستعمل، قلت: اعمل ولا اقصد بعملي أمرًا ما، ولا استحضر حال مباشرتي العمل والشروع فيه نية متعلقة بمطلبٍ معيَّن يكون سببًا لانبعاثي نحو العمل، قالت: لا؛ هذا شبيه العبث، قلت: فكيف العمل؟ قال الوارد برسالة النفس: اجتهد ألا تجعل لهمتك وهمك متعلِّقًا غير الحق؛ لكن تعلُّقًا جُمْليًا كليًّا غير محصور فيما علمت منه أو سمعت عنه، بل على نحو ما يعلم نفسه في أكمل مراتب علمه بنفسه وأعلاها، ثم ترى أنه العامل بك لا أنت.

هذا بعد أن يستصلحك فيكسبك وصفه الإطلاقي كما أخبر إمام الكُمَّل ﷺ بقوله: «إِنَّ اللهَ قَالَ عَلَى لسانِ نبيِّهِ».

وفي رواية: «عَلَى لِسَانِ عَبْدِه سمع الله لمن حمدِهِ».

وإكساب ذلك الوصف هو أن يصدق في حقك حكم التمحُّض المنبَّه عليه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح:١٠] و: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء:٨٠] وحكم التشكيك المنبه عليه بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧].

فمتى صحَّ لك ذلك وراثة محمدية كان قولنا: يعمل بك وأنت وغيرهما من الضمائر إشارة إلى الشأن الذي قيَّد فعله سبحانه المطلق الذي لا وصف له قبل هذا التقييد الشأني، ولا اسم، ولا حكم، ولا رسم، وإنما عرض له بحكم هذا التقييد ظهورٌ بوصفٍ، واسم، وحكم، ورسم، وتبع هذا التقييد الشأني المنبه عليه تقييدات أُخَر كانت مدرجةً ولازمةً للتقييد المنبَّه عليه؛ كقيْدِ الأزمنة والأمكنة والمواطن والمراتب التابعة لمرتبة الشأن المذكور والنشآت، فإنه؛ أعني هذا الشأن منبع كل ما ذكر ومحتده.

فإذا تحققت بهذا الوصف الإطلاقي من حيث هذا الشأن الجمعي الأُحُديِّ صدرت منك

وأما الروح المعقولة: فلا ترى بالعين الظاهرة في الدنيا، لكن بأفعالها يستدل عليها، وأفعالها مع أفعال العقل تكون منتظمة مستحسنة إذا استعملت الجوارح والإحساس، وما يكون للعقل والروح خاصة هو إظهار العلم والحكمة، وما حصل من الغيب بآلة الفكر والرؤية، والتفكر، والسير في عالم الملكوت، وذلك يظهر منه بالنطق، وعبارة اللسان؛ لأن أصل الإنسان هو أنه حيوان ناطق، يعبر بنطقه عما في ضميره بالإشارة عن جملة المعني، وهذا هو القدرة والفصاحة.؟

الأفعال، وصدروها من جناب ربك دون غرضٍ ولا استكمال بها، لما ثبت في بعضِ أذواق أمهات المقامات الكبرى أنه سبحانه كمل فأوجد؛ لم يوجد ليكمل، فإيجاده نتيجة كماله، ليس كماله نتيجة إيجاده، فإن كنت مُحْذيًا على صورة حضرته فكذلك فلتكن، فيصدر الفعل المحمود المسمى خيرًا منك؛ لكونه خيرًا؛ لا لغرضٍ يصحبه تَوَخْي حصوله بذلك الفعل.

ومعنى قولي «لكونه خيرًا» ليس بمعنى أن العلم بِخَيْرِيَّتِهِ أوجب صدوره منك؛ بل تصير بحيث لا يمكن أن يصدر منك إلا من هذا شأنه.

وترى فعلك مع هذا الوصف الإطلاقي مطابقًا لأحكام المراتب الشرعية والعقلية، لكن غير منحصر فيها بالنسبة إلى إفهام المحجوبين؛ كما هي الأفعال المنسوبة إلى ربك لا يمكن معرفة أسرار جميعها ولا تنحصر في ميزان معين ولا يستوعب أحد ما يتضمَّنه من الحِكَمِ، ولا توجب الحكمة عليه فعل أمر ما، وإن لم يخل فعله من الحكم البالغة؛ بل يفعله هو عين الحكمة، ولبّ المصلحة، وثمرة الكمال الذي هو أصل أيضًا لكمال آخر مستجن في كماله الذاتي الأول الظاهر بواسطة الأسماء وأحكامها.

والعبد على خُلُق سيده، وإن جهل أمره ومقصده، فذلك أيضًا عنوان صحة حاله الدال على كمال مضاهاته.

وكفاه ذلك شرفًا وبهاءً ورئاسة تعلو على كل رئاسة وتحكم على كلِّ كمالٍ مقيَّدٍ وحال، والله أعلم.

انظر: النفحات الإلهية (ص٨٧) بتحقيقنا.

وأصل الإنسانية ما ذكرنا وهو العلم، والنطق، والفصاحة، والقدرة في تعاطي الأفعال الخاصة، التي هي مختصة به فمن له قدرة وتمكين في الفصاحة، ومباشرة الأشياء، حصل له الإنسانية، وليس من له صورة بدنية هي مجمع الشهوة، والغضب، والخيال، والحس، والحمية، وظاهر السمع والبصر، واليد، والرجل، فهو إنسان حقيقي لأن أصل الإنسانية بيان بالعقل والعلم، ومعرفة الصانع، والتطرق إلى معرفة وطلب قدرته، ومعادنه، ومصادره التي صدر منه؛ لأن الله تعالى ذم قوم لهم الإحساس السليم لكن لم ينتفعوا به، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩].

وحقيقة الخطاب متوجه إلى من له قلب شاهد، وروح عارف، وسر ظاهر يعتبر بعينه، ويقظة بسمعه، يعرفه بقلبه قال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَياًّ﴾ [يس:٧٠] فالحياة الحقيقة حياة القلب بالمعرفة، وحياة الروح بالمحبة، وحياة العقل بإدراك حقائق الأشياء.

فإذا كان الإنسان بهذه المثابة يكون إنسانًا له جوهر الإنسانية المأثور من الفطرة الأولية، وهو آدم عليه السلام لأنه كان كينونته على حد الكمال، حيث ظهر القدم للعدم بإيجاد آدم، وكون فطرته كان بمباشرة صفته الخاصة الأزلية، حيث قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] ولهذا كان أحسن الخلائق؛ لأنه تعالى صوره بنقش خاتم ملك الوجود منقوشًا بأنوار تجلي الذات والصفات.

❁❁❁

فصل

في بيان تفضيل الإنسان على ما يرى في الكون

افهم أن الإنسان المختص بما ذكرنا من الفضائل والخصائص زيد فيه خاصية أخرى وهي أنه خلق على كمال يصلح وجوده للدارين؛ لأنه مجمع القوة الحيوانية والروحانية، وبها يصلح لعمارة الدنيا، والعمل للعقبى، وله جوهر عالم الملكية، وجوهر الحيوانات، فمن جهة العقل والروح أصله من طور الملائكة.

ويتولد من هذا الجوهر العلم، والفهم، والفطنة، والفكر، والذكر، والمعرفة، والمحبة، والشوق إلى الملكوت الأعلى.

ويكون علمه إذا غلب عليه الصفة الملكية الصدق، والإخلاص، والشكر، والصبر، والتوكل، والرضا، والتسليم، والإنس، والحلم، والحكمة، والذكاء، والرحمة، والشوق، واللطف، والكرم، والتقوى، والتواضع، والخوف، والخشية، والحياء، والأمانة، والديانة، وجميع الأخلاق المحمودة التي تنال بها درجات الجنان، ويدرك مشاهدة الرحمن، وينجو بها من النيران والهجران.

ومن جهة الشهوة، والغضب، والأكل، والشرب، والغذاء، والتناسل، والمنازعة، والبلادة، وقلة الفهم، والشره، والبطر، والحرص، والجماع، وجميع الأخلاق البشرية يكون من الأصل الثاني، وهو من طور الحيوان، وهو واسطة بين الجوهرين، وضيع هو الحيوان، وشريف وهو الملائكة، فجمع الله فيه قوى العالمين؛ لأن الله تعالى خلقه لعبادته، وخلافته، وعمارة أرضه، وإظهار شرائعه، ونصب أعلام عبوديته، وعرفان عبوديته، واصطفاه لمجاورته، في جنسه وجوار جناب حضرته،

obeikandl.com

وكشف مشاهدته، ولو لم يخلق فيه كلتا القوتين ، قوة الملك وقوة الحيوان لم يحصل منه الخلافة في الدنيا، والمجاورة في العقبى، وإذا كانت الملائكة ناقصة من إحدى القوتين لم تصلح للخلافة في الأرض، لذلك قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

ولم يكن موصوفة بالقوة الإنسانية والبشرية فلا جرم لم يصلحوا للخلافة وصلح آدم للخلافة لما له من تلك الخاصة، ولهذا كان أشرف الأشياء من الملائكة والحيوانات جميعًا، ولذلك قال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

وللملائكة خاصية الروحانية، وهم مستعدون للخدمة في الحضرة لكن ليس لهم حدود الاستقامة، فتخلفوا عن مقام الخلافة، ولم يصلح الحيوان للخلافة ولا المجاورة لفقدانه كلتا القوتين، والبهائم والحيوانات والسباع وجميع الأمم دنياوية، والملائكة والحور أخروية، والإنسان دنيوي وأخروي، لما جمع الله تعالى فيه جميع الخصائص الروحانية، والعقلية، والملكية، والبشرية، والحيوانية.

ولم يكن خلقه عبثًا بل خلق للعبودية، وعرفان الربوبية، والوصول إلى الحضرة، والحساب، والعتاب، والثواب، والعقاب، وكشف النقاب، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥] فتعالى الله الملك الحق، ومقصود الحق سبحانه من إيجاد الأكوان والحدثان والأركان والأجرام، هو الإنسان خلق المكان والزمان والأركان، ثم أخرج بالعناصر النبات ثم الحيوان، ثم الإنسان فلما جعل الأجسام الإنسانية والبشرية، أدخلها الأرواح الملكوتية فإذا صار جسم الإنسان حيًا بالروح الناطقة القدسية، صار عاقلًا بالعقل الأول الذي

قال النبي ﷺ: «**أول ما خلق الله العقل**»(١).

ويكون عالمًا باستدلال الكون على وجود الخالق القديم القادر على خلقه، ثم بعد ذلك عارف بوحدانيته، وربوبيته، وعبوديته، ويعبد الله تعالى فحصل مقصود الله من إيجاد الكون؛ لأن مراده إظهار نفسه لعباده ليعرفوه ويحبوه، قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال ﷺ: «**كنت كنزًا مخفيًّا، فأحببت أن أعرف**»(٢).

وإذا بان الإنسان ظهر خليفة في الأرض، وهو الذي خلق الجنة والنار لأجله، فإذا وفي بأداء حقوق الله في عبوديته؛ يدخل جواره وجنانه، ويجد النعيم المقيم، ويرى لقاءه الكريم المخصوص بهذه الكرامة آدم وذريته لقوله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾ [الإسراء:٧٠]، فالإنسان سلالة العالم، والمخصوص بالكرامة من بين البرية.

ألا ترى كيف قال تعالى لسيد الأنبياء: «**لولاك ما خلقت الكون**»(٣) والإنسان من جهة خاصية سلالته التي وجدت من الحق مباشرة فيض صفته التي وصفها بقوله: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥]، و﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾ [ص:٧٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ١٧٣)، والمناوي في «التعاريف» (١/ ٥٦٨).

(٣) قال الشيخ كنون في مفاتيح الأقفال شرح جوهرة الكمال: وفي حديث سلمان عن ابن عساكر قال: «هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول لك: **إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً** فقد اتخذتك حبيبًا، وما خلقت خلقًا أكرم عليَّ منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك، ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا». (ص١٠٧) بتحقيقنا.

والعقل العلوي الإلهي كريم على الله لا من حيث الجسم الحيواني، فإن الثور والفيل أعظم، ولا من جهة القوة، فإن الأسد أقوى منه، ولا من جهة التردد، فإن الأطيار أسرع في التردد، ولا من جهة التناسل، فإن من الحيوان ما يلد قبل أربعة أشهر، ولا من جهة الذهب والفضة والجواهر، فإن في المعادن والجبال والبحار منها كثير، بل لو كان خلق الإنسان من جهة هذه الأشياء لم يخلق آدم وذريته، بل يفضل وجوده على وجود جميع الخلق.

ولم يقنع بخلق العرش والكرسي والسماوات والأرض والجنة والنار والحور والقصور وخزان الجنان والنيران، وجميع الكروبين والروحايين، حتى قال: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١]؛ لأنه محل بذر المحبة الأزلية، فاختاره من بين البرية بها قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤].

فهذا خاص في الإنسان من بين الحدثين، وسوى ذلك يحصل منه وهو عمارة العالم، وهو سبب الشرائع والأديان، وكون الأكوان، والجنان، والنيران، ونصرة دينه والإتيان إلى عبادته، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٢٩]، وقال: ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ﴾ [الحج:٦٠] من ينصره ورسوله بالغيب.

وهذه الأشياء لا تتأتى إلا ممن خلق على كلتا القوتين، القوة الإنسانية، والقوة الروحانية العقلية، وهذا هو الإنسان لا غير، والإشارة في ذلك إلى ما نبه الله تعالى بما عيّر أهل الملكوت حين استأثر نفسه بعلم ذلك، فقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]، يعني ما في خليقتي من القوة الروحانية والإنسانية، والعلم، وذلك نائب الله في العالم؛ لأنه منه يظهر كثير العلوم والصناعات والتدبيرات، لأنه كان معدن أفعال الحق سبحانه، قد خرج منه أحكام قدرته بواسطته، ولا يظن أن الله

تعالى احتاج في إيجاد الأمور على الوسائط، ولكن من مقتضى حكمته أن يستبعد جميع العباد بما أراد منهم من الجن، والإنس والملائكة، وهو تعالى متولي جميع كينونات الخلق، وهو منزه عن أن يكون له شريط في إيجاده خلقه؛ لأن قدرته في الأشياء بلا علة، وصنعه للأشياء بلا آلة، ولا معالجة بل الابتداعات له خاصة، تولاها بذاته، وذلك إبداع الموجودات من العدم المحض، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧].

فلما خلق الخلق، وكل ملائكته ببعض أموره ومدبراته، وأمرهم أن يربو أشجار الناقصة حتى يبلغ حد الكمال، قال تعالى:﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾ [الذاريات:٤]، فبعضهم مشغولون بالأجرام السماوية، ومن فوقهم مراقبون أمره وهم الذين وكلهم الله بحمل العرش والكرسي، وحراسة السماوات، وتزيين الجنان وتسجير النيران، وبعضهم رسل الحضرة، وسفرة الملكوت، وهذه الأمور الجارية على حملة العرش مثل إسرافيل، والروح الأعظم، وميكائيل، وعزرائيل، وجبريل، ورضوان قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ [غافر:٧].

ووكل بعضهم على الأركان الهوائية مثل الرياح والسحاب والأمطار، قال تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾[المرسلات:١].

ووكل بعضهم بالبحار، والجبال، والأرض، والقفار، والأشجار، والنبات، والأرحام، ومحافظة العباد وحراستهم من الشياطين، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ [الرعد:١١].

وقد وصف ﷺ ملك الرحم، وهذه الملائكة في ترتيب ممالك الحق مثل

هذه النيران من الشمس، والقمر، والسيارات، والكواكب؛ لأنهن بقدرة الله سبب بلوغ الأشياء المعادنية، والنباتية، والحيوانية، إلى حد الكمال.

والإنسان خاصية فيما فوض الله إليه من الأمور، التي لا يليق بالملائكة بل هي تليق بالإنسان، وذلك مثل الصنائع والحرف المحسوسة التي تحتاج إلى مباشرتها الإنسان، وهو ذو آلة مثل اليد والحواس الخمس، وأشرف من ذلك هو العقل والروح، فجميع ذلك يتم تلك الصناعات في العالم، وهذه لم يحصل لأحد إلا للإنسان كما أن أفعال الملائكة في هذه الأمور لم يتأت من الإنسان، وكذلك الأمور الإنسانية قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات:١٦٤].

لكن لو استقصيت بالحقيقة أمور الإنسان لرأيته على حد أن يكون جميع ما في الكون إلى الثرى موجودًا فيه من الملائكة وأمورها والجن، وما خلق له والحيوان، وما خلق له وله زيادة الخاصية بأنه متصف بصفة البارئ تعالى من العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام والنطق والمعرفة والمحبة والجمال والكمال والبهاء والبقاء مع الحق، بنعت البلوغ إلى مشاهدة جماله وجلاله، أبدًا بلا حجاب قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾[البقرة:١٠٥].

وإن الله تعالى خلق الإنسان من خلاصة جميع العلويات، من العرش والكرسي والجنة والنار والسماوات والأجرام الهوائية والأرواح المكونية، والأجساد الأرضية، والعناصر الأربعة والحيوانية والمعادنية من الجواهر والناميات، حتى لا يبقى ذرة من العرش إلى الثرى إلا وفي الإنسان ما في الكون من جميع الأشياء، وما أخلى الله شيئًا في الأكوان إلا وفيه للإنسان منفعة، وقوة وروح وفيض ونماء وبركة ودواء ومداواة حتى لو سمع ذكر شيء لم يره ينفعه ويقوى لمجرد سماعه؛ لأن بينه

وبين جميع الأشياء مناسبة أصلية؛ لأن الإنسان والأكوان كان جواهر في الأصل الأول، حين أخرجه الله من العدم بقوة القدم، وذلك قوله ذلك ﷺ: «**أول ما خلق الله جوهرة خضراء......**»(١) وقال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ**﴾ [فصلت:٥٣].

وأن الله سبحانه اصطفى الإنسان من لباب جميع الأشياء، وزاده خاصية التجلي والتدلي والمحبة والشوق والعشق، وكشف ذاته وصفاته له في الدنيا والآخرة، فرباه بمشاهدة وكشف صفاته بمباشرة أفعاله فيه في إيجاده، ألا ترى كيف ذكر تلك الخاصية في كتابه، وما اصطفى له من بين خلقه لقوله: ﴿**وخلقت بيدي**﴾ ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾، ولما فضله على جميع الخلق من الملائكة وغيره أمر الملائكة بالسجود له، والإذعان عنده حتى إذا بلغ إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر غير الكروبيون والروحانيون، قال تعالى: ﴿**وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ*سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد:٢٣، ٢٤].

❁❁❁

(١) لم أقف عليه.

فصل

في بيان تفاوت الناس من جميع الوجوه خَلقًا، وخُلقًا، وجوهرًا، وعلمًا، وعملاً، وصناعة، وعقلاً، ومعرفة، وما كان مذمومًا ومقبولاً

وافهم أن هذا الإنسان الذي وصفناه يكون بالتفاوت، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [نوح:١٤].

وقال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام:١٦٥].

وقال: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء:٢١].

وقال ﷺ: «**ليس شيء واحد خيرًا من ألف إلا الإنسان فإن الواحد يكون خيرًا من ألف**»(١)، ولو لا تفضيل الناس بعضهم على بعض لما بان تفاوت الأعمال والأفعال، والصناعات والعلوم والعقول والرجولية والشجاعة، والصبر والسماحة والسياسة والسيادة، قال ﷺ: «**لا زال الناس بخير ما تباينوا، فإذا تساووا هلكوا**»(٢).

وافهم أن تفاوت الناس بعضهم على بعض لا نهاية له؛ **لأن مراتبهم عند الله في جميع المعاني لا يتناهى أبدًا**، فمن حيث الجواهر والطينة له تفاوت، كما جاء في الحديث ، حيث قال ﷺ: «**إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض من**

---

(١) رواه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٣٨)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٣٦٦).

(٢) ذكره ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ١٦).

السهل والحزن، والأسود والأبيض والأحمر، فجاءت بنو آدم على ألوان الأرض»(١).

وسأل عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ: «**كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ قال: خلق رأس آدم وجبهته من تربة الكعبة، وصدره وظهره من بيت المقدس، وفخذيه من أرض اليمن، وساقيه من أرض مصر، وقدميه من أرض الحجاز، ويده اليمني من أرض المشرق، ويده اليسرى من أرض المغرب، ثم ألقاه على باب الجنة، وكلما مر به ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته، ولم يكونوا رأوا قبل ذلك شيئًا يشبهه، من الصور...**»(٢) الحديث.

وروي في الحديث: «**إن الله تعالى خلق آدم من ثلاث طين، الطين الأبيض والأحمر والأسود، فالعرب والروم من الطين الأبيض، والترك من الطين الأحمر، والسند والزنج من الطين الأسود**»(٣).

وروي في الحديث: «**إن المؤمن من الطين الأبيض، والمنافق من الطين الأحمر، والكافر من الطين الأسود**»(٤).

ومن حيث الأمزجة والعناصر متفاوت، ومن حيث الأب والأم متفاوت؛ لأن اكتسابهما يؤثر فيه، قال تعالى: ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ [الكهف:٨٢].

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» (٤/ ٢٢٢)، والترمذي في «سننه» (٥/ ٢٠٤)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣)، وابن بطة في الإبانة (١٣٢٤) بتحقيقنا.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) لم أقف عليه.

ومن حيث النطفة بالتفاوت، وكذلك من حيث الرضاع والغذاء والتربية والتأديب والتعليم والصحبة والسياسة والتأدب بآداب الشرع، وتزكية النفس بالرياضة وتبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة، حتى صار تفاوتهم بتسوية الخلق، وجميل الخلق وما كساه الحق من الحسن والجمال ورقة الطبع، وصفاء الجسم، وطيب النطق وحسن الصوت، قال تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر:١].

ثم تفاوتهم من حيث العقل والروح والقلب والسر والفهم والحواس الظاهرة والباطنة، وافهم أن الأرواح بالتفاوت، كما أن الأشباح بالتفاوت، فبعضها هوائي، وبعضها سماوي، وبعضها ملكوتي، وبعضها روحاني، وبعضها جلالي، وبعضها جمالي، وبعضها قدسي، وليس روح الأنبياء كأرواح غيرهم، وكذلك الأولياء والصديقون، ثم تفاوتهم من حيث المعرفة والمحبة والمقامات والعادات والعبادات، والإدراك والفطنة والعبارة والفصاحة، قال ﷺ: «**بعثت بجوامع الكلم، وأنا أفصح العرب**»(١).

ثم تفاوتهم من حيث الكشف والمشاهدة، والدنو والنبوة والرسالة والفراشات والسير في منازل المواجيد، والتوحيد والتفريد والتجريد، واليقين، قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال: ﴿**وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**﴾ [الأنعام:١٦٥]، وقال: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم**﴾ [الزخرف:٣٢].

ثم خصَّ طينة الأنبياء والأولياء من طينة جميع الخلق، كما خص أرواحهم،

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠٨٧)، ومسلم (١/ ٣٧١)، دون لفظ: «وأنا أفصح العرب».

قال تعالى لداود عليه السلام: «**خلقت طينة أحبابي من طينة خليلي إبراهيم وموسى كليمي، ويحيى صفيي**»[(١)].

ثم خصَّ طينة محمد ﷺ من طينة جميع الخلق كما أن روحه أشرف الأرواح، فإن جسده أشرف الأجساد، والأشباح كما أخبر الله شرفه في جميع الكتب التي أنزلها إلى الرسل قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «**خلقت أنا وأنت من طينةٍ واحدة**»[(٢)]، وقال لعلي رضي الله عنه: «**خلقت أنا وأنت من نورٍ واحد**»[(٣)].

وفي الأخبار: «أن الله سبحانه أمر جبريل عليه السلام أن يأتيه بالقبضة البيضاء التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها ليخلق منها محمد ﷺ فهبط جبريل عليه السلام في ملائكة الفردوس المقربين الكوريين، وملائكة الصفيح الأعلى، فقبض قبضة من موضع قبر رسول الله ﷺ وهي يومئذ بيضاء نقية، فعجنت بماء النسيم وزعزعت حتى صارت كالدرة البيضاء، ثم غمست في أنهار الجنة كلها، فطيف بها في السماوات والأرض والبحار، وعرفت الملائكة حينئذ محمد ﷺ وفضله قبل أن يعرف آدم عليه السلام وفضله، ثم بطينة آدم عليه السلام ثم تركها سنة حتى صارت طينًا لازبًا، ثم تركها أربعين عامًا حتى صارت صلصالاً كالفخار......».

وروى علي بن موسى الرضا عن أبيه علي بن محمد عن أبيه عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عن علي بن الحسين زين العابدين عن أبيه

---

(١) ذكره الحجة الغزالي في الإحياء (٣/ ٤١٩).

(٢) رواه الديلمي في «مسند الفردوس»(٢/ ١٩١) بنحوه.

(٣) رواه الديلمي في «مسند الفردوس»(٢/ ١٩١) بنحوه.

الحسين ابن على بن أبي طالب – كرم الله وجهه – أنه قال: «كان قبل أن خلق سبع سماوات وسبع أراضين، والعرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار والدنيا والآخرة والحجب والعظمة والرحمة والهيبة، والكرامة والسعادة والنبوة، وآدم وشيث، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وسليمان، قبل ذلك بمائة ألف وأربعة وعشرين سنة، نور محمد ﷺ وخلق اثني عشر حجبًا، أولها حجاب القدرة، والثاني حجاب العظمة، والثالث حجاب المنة، والرابع حجاب الرحمة، والخامس حجاب السعادة، والسادس حجاب الكرامة، والسابع حجاب المنزلة، والثامن حجاب الهداية، والتاسع حجاب النبوة، والعاشر حجاب الرفعة، والحادي عشر حجاب النور، والثاني عشر حجاب الشفقة، ثم حبس نور محمد ﷺ اثني عشر ألف سنة في حجاب القدرة ينادي يقول: سبحان العلي الأعلى، وحبس في حجاب العظمة إحدى عشر ألف سنة يقول: سبحان من هو دائم لا يفنى، وحبس في حجاب الرحمة تسعة ألف سنة يقول: سبحان الرفيع الأعلى، وحبس في حجاب الكرامة سبعة ألف سنة يقول: سبحانه من هو غني لا يفتقر، وحبس في حجاب المنة عشرة ألف سنة يقول: سبحان العالم الحكيم، وحبس في حجاب السعادة ثمانية ألف سنة يقول: سبحان من هو قائم لا يزول، وحبس في حجاب الكرامة المنزلة ستة ألف سنة يقول: سبحان العظيم الحكيم، وحبس في حجاب الهداية خمسة ألف سنة يقول: سبحان رب العرش العظيم، وحبس في حجاب النبوة أربعة ألف سنة يقول: سبحان خالق النور، وحبس في حجاب الرفعة ثلاثة ألف سنة يقول: سبحان ربنا رب العزة عما يصفون، وحبس في حجاب النور ألفي سنة يقول: سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان رب والعزة والجبروت، سبحان خالق النور، سبحان الحي الذي لا يموت،

وحبس في حجاب الشفاعة ألف سنة يقول: سبحان العظيم وبحمده.

ثم أوقع بعد ذلك نور محمد ﷺ في بحر النصرة وبحر الرحمة، وبحر المحبة، وبحر القدرة، وبحر الشفقة، وبحر الحلم، وبحر الكرامة، وبحر السخاوة، وبحر الهدى، وبحر المعرفة ، فلما خرج نور محمد ﷺ من بحر المعرفة ألهمه الله تعالى حتى سقط من نور محمد ﷺ مائة ألف وأربع وعشرون ألف قطرة من ماء، ثم خلق الله تعالى من كل قطرة ماء، من الأنبياء، ثم ألهم الله تعالى نور محمد ﷺ حتى طاف حول قدرة الله تعالى ينادي ألف عام: سبحان القديم الذي لم يزل، سبحان الموصوف بالكرم والجود، ويقول: سبحان العالم الذي لا يجهل، سبحان الحليم الذي لا يعجل، سبحان الجواد الذي لا يبخل، ثم خلق من نور محمد ﷺ جوهرًا، وأمر ذلك الجوهر حتى انشق نصفين، فنظر إلى أحدهما بالهيبة وإلى الآخر بالشفقة فصار النصف الذي نظر إليه بالهيبة ماء، وهو ماء البحر لا ينام ولا يقر ويرتعد من خشية الله إلى يوم القيامة، والنصف الآخر الذي نظر إليه بالشفقة، خلق منه عشرة أشياء: أوله العرش، بسطه على الماء، والثاني خلق منه الكرسي، والثالث اللوح، والرابع القلم، فلما خلق القلم ألهمه حتى جرى على اللوح فنظر إليه فانشق القلم من هيبته ثم أمره فقال: أجر، فقال: إلهي وسيدي ومولاي ، بم أجري؟ قال : بعلمي في خلقي، وما علمت منه إلى يوم القيامة، ثم أبى القلم، فقال: اكتب، قال: بما أكتب؟ قال: أكتب شهادة أن لا إله إلى الله وأن محمد رسول الله، ثم سجد القلم فبقي مائة سنة ثم رفع رأسه يتكلم، فقال: إلهي وسيدي ومولاي علمت أن اسمك الأعظم الذي قرنته باسم محمد لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومن محمد الذي قرنت اسمك باسمه؟ قال الله عز وجل: يا قلم، اسكت فوعزتي وجلالي ومجدي وعلوي في أعلى مكان، ما

خلقت العرش والكرسي والسماوات والأرض إلا لأجله.

والخامس خلق الجنة وزينها بأربعة أشياء: بالتعظيم والحلاوة والسخاوة، والإجابة، والسادس خلق القمر، وجعله سراج الليل، والسابع خلق الشمس وجعلها سراج النهار، والثامن خلق الماء فأمرهم بالصلاة على النبي محمد ﷺ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب:٥٦].

والتاسع خلق منه الكواكب، والعاشر خلق محمدًا ﷺ، وغمسه في ماء الرحمة، وبعثه إلى كافة الناس حتى دعا الناس من سبعة إلى سبعة، دعاهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الشك إلى اليقين ، ومن النفاق إلى الأخلاق، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الفرقة إلى الجماعة، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن البخل إلى السخاوة، فقال المؤمن: سخاوته لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولم يقل الكافر كلمة التوحيد، وعن مجاهد عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال : سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل خلقني من نوره، وخلق أبا بكر الصديق من نوري، وخلق عمر بن الخطاب من نور أبي بكر الصديق، وخلق المؤمنين كلهم من نور النبين والمرسلين»[1] يعني: أمة محمد، وهو سراج أهل الجنة.

فبان بهذه الأخبار الصحيحة معنيان: أحدهما أن الكون خرج من أصل الإنسان وفطرته وجوهره، والثاني بيان تفاوت الأجسام والأرواح مع فضل جوهر محمد وجميع الأنبياء والرسل والملائكة والأولياء على جوهر الوجود.

❁❁❁

(١) رواه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ١٧١).

فصل

في بيان بلوغ الإنسان إلى كمال الإنسانية، مرتبة الأنبياء والأولياء والتأدب بآدابهم

وافهم أنه لما خصّ الله سبحانه سادة الخلق من الأنبياء والأولياء والحكماء والنجباء، جعلهم الله بين خلقه كالآباء والأمهات على أولادهم،يبرؤون أهل الأسقام، ويربون الخلق بآداب الشريعة والطريقة، وهم مثل الملائكة المقربين الذي شاهدوا غيب الرحمن، وسمعوا من الله ما لم يسمعه الخلق، وأن الله تعالى أعطاهم فهم أنبائه العجيبة، وعلومه الغريبة، وقوة من قوى الملائكة حتى يربوا العباد والبلاد، قال تعالى في وصف حبيبه: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة:٢]؛ لأن الخلق لا يكونون على كمال الإنسانية إلا بآداب الكتاب والسُّنة، قال ﷺ: «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(١).

فالإنسان من حيث المناسبة الروحانية والقوة الملكية يقبل الوحي من الغيب، ومن حيث المناسبة البشرية يلقى الوحي إليهم، وهم يواسون الخلق ويربونهم بواضحات الشرع، وهم بالإضافة إلى الناس كالناس إلى الحيوانات، وهم في الناس كالشموس والأقمار في سائر الكواكب، وكما أن نور القمر عكس نور الشمس، فإن نور الناس من أنوار الأولياء والأنبياء، وإن نور العقل وإن كان منورًا لا يتم إلا بنور الشرع والعقل كالبصر، والشرع كالنور، ولا يتم البصر إلا بالنور،

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٩١)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨١)، والشهاب في «مسنده» (٢/ ١٩٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٧٠).

قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام:١٠٤].

ولولا العقل ما جاء الشرع، ولولا الإنسان لم يأت العقل، والشرع من الحضرة والإنسان بالحقيقة من له عقل وعلم ويعرف الشرع ويستدين به حتى يكون كاملاً في الجمال الظاهر والباطن؛ لأن العقل نور الباطن والشرع نور الظاهر، قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾[النور:٣٥]، والنور الثالث معرفة الله التي هي مستفادة من تعريفه إياهم، وإشهادهم مشاهدة ذاته وصفاته وهو مقام النبوة والولاية والمخصوصية، من اصطفاه الله في الأزل به، قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة:١٠٥]، وقال: ﴿يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور:٣٥].

واعلم أن للإنسان أرواحًا يعيش بها في الدنيا والآخرة، منها روح حيواني، ومنها روح سماوي، ومنها روح ملكوتي والعقل أحض الأرواح، والروح الذي يزيد حياة وجوده مع هذه الأرواح هو روح الشرع، والعلم الذي هو غذاء جسمه وأرواحه في الدنيا والآخرة، لذلك قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ [الشورى:٥٢]، منَّ على حبيبه بروح العلم ونور اليقين والإيمان والكتاب، وأدبه بكتابه وما أوحى إليه مما أخبر عن خلقه القديم، وأوصل إليه الحياة الأبدية، والشفاء والرحمة السرمدية قال الله: ﴿هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ [فصلت:٤٤].

والعلم والشرع مفرح القلوب، وشفاء الصدور، ومنور الأسرار وأفكار ومصابيح العقول والأرواح، فإن الله تعالى عرف نفسه وجميع صفاته وأفعاله وما كان، وما يكون في ملكه وملكوته بعبارة في القرآن ، فمن عرف الشرع والقرآن وعرف العلم، صار عارفًا بالحق يكون حيًا بالحقيقة.

وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ القُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ* عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن:١- ٤] وزينه بالعقل، فلما كمل بالعقل علمه بيان الشرع، حتى يكون إنسانًا يصلح لبساط رحمته، والنظر إلى مشاهدته وأعطاهم مصباح العقل والعلم، ومرآة الفهم، والحكمة ، وأرسل إليه حبل القرآن ليتمسك به، ويمشي بنوره في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾ [آل عمران:١٠٣].

وإن في الإنسان أماكن فيها أمراض النفس، وهواجس الشياطين، ومن حيث الشهوة الرياء والهوى، والأخلاق المذمومة، ولا يعلم الإنسان تلك الأماكن ما فيها من الصفات الذميمة إلا بنور القرآن والسنة، ولا يعلم معالجتها إلا بهذين [القرآن والحديث]، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، قال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾ [المائدة:١٦].

والإنسان يحتاج إلى النطق والبيان والفهم والعرفان، حتى يكون إنسانًا حيًا ناطقًا بالحقيقة ولا يكون ذلك له حتى يعرف العلم والشرع، وكذلك يحتاج على عبادة خالقه ولا يعرف تلك العبادات إلا بالكتاب والسنة، ومعرفة العلم فإذا عرف ذلك يعرف خدمة الله وعبادته، وإذا سلك سبل **العلم والعبادة** صار أهل الحق في الدنيا والآخرة ولا يبلغ إلى النعيم المقيم إلا بهما .

فصل

في بيان سفر الإنسان إلى الآخرة بالوحدانية وشاهدًا على المشاهدة السرمدية

وافهم أن الإنسان إذا يبلغ إلى كمال العلم والعمل وصار جامعًا في المعاني الأخروية من المعرفة والمحبة، والشوق والتوحيد والتجريد والتمكن في العبادة وسلوك سبيل الحق بنعت تهذيب الأخلاق وما اكتسب من أعمال الآخرة، ولا يبقى فيه نقص من نقائص الصفات الظاهرة والباطنة، يصلح هناك بسفر الآخرة، قال رسول الله ﷺ: «**سافروا تصحوا وتغنموا**»[1].

ويكون موته مبلغة إلى المقاصد العليا، قال تعالى: ﴿**خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الملك:٢]، فإذا فارق الروح من جسده ويصير جسده ترابًا، فإذا كان كذلك فجسده في تربة الفناء، يقلبه الحق في التراب ويصيره سبيكة لا يتغير بعد ذلك بالعلك الإنسانية، ولا تحتاج إلى الامتحان، ويريه في التراب إلى كمال اللطافة، حتى يخرج منه كثافة الإنسانية ويسقط عنه الصفات النفسانية المذمومة، وصار لطيفًا كلطف الروح، فإذا اتصل اللطيف باللطيف ، أعني الروح بالصورة يكون الروح والصورة روحانية صافية عن الكثافة، لذلك قال رسول الله ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء أجسادنا أرواح**»[2].

وهذا الموت عبارة عن خروج الروح من الصورة، وبه يتصل إلى الحياة

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٠٢)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢/ ٣٠٦)، وذكره المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٨٢).

(٢) لم أقف عليه.

الأبدية، والسعادة السرمدية؛ لأن هذه الدار له دار عارية ، ينقل منها إلى دار الإقامة ومحل القرار، قال تعالى: ﴿هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر:٣٩].

وقال ﷺ: «**إنكم خلقتم للأبد، ولكنكم تنقلون من دار إلى دار حتى يستقر بكم القرار**»(١).

ومثال الإنسان إذا كمل في المعاني التي هي مرقاة الغيب، فما ذكرنا من العلم والمعرفة والمحبة والعبادة، مثال اللعل(٢) في المعادن فإذا كمل اللعل بتواتر العناصر ينفلق الصخر منه، ويخرج اللعل من المعدن ثم بعد ذلك يصلح لخاتم الملوك، كذلك الإنسان إذا عرف الله تعالى وعبده وصار أهلاً لما لحضرة يحين رحلته إلى دار العقبى، وحضرة القدس وعالم الأنس ويكون موته حياة، قال تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].

ولهذا اشتاق الأولياء والصديقون إلى الموت، لحبهم لقاء الله وجواره، قال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة:٦].

وقال ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»(٣).

وقال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»(٤)، فإذا خرج المؤمن من هذا السجن يكون طيرًا يطير من القفص إلى هواء العليين بأجنحة العلم والعمل والتوحيد والمحبة والمعرفة، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].

---

(١) رواه أبونعيم في «الحلية» (٥/ ٢٢٩) بنحوه.

(٢) قال جعفر الصادق ﷺ: اللعل يؤول على أربعة أوجه امرأة أو جارية وبنت ونعمة ومال، وقد أراد باللعل البلخش؛ لأنه لفظ أعجمي، مثل الياقوت.

(٣) رواه البخاري (٥/ ٢٣٨٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٥).

(٤) رواه مسلم (٤/ ٢٢٧٢)، والترمذي في «سننه» (٤/ ٥٦٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢٣).

واعلم أن الإنسان قد سافر من العدم على الدنيا، جرى عليه في هذا السفر أطوار كثيرة حتى يبلغ إلى سفر الآخرة، فمات وسافر الآخرة، وأول سفره الموت، ومن الموت إلى القبر، وما فيه من أمور الله من البعث والسؤال، والموت الثاني اللبث في القبر، ثم من القبر إلى المحشر، فينقلب في منازل الآخرة من الامتحان ومعرفة الأشكال الأخروية من الحساب والعقاب والثواب والعقاب، ورؤية الأهوال والنار والورود عليها، ثم سفر الجنة، ومنازلها فإذا قطع ميادين الحدثين، لم يبق له مسافة بينه وبين الحضرة الجلالية السلطانية الجبارية، تجدد له سفر الأنال والآباد.

فإذا سافر في عالم الصفات ومشاهدتها وعرف حقائق أسمائها ونعوتها، يبدأ بعد ذلك بسفر عالم الذات ويطير في أنوار الذات بأجنحة أنوار الصفات أبدًا، حتى يعلم أن سفره غير محدود، ولا يجد لبحار جلاله وجماله وقدمه وبقائه وكبريائه وعظمته ساحلاً، ولا لمعادن وحدانيته مقطعًا، فيكون بين الوصل والفصل، ويصير شاهدًا غائبًا وغائبًا شاهدًا باقيًا، فانيًا وفانيًا باقيًا، فيكون هناك إنسانًا بالحقيقة يصلح للبساط الديمومي، والمشاهد القدمية الباقية، ويبقى مع الله أبد الآبدين بلا خوف ولا حزن ولا عناء ولا نصب، قال تعالى: ﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢]، وقال في وصف من دخل جواره، ورأى لقاءه بفضله ورحمته بلا نصب ولا عناء، وقال: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر:٣٤].

نبَّه الله تعالى أنهم دخلوا الجنة بفضله لا بالامتحان والمشقة، بل بفضله ومحض العناية وحسن الإكرام ولطيف الإحسان حيث قالوا في وصف امتنانه عليه: ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾

[فاطر:٣٥]، أي: ليس هناك دار طاعة ولا مكان علة، بل نعيم مقيم، قال ﷺ في وصف الجنة: «**هي ورب الكعبة: ريحانة تهتز، ونورٌ يتلألأ، وزوجة حسناء، ونهرٌ مطرد**»(١).

قال تعالى: ﴿**عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ**﴾ [الطور:٢٠].

وقال: ﴿**مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ*يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ*بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ**﴾ [الواقعة:١٦-١٨].

وقال تعالى: ﴿**وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ**﴾ [الواقعة:٢٢، ٢٣]، ثم زاد المنَّة عليهم بكشف جماله وجلاله بقوله: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس:٢٦]، الزيادة: لقاء الكريم.

ووصف حالهم على بساط قربة، فقال: ﴿**وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً**﴾ [الإنسان:٢١]، ثم امتن عليهم بأنه تعالى جعلهم على أرائك السرور في روضة الحبور، متقابلين بلا فترة ولا امتحان قال: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾ [الأعراف:٤٣]، إخوانا على سرر متقابلين.

وقال: ﴿**فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ**﴾ [الروم:١٥].

جعلنا الله وإياكم من أهل جواره بسنائه القديم، وجوده العميم.

قد تمَّ كتاب «**تقسيم الخواطر**» من تصنيف شيخنا وسيدنا ومولانا، إمام العارفين والعاشقين، سيد الموحدين، مرشد الخليقة، ومرآة الحقيقة، **أبي محمد روزبهان** -قدس الله سره العزيز- في صفر سنة خمسمائة وخمس وثمانون هجرية.

❁❁❁

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢/ ١٤٤٨)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٦٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦/ ٣٨٩).

صورة خط المصنف رحمة الله عليه

سمع ابني محمد هذا الكتاب من أوله إلى آخره، وقرأ علي على حدِّ الرؤية، وغاية استقصاء، يوم الخميس الحادي عشر من شعبان، سنة إحدى وثمانين وخمسمائة.

كتبه: روزبهان بن أبي نصر بن روزبهان البقلي البناني حامدًا لله ومصليًا ومسلمًا.

* * *

قد تم مقابلته ثانيًا مع النسخة المقروءة على المصنف قدس سره

﴿تم بحمد الله وفضله﴾(١)

---

(١) قلت: وقد تمَّ مقابلته على الأصل ومراجعته والتحقيق، والتعليق ليلة الخامس عشر، من سنة ١٤٢٧ هـ، بدارنا: الحقيقة المحمدية لخدمة تراث السادة الصوفية ٠١٠١٤٦٣٠٢٧ القاهرة.

obeikandl.com

العَرفُ العَاطر
في معرفة الخَواطر
وغيرها من الجَواهر

للشيخ أبي المراحم بن مصطفى بن شيخ العيدروس

المتوفى سنة ١١٩٢ هـ

تحقيق وتعليق وتخريج

الشيخ أحمد فريد المزيدي

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأولياء الله وبعد فهذه تعليقة على أبيات لنا منيفة واسمها العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر وسحائب الظاهر في المظاهر والأبيات هي هذه :

ان الخواطر يا ابن ودي اربعه وهي التي احوالها متنوعه
منها الذي يعزى الى الشيطان وكذا التي هو خاطر نفساني
وخاطر يعزى الى فعل الملك واجلها يولى به من قد ملك
ولقد تكامل عدها يا سالك فاعلمه واعمل يجل لك حالك

واقول اولا هذا التنبيه الذي فيه رفع اشكال عما عسى ان سياتي في هذه التعليقة فيما يتعلق بالقرآن الكريم ونحوه اعلم انه قد ثبت بالاحاديث الصحيحة ان لكل آية من القرآن ظهرا اي وهو تفسيره المتعارف وحده ان لا يتجاوز المنقول وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وبطنا اي وهو التاويل وهو ما تشير اليه الآية وحده ان لا يجاوز الكتاب والسنة مع عدم الجزم بان المراد به هذا لا غير فلا يكون من قبيل تاويل الباطنية بل هو من باب وجوه الاحتمال بالعقل من غير قطع بشيء منها ومن ذلك قول عبد الله ابن عباس رضي الله عنه وعن ابويه

ونفهم

صورة الصفحة الأولى

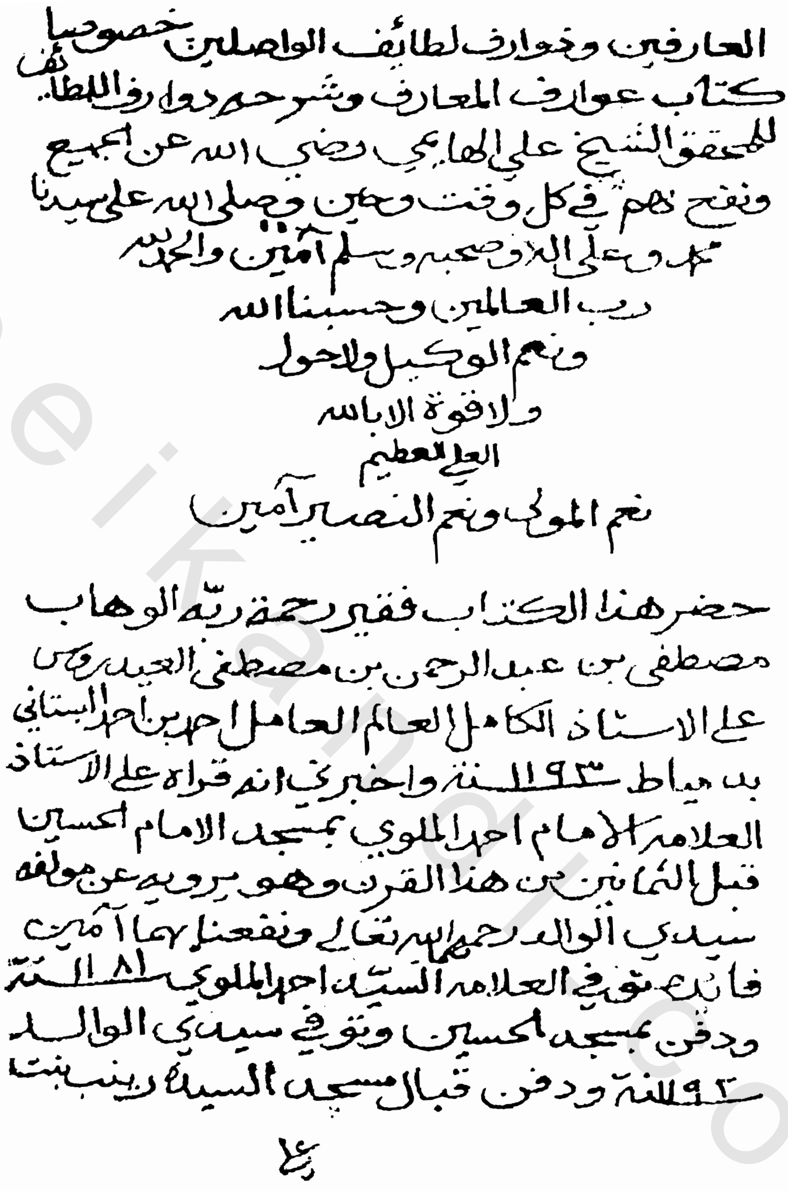
العارفين وخوارف لطائف الواصلين خصوصا
كتاب عوارف المعارف وشرحه دوارف اللطائف
للمحقق الشيخ علي الهايمي رضي الله عنه اجمع
ونفعنا بهم في كل وقت وحين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين والحمد لله
رب العالمين وحسبنا الله
ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله
العلي العظيم
نعم المولى ونعم النصير آمين

حضر هذا الكتاب فقير رحمة ربه الوهاب
مصطفى بن عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس
على الاستاذ الكامل العالم العامل احمد بن احمد البستاني
بن حياط سنة ٩٢٣ واخبرني انه قرأه على الاستاذ
العلامة الامام احمد الملوي بمسجد الامام الحسين
قبل الثمانين من هذا القرن وهو يرويه عن مؤلفه
سيدي الوالد رحمهما الله تعالى ونفعنا بهما آمين
فائدة توفي العلامة السيد احمد الملوي سنة ١١٨١
ودفن بمسجد الحسين وتوفي سيدي الوالد
سنة ٩٢ ودفن قبال مسجد السيدة زينب بنت
علي

صورة الصفحة الأخيرة

obeikandi.com

ترجمة الشيخ المصنف

هو سيدنا الإمام العارف بالله تعالى، ذو العلوم الزاخرة، والفنون الوافرة، والتصانيف الباهرة، المسند أبو المراحم عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس الحسيني العلوي نسبًا التريمي المصري بلدًا.

ولد سنة ١١٢٥هـ، وقيل: ١١٣٥ هـ.

نشأ على عفة وصلاح في حجر والده وجده، وأجازه والده وجده وألبساه الخرقة وصافحاه.

وفي سنة ١١٥٣ توجه صحبة والده إلى الهند فنزلا بندر الشحر واجتمع بالسيد عبد الله بن عمر المحضار العيدروس فتلقن منه الذكر وصافحه وشابكه وألبسه الخرقة وأجازه إجازة مطلقة مع والده، ووصلا بندر سورت واجتمع بأخيه السيد عبد الله الباصر وزارا من بها من القرابة والأولياء ودخلا مدينة بروج فزارا محضار الهند السيد أحمد بن الشيخ العيدروس وذلك ليلة النصف من شعبان سنة واحد وستين، ثم رجعا إلى سورة وتوجه والده إلى تريم وترك المترجم عند أخيه وخاله زين العابدين ابن العيدروس، وفي أثناء ذلك رجع إلى بلاد جادة وظهرت له في هذه السفرة كرامات عدة، ثم رجع إلى سورت، وركب من سورت إلى اليمن، فدخل تريم وجدد العهد بذوي رحمه وتوجه منها إلى مكة للحج وكانت الوقفة نهار الجمعة. ثم زار جده ﷺ، ورجع إلى مكة. وفي سنة ثمان وخمسين أذن له بالتوجه إلى مصر فنزل إلى جدة وركب منها إلى السويس ومصر، هرعت إليه أكابر مصر من العلماء والصلحاء وأرباب السجاجيد والأمراء وصارت له معهم المطارحات والمذاكرات ما هو مذكور في رحلته وجمع حواسه لنشر الفضائل وأخلاها عن السوى، وهرعت إليه الفضلاء للأخذ والتلقي، وهم تلقوا عنه تبركاً، وصار أوحد وقته حالاً وقالاً مع تنويه الفضلاء به، وخضعت له أكابر الأمراء على اختلاف طبقاتهم، وصار مقبول الشفاعة عندهم لا ترد رسائله ولا يرد سائله، وطار صيته في المشرق والمغرب، وفي أثناء هذه المدة تعددت له رحلات إلى الصعيد الأعلى وإلى طندتا وإلى دمياط وغلى رشيد وإسكندرية وفوة وديروط، واجتمع بالسيد علي الشاذلي، وكل منهما أخذ عن صاحبه، وزار سيدي إبراهيم الدسوقي وله في كل هؤلاء قصائد طنانة، ثم سافر إلى الشام فتوجه إلى غزة ونابلس ونزل بدمشق ببيت

الجناب حسين أفندي المرادي، وهرعت إليه علماء الشام وأدباؤها وخاطبوه بمدائح، واجتمع بالوزير عثمان باشا في ليلة مولد النبي ﷺ في بيت السيد علي أفندي المرادي ثم رجع إلى بيت المقدس وزار وعاد إلى مصر، وتوجه إلى الصعيد ثم عاد إلى مصر وزار السيد البدوي ثم ذهب إلى دمياط. كعادته في كل مرة، ثم رجع إلى مصر ثم توجه إلى رشيد ثم الإسكندرية، ومنها إلى إسلامبول، فحصل له بها غاية الحظ والقبول ومدح بقصائد هرعت إليه الناس أفواجاً ورتب له في حوالي مصر كل يوم قرشان، ولم يمكث بها إلا نحو أربعين يوماً، وركب منها إلى بيروت ثم إلى صيدا ثم إلى قبرص ثم إلى دمياط وذلك غاية شعبان سنة تسعين، ثم دخل المنصورة وبات بها ليلة، ثم دخل مصر في سابع عشر رمضان، وكان مدة مكثه في الهند عشرة أعوام، وحج سبع عشرة مرة منها ثلاث بالجمعة وسفره من الحجاز إلى مصر ثلاث مرات وللصعيد ست مرات ولدمياط ثمان مرات.

من شيوخه:

- والده سيدي مصطفى بن شيخ العيدروس.
- جده السيد شيخ بن مصطفى العيدروس.
- والوجيه عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه، وهما أعلى مشايخه إسنادًا، وبالأخير تفقه.
- السيد عبد الله بن عمر المحضار العيدروس صاحب الشحر.
- السيد محمد فضل الله العيدروس.
- سيدي مصطفى بن عمر العيدروس.
- السيد غلام علي الحسيني.
- السيد غلام حيدر الحسيني.
- الشيخ محمد حياة السندي.
- الشيخ محمد فاخر العباسي الهندي.
- الشيخ أبو الحسن السندي.
- السيد إبراهيم بن فيض الله السندي.
- المحدِّث يوسف السورتي.
- الشيخ ابن الطيب الشركَي.

- الشيخ عمر بن عقيل.
- الشيخ غياث الدين الكوكبي.
- السيد حسين بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس.
- السيد عبد الخالق الو فائي بمصر، وألبسه الخرقة الوفائية وكنَّاه أبا المراحم، وأجازه أن يكني من شاء، وتدبج مع الشمس الحفني والجوهري.
- الشيخ جعفر بن محمد البتي.
- الشيخ مشيّخ بن جعفر باعبود.
- الشيخ عبد الله الميرغني.
- الشيخ محمد الحفناوي.
- الشيخ يوسف الحفناوي.
- سيدي مصطفى بن كمال الدين البكري.
- شيخ الإسلام أحمد الجوهري الخالدي.
- الشيخ أحمد العروسي.
- الشيخ أحمد الملوي.
- الشيخ علي الصعيدي.
- الشيخ خليل الخضري.
- الشيخ محمد بن يس باقيس.

من تلامذته:

- العلامة الشيخ محمد بن مرتضى الحسني الزبيدي.
- الشيخ محمد بن محمد الأمير.
- الشيخ سليمان الجمل.
- شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي.
- الشيخ المؤرخ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي.
- الشيخ محمد الصبَّان.
- الشيخ سليمان بن يحيى الأهدل.
- الشيخ عبد الرحمن بن سليمان الأهدل.

obeikandl.com

من مصنفاته:

- عقد الجواهر في فضل آل بيت النبي ﷺ الطاهر.
- المنهج العذب في الكلام على الروح والقلب.
- فتح الرحمن شرح صلاة سيدي أحمد البدوي أبي الفتيان (بتحقيقنا).
- الرحلة .. وزيلها.
- سلسلة الذهب المتصلة بخير العجم و العرب.
- القول الأشبه في حديث: «**من عرف نفسه عرف ربه**».
- مرقعة الفقهاء.
- مرآة الشموس بذكر سلسة القطب العيدروس.
- النفخة القدسية في الأحاديث القدسية «نظم».
- البيان والتفهيم لمتبع ملة إبراهيم.
- التعريف بتعدد شق صهره الشريف.
- النفحة العلية في الطريق القادرية.
- الإمدادات السنية في الطريقة النقشبندية.
- تمشية القلم ببعض أنواع الحكم.
- تشنيف الأسماع ببعض أسرار السماع.
- قطف الزهر من روضة المقولات العشر.
- لطائف الجود في مسألة وحدة الوجود (قيد التحقيق).
- «ديوان تنميق الأسفار».
- فيض القدوس بمناقب شيخ بن عبد الله العيدروس. وغيرها كثير.

وفاته: توفي ليلة الثلاثاء ثاني عشر محرم من سنة ١١٩٢ هـ، وخرجوا بجنازته من بيته الذي تحت قلعة الكبش بمشهد حافل، وصلي عليه بالجامع الأزهر، وقرئ نسبه على الدكة، وصلي عليه إمامًا الشيخ أحمد الدردير، ودُفن بمقام ولي الله العتريس تجاه مشهد السيدة زينب، ورُثي بمراثٍ كثيرة.

وانظر: فهرس الفهارس (٢ / ٧٣٩)، عجائب الآثار (١/ ٢٧٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وأولياء الله.

وبعد... فهذه تعليقة لطيفة على أبيات لنا منيفة، واسمها **«العرف العاطر في معرفة الخواطر وغيرها من الجواهر»**، وسبحان الله الظاهر في المظاهر، والأبيات هي هذه:

إن الخواطر يا بن ودي أربعه ... وهي التي أحوالها متنوعة
منها الذي يعزى إلى الشيطان ... وكذا الذي هو خاطر نفساني
وخاطر يعزى إلى فعل الملك ... وأجلّها يولى به من قد ملك
ولقد تكامل عدها يا سالك ... فاعلمه واعمل يجل ليل حالك

وأقول: أولًا: هذا التنبيه الذي وقع فيه رفع إشكال عما عسى أن سيأتي في هذه التعليقة فيما بالقرآن الكريم ونحوه:

اعلم أنه قد ثبت بالأحاديث الصحيحة: «**إن لكل آية من القرآن ظهرًا**»[(١)]

أي: وهو تفسيره المتعارف، وحدُّه ألا يتجاوز المنقول، وعليه يحمل قوله ﷺ:

«**من قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار**»[(٢)].

---

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٣٥٨)، وابن حبان (١/ ٢٧٦)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٣٦) بنحوه.

(٢) رواه الترمذي (٥/ ١٩٩).

وبطنًا أي: وهو التأويل، وهو ما تشير إليه الآية، وحدَّه ألا يجاوز الكتاب والسنة مع عدم الجزم، بأن المراد به هذا لا غير، فلا يكون من قبيل تأويل الباطنية، بل هو من باب وجوه الاحتمالات لا بالعقل من غير قطع بشيء منها.

ومن ذلك قول عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما وعن أبويه ونفع بهم- في قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد:١٧] الماء: العلم، والأودية؛ القلوب انتهى.

أي: أظهر من غيب سماء الحضرة الإلهية ماء العلم فجرى كل واد من أودية القلوب القابلة له إلى النفوس بقدر امتلائها به، وهذا النوع من التأويل غير ممنوع إذا كان فيه عبور من الظاهر إلى الباطن مع تقرير الظاهر، وإنما الممنوع ما عليه الباطنية من إنكار الظاهر بالكلية، وذلك كفر.

وبالجملة: فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ونصيب القرب من الله تعالى، ومن ثم قال أبو الدر داء ﷺ: «**لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة**»[1].

---

(١) قال الجلال السيوطي: الإتقان (١/ ١٦٤): هذا أخرجه ابن سعد وغيره عن أبي الدرداء موقوفًا، ولفظه: «لا يفقه الرجل كل الفقه» وقد فسره بعضهم بأن المراد أن يرى اللفظ الواحد يحتمل معاني متعددة، فيحمله عليها إذا كانت غير متضادة ولا يقتصر به على معنى واحد. وأشار آخرون إلى أن المراد به استعمال الإشارات الباطنة وعدم الاقتصار على التفسير الظاهر. وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء، قال: إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهًا. قال حماد: فقلت لأيوب: أرأيت قوله: حتى ترى للقرآن وجوهاً، أهو أن ترى له وجوهًا فتهاب الإقدام عليه؟ قال: نعم، هو هذا.

وأعجب منه قول ابن مسعود ﷺ: «**ما من آية إلا ولها قومٌ سيعملون بها**».

وهذا الكلام منه ﷺ محرض لكل طالب صادق صاحب همة أن يصفى موارد الكلام ويفهم الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه، وإلى هذا يُشير قول الأستاذ المحضار -نفع الله به- لو شئت أن أملي من تفسير قوله تعالى:

﴿ **مَانَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا** ﴾ [البقرة:١٠٦]، وفسر مائة بعير لفعلت، ولم ينفذ تفسيرها.

ولنرجع إلى تمام ما ذكرنا فنقول: وحدا وهو ألا يتجاوز في الظاهر بالعقل بدون النقل، وفى الباطن ألا يتجاوز قواعد العربية والمعقول، ومطلعًا أي: وهو ما يطلع به إلى ما وراء التفسير، والتأويل حتى يشاهد المتكلم، كما نقل عن الإمام جعفر الصادق ﷺ ونفع به أنه قال: لقد تجلى الله لعباده في كلامه؛ ولكن لا يبصرون، وقد نقل عنه أيضًا: أنه خر مغشيا عليه وهو في الصلاة، فسئل عن ذلك فقال: مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها.

فالصوفي لما لاحت له ناصية التوحيد، وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد، وصفا قلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدي الله حاضرًا شهيدًا، ويرى لسانه أو لسان غيره في التلاوة كشجرة موسى ﷺ حيث اسمعه منها خطابه إياه: بأنني أنا الله، رزقنا الله هذه الحالة بمحض فضله؛ إنه جواد كريم.

ولنشرع الآن في المقصود بعون الموجود المقصود: فنقول:

اعلم أن المشهور أن الخواطر أربعة: رباني، ونفساني، وملكي، وشيطاني، ومعرفة الخواطر من أهم شأن العبد؛ لأن الخاطر أول الفعل ومفتتحه، لأن الأفعال

تنشأ من **الخواطر**، والعبد إنما خلق للعبادة والعبادة **أفعال**، وهى إنما تنشأ من الخواطر كما ذكرنا على أنها تصير عبادة بمقدار **صحة الخاطر** وهو من تمييز الخواطر، فهو أول الواجبات بعد مسرفة الصانع والنبوة، حتى **ذهب** بعض العلماء -رحمهم الله- إلى أن العلم المفترض طلبه لقول رسول الله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**[1]» وهو علم الخواطر، قال: لأنها أول الفعل وبفسادها فساد الفعل؛ لكن ها الذي قاله لا يتوجه؛ لأن رسول الله ﷺ أوجب ذلك على كل مسلم، وليس كل المسلمين عندهم من القريحة والمعرفة ما **يعرفون به ذلك**، وعلى هذا يحمل الوجوب المذكور في حق الخواص أرباب القرائح الصافية السليمة، ويحمل توقف الأفعال على معرفتها من حيث التمييز الكامل في أنها مقبولة أم لا، لا من حيث التكليف الشرعي.

إذا عُلم ذلك فليعلم الطالب أن الخواطر بمثابة البذر، فمنها ما ينبت السعادة، ومنها ما ينبت الشقاوة.

والذي ينبت السعادة: خاطر الحق إلا عند الغضب، «وخاطر الملك»، والذي ينبت الشقاوة: خاطر النفس إلا عند الطمأنينة، وإلا فهي التي أوقعت الشيطان في إبائه من السجود بكبرها وعجبها، وخاطر **الشيطان** إلا عند قصد الكد بإظهار خواطر الخير حتى يستدرج إلى خاطر الشر، أو يظهر خاطر خير ليشغل العبد به عما هو أهم منه.

وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها، وعند ارتفاعها تتم المعرفة بالنافع والضار على ما هما عليه، وطلب الأول والهروب من الثاني.

---

(١) رواه ابن ماجه (١/ ٨١).

الأول: هو ضعف اليقين بالأمور الأخروية أو بالمخبرين بها.

والثاني: هو قلة العلم الذي تعرف به صفات النفس وأخلاقها التي هي طلب النافع والهروب من الضار، فإنها إذا لم تعرف تلبس النفس النافع بالضار والضار بالنافع طلبا لما تهواه وهربًا عما يخالف هواها.

والثالث: هو متابعة الهوى، وإن علم أنه يضل عن سبيل الله، وأن من يضل عن سبيل الله له عذاب شديد، إلا أن النفس قد تغلب صاحبها بحيث يعجز عنها لعدم إلجامها بلجام التقوى ولوجود تعويدها الإتيان بمشتهياتها، إذ عند ذلك تنخرم قواعد التقوى فتسرى الظلمة إلى القلب، فلا يكون له نور يقدر به على دفع ظلمة النفس فتغلبه النفس.

والرابع: هو محبة الدنيا لجاهها ومالها؛ لا من حيث إنه يوصل إلى الشهوات بل لطلب الرفعة بالغنى، والمنـزلة عند الناس، والفرق بين الكل يعرف مما ذكرناه.

وقد يفرق بين العلم واليقين بأن العلم: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، واليقين: وجدان برودة ذلك واستقراره.

وبين متابعة الهوى ومحبة الدنيا: بأن محب الدنيا، قد يتعب ويترك المآكل والمناكح لأجلها، ويتلذذ بالجاه دون المآكل والمناكح.

فمن عصم عن هذه الأربعة صار قوي الدين، كامل بصفات النفس وأخلاقها، وألجم نفسه بلجام التقوى، وكمل زهده في الدنيا مالها وجاهها، وفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان أولًا، ثم ينتهي إلى معرفة خاطر النفس وخاطر الحق.

ومن ابتلى بهذه الأمور جميعًا لا يعرف الخواطر ولا يطلبها، إذ ليس له اعتقاد

الأمور الأخروية حتى يطلب معرفة النافع والضار الأخروي، والنافع والضار إنما يعتبر عند أهل الحق بالنسبة إلى الأمور الأخروية مع أنه جاهل بحقيقة ما تطلبه النفس، فيعتقد نفع كل ما تطلبه وضرر كل متهرب عنه، ومع ذلك يلزمه الهوى ذلك وتعينه محبة الدنيا التي هي رأس الخطيئة[١].

وانكشاف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض، وأقوم الناس بتقويم الخواطر أقومهم بمعرفة النفس، ومعرفة النفس عسر المنال جدًّا، لا يكاد يتيسر إلا بالاستقصاء في الزهد والتقوى، ولهذا ربط ﷺ معرفة الله بمعرفة النفس؛ فقال: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[٢].

وذلك كربط معرفة النهار بمعرفة الليل، فإنه لولا ظهور الليل لم تعرف فضيلة النهار، فكذا لولا معرفة النفس لم يعرف مقام العبودية، فلم يعرف مقام الربوبية على الكمال، وقد كان رسول الله ﷺ مع غاية طهارة نفسه دائم الافتقار إلى مولاه في الاستعاذة من شرها، حتى كان يقول ﷺ: «**لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أكلأني كلاءة الوليد**»[٣] أي: أحفظني حفظ الوالد الشفيق ولده أن يسترقه الغير أو يأخذه.

ولما تحقق الأستاذ العيدروس -نفع الله به- بالوراثة المحمدية من جَده ﷺ كان يقول: أنا عبد الله المفتقر إلى الله في كل نفس، فالسالك إذا تحقق بهذا الافتقار فقد تبع النبي ﷺ في أشرف مقاماته من رؤية شر النفس الذاتي في مقام طمأنينتها وكمال

---

(١) هو من معنى حديث: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٣٤٣)، والقاري في المصنوع (١/ ١٨٩).

(٣) رواه أحمد في الزهد (ص٢٤).

صفاتها؛ لأن ما بالذات لا يرتفع بالغير بالكلية، وهذا دقيق لا ينكشف إلا لكامل المعرفة بحيث لا يغتر بما ظهر له من صفاتها ومطاوعتها.

ومن أعظم آفات النفس على السالك أنه ربما يترائى له باهتزاز النفس دعوى الفناء بالله تعالى والبقاء به(١)، وهما من خواص القلب ونهضاته، والنفس

---

(١) **قال الشيخ الأكبر** قوله قُدِّس سرَّه في حكمه المباركة: **(أفن ما أُضيف إليك: تبق بما أضيف إليه)** أي: أزل وارفع عنك كل ما أُضيف، ونُسب إليك من ذاتك، وأسمائك وصفاتك وأفعالك وأحكامك، بأن لا ترى لك وجودًا واسمًا وصفةً وفعلاً وحكمًا، وتتحقق بما قال الله ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] يعني ظهر بصورتكم، وصورة أعمالكم، فهو تعالى ما فقد في أعمالكم، كما أنه ما فقد في ذواتكم، فإثبات ما ليس بثابت محض دعوى ونزاع و لا يليق بالعبد النِّـزاع مع سيده، والعبد المُنازع مع السيد ما له إلا الخسران خصوصًا إذا لم يكن للعبد مأوى يأوي إليه غير سيده، وإن ما أُضيف إلى العبد فانٍ، والموصوف بالفاني لا يكون إلا الفاني.

وقوله: (تبق) جواب الأمر مجزوم بأن المقدرة مع شرطها على الأصح، ويجوز فيه فتح التاء من بقي يبقى من الباب الرابع كالعلم يعلم، وضمها من أبقى يبقي من المزيد كأكرم يكرم، وحقًا يكون مبنيًا للمفعول :أي؛ لأنك إن تفن ما أضيف إليك مما ذكر تبق أنت أيها العبد السالك، أو تبق أنت بالبناء للمفعول أي: يجعلك الله تعالى باقيًا بما أُضيف إلى الحق؛ لأنه كل ما ترتفع صفة من الصفات البشرية من العبد قامت صفة إلهية مقامه، وصفات الله باقية ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]، والموصوف بالباقي لا يكون إلا الباقي، فمن كان في الفناء فهو فانٍ وإن كان موجودًا، ومن كان في الباقي فهو باقٍ وإن كان مفقودًا، مع أنه لا يتصف في الحقيقة بالوجود إلا من صار مفقودًا، وهو القائم بالله الفاني عن وجوده بوجود الله، والإفناء المذكور لا يكون إلا بالتوجه التام إلى الحق سبحانه وتعالى؛ لأنه إنما تتقوّى جهة الحقيَّة على الخلقية، والبقاء على الفناء به على حسبه حتى إذا كمل التوجه اضمحلت الخلقيّة بقهر الحقيّة عليها، والتوجه إنما يحصل بالمحبَّة الذاتية المستورة الموجودة فيه بالقوة، وظهور تلك المحبة ليس إلا بالاجتناب عما يناقضها من المخالفات والمنازعات والتوجه التام، تفريغ القلب عما سوى الله تعالى، والتجريد عن كلِّ وصف بشري، وأن لا يتقيد بشيء من الوجود

كاذبة في دعوى ذلك إذ لا وجود لها معها، فكيف تدعيها؟ لكنه يشتبه الأمر على السالك فيظن أنه بالله يصول وبالله يقول وبالله يتحرك، فينسب فعل نفسه إلى الله والعياذ بالله من ذلك، وذلك حيث ابتلى بنهضة النفس ووثوبها وهو لا يشعر بذلك بل يتوهم أنه في مقام القلب وتنوره بنور الروح، ثم تظهر له غائلة ذلك.

ولا يقع هذا الاشتباه إلا لأرباب القلوب وأرباب الأحوال إذا ردوا إلى مقام النفس من غير شعور منهم أو استرقت أنفسهم السمع من القلب، فتنتهض فيردوا إليها من غير شعور منهم بذلك.

وأما الكُمَّل فهم عن ذلك بمعزل، إذ لا يتأتى لهم دعوى ذلك بالنسبة إلى أنفسهم، وهذه مَزَّلة قدمٍ مختصة بمن ذكر إذ يدعون الإلهية لأنفسهم، وينسون أفعالها

والعدم والإظهار والإخفاء وغير ذلك، وإذا لم تفن أنت أيها السالك الطالب للتوحيد الموجب للنجاة الأبدية ما هو منسوب إليك بأن ترى الأفعال والحركات والسكنات لك وصادرة منك، وأنت فاعلها تبقى في الشرك الخفي الموجب للحرمان من الدخول في حضرة القدس؛ لأن كلك شرك خفي، كما قال الشيخ الولي الكامل رسلان قَدَّس الله روحه في أول رسالته «**كُلك شركٌ خَفي**»: والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:١٠٦]، فالمراد الشرك الخفي، وإلا فلا يجتمع مع الإيمان الشرك الجلي، وقوله ﷺ: «**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا**»، ومعنى كون الشرك الخفي هو أنه يشرك بالله من وجه لا يشعر به وهو في التوحيد، وخفاء هذا الشرك إنما هو عن العوام، وأمَّا الخواص فليس بخفي عندهم؛ لأنهم لا يرون غير الله، فمتى أثبتوا وجود الغير لله تعالى فيحكمون بكفرهم، فهم حقًا مشركون شركًا جليًّا وحقيقة لا خفيًا، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

إلى الله مع أنها لم «تنتقش» قلوبهم بالنور الإلهي، ولم تسكر بالحال حتى تعفى عنهم تلك الدعوى[١].

---

(١) قال سيدي أحمد الرفاعي في حكمه الشريفة: [لَنْ يَصِلُ العَبْدُ إِلَى مَرْتَبَةِ أَهْلِ الكَمَالِ وفِيْهِ بَقِيَّةٌ مِنْ حُرُوْفِ أَنَا، الشَّطَّاحُ يَقِفُ مَعَ شَطْحِهِ حَالَةَ الشَّطْحِ إِذَا لَمْ يسقطْ، والكامِلُ لاَ يَشْتَغِلُ عَنْ خِدْمَتِهِ، الدَّعْوَى بَقِيَّةٌ رعونَة فِي النَّفْسِ لاَ يَحْتَمِلهَا القَلْبُ فَيَنْطِقُ بِهَا لِسَانُ الأحْمَق].

قال الشيخ أبو الهدى الصيادي: شرط ﷺ وصول مرتبة الكمال بالانخلاع عن الأنانية ألبتة، وبيَّن أن من بقيت فيه بقية من آثارها لا يصل إلى مرتبة الكمال؛ لأن مرتبة الكمال التخلي عن الأوصاف الذميمة، والتحلي بالأوصاف الكريمة.

والأنانية إنما هي وصف إبليس لعنه الله، قال في شأن آدم ؑ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف:١٢] فأعقبه قول هذه الكلمة خزيًا وطردًا ولعنًا، والعياذ بالله.

فإذًا تعين على سالك طريق الرب أن يتبرأ من وصف إبليس، وأن يتمسك بذيل صاحب الخلق النفيس ﷺ، ولينظر كيف قال سيدنا الرفاعي أمدنا الله بمدده الشطاح: أي المتجاوز.

وقال قومٌ معنى الشطح، وصاحبه: أي الشطَّاح الذي يقف عن الترقيات والمجاهدات، والأعمال الموجبة لإعلاء المراتب والدرجات، مع شطحه وتجاوزه منحطًّا عن المراتب الرفيعة حالة الشطح، هذا إذا لم يسقط بصدمة شطحه عن مرتبته بالكلية؛ لأن الشطح من أعظم مزالق الإقدام؛ لأن صاحبه ربما ينصرف عنه انطماسه وذهوله، ووارد غيبته، يعود إلى الصحو، ويبقى على لسانه الأول متكلمًا في حضرة خيالية فيسقط، ويبعد ويلحق بأهل الأنانية، حفظنا الله والمسلمين.

ولذلك أعقب سيدنا الرفاعي هذا بقولِهِ: والكامل: أي المتمكن في مقامه لا يشتغل عن خدمته لربه بشيء من حوادث الأكوان، وينـزه صدق عبوديته عن كذب الدعوى؛ لأن الدعوى من بقايا أوساخ النفس تجتمع على القلب، فيضيق لها فيقذفها إلى ساحة اللسان، فيتلقاها لسان الرجل الأحمق كتلقي الوارد، فينطق بها بينة تشهد عليه بالنقصان أعظم من هذا فافهم.

وقد روي أن الشبلي قال: شربت بالكأس التي شرب بها الحلاج فصحوت وسكر الحلاج، فبلغ ذلك الحلاج فقال: لو شرب بالكأس التي شربت بها لسكر كما سكرت، فبلغ الجنيد أمرهما فقال: نقبل قول الصاحي على السكران، فرجح حال الشبلي على حال الحلاج.

ولذلك قالوا: أكثر الشطح يكون من سُكر الحال وغلبة سلطان الحقيقة، فمن ثم من تم صحوه وخلص عن بقية السكر ونزلت في قلبه السكينة ستر الحقيقة بالعلم، ووقف على حد العبودية، فاعلم ذلك فإنه عزيز علمه، إذ تنكشف به الالتباسات التي لم تزل خفية على أكثر أرباب القلوب.

وقد قال عبد الله بن المبارك -نفع الله به- في قوله تعالى:

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨] هو مجاهدة النفس والهوى، وذلك حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله ﷺ قال حين رجع من بعض غزواته: « **رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**»[1].

وذلك أن النفس هي العدو الأكبر الذي بين جنبيك ومفاسده مؤبدة عليك، وإنما شرع الجهاد على الكفار لدفع مفاسدهم عن المسلمين العابدين لله، والنفس أعظم عائق منهم وذلك لأنها أكبر الأعداء، لها دواعي مشتهية وأهوية مختلفة محبطة إلى السفل والهلاك الكلي، مع أنه لا يجوز إتلافها لأنها المركب، ولا يجوز أيضًا تركها، فلا بد من إلجامها بلجام التقوى ومنعها عن دواعيها وأهويتها المختلفة التي لا يطلع عليها إلا آحاد المحققين الممارسين لها، فلابد من جهادها بما يفيدها موتًا جديدًا كل

(١) رواه البيهقي في الزهد الكبير (٣٧٤).

حين، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «**موتوا قبل إن تموتوا**».[١]

وقول الأستاذ عبد القادر الجيلاني: مت ألف ميتة.

وقول الأستاذ أبي بكر العيدروس في موشحه:

فيكم قتلت ألف قتله ... من قبل الحمام

وأن يذكرها بأن المعاصي كالحلوى المسمومة بل هي أشد كما انكشف ذلك للعارفين بالله تعالى، فهي تفعل في الدين كما يفعله السُّم في البدن، فكيف للعاقل أن يقدم عليها؟

وليذكرها أن لذات الدنيا كلها لو فاتت فليس فيه كثير ضرر لسرعة زوالها وبقاء تبعاتها، وإنها لا تصير في الدنيا على قرص النملة والضرب بالسياط والكية وهى آلام متناهية، فكيف تصبر على مقامع الحديد في الآخرة من الملائكة الغلاظ الشداد والإحراق بالنار ظاهرًا وباطنًا ولسع حيات كالجمال، وعقارب كالبغال خلقت من النار بلا انقطاع مدى الدهور والأعصار، وأن الأخلاق المذمومة هي بعينها تنقلب في الآخرة حيات وعقارب، واليه الإشارة بقوله ﷺ: «**إنما هي أعمالكم ترد عليكم**»[٢]، فإنها بهذا التخويف تلين كما يلين الحديد بالنار الظاهرة لأن الخوف من حيث هو حار، وأن يبشرها بأن الطاعات كلها تنفع في الآخرة كما تنفع الدراهم في الدنيا، وأن يبشرها بأنها إذا توجهت إلى الله تعالى تلحق بنفوس العارفين بالله تعالى الذين لأرواحهم حول عرش الذات تطوف، ولقلوبهم إسعاف من البر الفائض على

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٦٠).

(٢) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١/ ٢٥٠).

أرواحهم بإفاضة أرواحهم عليها، ولقلوبهم على نفوسهم الإفاضات من ذلك لانقلاب هوى نفوسهم عن العالم السفلي إلى العالم العلوي، حتى أنها ترى المشقات اللاحقة بها أعلى من اللذات الدنيوية، فلم تبال بأهويتها الفانية، كما أن لاعب الشطرنج لا يبالي بلذائذ الأطعمة والأنكحة إذا غلبت لذة اللعبة عليه، لكونها لذة باطنية تغلب اللذات الظاهرة، مع أنها لذة فانية ولذة نفوس العارفين لذة باقية فلا تقابلها هذه اللذة.

وأن يذكرها ما أعدَّ الله لأحبابه في جنة عدن مما لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولذة النظر إلى وجه الله الكريم هو أعظم اللذات، فإنها بهذه الذكرى تتدرج إلى الاطمئنان فيهون أمرها وإلا فغلبتها ليس بعذر لصاحبها إذ لا سلطان لها عليه إلا بما أطعمها.

وأما احتجاج النفس بالقدر من جهة ارتكابها المعصية، فهو أعظم من معصيتها كما نبه عليه أهل المعرفة بالله تعالى.

واعلم أن النفس إنما خفيت عيوبها على أكثر الناس لأنها عدو محبوب، والمحب يكون أعمى عن عيوب محبوبه بحيث لا يكاد يراها عيوبًا، إذ مع المحبة لا يراها عيوبًا، ولصعوبة أمرها قال القطب العيدروس نفع الله به:

أجمع الصوفية على أن الحجب بين العبد وربه نفسه، أعاذنا الله بقدرته من شرها ... آمين.

ومن ثَمَّ قال الله تعالى لبعض أحبابه: «اترك نفسك وتعال»(١).

(١) انظر: النور في مناقب أبي يزيد طيفور للسهلجي (ص٥٧).

واعلم أنه قد فرق العارفون -رضي الله عنهم ونفع بهم- بين هواجس النفس وهي خواطرها الطالبة حظوظها وبين وساوس الشيطان مع أنهما يشتركان في الشر، وقالوا: إن النفس إذا ألقت الخاطر لطلب شيء تقيم عليه حتى تصل إلى مرادها، ولا ترضى بدون الوصول إلى ذلك الأمر المعين، وإن الشيطان إذا دعاه إلى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى من غير إلحاح على الأولى ولا الأخرى، إذ لا غرض له في تخصيص زلة دون أخرى حتى يلج في زلة معينة، بل مراده الإغواء كيف أمكن فإذا لم يمكن بواحدة وسوس بأخرى.

ويقاس على هذا الفرق بين خاطر الحق وخاطر الملك، فإن الملك كان غرضه الإرشاد، فإذا لم يمكنه تحصليه أخذ يلهم بأخرى، وأما الحق فإنه في إلقاء الخاطر لعلمه بصلاح العبد وعنايته يلح عليه، لكن لا كإلحاح النفس، بل يعقب بخاطر آخر.

وتكلم العارفون -رضي الله عنهم- في الخاطرين إذا كانا من الحق، بأن كانا خاطري خير، وكان عليهما نوع إلحاح أيهما يتبع الأول أم الآخر؟ فقيل: يتبع الأول؛ لأنه لما كان خاطر الحق فلابدَّ أن يبقى إلى خطور الثاني وبعد الثاني، فيكون محل التأمل، فيحصل فيه العلم بأنه إلهي، بخلاف الثاني فإنه قل التأمل فيه، فلا يتم العلم به إذ شرط العلم التأمل.

وقيل: يتبع الثاني لأنه لما ورد عليه الخاطر الأول تنور به؛ لكن لم يعمل به لما رأى فيه من الرخصة، وهو صاحب همة في العزيمة فهو أقوى بنور الأول.

و قيل: هما سواء لأنهما من الحق، وكما يحتمل كون الثاني عزيمة يحتمل كونه رخصة عند رؤية ضعف العبد بالأول، فلا ترجيح بالأولية، ولا يحتاج إلى التمييز

بينهما بأن أيهما عزيمة فيمضي وأيهما رخصة فيترك؛ لأن الخاطر قد يراد به الرفق فالرخصة فيه أولى من العزيمة، إذ ربما يعقب الرخصة وارد سرور أو بسط، والعزيمة وارد حزن أو قبض انتهى.

قال العارفون -قدس الله أسرارهم-: والواردات أعم من الخواطر(١)؛ لأن الخواطر لكونها كلاما نفسيًّا تختص أي: تتعلق- بذات صاحب الخواطر بنوع خطاب مما يتعلق به صاحب الخواطر أو بغيره أو مطالبة منه، والورد كلما ينـزل من جهة الحق على القلب -خواطر أو غيرها- كوارد السرور عند مشاهدة الجمال، ووارد الحزن عند مشاهدة الجلال، ووارد القبض عند توقع الحجاب، ووارد البسط عند توقع الكشف.

وبنور التوحيد يقبل السالك الخاطر من الله تعالى، لأنه إذا غلب عليه التوحيد قرب من الواحد القهار، فقيل: الخاطر من النور التوحيد المتجلي على

---

(١) قال الشيخ ابن سبعين: اعلم أن الواردات منها ما يكون كالشيء المتصل برباط، ومنها ما يكون بالاتصال الأبلغ، مثل المرتكز في الشيء، ومنه ما يكون أبلغ وأعظم، فالاتصال من الجميع كالشيء الملتحم في الشيء الذي هو به كالجزء منه، كتركيب الشجر في الشجر.

فالوارد الأول هو وارد العلم فقط، وهو الذي ذم به ابن طفيل في رسالته: «حيي بن يقظان» لابن الصائغ، والثاني يقبل إذا ظهر في الذات، والثالث يشرب من عين اليقين حق اليقين، فافهم.

وهذا وجه لا نرضى به للنبي ﷺ ولا نختاره له، وإن كان ذكرته فهو فيك ولك لا له ﷺ، ويمكن أنه أراد به الاستغفار لأمته على عدد ضروبهم، فيستغفر للعصاة بمعنى، وللطائعين بمعنى، وللمحققين بمعنى أخر عند تفكره فيهم، فإن الباقيات كثيرة لا سيما في غير المعصوم، ثم أضاف نفسه في استغفاره أدبًا مع ربه، وعباده وحالاً، وعلى أكمل ما يمكن، فإنه أعطى قانون الإطلاق الذي يقيد الخير بالذات كما أعطى جوامع الكلم، ولم يتكلم قط إلا بها.

روحه، وبنور المعرفة يقبل الخاطر من الملك؛ لأنه إذا عرف ناسب العقول والنفوس السماوية فالتحق بالملائكة، وبنور الإيمان أي: بنور بصيرة القلب يرد هوى النفس؛ لأن النفس متطلعة إلى خسة الأهوية النفسانية، ومع خستها أي: النفس تفوت اللذات الحقيقة، وبنور الإسلام أي ظاهر الشرع يرد العدو وهو الشيطان.

وهذا كله في حق الكامل الذي أدرك حقائق الزهد حتى تنورت بصيرته وصفت معرفته وانتهى إلى عالم التوحيد، وأما القاصر وهو من قصر عن درك حقائق الزهد -فضلا عما فوقها- من تنور البصيرة وصفاء المعرفة والانتهاء إلى عالم التوحيد، فإنه يزن الخاطر أولا بميزان الشرع، فإن كان فرضًا أو مندوبًا يمضيه، وإن كان محرمًا أو مكروهًا ينفيه، فإن استوى الخاطران لكون لكل منها مباحًا فلينفذ أقربهما إلى مخالفة هوى النفس بعد التأمل التام في الأهوية الكامنة، ويعتقد أن النفس لا تخلوا عن ذلك، فما لم يظهر وجه الهوى فلا يمضى شيئًا منهما.

فإن النفس قد يكون لها هوى كامن في أحدهما، ولابد أن يكون من الأمور السفلية لمناسبتها لها،إذ الغالب من شأن النفس الاعوجاج بالركون إلى الدون لكونه سفليا مثلها، ولذلك قال الشاعر(١):

إذا التبس الأمران فالخير في الذي ... تراه إذا كلفته النفس يثقل

وكثيرًا ما تلبس النفس الهوى الكامن بنشاط القلب حتى إنه قد ينزل الخاطر الداعي إلى العبادة بنشاط النفس بسبب هواها الكامن، وذلك لما فيه من عجب أو رياء أو غيرهما.

---

(١) قائله الأحنف بن قيس كما في سلافة العصر لابن معصوم (ص٥٩٣).

والعبد يظن أنه بنهوض القلب اغترارًا بظاهره لدعوته إلى العبادة، ومن ذلك أن العبد يجد الروح بالخروج من خلوته إلى بعض الصحاري والبساتين، ويسهل له معه الذكر والفكر وسائر المساعي القلبية فيظن انه من طيبة القلب، وليس كذلك إلا لما ضره إذا عاد إلى خلوته كما سيأتي، بل هو من نشاط النفس، وإنما ترائي له ذلك الوقت إنه من طيبة القلب ولبس عليه، وسبب رؤيته إياه في ذلك الوقت أنه من طيبة القلب أن النفس تنفسح لخروجها عن مضيق الخلوة وتتسع ببلوغ غرضها وهو تسهيل هواها بالخروج إلى الصحراء والتنزه بفلواتها وأشجارها وسائر آثارها.

وإذا اتسعت النفس بعدت عن القلب وتنحت عن إيذائه وجذبه إلى أهويتها، بل تكون ناظرة إلى متعلق هواها مما تراه في الصحراء، فيتروح القلب عن إيذائها حينئذ لا بالصحراء بنفسها، بل من حيث أن نفسه تعلقت بالنظر إلى ما في الصحراء فبعدت عنه فلا تؤذيه، فتأتت له الأذكار والأفكار بسهولة وصفاء .

فهذا التروح يبعدها لكونها كانت ثقيلة عليه عند توجهه إلى معاملاته، فيكون كشخص تباعد عنه قرين يستثقله، فيتروح ما دام متباعدًا عنه ذلك القرين، فمادام العبد في الصحراء يكون كذلك، وإذا عاد إلى خلوته، واستفتح ديوان معاملته مع الله، وميز حالته حينئذٍ من الحالة التي كانت له إذ كان في الصحراء يجد النفس مقارنة للقلب، لأنها إنما كانت متباعدة عنه لتنزهها بالصحراء، فلما رجع منها رجعت إليه مع مزيد ثقل فيها موجب لتبرم القلب منها أكثر من تبرمها الأول معها، لأنه قد زاد ثقلها، وكلما زاد ثقلها تكدر القلب، والقلب يتبرم بما يوجب كدورته؛ لأن الكدورة خلاف طبعه الذي فطر عليه من الصفاء.

وسبب زيادة ثقل النفس بعد الرجوع من الصحراء أنها كانت في الصحراء

مسترسلة في تناول هواها بالتنـزه فيها، وهذا يوجب غلظها وتقويتها، فظهر حينئذ أن الخروج على الصحراء كان عين الداء بحسب ما يؤول إليه، وقد كان العبد أولا يظن أنه ترويح القلب وهو دواه، ولا يظن أنه نشاط النفس، ولكن بعد عوده على خلوته تبين له خطأ ظنه وإن كان ملبسًا عليه، فلو صبر العبد على وحدته في محل خلوته ولم يكن خرج إلى الصحراء لزادت نفسه ذوبانًا بصنع هواها وخفت، وكلما خفت لطفت، وكلما لطفت صارت قرينة صالحة للقلب فلا يستثقلها.

يُقاس على هذا التروح بالصحراء الذي ظهر في العاقبة أنه كان عين الداء التروح بالأسفار، فغنه ربما يظهر كذلك، إلا إن علم بعلم خاص يقيني أن ليس خاطر السفر ونحوه من النفس، فليمضه بحسن النية طالبا من الله العصمة من نفسه.

وقد يكون ذلك الخاطر الذي تقدم الكلام فيه بنهوض القلب كما يظن العبد، لكنه قلب فيه نفاق مع صاحبه لسكونه إلى النفس مع إخفاء ذلك على صاحبه.

قال بعض العارفين -قدس الله سره-: منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى نفسي ساعة.

فلولا أن للقلب سكونًا إلى النفس لما كان لنفيه عنه معنى، فتظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر تشبه الخواطر الربانية التي تأذن بالسعة، مع أنه لم يدخل وقتها، ويشتبه ذلك على من يكون ضعيف العلم لا يعرف وقت السعة، ولذلك لا يدرك نفاق لقلب في الخواطر المتولدة من سكونه إلى النفس إلا النفس إلا العلماء

الراسخون في علم النفس وصفاتها حتى إنهم يعلمون وقت السعة من وقت الضرورة بسبب رسوخهم في ذلك العلم.

وأكثر ما تدخل الآفات على أرباب القلوب الآخذين من اليقين مع كمال التيقظ والحال بنصيب من هذا القبيل، وذلك لقلة علمهم بالنفس حتى تشتبه بالقلب، وقلة علمهم بالقلب وسكونه إلى النفس، وذلك لبقاء نصيب الهوى فيهما، أما في النفس فبالذات، وأما القلب فبواسطة سكونه إلى النفس، فمرجع الاشتباه بقاء بقية الهوى فيهما، فينبغي أن يعلم العبد قطعا أنه مهما بقي عليه أثر من الهوى، إن دق وقل يبقى عليه من اشتباه الخواطر؛ لأن النفس تشتبه بالقلب، والقلب يميل إلى النفس بواسطتها.

وإذا انعدمت بالكلية فلا غرض لها في التشبيه بالقلب على سبيل التلبيس، وما للقلب سكون إلى النفس بل إلى الروح، وهذا الاشتباه لما كان في غاية الصعوبة بحيث لا يقدر على رفعه إلا الراسخون، يرحم الغالط فيه إذا كان قليل العلم بمعرفة أمر النفس والقلب، فلا يؤاخذ بإمضاء خاطر النفس إذا أشبه بالقلب أو القلب الساكن إلى النفس ما لم يكن عليه من الشرع مطالبة ظاهرة.

وأما إذا غلط من كوشف بإسرار النفس والقلوب واطلع على طريقة خفية في التمييز ثم استعجله الطبع، فغلط باشتباه النفس بالقلب أو سكون القلب إلى النفس فلا يسامح في ذلك.

وقد قيل: إن لكل واحد من الخواطر الأربعة جهة معنية يرد منها على القلب، فخاطر من النفس يحس به من أراضي القلب، لأن القلب متوسط الروح

والنفس، والروح علوي من عالم الأمر، والنفس سفلية من عالم الخلق، وخاطر من الحق يحس به من فوق القلب لأنه تعالى فوق الكل، على أن إلقاء الخاطر أولا على الروح وهو فوق القلب، وخاطر من الملك يحس به عن يمين القلب؛ لأن الملك جاثم على يمين القلب لأنه جهة قوية أخروية، وخاطر من الشيطان يحس به عن يسار القلب، لأن الشيطان جاثم على يساره لأنها جهة ضعيفة دنيوية.

وهذا الذي قيل من إحساس كل خاطر من جهة معينة إنما يصح لعبد أذاب نفسه بالتقوى والزهد حتى حصل الصفاء لجميع ظاهره وباطنه، ومن هذا الصفاء حصلت الاستقامة لظاهره وباطنه، فحصل كل شي في موضعه المعين، ولولا هذه الاستقامة لأتى الشيطان من الجوانب كلها كما قال: ﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٧] وعلى تقدير التعين لا يعرف الشيطان أنه من أي جانب، ورد عند عدم الصفاء، وأما عند الصفاء، فإنه تصير قلب العبد كالمرآة المجلوة لا يأتيه الشيطان من ناحية إلا ويبصره فيأخذ الشيطان موقعا معينا، إذ لا يبقى له موضع آخر يسعه لاشتغال العبد بما يختص به عند استقامته الحاصلة من صفائه، وإنما يبقى للشيطان موضع مع استقامة العبد لأنه ربما يغفل العبد فيجد الشيطان فرصة لكن العبد كثيرا ما يبصره بأقل ذكر قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠١]، والذكر موجب للنور الموجب للإبصار ونور الذكر يتقيه الشيطان كاتقاء أحدنا النار وقد قال ﷺ:

«إن ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالأكلة في جنب ابن آدم»(١) .

وقد قيل: إذا تمكن الذكر من القلب كلما دنى منه الشيطان صرع فتجتمع عليه الشياطين فيقول بعضهم لبعض ما لهذا فيقال مسَّه الإنس، ولعظمة سر الذكر أنه إذا توهم السالك أنه أكل طعامًا فيه حرام أو شبهة، وكان كذلك في نفس الأمر ثم اشتغل بالذكر بعد ذلك أذاب سر الذكر جميع ذلك، فاعلمه، فإنه ينفعك في هذا الزمان المبارك، وأمل إذا اسود قلب العبد كله بحيث علاه الرَّين فلا يبصر العبد الشيطان أصلاً سواء تعينت له جهة أو لا فيشتبه عليه الأمر وذلك عند عدم كمال التقوى والزهد كما قال ﷺ: «**إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكتت في نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل، فإن عاد زيد حتى يعلو قلبه الرين**»(٢) قال الله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ**﴾ [المطففين: ١٤]

فالواجب على العبد أن يبادر إلى التوبة فورًا إذا وقع في الذنب وإلا علا قلبه الرين الموجب للكفر والعياذ بالله تعالى منه، ولا يترك التوبة موافقة لهوس النفس كأن تقول له النفس قد تتوب من هذا الذنب ثم تعود إليه فتقول لها: وما يدريك أن الموت يأتيني قبل أن أعود إليه فأموت تائبًا منه، كذلك لا يترك التوبة يأسًا من قبولها فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ**﴾ [البقرة: ١٩٥] هو العبد يذيب «الذنوب» الكبار ثم يقول قد هلكت لا ينفعني عمل، أي لا توقعوا أنفسكم باكتسابكم الكبائر إلى التهلكة باليأس بعدها بأن تزعموا بألا ينفعكم عمل

---

(١) ذكره الكديري في «سراج الطالبين» (١/ ١٩٢).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٤٣٤).

أصلاً ، فإن اليأس مانع من التوبة موجب للتهلكة فليحذر العبد منه!

وليعلم أن العبد إذا خاف من الانتقام بترك التوبة ورجاء المغفرة بفعل التوبة واستقام في ذلك فقد تحقق بحقيقة التوبة النصوح وصار الرجاء والخوف مقامين في حقه(١).

---

(١) قال الشيخ عبد الحق ابن سبعين: قد يخطر ببال التائب قبولها أو ضده، وهذا الخاطر يجذب لذاتها له أو يدفعها عنه، وهو يقوى نشاطه أو يضعفه، وكثيرًا ما قطع قارع هذا الخاطر قلب السالك الواقف، وهذا الخاطر هو الذي يخرب نظام البسط، ويقيم مركب القبض، ولولا ما يستعان بالرجاء عليه لم تستقم معه طيبات الأحوال عند الضعفاء، ومحركه في الباطن الخوف، والإنسان به على قارعة الممكن سالك، وراقب في ميدان الشك بما يسمع من السلف الصالح، فإنهم كانوا إذا تابوا رغبوا إلى الله في قبولها، فلو كانت معلومة القبول والتائب على يقين من قبول توبته ما سأل الله قبولها واحد منهم بقصد إلا حول قصده، فإن الحاصل لا يبتغي، فإن خطر ببالك أيها المسترشد مثل هذا الخاطر المتباين ادفعه عن نفسك بالعلامات الشرعية المحمودة المكرمة، وبقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤]، وبقوله: ﴿هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وبرؤية الحق في النوم، ورؤيته في الحال، وبرؤيته في الكون، وبحسن الظن في الكريم الذي إذا قرب عبدًا لا يعبده من حيث الأكثر.

وإياك والقطع على العزيز، فإنه منـزه عنه، وإذا جوزنا للولي أنه يحدث ويكاشف ويشاهد أزواج الأنبياء في الدنيا قبل الآخرة، ويتعلم منهم العلوم العظيمة لم يصعب علينا تعرفه قبول توبته، وسعادته في الدنيا قبل الآخرة، وكما ضمن النبي ﷺ لأصحابه في الحياة يضمن لأتباعه وأحبابه وإخوانه، كما أخبر في الحياة الأبدية المحمودة، ويحدثهم ويفيدهم الأمور العظيمة السنية، وبالذي يخبر الوالي على الغيب قبل وقوع حكم المخبر عنه يخبر عن غيب حاله الذي يخصه حتى لا يعبد الله إلا على الواجب الذي تسكن النفس معه، وترتفع به الوحشة عنه.

والذي ينكر هذا الأخير فيه، ومقدماته عند كل سني صادقة، لا اعتراض فيها، وتفصيلها وجمعها في نظم قياس ينكره البعض، ويقبله البعض، فإن العارف بما يلزم عن الصنائع العلمية والعملية قليل الوجود، فعليك بالحق، ولا تلتفت للخلق، واجعل صورة البرهان بين عينك واتبعها، وقد تكلم في هذا الأشعرية والفقهاء، والصحيح عندهم أن الأمر في قبول التوبة

واعلم أنه لم يذكر عنه ﷺ من هذه الخواطر الأربعة في القلب غير لمة الملك ولمة الشيطان، فيكون القلب معترك جنديهما فقط.

ومن ثَمَّ قال بعضهم رحمة الله تعالى عليه: هاتان اللمتان هما الأصل والخاطران الآخران فرع عليهما؛ لأن لمة الملك إذا حركت الروح لإلقاء همة صالحة في القلب واهتز بالهمة الصالحة إلى حضائر القرب ورد عليه عند ابتداء القرب خواطر

محتمل، والإيمان باحتماله عندهم سنة، وأعلام الأولياء بقبول توبتهم ممكن عند أكثرهم في العقل، ولا يجوز شرعًا.

والنجيب الطالب لا يلتفت للفقيه إلا في معرفة الأحكام خاصة، ولا يعول على الأشعري إلا في قليل الأمور، وقد ذكرتها في «بُدِّ العارف»، وفي رسالة «الفتح المشترك»، فانظرها حيث ذكرت.

فصل: للإنسان المسلم أن يقف مع ظاهر الآيات في قبولها، ولا يفصل، ويقول التوبة التي أخبر عنها الشارع ﷺ إذا ظهرت على التائب تامة الشروط كما أخبر، وثبت حدها صح اشتراطه شرعًا، وخبر الصادق حق، والتائب أمين الله على نفسه، وبقدر ما يجده من التصديق في عزمه وقدمه وامتثاله يصدق عليه قول الشارع، ويتعلق شرط قبولها بمشروط صحتها في سره إعلانه، ثم يخبر مع ذلك أن الحكيم سبحانه يفعل ما يشاء، فإن شاء عذب، وإن شاء رحم، ثم يغلب رحمته كما تقدم، وهو الأولى.

فصل: لا يحكم العقل على الأمور المغيبة، ولا يتصرف إلا في المعاني الكلية المفردة، وبعضها يركب ويصنع صناعته، فمن حرم الإدراك المذكور قبل، وفاته المقام الذي يخلص مجمل القبول، ومهملة يتأدب، ويدرج عن عش لا يصله، ولا يسمع فيه ما هو بسبيله، ويقول إذا لم يخبر في خلده بوارد صحيح يحكم به كما يحكم العقل الهيولاني، فلا قطع، ولا يقين إلا بالعلامات الشرعية خاصة، وما سواها الكف عنه، والأدب معه أجل ما يتخذ المكلف العاجز القاصر، وأنا نوقن وأن الذي لا يدخل تحت مقدور العبد الكلام فيه إمَّا بدعة، وإمَّا جنون فيعمل ويتوكل.

فصل: التوبة والقبول والممكن والواجب جميع ذلك، قد كان قبل الكون، وقد أسعف بها التائب، وقد وقع وقبلت توبته في الأزل أو بضد ذلك، والكلام في المعلوم ضرب من ضروب الجهل، فافعل الخير، وفوض الأمر إلى الله تعالى.

من الحق، ولمة الشيطان إذا حركت هوت النفس بجبلتها إلى مركزها من الغريزة والطبع، وظهر منها بحركتها خواطر ملائمة لغريزتها وطبيعتها وهواها بحيث تلح بذلك وتصر على طلبها، وأما إذا تحقق السالك بالفناء فتنتفي عنه حينئذ جميع الخواطر حتى الربانية، لأن الخواطر رسل ولا يحسن الإرسال مع غاية القرب، لأنه حينئذ تجرد عن الآثار المحدثة وانغمس في بحر الأنوار الإلهية التي لا يمكن تصور الخاطر فيها؛ إلا أن العبد قد يرد من حيث عبوديته من مقام الفناء إلى مقام البقاء الذي لا يحجب فيه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق، لأنهما لا يتغيران تغايرهما قبل الفناء، وحينئذ يرد إليه وجوده الخاص به الذي كان متعلق أقسام الخواطر مطهرا عن الصفات الذميمة التي كانت له قبل الفناء فيتصف بالصفات الحميدة الإلهية، ويتنور وجوده بنور الحق من غير مغايرة كلية تتوهم قبل الفناء، فيعود إليه من حيث وجوده الخاص به مطالبات النفس وخواطرها الطالبة حقوقها، وهي حينئذ استحقت إدخال الرفق عليها بإعطاء حقوقها التي لو امتنعت لاختلت أفعالها من اختلال عقلها وقواها، فيختل الأمر وتعود إليه أيضًا خواطر الحق حينئذ وخواطر املك ولا تعود إليه خواطر النفس الطالبة للحظوظ، فإن حصل منها شي في ذلك فلا يمكنها منه، فإنها وإن بلغت ما بلغت، فيها جهالة لا تميز بين ما ينفعها وبين ما يضرها، فهي بمثابة الطفل الذي يتعاهد بما ينفعه ويمنع عما يضره، بل حينئذ يقسم بينها وبين القلب بالعدل، وذلك بأن يعطيها القلب هواها مما تستحقه وتعطى القلب حقه من المتابعة في طاعة الله تعالى، وكذلك لا تعود إليه هنا أيضًا خواطر الشيطان كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر:٤٢][1].

---

[1] اعلم أن الشيطان كاذب؛ لأنه كافر، والكافر لا يتحاشى عن الكذب غالبًا إلا في هذا المحلّ ونحوه، فإنه صَدق فيه من جهة معرفته أنه لا بد له على المخلصين؛ وهم عباده المضافون إلى الكاف في هذه الآية، وإلى الياء في الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر:٤٢]. وفي هذه الإضافة تشريفٌ لهم جدًا من حيث إنهم عباده تعالى لا عباد الشيطان والنفس، والهوى، والدنيا، ففيه إشارة إلى أن مَن اتَّبع خُطوات الشيطان؛ فإنه في حكم عبد الشيطان.

وأما الحديث الذي أشرنا إليه فيما تقدم فهو ما رواه عبد الله بن مسعود ﷺ وهو قوله ﷺ: «**إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاذ بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك، فإيعاذ بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»[1].

ثم قرأ: ﴿ ٱلشَّيْطَـٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [البقرة:٢٦٨] انتهى، وذلك لأن أفعال بني آدم تابعة لإرادتهم، وإرادتهم تابعة لاعتقادهم النفع في الطلب والضرر في الهرب والاعتقاد قد يكون صحيحًا بأن يكون ما اعتقد نفعه نافعًا في الدين والدنيا أو الدين وحده، وكذا ما اعتقد ضره، وقد يكون فاسدًا.

والتمييز بين النفع الصحيح والضر الصحيح وغيرهما لا تفي به القوة البشرية، بل لابد من قوة خارجية إما ملكية تريه الشيء كما هو، أو شيطانية تلبس عليه، وإنما قلنا: إن القوة البشرية لا تفي بذلك لأن إدراكه بالحواس يقصر على الأمور الظاهرة، وبالعقل لا يخلو عن تصور ما لم يتجرد العقل عن العلائق الظلمانية بالتأييد بنور البصيرة على ما يشهد به الوجدان،فلابد من قوة خارجية بشرية مناسبة للشيطان من حيث إنه مخلوق من النار وهي في خلقة الإنسان من حيث هو مخلوق من صلصال كالفخار، فإنه يفهم منه أن النار دخلت في خلقة الإنسان كدخول النار في الفخار.

وكذا لابد من مناسبة للملك، وتلك المناسبة من حيث قلب للإنسان أو

(١) رواه الترمذي (٥/ ٢١٩)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٠٥).

روحه لأن كلا منهما من عالم الأمر، ثم ذكر ﷺ أثر لمتيهما ليستدل على الأثر بالمؤثر، وهو أن لمة الشيطان تؤثر بإيعاد الشر بأن يخوف الشيطان بالفقر عند السخاء، وبفوات اللذات الحاضرة عند ترك المشتهيات، والإفضاء إلى التلف والفخر أو الذلة عند عدم إمضاء الغضب ويخوف بالتعب عند العبادات أو ترك الدنيا، وأما تأثيرها بالتكذيب فهو بإنكار الصانع والأنبياء والأولياء والأمور الأخروية التي يترك لها إمضاء المشتهيات والغضب، وقدَّم بحث لمته على بحث لمة الملك ليتطهر منه حتى يتحقق بمعرفة لمة الملك، وأرشدنا ﷺ إلى أن لمة املك تؤثر بإيعادها الخير ما يوجب انتظام أمور الدارين والتقرب من رب العالمين، والتخلق بأخلاقه، والتعرض لثوابه والهرب من عقابه في ترك الشهوة والغضب.

وأرشدنا أن لمة الملك تؤثر بالتصديق بالحق سبحانه وتعالى المجازي على ذلك التصديق بالتصديق بالنبوة والولاية والأمور الأخروية، وإثبات كل واحد من هذه الأمور بالأدلة العقلية أو الكشفية وإزالة الشبهة عنها، ثم قال عليه السلام:

«فمن وجد ذلك الخاطر الملكي، فليعلم أنه من الله تعالى»؛ لأن الملك واسطة بين الرب والعبد في إيصال العبد إلى مراضي الرب والتجليات الجمالية، وليحمد الله ليكون شكرًا على هذه النعمة فتنمو عليه وستزيد منها، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن وجد الخطرة الأخرى -أي: الشيطانية- فليتعوذ بالله من الشيطان، فإنه الكلب المتسلط من جهة الله على العبد، فلا يندفع إلا بالتعوذ بالله منه لعجز القوة البشرية عن دفعه بالمجادلة في أكثر الأوقات؛ لكن إنما تفيد استعاذتك بالله من

الشيطان إذا فعلت ما يحبه الله، وهو صدك خطرة الشيطان عندما تظهر في الحين، والإعراض عنها بالكلية لا بمجرد قولك: أعوذ بالله من الشيطان، فإن من قصده سبعٌ ليفترسه أو عدو ليقتله، فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين، وهو ثابت في مكانه لا ينفعه ذلك، بل لابد من تبديل المكان، وقس على ذلك في جميع أحوالك مع الشيطان خطرات أو غيرها.

ثم قراء ﷺ الآية في الاستدلال على اللَّمتين مع بيان أن اللمة الملكية من الله تعالى.

قال بعضهم رحمة الله تعالى: ويفهم من الآية أن الشيطان من النفس من بعض الوجوه أيضًا، ويفهم من الآية أثر اللَّمتين أيضًا.

أما أثر لمة الشيطان فهو المشار إليه بقول الله ﷻ: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أي فوات المال واللذات من غير تعقيب عوض على ذلك، فهو إيعاد بالشر وتكذيب بالحق، ﴿وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ [البقرة:٢٦٨] أي: بالتكذيب بالحق، مع كثرة الدلائل عليه وبإمضاء الشهوات والغضب في غير الأمر المشروع مع أن لهما أثرا فاحشا في العاقبة وفي تخريب أمور الدارين لمن تفكر، وأما أثر لمة الملك فهو المشار إليه بقولهﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةً مِّنۡهُ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، أي: سترا لان فيه الموجب للقرب منه وستر الصفات الذميمة، وفضلا بتعقيب ما هو خير مما أخذ وبتعقيب التجلي الخاص الجمالي، فهو إيعاد بالخير وتصديق بالحق.

وإنما جعل لمة ملكية؛ لأن لمة الملك موجبة للتجرد الملكي، وهو أقرب إلى الإطلاق الإلهي وأبعد من العَلائق الجسمانية، وإنما فهم من الآية أن الشيطانية من

النفس من وجه لأن الشيطان إنما يفعل بواسطة هوى النفس وغضبها، فيرى ما تهواه نافعا حقيقا وما تغضب عليه ضارا حقيقا من غير نظر إلى ما يعقب الضرر والنفع المذكورين انتهى والله أعلم بحقائق الأمور.

وأما العقل فهو يكون مع خاطر النفس والشيطان تارة ليتميزا عن الخاطر الرباني والخاطر الملكي، فيؤثر ذلك في إثبات الحجة على العبد لدخوله في الشيء بوجود عقل، إذا لو فقد العقل سقط العقاب والعتاب، ويكون مع خاطر الحق والملك تارة أخرى ليوقع العبد الفعل مختارًا ممتثلاً للأمر، فينتج له ذلك الرضا والثواب.

وقد قال بعض العارفين: إن مما يفيد انصباب الخواطر الإلهية والملكية قراءة سورة ﴿ **قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ** ﴾ [الإخلاص:١] وإنما يفيد قطع الخواطر النفسانية والشيطانية قراءة سورة: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ** ﴾ [الكافرون:١].

تنبيه له تعلق بها هذه التعليقة: ليكن في ذهنك أيها الطالب الراغب أنا كلما ذكرنا في تعليقتنا هذه الروح، فمرادنا الروح الذي هو من عالم الأمر لا الروح الحيواني إلى هو من عالم الخلق، وهو الذي نعبر عنه في هذه التعليقة بالنفس، وهذا الروح الحيواني موجود عند جميع الحيوانات، إذا هو منبع القوى المدركة: كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس، وهذه موجودة في سائر الحيوانات فمنبعها موجود فيها، وتكون هذه الروح يكون من البخار اللطيف الأرضي، أي لأنه من الغذاء الذي أصله التراب، وهو منبعث من القلب المعروف عند العامة، وينشر هذا الروح الحيواني في طريق تجاويف العروق والضوارب الذاهبة إلى سائر البدن.

وهذا الروح الحيواني لكونه من الأغذية يتصرف فيه بعلم الطب بدلالة حركته في النبض باعتدال مزاج الأخلاط وعدم اعتدالها بحسب حركته، وهذا الروح الحيواني يكون في الجنين وهو مضغة بعد تهيئة أسباب تصرفه في البدن، وبعد حصول القلب اللحمي له والعروق، ثم يخلق الله المضغة عظامًا فيكسوا العظام لحمًا ثم ينفخ فيه الروح الذي يختص بالإنسان.

وكذلك إذا أطلقنا في هذه التعليقة، فمرادنا به اللطيفة الإنسانية التي هي من عالم الأمر، وهي المسماة النفس الناطقة عند الحكماء، وليس مرادنا القلب المتعارف عند العامة: وهو المضغة اللحمية المعروفة الشكل الصنوبري المودعة في الجانب الأيسر من الجسد، وهي تحت الثدي الأيسر بنحو إصبعين.

وجعله ﷺ المضغة هي القلب كما ورد: «**وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(١) إنما كان على سبيل المبالغة، وناط ﷺ صلاح الجسد وفساده بصلاحها وفسادها، فيحصل لهذه المضغة ما

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٢٩٩٦).

فائدة: قال الشيخ ابن عجيبة: قلت: ولأجل هذا المعنى اختلفت أحوال الصوفية فمنهم عباد ومنهم زهاد ومنهم الورعون والمريدون والعارفون.

قال الشيخ زروق ﷺ في قواعده: قاعدة: النُّسُك الأخذ بكل مسلك من الفضائل من غير مراعاة لغير ذلك فإن رام التحقيق في ذلك أي النسك فهو العابد، وإن مال للأخذ بالأحوال فهو الورع وإن آثر جانب الترك طالبًا للسلامة فهو الزاهد، وإن أرسل نفسه في مراد الحق فهو العارف، وإن أخذ بالتخلق والتعلق فهو المريد انتهى المراد منه.

يحصل للقلب الحقيقي وإن كان على سبيل الخلافة والنيابة، لأن لتلك اللطيفة الإنسانية بهذه المضغة اتصالاً ما وتعلقًا خاصًا كأنها عشها ومسكنها ومأواها، وبينهما نوع اتحاد كأن الامتياز مفقود.

وقد يشتركان في بعض الأحكام، ويظهر التحرك في المضغة من ذكر القلب الحقيقي، وإلى القلب الحقيقي الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق: ٣٧] ولو كان المراد بالقلب هو اللحم الصنوبري الشكل، فذلك موجود لكل حتى البهائم والموتى.

وأما الروح الحيواني المتقدم ذكره، فهو وإن كان في الأصل عامًا إلا أنه صار بورود الروح الأمر العلوي عليه كأنه جنسًا آخر مباين لجنس أرواح سائر الحيوانات، لأنه اكتسب من تعلق الروح الأمر العلوي به صفة أخرى من كمال التسوية واعتدال المزاج حتى صار في غاية اللطافة حتى أشبه القلب الذي هو النفس الناطقة، فصار نفسا محلا للنطق أي محلاً لظهور القوة المفكرة التي تتعلق بالقوة العاقلة التي هي قوة القلب، وصار محلاً للإلهام أي إلقاء المعاني من غير طريق الحواس حتى صار محلاً للقسم الإلهي في قوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا** ﴾ [الشمس:٧]، أقسم بالروح الحيوان عند تسويته باعتدال المزاج لصيرورته نفسًا قابلة لإلهام الفجور والتقوى اللذين هما مظهر إجلاله وجماله، وإلهامهما إلقاء داعيتهما،فتسويتها بورود الروح الإنساني العلوي الأمري عليها إذ قبل وروده كانت كسائر أرواح الحيوانات بعيدة عن الاعتدال جدًّا، فلما ورد عليها الروح حصل لها اعتدال انقطعت به عن جنس أرواح الحيوانات حتى صارت قابلة لتجلي الجلال والجمال معًا، بحيث أقسم بها خالقًا حتى كأنه يقسم بذاته لاشتباه المظهر بالمظهر.

وعن أبي هلال ﷺ ونفع به أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٩]، وقف ثم قال: «**اللهم آت نفسي تقواها، أنت وليها ومولاها، وزكها أنت خير من زكاها**»[١] فهو ﷺ مع كمال حاله كان يهتم بأمر النفس لما رأى وقوف الفلاح على تزكيتها، ولم يكن له تزكيتها بنفسه بل بربه بإفاضة التقوى عليه، فمن ثم قال: «**اللهم آت نفسي تقواها**»، أي: **ما يقيها** من المهلكات والنقائص، ثم قال: أنا ضعيف عن ذلك كالصبي: «أنت وليها» بل عاجز بالكلية لأني متصف بالعبودية وأنت مولاها، ثم قال بعد اتصافها بالتقوى: زكها عنها وعن كل ما سواك بك، أنت خير من زكاها.

ولما كانت هذا الروح الحيواني ليس بعلوي كما ذكرنا، كان قوامه بإجراء سنة الله تعالى بالغذاء -أي: غالبًا- وإنما قلنا غالبًا لأن الله قادر على تقويته من غير غذاء كما يفعل لك نادرًا عند عدم انهضام الأغذية بمرض أو نحو ذلك.

ومن ذلك ما يقع لبعضهم من طي أربعين يومًا ونحوها مع عدم تضرره بالجوع وعدم إحساسه به، وذلك لأحد أمرين: إما نور التجلي الغالب عليه بحيث يمنع النفس من تصرفها في البدن بالتحليل والتغذية كما في حق المريض، وإما الفرح بربه، فإن برودته تذهب بحرارة الجوع، ففي الفرح تغلب البرودة على الحرارة، وفي الخوف تغلب إحدى الحرارتين على الأخرى.

وذلك واقع محسوس كما للشخص أنه يطرقه فرح، وقد كان جائعًا فيذهب عنه الجوع، وهكذا في طروق الخوف يقع ذلك.

---

(١) رواه مسلم (٤/ ٢٠٨٨).

ونحو ذلك قولهم: إن سهر الأنس ما يضر، لأن طبع النوم بارد رطب وطبع الأنس بارد رطب، فإذا عدم أحدهما ووجد الآخر قام مقامه، فلذلك العارفون لأنسهم بالمحبوب الحقيقي ما يضرهم السهر.

واعلم أن ذلك الفرح بالله تعالى إنما يحصل لمن يطوى لله خالصًا عن شوب هوى كان في النفس فيعوضه الله عند ذلك في باطنه ذلك الفرح بحيث ينسيه ذلك الفرح الطعام والشراب لكونه عن لذة حقيقة قوية، ولذة الطعام إنما كانت عن لذة ضعيفة، وأما من يطوي من غير إخلاص فهو بمعزل عن ذلك الفرح، وإنما يعوض الله ذلك المخلص الفرح به لأنه قد خلا عن العوائق الصادرة له عن طريق الحق فيصادف المحبوب الحقيقي بلا حجاب، فيغلبه الفرح حتى نسي الجوع والطعام والشراب، وقد لا ينسى الطعام والشراب؛ ولكن لما امتلأ قلبه بأنوار من تجلى لروحه انجذب إلى عالم الروح الروحاني بعد ما كان مترددًا بين الروح والنفس لقوة جاذب الروح الروحاني حتى إنه ينجب إلى المركز الآلي ومستقره من العالم الروحاني الذي هو من عالم العقول العالية.

ويعتلي بذلك الجذب عن أرض الشهوة النفسانية لضعف جاذبها كأنه ليس بجاذب أصلاً، وذلك لطمأنينة النفس وانعكاس أنوار الروح عليها بواسطة القلب المستنير بنور الروح من وجه المنير للنفس من وجه آخر، فإذا انجذب القلب إلى قعر الروح تبعته النفس المطمئنة فتجانس القلب، فإذا جانست النفس القلب بانعكاس نور الروح الواصل إليها بواسطة القلب، فحينئذ يصير في النفس روح أي نور روحاني كأنه هو الروح كالحرارة النارية في الخشب عند مجاورته للنار، فإنه يصير كأنه هو النار.

وهذه الحالة استمدها القلب من جهة تجرده من الروح وأداها من جهة المتعلق إلى النفس فتصير النفس كالقلب بل كالروح، فيجذب الروح النفس بواسطة المجانسة الحاصلة بينهما من أثر النور الروحاني الذي في النفس، فتغلب عليها الروحانية، فتنجذب أيضًا إلى عالم الأرواح وتلتذّ باللَّذات العالية الحقيقة، فتزدري الأطعمة الدنيوية لكونها شهوات خسيسة حيوانية تشارك فيها سائر الحيوانات وهذه لذة شريفة تشارك فيها الأرواح المجردة من الملائكة المقربين.

وحينئذ يتحقق عند صاحب هذه الحالة معنى قوله ﷺ: «**أبيت عند ربي يطعمني ويسقني**»(١) (٢) أي: تسكن نفسي في المقام الروحاني عند الحضرة الإلهية تطعمني لذات تجلياتها وتسقيني شراب محبتها، فيصير عوضًا عن هذا الطعام

---

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٠٩)، والترمذي (٣/ ١٤٨).

(٢) قال الشيخ عمر العطار: وسمى بعضهم هذا المقام، أعني ترك الطعام والشراب مدة تزيد على مدة الصيام من غير فاصل مفطر مع اشتغال من هذه الحالة حالته بالله تعالى بأن يرجع إلى شهود الحق تعالى، ولا يلتفت إلى الأغيار أصلاً، وتكون التجليات القدسية واردة على قلبه بحيث لا يلتفت إلى ما سواها بمقام.

قوله: (بمقام) متعلق بقوله: (قبل) وسمى بعضهم البيات، وهو ﷺ لحق بهذا المقام لهذا الحديث، وما سنذكر بعده وما سواه من الكُمَّل يحصل لهم ظل ذلك، كما ورد عن سيدنا عيسى وموسى -عليهما صلوات الله وسلامه- أنهما صاما أربعين يومًا مع الوصال، غير أن موسى عليه السلام لتغير فيه أخذ قطعة من حشيش ومضغها، فأمر بمواصلة عشرة بعد الثلاثين يومًا التي واصل فيها.قال تعالى: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ**﴾ [الأعراف: ١٤٢]، المفسرون على أنه صامها وصالاً. وانظر: كشف الأسرار شرح صلاة الشيخ الأكبر (ص٢١٤) بتحقيقنا.

والشراب المحسوسين لكونهما خسيسين بالنسبة إلى ذلك غاية الخسة، قال ذلك ﷺ حين سئل عن وصاله الصيام مع منعه عنه لغير أهله لئلا تضعف آلتهم فيتخلفون عن العبادة المقصودة أيضًا ولا يقدر على ما وصفناه من الطي إلا عبد تصير أفعاله غير العبادة وأقواله غير التلاوة والذكر والتسبيح والاستغفار وسائر أحواله مما يتعلق بأمر الآخرة ضرورية، لأن ذلك يعود النفس الضروريات، فتتناول من الطعام أيضًا بقدر الضرورة، وإلا ظهرت النفس بطغيانها، فإذا طغت في باب لا تنضبط في آخر، فلهذا لو تكلم مثلا بكلمة من غير ضرورة التهبت فيه نار الجوع التهاب الحلفا بالنار، وذلك أن النفس الراقدة أي التي صارت بالرياضة قريبة من الموت الإرادي الذي هو الفناء، لكنها لم تمت بالكلية بل أشبهت النائمة تستيقظ بكل ما يوقظها من الفضوليات، وإذا استيقظت عملت بجميع مقتضياتها؛ لأنها بوجدان الفضول انتزعت إلى هواها .

و إذا علمت أن الردَّ إلى الضرورات واجتناب الفضوليات شرط القدرة على الطي، فالعبد المراد بهذا يسهل عليه الطي إن فطن لسياسة نفسه بحيث تتميز له الضرورات من الفضوليات، فلا يمكن أن تلبس عليه نفسه بدعوى الضرورة في بعض الفضوليات، وذلك إذا رزق العلم الكامل بالتمييز ما بين الضروريات والفضوليات، ولم يزل لك دأبه وحاله مع نفسه إلى أن تدركه المعونة من الله تعالى بأن يعطيه فرحا ينسيه الطعام والشراب.

لاسيما إن كوشف بشيء من المنح الإلهية جزاء على الصبر والطعام فإنه يغلب عليه الفرح لا محالة، كمن فتح عليه بتفاحة بعد انتهاء جوعه إلى الغاية، وغلبت النفس عليه ففتح التفاحة لقصد أن يأكلها فكوشف بحوراء من الجنة من

وسط التفاحة تعطى له جزاء على الصبر، ففرح بها واستغنى عن الطعام أيامًا وكون الحوراء أخرجت له من التفاحة لتظهر له كرامة في ضمن كرامة، وينكشف له مع عالم الحكمة عالم القدرة.

والإيمان بالقدرة ركنٌ من أركان الإيمان بالله، لأنه إيمان بذات الله تعالى وبجميع صفاته التي وصف بها نفسه في كتابه وعلى ألسنة أنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- وإدخال الشيء العظيم المقدار في الشيء الصغير المقدار مما تتعلق به القدرة، لأن المقدار من عوارض الشيء، فيجوز أن يلبس الداخل حال دخوله مقدارا صغيرا، فإذا خرج ألبس مقدارًا كبيرًا مع بقاء مدته وصورته الأصلية بحاله فيسلم هذا الخبر لإمكانه ولا ينكر بمجرد الاستبعاد.

وبما ذكرناه تعرف السر فيما وقع لكثير من أولياء الله من تركهم الأكل والشرب والنوم مدة طويلة كما وقع للشريف القطب الأستاذ الفقيه المقدم: محمد بن علي علوي- نفع الله به- أنه مكث مائة ليلة بأيامها لم يذق فيها طعامًا ولا شرابًا، وكما وقع للقطب الشريف السيد عمر المحضار علوي- نفع الله به- أنه مكث أربعين ليلة طاويًا لم يذق طعاما ولا شرابا ولم تنقص قوته ولم يضعف عن المشي ومكث خمس سنين لا يأكل شيئًا مما يقتاته الآدميون، ومكث شهرًا لم يذق فيه إلا الماء وحده ولم ينقص من قوته شيء، وكما وقع للقطب الشريف الأستاذ عبد الله العيدروس علوي- نفع الله به- أنه أقام مدة من الأعوام يوم ويفطر على سبع تمرات فقط، وكما وقع للأستاذ القطب سعد بن علي صاحب العيدروس- نفع الله- أنه كان يطوي الأربعين، فأكثر على الماء وحده، وكما وقع للأستاذ الشريف أحمد باجحدب علوى- نفع الله به- أنه مكث آخر عمره ثلاثة أعوام لم يذق فيها إلا القهوة فقط.

هذا من جهة الأكل والشرب، وأما من جهة النوم: فمن ذلك ما وقع للقطب الشريف الأستاذ عبد الرحمن السقاف علوي- نفع الله به- أنه هجر النوم أكثر من خمسة وثلاثين عامًا، وكما وقع لحفيده الأستاذ عبد الله العيدروس أنه مكث أكثر من عشرة أعوام ولم يرقد ليلاً ولا نهارًا، وكما وقع لصاحب العيدروس سيدي سعد بن علي المذكور أنه مكث مدة من أعوام ولم يرقد ليلاً ولا نهارًا، وكما وقع لولد العيدروس سيدي القطب الشريف الأستاذ أبي بكر -نفع الله به- أنه مكث أكثر من ثلاثين عامًا لم يستغرق فيها قط في نومه قدر ثلاث ساعات ليلاً ونهارًا، ومثل ذلك كثير من أولياء الله تعالى، ومن تتبع مظانَّه وجده فيها.

واعلم بأن المعين المذكور من الطي والتقلل لو أنه عين الفضيلة ما فات أحدًا من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- ولكان رسول الله ﷺ يبلغ من ذلك أقصى غاياته، ولا شك أن لذلك فضيلة لا تنكر، ولكن مواهب الله لا تنحصر في ذلك، فقد يكون من يأكل كل يوم أفضل ممن يطوي أربعين يومًا، وقد يكون من لا يكاشف بشي من أنواع القدرة أفضل ممن يكاشف بها إذا كاشفه الله تعالى بصرف المعرفة، والقدرة أثر من المقام ومن أُهل لقرب القادر لا يستغرب ولا يستكثر شيئًا من القدرة ويرى أن القدرة تتجلى له من سجف أي باطن أجزاء عالم الحكمة فافهم.

واعلم أن الله تعالى خلق الروح الإنسانية من نور ذاته، وأودع فيها بواسطة العقل جميع العلوم الإلهية، فهي مجبولة على درك الحقائق بالفطرة أصالة، وإنما حجب الناس عن إدراك ذلك حكم الجسم الذي امتزجت به الروح فتنـزلت وتسفلت، فإذا أخذ العبد في الرياضات أخذت الحجب في الارتفاع؛ لأنه إذا قلل الطعام والكلام والمنام والاختلاط بالأنام سقط فيه الجسم عن الروح.

فإذا أضيف إلى ترك العادات كالجزع والاسترسال مع الخواطر والتشوق إلى الناس فيه والفرح بالحاصل والحزن على الغائب وأمثال ذلك، تخلص الروح من سجن الطبع وطار في فضاء عالم الأرواح، فإذا أضيف إلى ذلك ترك القياس بالعقل عند طلب معرفة الأمور ظهرت له الأشياء على ما هي عليه، **فلا** تحجبها الجدران ولا يمنعها بعد المكان والزمان، وقد ترى الأشياء بالعين الشحمية لاتحاد نور القلب بالعين، فحينئذٍ جاز أن يسمى قلبه باللوح المحفوظ، وأن يسمى روحه بأم الكتاب انتهى.

تنبيه آخر يتعلق بلفظ السر(١):

---

(١) **السر في الاصطلاح الصوفي**: تنوع معنى السر عند الصوفية بحسب المضاف، فأسرارهم التي يذكرونها كثيرة ومتنوعة منها:

(١- السر : المقصود به نصيب كل موجود من وجود الحق، قال عبد الرزاق الكاشاني: «السر يعنى به حصة كل موجود من الحق بالتوجه الإيجادي المنبه عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ [النحل/ ٤٠] وقولهم: لا يحب الحق إلا الحق، ولا يطلب الحق إلا الحق، ولا يعلم الحق إلا الحق، إنما أشاروا بذلك إلى السر المصاحب من الحق للخلق على الوجه الذي عرفت، فإنه هو الطالب للحق والمحب له، والعالم به قال ﷺ: «عرفت ربي بربي».

(٢- سر العلم : يطلق بإزاء حقيقة الحال، وهو ما يقع به الإشارة من الأشياء، التي تكون مصونة مكنونة بين العبد وبين الحق، وعليه يحمل معنى قولهم: أسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم، ويقولون: صدور الأحرار قبور الأسرار.

(٣- سر السر: ويعنون به ما انفرد به الحق عن العبد ، بحيث لا يكون لغير اللهّ اطلاع عليه.

(٤- السر المصون: يعبرون به عن غيب هوية الذات الأقدس وإطلاقه فإن كنها الذات، وهو يجل أن يدخل تحت علم، أو أن يحاط به أو أن يدرك من حيث ذاته أصلاً، فهو السر المصون عن الإدراك والإحاطة.

(٥- سر التجليات: يشيرون به إلى كل شيء في كل شيء، وكيفية حصول هذا الشهود، أن يتجلى للقلب عين التجلي الأول، الذي له أحدية الجمع بين جميع الأسماء الكلية والجزئية، والأصلية والفرعية، والذاتية والصفاتية، حتى يدرك الذات الواحدة التي لا كثرة فيها بوجه، ويشاهد كل شيء في كل شيء.

(٦- سر العبادات: والمقصود به، إدراك أسرار العبادات التي افترضها اللهَّ تعالى على عباده، من الصلاة والزكاة والصوم والحج، فلما لم يكن في وسع الناس الوصول إلى مرتبة الكمال، في الحضور الدائم مع الله، وتطهير النفس عما يليق، افترض اللهَّ عليهم هذه الفرائض، ليكون وسيلة إلى نيل هذه المقامات.

(٧- سر القدر: وهو عندهم إظهار الأشياء على ما هي عليه، فقد كانت معلومات في الأزل، أو ما يسميها الشيخ ابن عربي بالأعيان الثابتة فظهرت بتلك الصورة في حال وجودها بسر القدر، قال الكاشاني: «سر القدر يشيرون به، أن حكم الله تعالى في الأشياء وعليها، إنما هو بها، فلما كان القضاء عبارة عن حكم اللهَّ في الأشياء على ما أعطته من المعلومات، مما هو عليه في نفسها، والقدر توقيت ما هي عليه الأشياء في عينها من غير مزيد، فما حَكَم القضاء على الأشياء إلا بها، وهذا هو عين سر القدر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق/ ٣٧] ، ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام/ ١٤٩]، فالحكم في التحقيق تابع لعين المسألة التي يحكم فيها بما يقتضيه ذاتها، فالمحكوم عليه بما هو فيه حاكم على الحاكم، أن يحكم عليه بذلك، وكل حاكم محكوم عليه بما حكم به أن يحكم به، كان الحاكم من كان، فتحقق هذه المسألة، فإن القدر ما جهل إلا لشدة ظهوره، فلم يعرف.

قال بعض أهل المعرفة نفع الله بهم: وأما لفظ السر فهو ـ والله أعلم ـ إشارة

(٨- سر الربوبية: هو ما أشار إليه سهل بن عبد الله، بقوله: إن للربوبية سرًّا، لو ظهر لبطلت الربوبية، ومعناه أن المربوب لما كان هو الذي يبقى على الرب ربوبيته، لكون الربوبية نسبة بين الرب والممكن، فلو ظهر هذا السر للخلق لبطل عندهم ما يترتب عليه الربوبية.

(٩- سر سر الربوبية: يشيرون به إلى سر هو أعلى من هذا السر الذي ذكر للربوبية، فهو سر السر المفهوم منها، وتقريره هو أن الربوبية، وإن كان تحققها متوقفًا على المربوب، الذي هو عين معدومة في نفسها، لكنه لما كان مظهرا لربه، الظاهر بأحكام تعيناته، التي هي الأعيان الثابتة، لم يصح لأجل هذا أن تبطل الربوبية، فظهور سر الربوبية، يوجب بطلانها عن من لم يظهر له هذا السر الثاني المستتر في الأول، ولهذا كان الثاني هو المسمى بسر السر المفهوم من الربوبية، فكان سر سرها موجبا لإثباتها، قال الشيخ ابن العرب- قدس سره- في هذين السرين:

الرب حق والعبد حق يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف

ويقول الكاشاني: فيفهم مما ذكر الشيخ هنا، أنك إذا نظرت إلى الرب وحده أو العبد وحده، بطلت الربوبية لبطلان المربوب، المعبر عن بطلانها بقوله: إن قلت عبد فذاك ميت، أما إذا نظرت إلى قيامه بربه، وإلى كونه مظهرًا له صح تكليفه، لأن المكلف عبد، هو مظهر الرب، فثبتت الربوبية بظهور سر سرها، كما قال الشيخ:

العبد عين الحق ليس سواه والحق عين العبد لست تراه

فانظر إليه به على مجموعه لا تفـردنه فتستبيح حمـاه

(١٠- السرائر: هي انمحاق السيار، بالاتصال بنور الأنوار عند الوصول التام، وقد لا يطلع عليه وعلى حاله غيره ألبتة، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «لي مع اللهَّ وقت لا يسعني فيه غير ربي»، وقوله تعالى في الحديث القدسي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري».

إلى أمر غير مستقل بالماهية، فليس مما يكون له حد على حدة، فلذلك أشار إليه القوم إشارة لا تفي بتعريفه، وليس أيضًا وصفًا مخصوصًا بأمر معين، ولذلك وجد الاختلاف في الإشارة إليه، وهو اختلاف لا يمكن الجمع فيه على تقدير كونه وصفًا لأمر واحد، إذ منهم من جعله فوق القلب دون الروح وجعل ما فوق الروح الخفي.

ومنهم من جعله بعد الروح -أي: فوقه- يعني أنه ألطف منه وقالوا في الاستدلال على أنه فوق الروح السر محل المشاهدة حتى إذا فني صار الخفي،والروح محل المحبة وهى قبل المشاهدة لأن المشاهدة إنما هي اليقين الحاصل عن غلبة المحبة، والقلب محل المعرفة التي هي من أسباب المحبة، و إنما كان محل المعرفة أن له وجها إلى الروح ووجها إلى النفس، وهما -أي: الروح والنفس- مدركان أحدهما للمعقولات وهو الروح، والآخر للمحسوسات وهو النفس.

ويدل عدم استقلال السر بالماهية أن السر على تقدير كونه مستقلاً من الأمور العظيمة، فلا بد من ذكره في الكلام القديم، ولم يذكر فيه إلا الروح والقلب مع أنه ذكر ما هو أدنى منه، ويدل على عدم اختصاصه اختلاف أهل الكشف اختلافًا لا يمكن الجمع فيه على تقدير كونه مختصًا بأمر واحد مع إنهم أهل الكشف، والكشف يمتنع فيه وقوع الخطأ المطلق، ولذلك لم يردوا ذوقًا جاء به واحد منهم بالكلية بل يحمل عندهم ولو على بعد على وجه صحيح تقبله الحضرة الإلهية.

نعم! من حصر الأمر في مشربه ردَّ عليه حصره، وغالبًا لا يفعل ذلك إلا من غلب عليه سكره، وإذا كان كذلك فنقول والله أعلم: الذي سموه سرًا ليس هو شي مستقل بنفسه، ومعنى المستقل: أن يكون له وجود وماهية غير تابعة لأمر آخر، كالروح والنفس لهما وجود وماهية غير تابعين لأمر آخر.

وإنما السر هو القلب المتصف بصفة الروح، والروح المتصف بصفة الذات

الإلهية، إلا أن هذا الوصف لغاية تلطيفه، كأنه يجعل الموصوف شيئًا آخر حتى استعجم على من وجدوه، فتوهموا أنه قسم آخر له وجود وذات مستقلة، وذلك لأنه لما صفت الروح عن كدورة الحيوانية، وتزكّت عن صفاتها الظلمانية، انطلق الروح من وثاق ظلمة النفس، فأخذ الروح في العروج إلى أوطان القرب التي تناسبه أصل الخلقة، وقد انحبس عنها بوثاق ظلمة النفس.

وعند ذلك تبع القلب الروح، فانتزح من مستقره الذي هو استواء ميله إلى الروح والنفس، متطلعًا إلى الإنصاف الروح من الصفاء والتجرد الذي يحل به العروج إلى مقامات القرب، فاكتسب وصفًا زائدًا في التجرد على وصفه الذي كان له فاستعجم على الواجدين بسبب ذلك الوصف الذي لم يكن من شأن القلب أن يتصف به حيث رأوه أصفى من القلب فسموه سرًّا، وهو القلب بعينه مع زيادة وصف الصفاء، فهكذا لما صار للقلب وصفًا زائدًا على وصفه بتطلعه إلى الروح، اكتسب الروح وصفًا زائدًا في الصفاء والتجرد المعين في عروجه من حيث تخلص عن ظلمة تدبير القلب العاقّ بصيرورة القلب في هذه الحالة بارًّا، فاستعجم ذلك الوصف على الواجدين أهل الكشف، فسموه أيضًا سرًّا فصار السر لفظًا مشتركًا في المعنى الذي زاد فيه وصف الصفاء والتجرد والعروج.

فلا خلاف بينهم في المعنى إذا يمكن الجمع بينهما في المعنى مع تفرقهم في الموصوف، فالذين قالوا: إنه ألطف من الروح.

المراد: إنه ألطف وصفًا من وصف الروح في متعارف العامة، فهو روح متصف بوصف أخص وألطف مما عاهدوه إلا أنه غير الروح بالكلية كما توهمه عبارتهم، وهكذا الذي سموه قبل الروح سرًّا ليس شيئًا غير القلب، بل هو قلب

اتصف بوصفٍ زائدٍ على ما عاهدوه، وهذا الترقي لا يختص بالقلب والروح، بل في مثل هذا الترقي منهما تترقى النفس إلى محل القلب، فتتصف بصفاته وتنخلع من صفاتها، إلا أنها لقرب أمرها لا يستعجم على الواجدين حالها، فيعرفون أنها النفس تبدلت صفاتها بصفات القلب.

ومن صفاته الطمأنينة عند متابعة الروح فتصير نفسًا مطمئنة، وعلامة طمأنينتها أنها آلات تريد كثيرًا من مرادات القلب قبل الترقي إلى مقام الروح، وإنما قيدنا بذلك لأنها لا تقدر أن تريد مرادات القلب بعد الترقي، إذا صار القلب بعد الترقي يريد ما يريده مولاه متبرئًا عن الحول أي التحول عن المعاصي والقوة على الطاعات والإرادة بشيء من الأشياء والاختيار لأمر نفسه أو غيره، فإراداته فانية والنفس لا تكون كذلك مادامت باقية.

وإنما قيدنا بالكثير لأن النفس تريد حقوقها من الشهوات الضرورية، ولا يريد القلب ذلك بالذات، بل بالرفق للنفس المنقادة له، وإلا فالقلب قد فني عن إرادته بالكلية وبقي بالحق، فقد ذاق طعم العبودية بالكلية، وتخلصت عبوديته للحق، حيث صار حُرًّا عن رقية إرادته واختياره، وكان للنفس مشاركة معه في عبوديته كما ذكرنا انتهى.

قلت: ويمكن أن يحمل أيضًا على ما ذكر هنا من جملة السر لفظ الخفي ولفظ الإخفاء المذكورين في كلام بعض الصوفية- نفع الله بهم- والله أعلم بحقائق الأمور، ومن ثَمَّ قالوا: الخلاف لفظي اعتباري في قول الإمام الغزالي- نفع الله به- إن الصديقية تحت النبوة من غير واسطة، وقول -الإمام محيي الدين بن العربي- نفع الله به: القربة فوق الصديقية وتحت النبوة، وذلك أن القربة رتبة من مراتب

الصديقية، وهي أعلامها كالوسيلة في الجنة مثلاً أعلى الجنة.

وإلى ذلك أشار شيخنا العلامة الشريف الأستاذ القطب عبد الله بن جعفر مدهر علوي- نفع الله به في قوله في حق العيدروس:

قطب الجمال مليك المجد زاهره المعتلي في مقام القرب أعلاه

وأما قوله في النظم **(يا سالك)** أي: سالك في طريق أهل الحق، والسالكون على أربعة أقسام:

- سالك مجرد لم ينته إلى الأحوال لتمكن النقصان في أعماله بحيث لا تصير سببًا لاشتمال الأحوال.

- ومجذوب أبتر لم يرد إلى الأعمال.

-وسالك متدارك بالجذبة رد إلى الأحول.

- ومجذوب متدراك بالسلوك رد إلى الأعمال.

وإلى هذين الأخيرين الإشارة بقوله تعالى: **﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾** [الشورى:١٣] أي: الله يختص باجتبائه من يشاء من عبيده -من غير سبق اجتهاد منه، بل بمحض مشيئته الأزلية المتعلقة بكمال استعداد عينه الثابتة- الموجب كمال اعتدال مزاجه، بحيث تغلب فيه أحكام الوحدة على أحكام الكثرة، وأحكام الوجوب على أحكام الإمكان فيقرب من الحق وينجذب إليه بالمحبة الأصلية.

وقوله: **﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾** أي: ويختص بتيسير طريق الوصول إليه

من ينيب بوفاء عهد التوبة لقصر استعداد عينه الثابتة من غير انضمام مقدمة الإنابة إليه، فإذا تمت الإنابة تيسر بفضل الله تعالى الطريق إليه، وإلا فمجرد العمل لا يوجب الوصول، وتلك المجاهدة وإن كانت أيضًا نوع جذب من الله تعالى؛ لكنه لما كان ثقيلًا عليهم لمكان نفوسهم وهم قد جاهدوها بتلك المجاهدة صارت أسبابًا منسوبة إليهم تترتب عليها الأحوال الفائضة عليهم، إذ جعل الله سبحانه وتعالى هدايتهم في لوح القدر مربوطة بالإنابة [استهدأته] أعيانهم الثابتة في قبولها بدون الإنابة التي هي الرجوع إلى الحق كما ذكرنا بوفاء عهد التوبة، والهداية العامة في الآية هي الهداية لطلب الله والهداية الخاصة التي في الآية هي الهداية إلى الله أي إلى الكشف بأنوار صفاته وأسمائه وذاته.

فأهل القسم الرابع: خصوا بالاجتباء الصرف وهو القرب من غير كسب سابق.

وأهل القسم الثالث: خصوا بالهداية بشرط تقديم الإنابة التي هي كسب سابق مثمر لأحوالهم ومقاماتهم، وهي وإن كانت بمحض فضل الله تعالى لكنها أفادت كمال الاستعداد المستفيض ذلك الفضل من الله بحصول التزكية.

وأما الاجتباء المحض فهو غير معلل بكسب العبد؛ لأن الكسب متأخر عنه والمتأخر لا يصلح علة للمتقدم، واستعداد عينة الثابتة واعتدال مزاجه، ليسا من كسبه، وهذا هو حال أهل القسم الرابع.

والقسمان الأولان: لا يصلحان للمشيخة بل يتبرك بهما ويلتمس دعاؤهما، لأن السالك المجرد عن الأحوال لا يؤهل للمشيخة ولا يبلغها إلا لبقاء صفات

نفسه عليه، فليس بصاحب حال، فكيف يستفاد منه الأحوال!

بل هو واقف عند حظه من رحمة الله وتوفيقه للأعمال الصالحة في مقام المعاملة والرياضة، ولا يرتقي عن مرتبته إلى حال يروح بها عن وهج المكابدة، فلا يتم أمر محبته، وذلك بحيث التذَّ بمحبوبه، فتقرب منه حتى تقرب به إليه.

وكذا المجذوب المجرد عن الأعمال: وهو الذي من غير سلوك ومجاهدة [يباديه] الحق بآيات اليقين، ويرفع عن قلبه شيئًا من الحجاب الظلماني بحيث يلتذّ بمحبوبه، فهو وإن كان كاملا من وجه لا يصلح للتكميل إذ لا يؤخذ في طريق المعاملة، وللمعاملة أثر تام في التقريب، وهو قد قصر كماله حيث وقف عند حظه من القرب إلى الله تعالى مروحا بحاله غير مأخوذ في طريق أعماله غير الفريضة.

وأما الذي يصلح للمشيخة فهما القسمان الأخيران، والأول منهما: وهو السالك الذي تدورك بالجذبة، وهو المحب أولا المحبوب آخرا، فكونه محبا من حيث أنه كانت بدايته المجاهدة والمكابدة في مباشرة جوارحه الأعمال والمعاملة بالإخلاص والوفاء بشروطها،بحسب المساعي القلبية، فيسرى النور من الظاهر إلى باطنه فيصير محبوبا، فتتم محبته ولذته فيخرج من وهج المكابدة بالأعمال إلى روح الحال، فحينئذ وجد العسل بعد العلقم، وتروح بنسمات الفضل بانكشاف غمام صفات النفس عنه، وبرز بذلك من ضيق المكابدة إلى متسع المساهلة الحاصلة لروحه من قطع دواعي النفس إلى السفل، وتأنس بنفحات القرب حتى نسى اللذات الفانية الخسيسة، وفتح له باب من المشاهدة التي هي أعظم لذة من اللذات الخسيسة بمراتب، فوجد دواءه عن مرض الميل إلى السفل، فكمل نور باطنه حتى فاض وعاؤه الباطن إلى ظاهره فتنور ظاهره بنور باطنه وصدرت منه كلمات الحكمة الصادرة عن كمال نور الباطن

حتى تنورت قلوب السامعين فمالت إليه قلوبهم، ثم توالى عليه فتوح الغيب أنوار بعد أنوار ،وصار ظاهره مسددا بالأعمال، وار باطنه مشاهدا للجمال والجلال.

وحينئذٍ صلح للجلوة لأنه لا يحتجب بشي عن شي حتى إنه صار له في جلوته معاني الخلوة[١]،لأنه صار بحيث يغلب ويوثر في كل شيء ،ولا يؤثر فيه شيء مما يراه ويسمعه. كيف لا وهو يفترس الناقصين من حضيضهم إلى مرتبة الكمال، ولا تفترسه نفسه ولا شيطان ولا غيرهما من أرباب الضلال لتمكنه في الأعمال والأحوال، فهو من الرجال القوامين على النساء نفوسهم ونساء نفوس غيرهم، مثل هذا الكامل يؤهل للمشيخة، لأنه يكمل الناقصين بالأعمال التي أخذ بها أولاً إن كان في طريق المحبين، ويكمل بإفاضة الأحوال إذ قد منح حالاً من أحوال المقربين بعد ما دخل من طريق أعمال الأبرار الصالحين، وتلك الحال مستقرة غير منقطعة، إذ حصلت له بعد المجاهدة الموعود عليها الهداية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا

---

(١) لطيفة: قال الشيخ إسماعيل حقي الجلوتي: إن كان السالك مستعدًا؛ فيرجع بعد تلك المدة التي هي النهاية إلى البداية، وإلا فلم يصلح حال العمر الكثير، إذ مَن لم يهدِ الله ما له من هادٍ، وربما يقع الفتنة بين الخلوتية بالخاء المعجمة، وبين الجلوتية بالجيم من عدم تسليم أحديهما الأخرى، وأمَّا نحن فنقول: إن الجلوة بالجيم لا تحصل إلا بعد الخلوة؛ فهي نهاية الخلوة.

فمَن وصل من الخلوتية بالخاء المعجمة إلى نهاية المراتب؛ فهو خلوتي بالاسم، جلوتي بالمعنى، ومَن لم يصل من الجلوتي بالجيم إلى غاية الغايات؛ فهو جلوتي بالاسم، خلوتي بالمعنى، إذ لم يظهر بعد بالأوصاف الإلهية في مرتبة البقاء فكيف يكون جلوتيًا؟ فله شرف الاسم المجرد فقط، فليلازم الباب إلى أن يفتح الله عليه ما أراد. ويكون جامعًا بين الخلوة والجلوة، حافظًا لحقوق الأسماء الليلية، والتوحيد النهاري؛ فذلك تجلٍّ واستتار؛ بل تجلٍّ في عين الاستتار أبدًا.

﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وحيث صار هاديًا مهديًا مستقرًا في هدايته صلح عن أن يكون له أتباع في الهداية تنقل منه إليهم علوم وأحوال، وأن تظهر بطريق بركة النصيحة العامة أيضًا؛ لكن هذا الرجل مع هذا الكمال قد يكون فيه قصور، إذا قد يكون محبوسًا في حاله لوجدانه إياه بعد التعقب، فيكون حاله محكمًا فيه فيقف عنده ولا يطلب الزيادة، ولا يطلق من وثاق الحال إلى ما فوقه، ولا يبلغ كمال النوال بطلب الزيادة بل يقف عند حظه، وهو كان حظًّا وافرًا سنيًا فهو قصور، إذا درجات أهل العلم بالله لا ينتهي، وحينئذٍ فالمقام الأكمل في المشيخة هو القسم الرابع: وهو المجذوب، أي: المحبوب أولاً المتدارك بعد الجذبة بالسلوك فيصير محبا ثانيا طالبا للزيادة غير واقف عند الحال، ومعنى جذبه أولاً: أن يبادئه الحق قبل معاملته بالكشوف التي هي أنوار اليقين، وذلك بأن يرفع عن قلبه الحجب الظلمانية، وإذا ارتفعت يستنير بأنوار المشاهدة لصفائه مع عدم الحجاب بين الحق وبينه، فإذا تجلى الحق عليه انشرح –أي: قلبه- بصيرورته مرآة له وينفسخ حينئذ قلبه، فيتسع لما لا يتناهى اتساع المرآة الصغيرة لمثل السماوات والأرضيين مع صغر جرمها، وإذا صار مجلي للحق يتجافى عن دار الغرور لظهور ما فيها من التغير،وينيب إلى دار الخلود لاجتلاء ما فيها من اللذات الباقية، بل يرتوي حينئذٍ من بحر الوصال الذي لا اعتبار فيه لماض ولا استقبال، ويتخلص من الأغلال التي هي علائق الدنيا والأغلال التي فيها الالتفات إلى ما سوى المولى بغاية تحققه بالمشاهدة حتى يقول: لم أعبد ربا لم أره أي: بعين اليقين، وإذا ارتوى من بحر الوصال رد إلى الأعمال حتى يجعل محبًا ثانيًا فيفيض من باطنه على ظاهره بتنوير إياه كتنوير المرآة المنورة بنور الشمس ما يقابلها من جدار ونحوه.

وإذا تنور الظاهر تجري عليه صورة المجاهدة من الأعمال الصالحة من غير أن ينسبها إلى نفسه، ويعدها من أعمال لفناء النفس والأعمال عنده بمكاشفة وحدة الأفعال والصفات والذات، بل يكون عاملاً بالله ويجريها الله عليه تكميلاً له، فلذلك تكون من غير مكابدة وعناء كما هو شأن الأفعال الإلهية المنسوبة إلى الله خاصة، بل بلذاذة وهناء من حيث تزداد بها أنواره وتقربه إلى الله تعالى، فليتلذذ بلك إذا وجد قرة عينه، كما يشير إليه: «**وجعلت قرة عيني في الصلاة**»[(١)(٢)].

بل يتلذذ بالذات لحسية أيضًا لأنه يصير قالبه بصفة قلبه في النورية لأن قلبه لما امتلأ بحب ربه أفاض من حبه على قالبه الذي بينه وبينه علاقة تامة، وإذا أفاض عليه من حبه صار منورا بنوره، فتذهب ترابيته الموجبة صعوبة الأعمال التي منها المكابدة والعناء، فيلين جلده كما لأن قلبه بذهاب أثر النفس الجامدة الترابية.

وعلامة لين جلده -أي: ظاهره- إجابة قالبه للعمل، فإن خاصية الرطب سهولة التشكل بما أريد له من الأشكال، فذلك كما لان قلبه بإجابته للأخلاق الصالحة التي أريد منه بأن يتشكل بها، وهذا من جهة كونه محبا بعد محبوبيته، وحينئذٍ يريده الله تعالى إرادة خاصة بعد ما كان مرادا له بالكشوف التي حصلت للقسم الثالث.

---

(١) رواه النسائي (٥/ ٢٨٠)، وأحمد (٣/ ٢٨٥).

(٢) أي: سرور قلبي، وفرح روحي في حال الصلاة لا في إقامتها؛ لأن مجرد الإقامة لا يستلزم السرور والراحة.

وذلك بأن يخصه بكشوف أخرى غيرها ويرزقه محبة خاصة من محبة المحبوبين، والثالث وإن أعطى محبة المحبوبين فليست خاصة، ومن أسرار تلك المحبة الخاصة أن المحبوب بتلك المحبة ينقطع فيواصل، وذلك أنه قد يعرض إعراضا يوجب الانقطاع فيراسل إرسالا بالمواصلة، وسبب جريانه إرسال وصورة المجاهدة عليه هو أن يذهب عند جمود النفس الذي تستثقل الأعمال، وذهاب جمودها هو بلينها للعبادة باصطلائها بوصول حرارة القلب كما لان اللقب بوصول حرارة الروح إليه، والنفس وتفيض بعد ذلك على البدن فيلين الجلد الظاهر وتسهل عليه الطاعة من غير كلفة، وحينئذ تنقطع عن القلب بسبب امتلائه بحب ربه عروق النفس المنازعة، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: ٢٣]. أخبر أن الجلود تلين كما أن القلوب تلين، ولا يكون لين الجلود مع لين القلوب إلا حال المحبوب المراد، وإلا فالمحب لا تزال نفسه جامدة يجذب إليها الكد في العبادات، والدليل على انكماش عروق النفس عن اللقب الموجب «للنية» أنه ورد في الخبر: «أن إبليس لعنه الله سأل السبيل إلى اللقب، فقيل له: يحرم عليك، ولكن السبيل لك في مجاري العروق المشبكة إلى النفس إلى حد اللقب، فإذا دخلت العروق عرقت فيها من ضيق مجاريها وامتزاج عرقك بماء الرحم المترشح من جانب اللقب في مجرى واحد، ويصل بذلك سلطانك إلى القلب، ومن جعلته نبيا أو قلعت تلك العروق من باطن قلبه فيصير القلب سليما، فإذا دخلت العروق لم تصل إلى المشتبكة بالقلب فلا يصل إلى القلب سلطانك» انتهى.

قال من بعض من كتب تحت هذا الخبر رحمه الله تعالى: أي أن إبليس سأل

التصرف في النفس الناطقة التي هي اللقب ليضله بنفسه بلا واسطة فمنع عن ذلك لكن جعل اللقب مع النفس الأمارة بالسوء التي هي الروح الحيواني عروقا من العلائق، وجعل لإبليس مدخلا في تلك العروق من حيث يجر القلب إلى شهوات النفس.

وقيل له: إذا دخلت العروق غرقت فيها -أي اختفى كلامك- مثل الغريق، وذلك لضيق مجاريها فلا يرى اللقب أن ذلك كلامك إذ لا يراك، وإذا غرقت أي ظهر رشح وسواسك- فامتزج عرقك بماء الرحمة وهى الفيض القلبي الناشئ من محبة القلب للنفس، فيلتبس على القلب كلامك بكلام النفس، ويصل بذلك سلطانك إلى اللقب بواسطة عود شيء من النفس إلى القلب.

ثم قال له ﷻ: ومن جعلته نبيًّا أو وليًّا قلعت تلك العروق من باطن قلبه بحيث ينقطع عنه الميل إلى النفس إلا من جهة الفيض الذي به قوامها فتبقى تلك العروق من جهة ظهور فيض القلب عليها ولا تبقى جهة انعكاس آثار النفس إليه، وهى جهة عود الظاهر إلى الباطن لا نقلاعها من تلك الجهة.

وذلك لصيرورة نفسه مطمئنة غير أمارة، فلا ينتقل منها إليه إلا مثل ما فاض عليها منه، فيصر القلب حينئذٍ سليمًا من كدورات النفس، فإذا دخلت العروق غرقت وغرق كلامك فلا تصل المشتبكة بالقلب من النفس لانقلاعها وعدم بقائها من تلك الجهة، فلا يصل إلى القلب سلطانك، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ ﴾ [الإسراء: ٦٥] انتهى، والله أعلم بحقائق الأمور.

وبالجملة فالمحبوب المراد سواء كان محبًّا أولاً متداركًا آخر بالجذبة أو محبوبًا أولاً متداركًا آخر بعد الجذبة بالسلوك سلم قلبه هذه العروق المشتبكة، وانشرح صدره الذي هو محل نفسه لخلوه عن هذه العروق الجاذبة إلى مضيق التعلق بعالم الحس ولان جلده، فصار قلبه يطيع الروح لاتحاد وجهه معه في العود إلى العالم العلوي.

وإن كان القلب مفيضًا من أحد وجهيه إلى النفس ما يستفيضه من ذلك، فإن ذلك لا يمنعه عن صعوده، وصارت نفسه الأمارة تطيع القلب إذا تخلصت عن صفاته الأمارية بالنور الفائض على النهج الخالص من القلب السليم، ولانت النفس بالنور الفائض من القلب بعد أن كانت جامدة مائلة إلى السفليات، أمارة بالسوء مستصعبة في الصعود إلى الجانب العلوي، ولان الجلد بحيث يسهل عليه قبول التشكل بالعبادات للين النفس المستفيضة على الظاهر، ورد إلى صور الأعمال بعد وجدان الحال التي فيها كماله، ثم لا تزال روحه تنجذب إلى الحضرة الإلهية بتبدل الأحوال والمقامات عليه، كل حال ومقام أصفى مما قبله، فيستتبع الروح في ترقياته القلب بغلبة سلطان الروح عليه كمال تمكنه لأنه وزيره.

ويستتبع القلب النفس التي هي عامله، ويستتبع النفس القلب الشامل على رعية الأعضاء، وحينئذٍ امتزجت الأعمال القلبية من الملكات الفاضلة والأعمال الغالبية من العبادات الخالصة، وانخرق الظاهر إلى الباطن بزيادة تنوير الظاهر بعباداته للباطن، والباطن إلى الظاهر بتايينه للعبادات وانخرقت القدرة -أي: عالم الحقيقة الباطنة- إلى عالم الحكمة الظاهرة، فعملت القدرة إلى ما هو مقتضى الحكمة الظاهرة وبالعكس، وصارت حظوظ دنياه من اللذات الحسية إلى لذة الآخرة من

المعرفة التامة والآخرة إلى الدنيا بالاستغراق في المحبة الإلهية، ثم تنكشف له الحقائق حينئذٍ أتم كشف بحيث يصح أن يقول ما قاله سيدنا علي كرم الله وجهه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينًا» أي: بل ربما ازددت وضوحًا، فإذا تم له الكشف أطلق من وثاق الحال، فلا يتقيد بحال بل يكون مسلطًا على الحال ولا عكس، فيصير حرًّا من كل وجه.

والشيخ الأول المذكور في القسم الثالث وهو الذي أخذ في طريق المحبين أولا ثم صار محبوبًا آخر حرًّا من رق النفس إذ فنيت عنه حتى وقع في الأحوال، ولكن ربما كان باقيًا في رق القلب حيث غلب عليه الحال.

وإنما قلنا: «ربما»؛ لأنه يلحق بالقسم الرابع في عدم غلبة الحال عليه، بل يصير هو غالبًا عليه، وهذا الذي هو مأخوذ في طريق المحبين أولاً، ثم رد إلى وصول الأعمال حرًّا من رق القلب، فلا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق، وذلك لأن النفس حجاب ظلماني يحجب عن الحق بالخلق أعتق منه الشيخ أولاً المحب المغلوب عليه بالحال آخر، والقلب حجاب نوارني يحجب عن الخلق بالحق لاقتصار نظره على الوجود العلوي، وقد أعتنق منه الشيخ الثاني، فلا يحجبه شي عن شي، فلا يغلب عليه الحال فضل عن النفس، وإذا أعتنق عن القلب والحال صار لربه خالصا، وإذا صار له من غير تقييد بشي عبد لله حقًا يقينًا وآمن به صدقًا من غير حجاب، فيكمل في ذلك حتى يستتبع أعضاؤه وقواه، وحينئذ يسجد لله سواده الذي هو جسمه وخياله الذي هو وباقي المعاني الباطنة بالعبادات الظاهرة والمساعي الباطنة، وحينئذٍ يؤمن بالله فؤاده إيمان اعتقاد عن المشاهدة والمعانية ويقر بذلك الاعتقاد لسانه كما قال رسول الله ﷺ في بعض سجوده: «سجد لك سوادي وخيالي، وآمن بك

فؤادي وأقر لك لساني، وها أنا ذا بين يديك يا غافر الذنب العظيم»[١]، بل لا يتخلف عن العبودية منه مقدار شعرة من باطنه وظاهره لغلبة النورانية عليهما حتى تصير عبادته مشاكلة لعبادة الملائكة، فتصير بمحض اللذة وتعم جميع أجزائه ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الرعد:١٥] أي: ولله يسجد من في السماوات من الأرواح والقلوب وجنودهما والأرض من النفوس وقواها طوعا من القلوب والأرواح، وكرها من النفوس، لكن السجود على وفاق طبع الأولين دون النفس وإن صارت بالعرض مطمئنة.

وظلالهم وهي الأجسام بغدو الظهور بالجمال وأوصاف الظهور بالجلال، وإنما سجدت القوالب بسجود الأرواح، لأنه لا فعل للظل بدون فعل الشخص، وفي عالم الشهادة الأصل الذي هو الظل كثيف وظله لطيف، وفي عالم الغيب بالعكس من ذلك، الأصل لطيف والظل كثيف، وذلك لأن الظل في عالم الشهادة هو عدم ظهوره يناسب الأنوار اللطيفة، والظل في عالم الغيب هو تنور المحل بنور الظل لإظهاره، والظهور يناسب الأمور اللطيفة،والظل ذي الظل لإظهاره[٢]،

---

(١) رواه البزار في مسنده (٢٠٣٤)، وأبو يعلى (٤٦٤١).

(٢) أما الظل في الاصطلاح الصوفي فيعنى أمرين:

١- الظل: كل ما سوى اللهَّ من أعيان الكائنات، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: هو أنه لما لم يكن لشيء من الكائنات استقلال بنفسه لاستحالة وجود ما سوى الحق تعالى بذاته، صارت الكائنات ظلاً لله من حيث أن الظل لا تحرك له إلا بحركة صاحبه، ولا حقيقة له ولا صورة ولا ذات، إلا بحسب ما ينبعث عن الشيء الذي هو

ظل له، فهكذا من شهد الحقيقة، فإنه يرى الكائنات ظلاً لا تستطيع لنفسها نفعًا ولا ضرًّا ولا موتًا، ولا حياتًا ولا نشورًا.

الوجه الثاني: هو أنه لما كانت حقيقة الظل، إنما هو عدم النور الشمسي أو غيره في بقعة ما لساتر ما صارت الكائنات ظلاً بهذا المعنى، لأن حقيقة الظل لا ترجع إلى شيء في نفسه، بل إنما تتعين بالنور فكذلك كل ما سوى اللهّ تعالى، ليس هو شيئًا في نفسه، إنما هو شيء بربه، فهو أعني الظل المشار به إلى ما سوى الله تعالى، ما يحصل من انبساط النور الإلهي على أعيان من الأعيان الممكنات التي ليست نورًا في نفسها، وقد يظهر الظل الذي هو ظلمة محضة، لأنه ليس يظهر إلا بانبساط النور، ولا هو نور محض.

وقال الكاشاني: الظل هو الوجود الإضافي الظاهر بتعينات الأعيان الممكنة وأحكامها، التي هي معدومات ظهرت باسمه النور الذي هو الوجود الخارجي المنسوب إليها، فيستر ظلمة عدميتها النور الظاهر بصورها صار ظلاً لظهور الظل بالنور وعدميته في نفسه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَى إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ [الفرقان/ ٤٥]، أي بسط الوجود الإضافي على الممكنات، فالظلمة بإزاء هذا النور هو العدم ، وكل ظلمة فهي عبارة عن عدم النور، ولهذا سمى الكفر ظلمة لعدم نور الإيمان من قلب الإنسان، الذي من شأنه أن يتنور به، قال تعالى: ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

٢- الظل: يعني وجود الراحة خلف الحجاب، وهذا من باب إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، فإنه قد أطلق الظل، وأراد الراحة التي يجدها المستظل به، فإذا كانت السبحات الذاتية محترقة، فالحجاب الذي يمنع رؤيتها كظل يعطى الراحة، وهو تفسير صوفي لحديث أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: قام فينا رسول الله صلى اللهّ عليه وسلم بخمس كلمات وذكر منها ...حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه، ما انتهى إليه بصره من خلقه» فسبحات وجه الله كالشمس المحرقة، والحجاب هو الظل المريح.

والظهور يناسب الأمور الكثيفة فسيجد لطيف العبد الذي هو روح وقلبه ونفسه، وكثيفة الذي هو جسمه بحيث لا يتخلف منه شيء عن العبادة أصلاً.

وليس هذا الكمال لمن أخذ في طريق المحبين بأن كان سالكًا فتدرك بالجذبة فتقيد بالحال وغلب عليه الحال لأنه يستبشع صور الأعمال، إذ يراها شاغلة عن الحال، ويرى الاستغناء عنها بحيث يمتلأ بما أنيل من وجدان الحال، فلا يعمل ما وراء الفرائض والرواتب التي لا يستغنى عنها لما أن تركها يوجب تعطيل الظاهر وإظلامه فيخاف منه سريان الظلمة إلى الباطن حتى يطفئ عنه نور الحال، وتركه لنوافل الأعمال قصور منه في العلم بحقائق الأعمال وآثارها في تكميل الأحوال وقلة الحظ من الأحوال أيضًا ولو كثر علمه بالحقائق لرأى الأحوال كالأرواح والأعمال كالقوالب، ورأى ارتباط الأعمال بالأحوال كارتباط الروح بالجسد.

فإن اكتساب الروح لكمالاته يتوقف على هذا الجسد، فإذا انتهى تعلقه عن

وربما أطلق الصوفية اصطلاح ظل الإله، وأرادوا الإنسان الكامل، يقول الشيخ ابن عربي في قوله: «**السلطان ظل الله في الأرض**» فالظل لا محالة تابع لمن هو ظله، فإن الله حجب الجميع عنه، وما ظهر إلا للإنسان الكامل الذي هو ظله الممدود، وعرشه المحدود، وبيته المقصود، الموصوف بكمال الوجود، فجعل الإنسان الكامل خليفة عن الإنسان الكل الكبير يقصد الله عز وجل، الذي هو ظل الله في خلقه من خلقه، فعن ذلك هو خليفة، ولذلك هم خلفاء عن مستخلف واحد فهم ظلاله، فأول مفتاح فتح الله به، مفتاح غيب الإنسان الكامل، الذي هو ظل الله في كل ما سوى الله.

الجسد فلا يمكنه اكتساب كمال بعده، فيحصل الوقوف فيما هو فيه،ولو كثر علمه بالحقائق لرأى أن لا غنا عن الأعمال لتكميل الأحوال، بل لفظها وعدم الرد إلى السفل بالكلية، كما لا غنى عالم الشهادة عن القوالب لاكتساب كمالات من هذا العلم تنفعه إلى الأبد، فما دامت القوالب باقية فالعمل باق وإلا كان مخلًا بفوائد تعلق الروح بالجسد بالكلية، وذلك عين القصور، والكامل لا يحتجب عن شيء ويستلذ بالأعمال إذا تتم له الأحوال بذلك، بل الأحوال إنما تكون بقدر الاستعداد، والاستعداد غنما يتم بالأعمال فيكون قاصر الاستعداد، بل موطن الأحوال هو الآخرة، وموطن العمال هو الدنيا، والأعمال شجرة والأحوال ثمرة، ولا ثمرة بدون الشجرة، فغن كانت فلا تبقى.

وبالجملة فصاحب القسم الثالث شيخ من وجه، وأما من صح بالمقام الذي ذكرناه: وهو القسم الرابع وكذلك صاحب القسم الثالث، إذا صار كذلك بأن أطلق من وثاق الحال ورد إلى صورة الأعمال، ولم يقف روحه في مقام أوحال إلى غير ذلك مما تقدم ذكره، فهو الشيخ المطلق؛ لأنه في مقام البقاء صالح للتكميل، وهو العارف المحقق الذي كملت معرفته بالحائق بحيث لا يحتجب بشيء عن شيء، وهو المحبوب المعتوق من رق نفسه ورق قلبه، وإنما كان شيخًا مطلقًا لأن لأنظره دواء، لأن من لم ينفعك لحظة لم ينفعك لفظه، وكلامه دواء وذلك لأنه في مقام البقاء، بالله يسكت وهكذا بالله ينظر وبالله يسمع كما ورد في الخبر:

«لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعًا

وبصرًا ويدًا وفؤادًا ومؤيدًا، بي ينطق وبي يبصر....الحديث»(١).

وهذا لا يوجد في المحب؛ لأنه إذا غلب عليه الحال لا يرى ما سوى الحق أصلًا، بل يكون محجوبًا بالحق عن الخلق، فكيف يرى هذه الأشياء؟ بخلاف المحبوب المذكور؛ فإنه لا يحجبه الحق عن الخلق، ولا الخلق عن الحق، فيعطي بالله ما يعطي، ويمنع بالله ما يمنع من غير عوض ولا غرض، إذ لا رغبة له في عطاء ولا منع بعينه، بل هو مراد الحق في ذلك.

والحق يُعرّفه مراده بإشارة لطيفة وإلهامات صادقة مجربة، فيكون في الأشياء بمراد الله تعالى لا بمراد نفسه، فيعمل بالله ويترك العمل بالله أيضًا، فإن علم أن الله يريد منه الدخول في صورة محمودة من الأعمال دخل فيها بمراد الله لا لكون الصورة محمودة.

وهكذا صورة المشيخة والتكميل إنما يدخل فيها بمراد الله لا بمراد نفسه، إذا علمت ذلك أيها الطالب الراغب؛ فاعلم أنه لما كانت الجذبة نادرة جدًّا احتاج الطالب الراغب في هذا الخير العظيم إلى ملازمة المرشد الكامل المكمل، ومن ثم قال

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٧)، ومعناه عند هذه الطائفة -نفعنا الله تعالى بهم: كشفه عن عين بصيرة عبده الحجب المانعة عن شهوده تعالى سمعًا وبصرًا ولسانًا وبطشًا وحياةً وعلمًا، وقد علم ذلك ووجودًا إذ العبد عدم، والعدم لا تحقق له إلا بالوجود، ووجوده إنما هو تعالى الله ذواتنا وجوده.

قوله: «كنت سمعه... وبصره» أي: كشف له عن ذلك فشهد بي سمعه وبصره.

أبو يزيد -قدس الله سره: «من لم يكن له أستاذًا فإمامه الشيطان»[١].

وهذا كلام منه جريًا على الأغلب كما ذكرنا أن الجذبة نادرة جدًّا، وإلا فيجوز أن يجذب الله تعالى شخصًا ويرفع عنه هواه، فلا يكون للشيطان عليه سبيل، لكنه نادر الوقوع، والنادر في حكم العدم، ومع ذلك فقد مثل الدّقاق -قدس الله سره- بالشجرة النَّامية بنفسها من غير غارس من حيث إنه استقل بعقله في دفع هواه لتحصل له التصفية المثمرة للتجليات الغيبية.

وقلما تحصل هذه الثمرة من غير شيخ، كما أن تلك الشجرة لا تثمر غالبًا، ويجوز أن يحصل له التجلي العيني، كما لا يجوز أن تثمر الشجرة، إلا أنه ليس لفاكهتها طعم فاكهة البساتين، فكذا لا يكون لتجليه ذاك الكمال، إذا قلما يستقل بمعالجة دقائق أمر من «أمور» الهوى الخفية بنفسه من غير تعليم طريق الأدوية، وذلك لأن تصرف العارف بأي شيء كانت معرفته أثرًا فيها يتصرف فيه، ولهذا يكمل طعم الثمرة وعدد كثرتها إذا نقل الغرس من موضع إلى موضع آخر، والشيخ بالمريد ينقله من مقام إلى مقام حتى ينتهي إلى الأحوال الشريفة[٢].

---

(١) وفي رواية: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان. تفسير روح البيان لحقي (٧ / ٣٩٣).

(٢) قال الشيخ حقي: اعلم أن المرشد الكامل كالملك الذي ينفخ الروح في الجنين؛ فإنه ينفخ روح الفيض في الجنين الذي يشتمله رحم استعداد المريد، والمراد بالنفخ، صورة اشتعال حطب الجسد بنار الروح، ولَمَّا كان ظهور تلك النار في المحلِّ من تربية النافخ؛ جُعل المرشد كالنافخ، وليس إلا المظهر، ففيه سرُّ الخلافة؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٠]، وإنما كان الله أحسنهم؛ لأنهم إنما يُخلقون على صورة ما خلق الله؛ فهم الفرع في ذلك، والله هو الأصل والمبدأ.

فظهر أن المريد ولد المرشد وفرعه: أي في الظهور؛ لأنه لولا ظهور المرشد قبل ظهور المريد، كما أنه لولا ظهور الحق بذاته لذاته في ذاته؛ لِما ظهر الخلق أبدًا ، فكان ظهور الحق؛ هو المبدأ في جميع الظهورات؛ ولذا وصف نفسه بالأولية والظاهرية، ولمَّا كان ظهور الإنسان بالمعنى أَوْلى من ظهوره بالصورة؛ لأن المعنى حق، والصورة خلق؛ كان الأستاذ أحق بالتعظيم من الأب ،والمرشد أولى بالتقديم من الوالد.

ومن العجائب أنه كما أن للمرشد والوالد فضلاً على المريد والابن من حيث التربية والوالدية؛ فكذا للمريد والابن فضلاً على المرشد والأب؛ لأن كلاً منهما في حكم المعين لهما؛ فالمرشد مثلاً كالأنثى الحاملة، والمريد المستعد كالقابلة، فإن ما يلد منه إنما يلد بمباشرة المريد، ولولا المريد لِما وُلد مولود من المرشد، ففيهما سرُّ قول مَن قال من بعض الأكابر: فلولاه ولولانا؛ لِما كان الذي كان.

فظهر أن مرتبة الأُلوهية من الإضافات؛ فإنها نسبة بين الإله والمألوه، والنسبة لا ترتفع مادامت المرتبة باقية، ومنه يعلم سرَّ قوله تعالى: ﴿فَاعلم أنهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله﴾ [محمد:١٩]؛ يعني: إن علمك إنما يتعلَّق بمرتبة الأُلوهية.

وأمَّا ما فوقها من مرتبة الغنى عن العالمين؛ وهي مرتبة الذات البحث؛ فلا يدخلها علم؛ لأنه لا اسم، ولا وصف، ولا رسم هنالك؛ ولذا يُقال: إن الله هو المحيط بكنهه.

ومما قررنا يُعرف سر طلب مقام الوسيلة لنبينا ﷺ؛ فإن ذلك من باب الغَيرة الإلهية؛ فهو كنصب السلطان من قِبل الرعية مع أن السلطان؛ هو الحاكم الآمر الناهي، فليس الكمال المطلق إلا لله تعالى؛ ولذا كان أعلم مطلقًا.

وأمَّا النبي ﷺ فقد قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**».

وقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٨٥].

وإن كان علم الكائنات بجنب علمه ﷺ قطرة من سبعة أبحر، ولم يزل الإنسان الكامل في الدنيا يطلب مرآة لكماله، فإن بتلك المرآة يظهر لكماله في المريد، وأيضًا يحصل صورة كمال من المريد ينتفع به المرشد، وقد جُرِّب إنه كلَّما كان المريد أكمل استعدادًا، وقرر عند الشيخ أمرًا من أموره؛ فإن للشيخ ترقيًا بحصول معارف زائدة من تقريراته.

وقد اعتبر الشرع الشريف وجوب التعليم في الكلب المعلم، وأحل ما يقتله لأن قتله لما كان من التعليم كان بلا متابعة هواه بل لأمر من هو تحت أمره، فكذلك لا يأكل منه بخلاف ما قتله غير المعلم، فغنه لما كان بهواه أثر فيه الهوى بالتحريم، كما أثر ترك الهوى في الأول بالتحليل، فكذلك ليس من معلم وقد غلب عليه، فإمامه الشيطان الذي هو أستاذ الهوى، ولا يحل من معلم وقد قال أهل المعرفة نفع الله بهم: من لم ير مفلحًا لم يفلح، أي: مريد لم ير شيخًا يربيه لم يفلح هواه وعدم استقلاله برفع هواه.

وقالوا أيضًا: إنه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد كسراج يقتبس من سراج.

وبالجملة: فلو لم يكن التعليم مفيدا لما اشتغل به رسول الله ﷺ مع أصحابه وهم اصفي وأكمل منا، وقد تلقوا العلم والأدب من رسول الله ﷺ في كل شيء، ولم يستقلوا بعقولهم مع كمالها، فكيف لنا نستقل مع نقصانها؟

ومن ثم قال العارفون قدس سرهم: قد يبلغ المريد بنظرة من شيخه ما لم يبلغه بمجاهدته أعوامًا كثيرة.

وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى أعطاه بعض عبيده لحظًا يفيد بها أحوالًا سنية لمن يحبه، فإن الله سبحانه وتعالى كما يجعل في بعض الأفاعي، وهو المسمى

وإن كان المريد لا يعرف ذلك، ونظيره علم الكيمياء فقد يدخل المتحيِّر في العلم من تقرير بعض مَن لا يقدر على علمه، وبيد الله الحل. والعقد، والقبض، والبسط، والعطاء، والمنع، ونحن نستفيد إلى الآن من الأرواح الطيبة، وهم الاستفادة منَّا أيضًا بما شاء الله تعالى.

بالصلانة إذا وقع نظره على الإنسان يهلكه بنظرة واحدة، فلا يبعد منه أن يجعل في نظر بعض خواص عباده في مقابلة ذلك أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالا حياة قلبه بالحياة الأبدية بل هو كالواجب؛ لأن تلك الأفاعي منه المظاهر الجلالية، فلابد في مقابلته ما يكون من المظاهر الجمالية.

وإلى هذا يشير ما كنت أسمعه من شيخنا العلامة العارف بالله تعالى الأستاذ الشريف الحسين ابن الإمام عبد الرحمن بن محمد العيدروس -نفع الله بهم- وهو كما أن المعيان إذا نظر إلى بعض الأشخاص يحصل إلى بعض الأشخاص يحصل له في الحال مرض من الأمراض وقد يموت بسببه، فكذلك يوجد في بعض أوليا الله ما يقابله.

ولعل لهذا السر كان شيخنا العلامة العارف بالله تعالى الأستاذ الوالد مصطفى بن حضرة شيخنا العلامة العارف بالله الإمام شيخ العيدروس -نفع الله بهم- يكثر الأخذ في الإفادة عمن هو فوقه ومثله، بل على من هو دونه كما شاهدت ذلك منه مرات.

وإنما قلنا: ولعل، ولم نجزم بذلك لاحتمال، أنه كان يفعل ذلك هضمًا لنفسه النفيسة.

وقد قال سيدي الأستاذ الشريف عبد القادر الجيلاني -نفع الله به-: من طابت نفسه أن يقرأ على أحدٍ من أقرانه أو يتتلمذ له، خرج من روعونات نفسه، وذلك من أعلى رياضات النفس، بل أعلى من الجوع والسهر والعزلة انتهى.

واعلم أيها الطالب: إن للمريد مع الشيخ أوان ارتضاع يستمد فيه من

الشيخ وأوان فطام، والشيخ يعلم غاية ذلك، ولا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ بظن بلوغه أوان الفطام إلا بإذن الشيخ، لأن المريد لقصوره كثيرًا ما يُلبَّس عليه ببلوغه أوان الفطام، ولا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه يقينًا بأن للمريد أوان الفطام، وهو أنه صار يستقل بنفسه، وذلك الاستقلال أن ينفتح عليه باب الفهم من الله بأن بلغ مقام الروح أو مقام القلب، ويرى من هوى النفس وكدوراتها، وجوب خواطره، فلم يكد يخطئ في أمر من الأمور.

وليس كذلك بالنسبة إلى بعض الأمور، بل إذا صار المريد قادرًا على إنزال جميع حوائجه ومهامه بالله تعالى مع الفهم منه بتعريفاته وتنبيهاته بعد غاية التذلل منه لله وإظهار افتقار له، فحينئذٍ بلغ أوان الفطام، ولو فارق قبل ذلك، كان مفارقته حال حياة هوى النفس، فترجع إلى غلبتها، فتلحقه العلل الكاملة حتى أنه يرجع إلى الدنيا ومتابعة الهوى مثل ما يلزم المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية من ثقل الطعام وسوء هضمه.

وإن رأى الشيخ المريد بليدًا أو خاف عليه ردَّه إلى الأعمال الظاهرة وخدمة المريدين لينال بركتهم، «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»(١)، ولمثل هذا قيل: «عليكم بدين العجائز».

وعلى كل حالٍ، فإن محب القوم الذي لا يستطيع أن يعمل بعلمهم له رتبة المعية معهم، وإن كان من وجه دون وجه.

وأما قول الشاعر رحمه الله تعالى:

---

(١) رواه البخاري (٤٥٦٨)، ومسلم (٤٧٨٧).

تَعـصي الإلَـهَ وَأَنـتَ تُظهِـرُ حُبَّـهُ هَـذا مُحـالٌ في القِيـاسِ بَـديعُ
لَـو كـانَ حُبُّـكَ صـادِقاً لَأَطَعتَـهُ إِنَّ المُحِـبَّ لِمَـن يُحِـبُّ مُطيـعُ

ففيه دلالة على النقص لا على النقض فافهم.

واعلم أنه لما كان لكل ذكر تنوير خاص اختار للسالك جمع من العارفين - نفع الله بهم- من الذكر يجمع خواص سائر الأذكار، وهو كلمة لا إله إلا الله إذ لها خاصية عظيمة في تنوير الباطن بتجلي الوحدة الإلهية بالتوحد الخاص الذي هو المقصد الأعلى الذي ليس وراءه مرمى لرامٍ ولا مرقاة لراقٍ، وإن كان عن وجوه يتفاوت إلى صاف وأصفى إلى ما لا نهاية، فلا يزال السالك يردد هذه الكلمة على لسانه مع مواطئة القلب، إذ بدون مواطئة ليس لها يُعتد به، وإن كان لا يخلو عن فائدة، ولا يقتصر على ذكر القلب من أول الأمر؛ لأن لها توجهًا إلى عالم الشهادة ويشغله ذلك عن الذكر المتمحِّض الذي به التوجه إلى العالم الأعلى، فإذا صادف عالم الشهادة متوجهًا إليه كمل توجهه إلى العالم الأعلى، حتى إنه يتقطع عن عالم الشهادة بالكلية، وحينئذٍ تصير الكلمة متأصلة في القلب راسخة فيه، فإذا اتصلت فيه «أحالت» حديث النفس نيابة نور النهار عن ظلمة الليل، فإذا غلب تنور القلب بها أدرك جمالها، فتغلب عليه لذاتها، فتستولي الكلمة على القلب ويسري أثر ذلك إلى الظاهر حتى تسهل الكلمة على اللسان، فينطق بها من غير كلفة، وحينئذٍ يتشرَّبها القلب ويجد ذوقها، فلا يكاد يتركها، وإن ترك اللسان، ثم إنه ينقش الذكر في القلب ويصير جوهر القلب متلون بلونه، فيصير القلب كأنه الذكر، والذكر كأنه القلب، وبتجوهر الكلمة في القلب يستكن نور اليقين في القلب؛ لأن هذا النور كأنه من عوارض الكلمة إذا تجوهرت، والجواهر لا تذهب بذهاب نورها، فإذا كملت

نورانيتها رأى القلب عظمة المذكور، وانتقشت تلك الكلمة في جوهره الصافي، فيتحد الذكر حينئذٍ مع رؤية عظمة المذكور كاتحاد الصورة في المرآة بالمرآة.

فإذا اتحد برؤية عظمة المذكور صار كأنه ذكره ﷻ ذاته في ذاته، وهذا التجوهر هو المقصد الأقصى، ولأجله اتخذ الصادقون الخلوة لا لحصول الكرامات وخوارق العادات.

واعلم أن نورانية الذِّكر محرقة لأوصاف العبد مثيرة لحرارة طبعه بانحراف النفس عن طبعها، فإن خاف السالك ضررًا بأن حصل له انحراف في مِزاجه، فليمزج في أثناء ذكره ذلك الذكر بالصلاة على الحبيب ﷺ بأن يقول: محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم، لأن الصلاة على النبي كالماء تقوي النفس على طاعة الله تعالى، وتذهب وهج الطباع.

وإليه يشير الصديق ﷺ بقوله: «**الصلاة على محمد ﷺ أمحق للذنوب من الماء البارد للنار...**».

وقد نصَّ ابن عطاء الله الشاذلي -نفع الله به- في «مفتاح الفلاح»: إن علامة الفتح ثوران الحرارة في الباطن، قال بعضهم: والعطش معين لذلك.

واعلم أنه قد يحصل تجوهر النور المذكور لا بذكر لا إله إلا الله، بل بتلاوة القرآن، ويسمى تجوهر نور الكلام، وذلك إذا أكثر السالك من التلاوة مع الاجتهاد في مواطئة القلب مع اللسان، وذلك بأن يطبق المعاني بالألفاظ حتى يفزع القلب للمعاني بالكلية ولا يتوجه إلى إجراء الألفاظ على اللسان، ولا يشتغل بحديث النفس حتى تجري التلاوة على اللسان من غير قصدٍ ويقوم معنى الكلام مقام

حديث النفس لاستغراق القلب، فيلتذّ القلب بذلك ويذق ويسري ذوقه إلى النفس والبدن، فيدخل على العبد سهولة في التلاوة والصلاة لذهاب ثقل النفس، فتبدل أوصافها، فتنقطع كدورتها وتبدل أوصافها، فيتنور الباطن بتلك السهولة في التلاوة والصلاة بسريان نور الظاهر إلى الباطن مع نور الباطن.

فإذا اجتمع في الباطن نور المعاني التي فيه ونور الألفاظ الجارية على ظاهره مع نور الصلاة تجوهر الكلام في القلب، ويكون من هذا ما كان من ذكر الذات فيما سبق، وهو أن يجتمع نور الكلام في القلب مع مطالعة عظمة المتكلم سبحانه وتعالى، فتحصل منه المكاشفة والمشاهدة والمعانية.

واعلم أيها الطالب الراغب أن لله في كل هيئة من هيئات الصلاة، بل في كل حركة من تلك الحركات التي تؤدي إلى تلك الهيئات أسرار وحكمًا تؤدى إلى غرائب الأحوال وعجائب المقامات التي لا توجد في شي غيرها من الأذكار المتعارفة.

ويكفي شاهدٌ على ذلك اعتناء أكمل الكُمَّل بها ﷺ في خلوته وجلوته، وهو القائل: **«وجعلت قرة عيني في الصلاة...»** (١)، **«أرحنا بها يا بلال...»** (٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٢٩٦)، والطبراني في الكبير (٦/ ٢٧٧)، أي: أذِّن وأقم حتى ندخل في الصلاة المشروعة التي هي قرينة الزكاة فنستريح؛ لأن الصلاة حظ القلب، وفيها ذوق المكاشفة والمساهمة؛ ولذا حرص النبي ﷺ على مرتبة الإحسان، ولو كان أدناه؛ وهو شهود الخيال، فمَن لا شهود له في الصلاة، ولو في الجملة؛ كان ساقطًا عن رتبة المناجين، فظهر أن الصلاة من الأمور الأخروية، وإن كانت حاصلة في الدنيا على أنها تحتاج في الظاهر إلى حركات الأعضاء؛ وهي من الدنيا، وعالم الشهادة، وإن كانت باعتبار التوجه القلبي ونحوه من الأمور الدينية، وعالم الملكوت.

«أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة في أول وقتها...»[1].

وكان ابن عباس -رضي الله عنهما ورحمه الله تعالى- يقول: «**ركعتان في تفكر** خير من قيام ليلة».

وقال بعض أولياء الله تعالى نفع الله بهم: رأيت رسول الله ﷺ في المنام؛ فقلت: يا رسول الله، أوصني فقال: **«عليك بالصلاة، فإني استوصيت ربي فأوصاني بالصلاة...»، وقال لي: «أنا أقرب ما أكون إليك وأنت تصلي...»**.

ولتحقق الشريف الأستاذ «علوي بن محمد مولى الدويلة» -نفع الله به- بالوراثة لجده المصطفى كان يقول: **«الصلاة أعظم لذاتي..»**، وكان إذا أهمه أمر قام وأحرم بها.

واعلم أيها الطالب الراغب أن في أثناء سير السالك في الذكر والتلاوة المتقدم ذكرهما إلى حين بلوغه ذلك المبلغ من حقيقة الذكر والتلاوة أي تجوهر نورهما في الاتحاد مع رؤية عظمة المذكور، قد يغيب السالك أو التلاوة عند صفاء باطنه من كمال أنسه بالذكر الذي هو فيه لتلذذه به فيجد فيه من الحلاوة ما لا يقدر إلا من أذاقه الله ذلك؛ فليحق في غيبته بالنائم ويقرب من حالة الفناء؛ لأن من غلبت عليه اللذة يكون كذلك كما يحصل ذلك في وقت الإنزال التام عند الجماع المستجمع شرائط لذته، وإذا صار كالنائم انقطعت عنه الحواس الظاهرة، فتتوجه الحواس الباطنة إلى عالم الغيب بعدما كانت متوجهة إلى عالم الشهادة، وتتجرد النفس عن حجب الحواس الظاهرة، وتنقطع عن التوجه إلى عالم الشهادة، فتصير محاذية لعالم

---

(١) رواه أبو داود (١/ ١١٥).

الغيب، وحينئذٍ تنكشف له الحائق الغيبية معاني مجردة ملبسة بصورة خالية يعبر عنها إلى تلك المعاني كما تنكشف للنائم معاني مجردة في لباس صور خياله كانكشاف ظفره بعدوه في لبسة صورة قتل الحية فيقول المعبر: تظفر بالعدو عبورًا من هذه الصورة إلى المعنى المتجرد.

فإن ترقى عن ذلك حصل له الكشف الصريح وهو أن تتجرد له الحقائق من غير لبسة المثال التي يعبر عنها إلى تلك الحقائق، وهذا أعلى من الكشف الخيالي؛ لأنه كشف بلا واسطة مثال، وذلك الكشف قد يكون برؤية مثال الواقع على صورته في الخارج، وقد يكون بسماع هاتف يدل عليه من باطنه أو من الهواء من غيرهما.

هذا في اليقظة وأما في المنام؛ فإنه يرى حقيقة الشيء من غير لبسة الخيال، فيظهر مثل فلق الصبح كما قالت ذلك عائشة - رضي الله عنها - في حقه ﷺ فافهمه راشدًا.

تنبيه: ليكن في ذهنك أيها الطالب الراغب أن الحلاوة سواء كانت كالمتقدم ذكرها أو الحلاوة المدخولة المعلومة إلا ما فيها من تنشيط العباد للمواظبة على العبادة، وهي التي يجدها في بعض العبادات من ليس هو من أهل المقام الذي قدمناه لا ينبغي للسالك أذا وجدها أن يقف معها ولا يفرح بها ولا يسكن إليها، وكذلك أيضًا لا ينبغي له أن يقصد إلى نيلها لما فيها من اللذة والحظ، فإن ذلك مما يقدح في إخلاص عبادته وصدق إرادته، وليكن اعتناؤه بحصولها لتكون ميزانًا لأعماله ومحكمًا لأحواله فقط.

قال الواسطي نفع الله به: استحلاء الطاعات سمومٌ قاتلة.

قال ابن عطاء الله في «لطائف المنن»: وصدق الواسطي، وأقل ما في ذلك أنه إذا فتح لك باب الحلاوة في الطاعة نير قائمًا فيها متطلعًا لحلاوتها فيفوتك صدق الإخلاص في نهوضك لها، وتحب دوامها لا قيا ما بالوفاء؛ ولكن لما وجدت من الحلاوة والمتعة فتكون في الظاهر قائمًا لله تعالى وفي الباطن إنما قمت لحظ نفسك، ويخشى عليك أن تكون حلاوة الطاعة جزاء تعجلته في الدنيا وتأتي يوم القيامة ولا جزاء لك انتهى.

وعلامة الحلاوة الغير المدخولة ما قاله بعض أهل المعرفة نفع الله بهم: التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر، فإن العصيان في حال العرفان بعيد، فإن وقعت منه زلة أو هفوة بحكم، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، وجد ذلك لا محالة مرارة وألمًا في قلبه، فوجدان هذه المرارة والألم في المعصية علامة صحة ما وجد من الحلاوة . انتهى.

وقد أطلت الكلام على ذكر الحلاوتين في شرحي على بعض أنفاس الشريف الأستاذ العيدروس -أبي بكر نفع الله به- وذلك الشرح في نحو عشرين كراسًا وهو المسمى بـ «الفتح المبين من أنفاس العيدروس فخر الدين»، فليراجع ذلك من أراده.

واعلم أيها الطالب الراغب أن للعارفين -نفع الله بهم- أحوالاً عجيبة عند اشتغالهم بقراءة القرآن والذكر كما قال الأستاذ الشريف سيدي عمر المحضار علوي نفع الله به: إن الصالحين إذا قرأوا القرآن أفنوا الحروف والصوت، ثم وقفوا في بحر ثم يضمحل ذلك البحر فيبقون معلقين في الهوى مع الهيبة والتعظيم، ثم قال: ونحن ندخل في هذا .

وكان الأستاذ سعد بن علي صاحب العيدروس -نفع الله بهما- كثيرًا ما يذوب حال التلاوة بحيث يصير جسده كالماء الجامد، وكان سيدي الأستاذ الشريف عبد الرحمن السقَّاف -نفع الله به- حتى في حالة النوم يسمع بعض أهل الكشف ذكر قلبه بكل شعرة وبشرة، وثيابه يسمعها ذاكرة كأنهم صبيان في كتاب.

وكان والد السقاف المذكور سيدي الشريف الأستاذ محمد مولى الدويلة علوي -نفع الله به- يقول: قد نذكر باللسان والقلب ثم نفني الحروف ثم نفني اللسان، أي الصوت، فتبقى في القلب شمعة من نور متصلة بالله تعالى.

وكان الأستاذ الشريف سيدي محمد جمل الليل علوي نفع الله به يقول:

إفناء الحروف حال تلاوة القرآن يسهل علينا بخلاف إفناء الأصوات.

وكان يقول: إذا طهر القلب لم يشبع من تلاوة القرآن، وكان يقول عند تلاوة القرآن: ما أحلى هذا، ما يشبهه في الحلاوة سُكَّر ولا شَهْد ولا غيره.

وكان سيدي الأستاذ المحضار المتقدم ذكره يقول اسم «يا لطيف» في نفس واحد ألف مرة، وكان بعض خدامه يقوله في نفس واحد خمسمائة مرة.

ووقع لسيدي الشريف الأستاذ العيدروس أبي بكر -نفع الله به- أنه قرأ في يوم واحدٍ سبعين ألف ختمه، وهو القائل في بعض أنفاسه النفسية شعرًا:

أمـــا أنـــا في ذكــــركم كُـــلى لهـــا   وجـــوارحي فـــيكم عيـــون كلهـــا

وقد كوشف بذلك بعض علماء زمانه فرآه كله ألسنة ذاكرة وعيونًا ناظرة، وكان بعض أكابر العارفين ممن توسع في علمي الظاهر والباطن ملازمًا في جميع أوقاته على قول: «لا إله إلا الله» فكان إذا نام يسمع هديره بها، وكان يقول: أسرع

الأذكار نتيجة «لا إله إلا الله» وقراءة سورة الإخلاص، ولو كنت في مبدأ أمري أعلم ما في لا إله إلا الله من الأسرار لما طلبت شيئًا من العلوم.

وكان بعضهم ملازمًا على لفظ «الله الله» فوقعت خشبة على رأسه، فوقع دمه على الأرض وهو على صورة ألفاظ «الله الله»، ولما قطعت أوصال الحلاج -نفع الله به- وهو مصلوب وقع على الأرض الله.

فأنشد شعرًا:

مـــا قـــد لي عـــضو ولا مفـــصل إلا ولي فيــــــه لكـــــم ذكــــــر

وقد سئل الأستاذ الشريف سيدي عبد الله بن شيخ العيدروس صاحب الشِّحر -نفع الله به- عن كون هذا لم يقع للإمام الشهيد الحسين السبط ﷺ مع كونه أعلا مقامًا وحالاً من الحلاج بلا شك ولا مرية.

فأجاب: بأن الحلاج إنما قتل على اعتقاد قاتله أنه كفر، فأظهر الله براءته بذلك عند ذلك، وأما الحسين فإنه لم يقتل على ذلك لعصيان قاتليه بقتله ظاهرًا وباطنًا، وإنما ألجأهم البغي والحسد والطغيان على مقاومته مع علمهم من هو، بخلاف الحلاج، فإن قاتليه لهم نوع شبهة وعذر، بل هم مصيبون في ذلك لوقوفهم مع مظاهر الشريعة، فلهم أسوة بالسيد موسى في إنكاره على الخضر؛ لكنه وقوف على الظاهر وفيه القصور.

فلذلك قال نبينا ﷺ في حق موسى: «ليته صبر»، إذ يمكن حمل كلام العارفين على الأمر الصحيح عقلاً وشرعًا كما قال حجة الإسلام الغزالي- نفع الله

به- في حق الحلاج[1] في قوله أنا الحق أنه استغرق بالحق حتى لم يكن فيه متسع لغيره،

---

(١) قال الشيخ يوسف بن الملا عبد الجليل الموصلي: واختلف قوم فيه كالاختلاف في المسيح عليه السلام فقيل: هو ولي الله، وقيل: هو ساحرٌ، والتمس حامد بن العباس الوزير من الخليفة المقتدر تسليمه إليه، فكان يخرجه في مجلسه ويستنطقه، فلا يظهر منه ما يخالف الشريعة، وحامد مجد في أمر ليقتله حسدًا وبغيًا وعدوانًا لأولياء الله تعالى، ثم أنه رأى له كتابًا حكي فيه أن الإنسان إذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد من داره بيتًا نظيفًا من النجاسات، ولا يدخله أحد، وإذا حضر الحج طاف حوله، وفعل ما يفعله الحاج بمكة، ثم يجمع ثلاثين يتيمًا، ويعمل أجود طعام يمكنه، ويطعمهم في ذلك البيت ويكسوهم، ويعطي كل واحدٍ سبعة دراهم، فيكون كمن حج، فأمر الوزير بقراءة ذلك قدام القاضي أبي عمرو، فقال القاضي للحلاَّج: من أين لك هذا؟ قال: من كتاب الإخلاص للحسن البصري، ولم يعلم الحلاج ما دسّوه عليه، فقال القاضي له: كذبت يا حلال الدم، قد سمعناه بمكة وليس فيه هذا، فطلب الوزير خط القاضي بقوله حلال الدم، فدافعه القاضي فلم يندفع، وألزمه فكتب بإباحة دمه، وكتب بعده من حضر المجلس من العلماء، فقال الحلاَّج: ما يحل لكم دمي، وديني الإسلام، ومذهبي السنة، ولي فيها كتب موجودة، فالله الله في دمي، وأرسل الوزير الفتاوى بذلك إلى المقتدر، فأذن له بقتله، فضرب ألف سوط، ثم قُطعت يده ثم رجله، ثم قُتل، وأُحرق، ونُصب رأسه ببغداد.

قال الفاضل العمري: ولعمري أنها مظلمة مُظلمة، وقضية ظالمة، ارتكبها الوزير لهوى نفسه، وأظهر أنها حماية للشريعة المؤيدة.

وفي شرح الجوهرة للقاني: فمن تكلم في أئمة الدين، وهداة المسلمين من الرؤساء المجتهدين، لا يلتفت إليه ولا يعول في شيءٍ عليه، ومقت الله والسقوط من عينيه منجذب إليه، كما أنه لا التفات لمن رمي الجنيد وأصحابه من جملة الصوفية بالزندقة عند الخليفة جعفر المقتدر، حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا إلا الجنيد، فإنه تستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب شيخه أبي ثور، وبسط لهم النطع، فتقدم من آخرهم أبو الحسن النوري، فقال له الجلاد: لِمَ تقدمت؟ فقال: لأوثر أصحابي بحياة ساعة، فبهت السياف، وأنهى الخبر إلى الخليفة، فردَّهم إلى القاضي، فسأل النوري عن مسائل فقهية فأجابه، ثم قال: وبعد.. فإن لله تعالى عبادًا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله... إلى آخر كلامه، فبكى القاضي وأرسل يقول للخليفة: إن كان هؤلاء زناديق فما على وجه الأرض مسلم، فخلى سبيلهم، ثم قتل من الصوفية الحسين الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة بما لم يتأمله مَنْ أمر بقتله انتهى.

وما أخذ كلية الشيء واستغرقه قد يقال: إنه هو انتهى.

واسمع هنا ما قاله ابن عطاء الله فيما يتعلق بالذكر، فإنه من عطاء الله وها ما قاله: الذكر نار لا تبقي ولا تذر، فإذا دخل بيتًا قال: أنا لا غيري، وهو من معاني لا إله إلا الله، فإذا وجد فيه حطبًا أحرقه فصار نارًا، وإن كان فيه ظلمة كان نورًا فنوره، وإن كان فيه نورًا صار نورًا على نور، إن قال: والذكر مذهب من الجسم الأجزاء الزائدة الحالة من الإسراف في الأكل، ومن تناول اللّقم الحرام، وأما الحاصلة من الحلال فلابدَّ له منها، فإذا احترقت الأجزاء الخبيثة، وبقيت الطيبة سمعت من كل جزء ذكرًا كأنه ينفخ في البوق، وأول ما يقع الذكر في دائرة الرأس، فتجد فيه صوت الكؤوس البوق.

والذكر سلطان إذا نزل موضعًا نزل ببوقاته وكؤوساته؛ لأن الذكر ضد ما سوى الحق، فإذا وقع اشتغل بنفي الضد، كما تجده من اجتماع الماء والنار وبعد هذه الأصوات تسمع أصواتًا مثل خرير الماء ودوي الريح وصوت النار إذا تأججت، وصوت الأرْحِية وخبط الخيل وصوت أوراق الأشجار إذا هبت الريح، وذلك لأن

وقال أيضًا: ورُوي أنه لما قُدِّم لتقطَّع يداه قُطعت اليد اليمنى أولاً، فضحك، ثم قُطعت اليسرى فضحك ضحكًا بليغًا، فخاف أن يصفرَّ وجهه من نزف الدم، فكبَّ بوجهه على الدم السائل، ولطَّخ وجهه بدمه. ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: يا مولاي، إني غريبٌ في عبادك، وذكرك أغرب منِّي، والغريبُ يألف الغريبَ.

وقال أيضًا: وفي مشكاة الأنوار للإمام الغزالي فصل طويل في حاله يعتذر فيه عمَّا صدر عنه مثل قوله: (أنا الحق.. وما في الجبة إلا الله)، وحملها على محامل حسنة، وقال: هذا من شدة الوجد مثل قول القائل: (أنا من أهوى ومن أهوى أنا).

وقال السيد الجليل الشيخ عبد القادر الجيلاني: عثر الحسين الحلاج، فلم يكن في زمنه من يأخذه بيده، ولو كنت في زمنه لأخذت بيده. وانظر: الانتصار للأولياء (ص٣٩، ٥٨٤) بتحقيقنا.

الآدمي مركبٌ من كل جوهر لطيف شريف ووضيع من التراب والماء والنار والهواء والأرض والسماء وما بينها، فهذه الأصوات أذكار كل أصيل وعنصر من هذه الجواهر، ومن سمع منه شيئًا من هذه الأصوات فقد سبَّح الله تعالى وقدسه بكل لسان، وذلك نتيجة ذكر اللسان بقوة الاستغراق.

وربما صار العبد إلى حالة إذا سكت عن الذكر تحرك القلب في الصدر حركة الولد في بطن أمه يطلب الذكر، قالوا: فإن القلب مثل عيسى بن مريم -عليهما السلام- والذكر لبنه، وإذا كبر وقوي صعد منه حنين إلى الجو وصوت وصعقات إلى الذكر والمذكور، وذكر القلب يشبه زنة النحل لأنه لا صوت رفيع مشوش ولا خفي شديد الخفاء انتهى.

وممن كان له ورد من ذكر «لا إله إلا الله» سبعين ألف في كل يوم لجامعية هذا الذكر خاص جميع الأذكار سيدنا الأستاذ الشريف أحمد بن أبي بكر السكران أخو العيدروس -نفع الله بهم- وكذلك سيدنا الأستاذ علي بن أبي بكر أخو العيدروس كان كثيرًا التكرار لـ لا إله إلا الله ليلاً ونهارًا، وهو القائل في بعض أنفاسه شعرا:

لنـــا في كلمـــة التوحيـــد سر وفي تكرارهـــا كنـــز يطـــول

وكذلك سيدنا الأستاذ الشريف عبد الله باحسين السقاف علوي- نفع الله به- كان ورده من «لا إله إلا الله» وهو ابن سبع سنين سبعين ألفًا، وهو القائل في بعض أنفاسه شعرًا:

وذكـــر الله مـــشروبي وزادي وذكـــر الله فتحـــي للـــبلاد

واعلم أيها الطالب الراغب وليكن ذلك في ذهنك أنه متى حصل لك وجد فلا تخلو حركتك فيه من ثلاثة أشياء، وذلك أنه إذا كانت حركتك فيه من غلبة الخوف، فإنك تكون كالمرتعش الذي تغلب عليه الحركة، وإن كان من غلبة الرجاء فتكون حركتك كالعطسة التي لا تقدر أن تردها، لأن العطاس يرجى به الخفة، وإن كانت من غلبة الفرح والواجدان فتكون الحركة كحركة النفس الذي يتنفسه المتنفس بالضرورة، إذ يحل ذلك عند وجود الفرح، وفي جميع هذه الأمثلة لا يشترط الاضطرار الكلي والغيبة الكلية، فإن المحموم تأخذه الرعدة مع الحمى مع أمه غير فاقد العقل، نعم يقع لبعض الواجدين الغيبة الكلية كما وقع لوالد سيدي العيدروس وهو سيدي القطب الشريف الأستاذ أبو بكر السكران ابن عبد الرحمن السقاف -نفع الله بهما- أنه مكث أحد عشر شهرًا لا ينام ليلاً ولا نهارًا، وأحيا ليالي جميع تلك الأشهر بالسماع إلا القليل، وكان يسمع عنده المسمِّعون أيضًا في كل جمعة من جُمع تلك الأشهر من بعد صلاة العصر إلى الغروب ويدور بهم في الشوارع، وكان يسير في تلك الأشهر وهو كالسكران، وزار في تلك الأشهر العارفة بالله تعالى سلطانة بنت علي الزبيدي -نفع الله بها- وكاشفت بوصوله إلى زيارتها قبل قدومه إلى بلدها فقالت: رحبوا بالسلطان ابن السلطان، فإني سمعت الشاووش في السماء نادى بقدومه علينا، وأرى الملائكة عليهم السلام تشيعه، وحبه في هذه الزيارة خلق كثير، ثم لأنه -نفع الله به- أنكر بعد لك جميع ما فعله في تلك الأشهر من السماع والزيارة في الشوارع، وقال: لو شعرت بشي من هذا ما فعلته .. ومثل هذا كثيرٌ ما يقع.

ومن تتبع ما وقع لأولياء الله تعالى مثل هذا في مظانه وجده، لكن أكثر

الواجدين على ما كرنا أولا، ومع لك لو منعوا من الحركة لتضروا بذلك لأن زعقة الواجد يحصل له بها التنفس، وهي وإن كانت بنوع إرادة، فإن تلك الإرادة من زجه بالاضطرار، فكيفي نوع من الاضطرار ولا يضر بقية الاختيار، وإلا فلو صبر الواجد وألزم نفسه الاصطبار لربما أفضى ذلك إلى الهلاك الكلي أو الإضرار بنفسه والكل حرام فافهم.

واعلم أن الصادقين في دخول الخلوة على قسمين: محب ومحبوب.

فالمحب يدخل على مراغمة النفس الأمارة بالسوء ليحل له الإخلاص والصدق، وإنما كان مراغمًا لنفسه؛ لأنها بالطبع كارهة للخلوة لمنافاتها مخالطة الناس، والنفس بالطبع ميالة إلى المخالطة؛ لأن شهواتها لا تتم بدون المخالطة والمخالطة في الغالب مانعة عن أصل العبادات، فإن تكلف تحصليها دعته إلى الرياء والنفاق وسائر المعاي والشهوات.

والنفس إذا أزعجها المريد عن عادتها التي استقرت عليها من الصغر، وذلك بحبسها في طاعة الله تعالى تألمت بذلك لأنه على خلاف مقتضاها، فيحل لها كل حين مرارة، وكل مرارة تدخل عليها تعقب حلاوة في القلب، لأنه بالطبع مائل إلى الجناب العلوي ومائلة إلى الجناب السفلي على خلاف طبعه، لكن تغلب عليه النفس ويساعدها على ذلك لأنها تلميذته فتجب القلب إلى جانبها، فإذا أدخل عليها المريد مرارة الطاعات ضعفت عن ذلك الجذب فيرجع القلب إلى مقتضى طبعه فتحصل له حلاوة الطاعة، وكلما حصلت له حلاوة الطاعة أحب الإخلاص فيها والصدق لتحصل له الطاعة سالمة، والمحب سلامة المحبوب، ولما وجد حلاوة الطاعة صارت محبوبة له فأحبَّ سلامتها.

واعلم أيها الطالب الراغب أنها لا تكمل لك الخلوة إلا بمحو اسمك من القوم، وذلك بأن لا تستحلي اعتقاد الخلق فيك لكونك تخليت عنهم، وذلك بأن تترك استقبال باطنك وتواجهه إليهم والى ما يقولون فيك، بل تستقبل جدار خلوتك ولا تلتفت إلا إلى شانك حتى تفنى نفسك بالكلية، فإن الوحدة والخلوة موصلان إلى الفناء، بل موصلان إلى المقامات كلها من البدايات والنهايات.

وأما المحبوب فهو إلى تنبعث من باطنه ـ أي الروح أو القلب - داعية الخلوة فتنجذب نفسه المطمئنة إلى ذلك طوعا، وهذا أتم من جهة نفسه إذا ليس فيها نقصان الأمارية، وأكمل من جهة القلب إذا ليس فيه من كدورة نفسه شيء، وأدل على كمال استعداد روح حيث كان مناسبا للحضرة الإلهية بلا واسطة كسب سابق، وهذه الحالة ـ أي حالة المحبوبية -كانت حالة حبيب رسول الله ﷺ، إذا روي عن حاله ما يدل على ذلك، واعلم انه ورد عن النبي ﷺ من رواية عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال ﷺ:

«ليأتينَّ على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروع. قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله ؟ قال: إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله، فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج؟! قال: إنه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟! قال: يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة»[1] انتهى .

(١) رواه الخطابي في العزلة (٩).

قال بعض من كتب تحت هذا الوارد من أهل المعرفة -نفع الله بهم-: أي ليأتين على الناس زمان لا يسلم فيه لذي دين دينه لكثرة خلطاء السوء من الأهل والأولاد والأقارب والأصحاب وغيرهم ممن يجتمع على الشخص باعتقاد الكمال قبل أوانه، فيأخذ نفسه العجب والرياء إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية، فإن لم يتيسر فمن شاهق جبل إلى شاهق ثان، فإن لم يتيسر فبغاية الإخفاء والتلبس بلباس العامة من جحر إلى جحر كالثعلب الذي يخاف من كل أحد، قالوا: ومتى ذلك الزمان يا رسول الله ؟ قال: «إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله تعالى» يكون سلطانًا جائرًا أو قاضيًا مرتشيًا أو جاهلًا أو باكتساب الحرام، فتعم الفتنة بين الناس فلا يصلح أحد للصحبة، فإن صلح فلا يخلو هذا الشخص عن بقاء نفسه فيظهر معهم قبل أوان الظهور بالدعوى والعجب.

ثم قال ﷺ: **«فإذا كان ذلك الزمان امتنع كل صحبة»** ولو ضرورية حتى حلت العزوبة التي هي مترددة بين الفريضة والسنة فيصير التزويج بحيث لا يجب ولا يندب قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج؟ أمر وجوب تارة وندب أخرى، وحكمك لا ينسخ بعدك؟ فأجاب بأنه سيصير معارضًا بأمر ضرره أكثر من نفع التزويج، وكما يسقط فيه التزويج يسقط حق الوالدين وحق صلة الرحم أيضًا .

وذلك إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه، فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده، فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته، قالوا: وكيف ذلك الهلاك وطاعة الوالدين من جملة الكمالات التي أوصى الله تعالى بها قوله عز من قائل: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣]،

وغير ذلك من النصوص، وهكذا صلة الرحم والتزويج وبهما انتظام العالم وبإخلالهما خراب العالم، فقال: هي وإن كانت كمالات لكنها بهذا العارض وهو التعبير بضيق المعيشة تصير نقائص لا تقاوم كمالاتها بنقصانها ويتكلف في تحصيلها ما لا يطيق بالحلال حتى تورده موارد الهلكة انتهى.

ولله در شخنا الشريف الفاضل جعفر الصادق بن السيد العارف بالله تعالى محمد البيتي علوي نفع الله به حيث قال شعرًا:

إنـــما الخلطـــة خَلـــطٌ ووَبَـــا … وأرى العزلـــة مـــن رأي الـــسداد
ثقـــة الإنـــسان عجـــزٌ بـــالورى … بعـــد مـــا أنـــزل في ســـورة صـــاد

يريد قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ** ﴾ [ص:٢٤]

وبالجملة: فالعاقل طبيب نفسه، فليكن على ذهنه دائما قوله ﷺ: «**الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة**»[1].

ولله در من قال شعرًا:

وحـــدة الإنـــسان خـــير … مـــن جلـــيس الـــسوء عنـــده
وجلـــيس الخـــير خـــير … مـــن قعـــود المـــرء وحـــده

وقال شيخنا الشريف العلامة الوجيه عبد الرحمن ابن الإمام عبد الله بن أحمد بلفقيه علوي نفع الله بهما في تائيته شعرًا:

---

(١) رواه أحمد في الزهد (ص٤١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٧).

وما للقاء الناس جدوى سوى اللقاء لإصلاح حال أو لتحصيل حكمة

حتى قال أهل المعرفة -نفع الله بهم- في حق الشيخ الكامل المكمل فضلاً عن غيره: أنه من جملة آدابه في نفسه أن تكون له خلوة خاصة لا يكون معه فيها أحد من الخلق لا ظاهرًا ولا باطنًا في وقت خاص هو فيه في غاية الصفاء واللذة مع الله تعالى، لا يسعه في لك الوقت في تلك الخلوة مقامات الصحبة مع الخلق التي يحتاج فيها إلى الجمع بين الحق والخلق بين الحق والخلق بحيث لا يحتجب بأحدهما عن الآخر حتى يستغيث بهذه الخلوة فيستفيض على من يكون معه في الجلوة، ولا ينبغي للكامل أن يدعى في نفسه قوة روحانية يستغني معها على ترك الخلوة حيث يرى نفسه لا تحتجب بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق، فيضنّ بتلك الدعوى التي نشأت عن نفسه أن استدامة المخالطة مع الخلق سيما إذا كانت بالكلام معهم لا تضره بإسبال الحجاب، ولا تأخذ من حاله فتنقصه أصلاً، ويظن بتلك الدعوى أنه لا يحتاج إلى الخلوة لأن له في جلوته خلوة مع أن الأمر ليس كما يظن، وذلك لأن هذه حالة شريفة يعسر بقاؤها في الخلوة فضلاً عن وقت المكالمة مع الخلق، فإنه يتدرج بذلك إلى النـزول إلى حد البشرية، وكيف تصح له هذه الدعوى وهذا الظن بكمال نفسه ولم يتيسر ذلك لأكمل الخلائق كلهم ﷺ؟

فإن رسول الله ﷺ مع كونه في غاية الكمال كانت له خلوة في الليل يقوم فيها ويصلي ويذكر ويتفكر، وكانت له صلوات من النوافل في النهار والليل يصليها ويدوام عليها يفعلها كل يوم وليلة، وأوقات غير معينة يخلو فيها بالتصفية، لبقاء طبع البشر فيه وهو مكدر لو خلا عن السياسة، فطبع البشر لا يخلو عن اقتضاء السياسة المعانة عن التكدير قَلَّ ذلك الطبع أو كثر، لطف ذلك العبد أو كثف، وذلك

لأن الجمعية الإنسانية تقتضي بقاؤه بوجه من الوجود، وبقاؤه من وجه يقتضي ذلك لا إمحالة، لأن بقاؤه من وجه مع التخلية عن السياسة يستلزم ظهوره بسائر وجوهه كالنار القلية إذا لم تنطف ولم تحفظ سرت إلى الباقي، وإذا لم يكن له بد وجود طبع البشر، فلابد من سياسة.

وكم من مغرور بطيبة القلب يستغنى عن سياسة الطبع قانع عنها باليسير من طيبة القلب، واتخذ ذلك رأس ماله، وزعم أنه المطلوب الكلي من العبادات والخلوة فاغتر بطيبة قلبه وغفل عن سياسة طبعه حتى غلب عليه الطبع فاسترسل في الممازجة والمخالطة حتى غلبت عليه نفسه بالظهور بدعوى المشيخة عن هذه الطيبة اليسيرة،فقام بدعوى الإرشاد من غير إرشاد حتى جعل نفسه منهاجًا للبطّالين الذين لا يحفظون أوقاتهم ولا يضبطون نفوسهم، واستعان بذلك بلقمة تؤكل عنده وبرفق يوجد عنده وهو عدم التكليف بالعزائم، فيقصده من قصده الأكل والرفق لا من قصده الدين ولا من بغيته سلوك طريق المتقين أرباب العزائم، فافتتن بهذه الدعوى وافتتن بزعم الإرشاد حال الإضلال، وأقل ما في شأنه أنه بقي في خطة القصور حيث لم يتجدد له الترقي في المقامات العالية، كيف لا وقد وقع في دائرة الفتور عن العمل وهو فرس السير في الأحوال والمقامات!

وإذا كان الطبع باقيًا كما قررناه فما يستغني الشيخ عن الاستمداد من الله تعالى، كما لا يستغني الإنسان عن الطعام كل يوم ولا يغنيه ما أكل فيما مضى بعد مضي مدة طويلة عليه لبقاء المدة المحللة، فهي تحلل بالطبع، وذلك الاستمداد يكون بالتضرع بين يدي الله تعالى بقلبه إن لم يكن بالجمع بين قالبه وقلبه، فيكون له في كل كلمة تكلمها مع الخلق رجوع إلى الله تعالى في خلوته وخضوع بين يدي الله تعالى،

ولا يتأتى لمن استدام المخالطة مع الخلق والكلام معهم ما لم يتجدد بنور في باطنه كلما وقع عليه شيء من ظلمتهم، وذلك لأن المخالطة والمكالمة تقوي النفس لا محالة ولو بعد حين، وإنما دخلت الفتنة الداعية إلى ترك الخلوة والسفل بالعبادات الظاهرة على المغرورين بطيبة النفس المدعين للقوة الروحانية التي لا يعارضها شي يحتاج له إلى الخلوة حتى وقع لهم الاسترسال في الكلام من غير مرتجعة إلى الله تعالى، وفي المخالطة مع الممازحة الكثيرة من غير عود إلى خلوة لقلة معرفتهم بصفات النفس، وأن من شأنها الظهور بأدنى معين يوافق هواها واغترارهم بيسير من الموهبة، ولم يعلموا أن حفظها صعب مع هذا الاسترسال بل محال في الأكثر، وهذه القلة بمعرفة صفات النفس والاغترار لقلة تأدبهم بالشيوخ الكاملين المكمَّلين من السلف فتوهموا أن النفس لما فنيت هلكت بالكلية وانعدمت من أصلها وليس كذلك، بل هو عدم شعور بها وإلا فهي باقية في الباطن، فلابد من سياستها فلا يخليها عن مذكرنا إلا لفائدة تقوم مقامه كما قال الجنيد -نفع الله به لأصحابه-: «لو علمت أن صلاة ركعتين أفضل لي من الجلوس معكم ما جلست عندكم»[1]، فالجلوس إنما يحسن بقدر ما يفيد الإرشاد الذي هو أفضل من النوافل، «**لئن يهدى الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»[2] قاله كرم الله وجهه، فإذا لم يكن للإرشاد فلا معنى له، وإذا كان كذلك فإذا رأى الفضل في الخلوة لكون الجلوة للفضول تخلي، وإذا رأى الفضل في الجلوس لكونه للإرشاد يجلس مع الأصحاب الذين هم إخوانه في الطريق، وإذا رأى الفضل في الخَلوة والجَلوة، فتكون الجلوة حامية للخلوة عن الملل

---

(١) انظر: قوت القلوب (١/ ٣٣٠).

(٢) رواه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (١٨٧٢).

لإفادتها نشاطًا يعود به إلى الخلوة على أكمل ما يكون من الشوق إليها، وخلوته مزيدا لجلوته أي لفائدة الجلوة من الإرشاد لاستصحاب نور الخلوة وفي هذا سر، وذلك أن الآدمي ذو تركيب مختلف فيه تضاد وتغاير، ولما فيه من التغاير له حظ من الفتور عن الصبر على صرف الحق، ولهذا كان لكل عامل فترة ظاهرة أو باطنة، وذلك لأن الفترة قد تكون في صورة العمل فلا يعمل أصلاً، وقد تكون في عدم الروح إلى التلذذ بالعمل، وإن لم تقع فترة في صورة العمل فيعمل بلا تلذذ، وإذا كان لابد من الفترة فالقاصر يضيعها بالكلية بحيث لا يكون له ولا لغيره فيها حظ من العبادة ويجعلها استرواحًا للنفس وركونًا إلى البطالة، فتصير النفس بذلك ثقيلة جامحة ميالة إلى الشر غير راغبة للخلوة مرة أخرى كأنها قد أنقذت من النار فتكره العود إليها.

والكامل لما رأى في صرف الفترة إلى الاسترواح والركون إلى البطالة هذه الإفادة العظيمة احترس عنها كل الاحتراس، فمن بلغ رتبة المشيخة من الكمال انصرف قسم فترته إلى إرشاد الخلق فأفلح الخلق بقسم فترته وكفى بذلك عبادة، فما ضياع فترته كضياعه في حق القاصر حتى يصير سببًا لقوة نفسه، وإذا كان الضياع سببا لقوة النفس فالمريد القاصر يعود إلى الإقبال على الله تعالى في الخلوة من الفترة مع قوة شره النفس وحدة طلبها لهواها، والشيخ الكامل يكتسب بقسم فترته فضيلة لنفسه من نفع الخلق، فيعود إلى الإقبال على الله تعالى» في إطار خلوته المستفيضة خاص حاله بنفس مشرئبة ـ أي ميالة إليه باكتساب فضيلة النفع فلم يحصل لها شره وطلب هوى، بل يكون مشرئبا به أكثر من اشرئباب المريد عند عوده من الفترة إلى الخلوة، وإن كان مع حدة إرادته، لأن إرادتها عارضها الشره وطلب الهوى.

وإذا كان اشرئباب الشيخ أكثر فهو يعود من الخلق إلى الخلوة منتزع الفتور بقلب متعطش وافر النور وروح متخلص عن مضيق الأغيار قادم بخدمة شغفه إلى دار القرار وهو رؤية إطلاق الحق في الخلوة انتهى.

والى بعض ما فيه يشير قول الإمام الغزالي نفع الله به: لما كانت العبادة سببًا للنجاة وكانت الطباع مجبولة على السآمة شرعت الأوراد المختلفة ليحصل بالتنقل نفي السآمة انتهى.

ومثله قول الشيخ محيي الدين ابن عربي نفع الله به: «القرآن لا يسأم قارئه لاختلاف المعاني الورادة فيه»، انتهى.

وما أحسن قول بعض العارفين -نفع الله بهم- وهو فيه معنى التخطيط على الخلوة: الناس يقولون: افتحوا أعينكم وأبصروا العبر والآثار لتعبروا عنها إلى المؤثر، وأنا أقول: أغمضوا أعينكم عنها لأنها ربما تشغلكم بها عن المؤثر، وأبصروا المؤثر بنفسه بلا واسطة العبور من العبور والآثار إليه، فإذا كان فرؤيتها في النفس أكمل من رؤيتها في الآفاق، ولهذا أخرها الله تعالى في القرآن.

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

ومن ثم قال بعض أهل المعرفة نفع الله بهم: لله عباد طور سيناهم أي معلاجهم الموصل لهم إلى ما يقرب من درجات النبوة ركبهم التي يضعون رؤوسهم عليها مراقبين إذ تكون رءوسهم على ركبهم وهم في محلات القرب يطلبون الزيادة فيها، فمن نبع له ماء معين حياة القرب في ظلمة خلوته الحاجبة له عن المحسوسات؛ فماذا يصنع بدخول الظلمات التي دخلها الخضر لطلبه وظلمات السفر لا تزيد عليها في إفادته.

ومن اندرجت له أطباق السماوات في طي شهوده للحق الجامع للكل ماذا يصنع بتقلب طرفه في السماوات وقد حصل له ذلك مع زيادة غير متناهية من غير تقلب، ومن جمعت أخلاق بصيرته متفرقات الكائنات في مقام الحضرة ماذا يستفيد من طي الفَلَوات، وإدراك البصيرة أجمع وأصدق من إدراك البصر؛ لأن بالبصر إنما يدرك ما يلتفت إليه وكثيرا ما يخطئ انتهى .

وبه يظهر لك سرُّ شغل الطريقة النقشبندية ومن ثم قالوا: إنها أقرب الطرق إلى الله تعالى كما صرحنا بذلك في رسالتنا في هذه الطريقة وهى المسماة: «**إتحاف الخليل في المشرب الجليل الجميل**».

واعلم أيها الطالب الراغب أن الشيطان قد يجيء لك في خلوتك ونحوها من محلات عبادتك ويقول لك: أنت مرائي في عملك، ليقطعك بذلك عن العمل فقل له كما قال بعض الله المعرفة نفع الله بهم: العامل المرائي خير من المخلص البطَّال.

فإن العمل إذ استمر لابد له من نور يرده في لحظة إلى الإخلاص، وأما إن قصدت نفي خطرته بإثبات الحجة على إبطالها، فذلك مما يزيدها تمكينا في النفس لسبقها وقيام صورتها في الخيال، وبذلك يظهر لك أن دفعها إنما هو لتسليمها والتلهي عنها بضدها عندما تبدو، ومن ثم قال سفيان ﷺ: إذا جاءك الشيطان في الصلاة فقال لك: أنت مرائي؛ فزده طولاً، وقال: الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة، ويقال:الشيطان كالكلب إذا استغلت بمقاومته مزق الإهاب وقطع الثياب، فإذا رجعت إلى ربه صرفه عنك برفق.

وقد جاء الشيطان لبعض العارفين –رحمه الله– في ليلة في بعض الصلوات وقال له: أنت مرائي، قال ذلك العارف: فعارضته بوجوه، فلم يرجع حتى فتح الله بتسليم دعواه وطردها في كل أعمالي بحيث قلت: إثبات الياء في هذه إثبات للإخلاص في غيرها وكل أعمالي معيبة، وهذا غاية المقدور، فانصرف عني في ذلك الوقت، والحمد لله.

واعلم أيها الطالب الراغب أن الله قد يكشف بالحقائق ويعطي الخوارق قومًا لتقوية يقينهم فينتفعون بها إذا قبلوها بأدب، ولم يقفوا عندها وخافوا المكر والاستدراج بسببها ولم يتكبروا بذلك على من لم يعطاها، فإنه قد يكون فوق هؤلاء من لا يكون له شيء من مكاشفة الحقائق ومباشرة الخوارق، لأن هذه كلها تقوية ليقين السالك في ربه، بواسطتها بشرط ألا تحجبه ولا تقطعه عنه.

ومن منح صرف اليقين في ربه فلا حاجة له إلى شيء مما ذكر، أما الحقائق فلأنها لا تحجبه بنفسها، وأما الخوارق فلأنها تقطعه عن ربه، فإن لم تضره شيئًا فلا تفيده أيضًا إلا إذا صار في مقام لا يحجبه شيء عن شيء وذلك في مقام تجوهر نور الذكر أو التلاوة اللذين تقدم ذكرهما، فإن البالغ هذا المقام يكاشف الحق مع صفاته التي من جملتها علمه وقدرته، فيعلمه ويقدره بقدرته وإلى هذا يشير الإمام الغزالي نفع الله به: «الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وأنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك، فصار ذلك حجابا بينك وبينها، فلا يحتاج إلا أن تكسر الشق وترفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب».

وقال الإمام العيدروس نفع الله به: ما حجب عين قلبك عن إدراكها سواك، ومتى تلاشت ظلماتك عنه تجلى له من لم يزل قاطنًا به في غيوب الأزل انتهى.

وأنت قد علمت أيها الطالب مما قدمناه أن موت القلب من شهوات النفس، وأن السالك كلما رفض شهوة من شهوات النفس نال القلب من الحياة بقسطها.

واعلم أيها الطالب الراغب أن من آداب المريد مع شيخه ألا يستقل بواقعته وكشفه دون مراجعة شيخه؛ لأنه لضيق علمه لا يقدر على دفع ما اشتبه عليه، فلا يعلم أنه من عند الله أو من عند نفسه، فإذا راجع الشيخ علمه الشيخ الواقعة، فإن الشيخ علمه أوسع، فإن لم يلمه في الحال رجع الله تعالى وافقه الشيخ المفتوح إلى الله تعالى «أكبر»؛ فإن كان واقعة المريد من الله تعالى وافقه الشيخ عليها وأمضاها، وان كان في واقعته؛ لكونها من نفسه شبهة تشتبه بها الواقعة التي من عند الله تعالى تزول هذه الشبهة بطريق مراجعة الشيخ، فإنه يعرف الفرق بين ما هو من النفس وبين مت هو عند الله، ويكتسب المريد بتعريف الشيخ له علمًا بصحة الوقائع والكشوف في المستقبل، ولا يعلم ذلك الآن لضيق علمه، فالمريد لعله في واقعته تخالطه إرادة كامنة في نفسه فتشتبه تلك الإرادة الكامنة بالكشف الصحيح، سواء كان في المنام أم في اليقظة.

ولهذا الاشتباه سر عجيب، وذلك أن النفس عند إرادة شيء عليها تستخرج الصور الخيالية وتجعلها كالحاصلة عند المريد لشدة شغفها بمطالبها، وهذا في المنام كثير، وقد يقع في اليقظة إذا غلبت على النفس شدة الشغف بذلك الأمر واستغرقت فيه.

ومما ينبغي أن تعرفه أيها الطالب الراغب تداخل الأحوال والمقامات، وهو أنه ما يتم للسالك مقام إلا بنازل حالٍ مما قبله، فلا يوجد مقام إلا قبل سابقة حال، وذلك مثلاً مثل حال الرضا، فإنه ابتهاج القلب بكل حلو ومر، ولا يزال يتردد نازل

ذلك الحال وهو رؤية كمال أفعال الحق ورحمته، ثم يعارض طبع النفس إلى خلافها عند مخالفة هواها حتى تدرك السالك معونة الله تعالى، فيظهر على الرضا ويصير ذلك مقامه، فالسالك بالأحوال يرتقي إلى المقامات، فالأحوال لكونها مواهب حقَّانية صارت أسبابًا لفعل الحق في ترك السالك بالأحوال إلى المقامات، إذ يصح كون بعض أفعال الحق سببًا للبعض، كالتمريض للإماتة، وإنزال المطر لإنبات الشجر، وكالاسترسال في المعاصي يترتب عليه الانتقام والتعذيب، وإن كان الكل لله بالخلقة، وأفعاله تعالى غير معللة؛ لكن بعضها علامات للبعض الآخر، كما أن الصحة علامة للبقاء.

وكذلك لا يكمل مقام السالك الذي فيه إلا بنازل حالٍ من المقام الذي فوقه، لأن الأحوال المستقبلية أسباب لاستقرار المقامات السابقة، فلا يستقر مقام استقراره الكامل إلا بنازل حال مما فوقه، وذلك أن السالك يعطى في مقامه حالاً من المقام الأعلى الذي سوف يرتقي إليه، فبوجدان ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذي هو فيه، ويجوز أن يتحقق مقام وجود داعية الطبع إلى خلافه، مثلاً: مقام الرضا، يثبت ويحكم ببقائه مع داعية الطبع، وذلك مثل كراهة يجدها الراضي بحكم الطبع ولكن علمه بمقام الرضا يغمر حكم الطبع وظهور حكم الطبع في وجود الكراهة المغلوبة بالعلم لا يخرجه عن مقام الرضا، لأن الحكم للغالب والمغلوب كالعدم.

لكن ظهور حكم الطبع في وجود الكراهية يفقد حال الرضا، وذلك لأن الحال لا يكون مع النفس ولا يجامعها أصلاً كالدُّهن لا يمتزج بالماء، بل يكون فوق الماء، فكذا الحال لا يكون ساترًا للنفس، فإذا ظهرت النفس زال، وإن لم تظهر فلا سبب يوجب زوال الحال، ولذلك سمى حالاً لتحوله وزواله ،كما يسمى المقام مقامًا لثبوته واستقراره.

نعم! من الأحوال ما لا يكون مقامًا أصلاً.

فإن قلت: المرشد الكامل المكمل الذي دللتني عليه أولاً؛ فأين أجده حتى أسلك على يديه؟[1]

---

(١) **فوائد عظيمة في معرفة الشيخ والمريد**: قال الشيخ الأكبر قُدِّس سرَّه: **(الشَّيخُ من أخذك، وكشفَ عنك)** أيِّ: شيخك المرشد لك هو الذي أخذك عن نفسك، وإرادتك، وأخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى، وكشف عنك الغطاء، وقال لك: ها أنت والمولى، وهذا هو الذي استنار بنور الحق سماء روحه وأرض نفسه، فطهر روحه بالرؤية والمشاهدة، وزكَّى نفسه بالخدمة والطاعة، فصار مجلى للذات ومظهرًا للأسماء والصفات خصوصًا، والحق تعالى متجلي وظاهر في الأشياء عمومًا، نور قلبه من نور الله، وهو وارث علم رسول الله ﷺ، قال ﷺ:

«**العلماء ورثة الأنبياء**» أي: العلماء بالله؛ لأنهم بالإرث أقرب للزوم الخشية لعلمهم، والعلم الذي لا خشية معه ليس صاحبه أهلاً لأن يكون وارثًا لانتقال العلم المورث إليه على غير الصفة التي كان عليها عند المورث، وحقيقة الإرث انتقال المورث إلى الوارث على الصفة التي كان عليها عند المورث، ولا يستلزم الخشية إلا العلم بالله، فالعلماء بالله هم الوارثون حقًا، والبواقي تبعًا.

ثُمَّ قال قُدِّس سرَّه توضيحًا لفهم السالك، وتقريعًا لسامعه السامعين: **(الشيخ من حمل عنك المشقَّات، وأشهدك منازل القربات)** أي: الشيخ الحقيقي الذي له تلقين الذكر للمريد هو الذي يحمل عنك جميع المشقات، ولهذا شرط بعضهم أن يكون الشيخ قادرًا على أن يخلع على المريد حال التلقين أي: حين أن يقول له قل: لا إله إلا الله جميع العلوم الشريعة المطهرة بحيث لا يجهل شيئًا من أحكامها، ولا يحتاج إلى سؤال العلماء، ومطالعة الكتب، كما وقع لعلي بن أبي طالب ﷺ لـمَّـا لقنه رسول الله ﷺ، وللحسن البصري ﷺ لَمَّا لقنه علي بن أبي طالب ﷺ، وكان عمره حقًا على ما صححه جلال السيوطي رحمه الله وغيره عشر سنين ذكره الشيخ علي الخوّاص للشيخ عبد الوهاب الشعراني قُدِّس سرِّهما العزيز في بعض

سؤلاته عنه، فلا يجوز التلقين لمشايخ هذا الزمان إلا بقصد التبرك حتى يدخل المريد في سلسلة سند القوم، ويدخل به في محبتهم فيكون مُسَلِمًا لمقالاتهم، أو معتقدًا لها أي: **يقطع** بصدقهم فيها، وما عدا هذين المقامين فحرمان لكلِّ أحدٍ مريدًا كان أو لا على ما قاله الشيخ الأكبر في الباب الثاني من الفتوحات ﷺ: «وأيضًا الشيخ المسلك الكامل المكمَّل أن يقدر على أن يشهدك جميع منازل القربات فيدور بك في معاطف الطريق يمينًا وشمالاً، كما هو عليه جميع السادات الصوفية إلا بعضهم مثل الشيخ أبي مدين المغربي ﷺ، فإنه كان يقصد اختصار طريق الوصول للمريد، وينقل إلى محل الفتح من غير المرور به على الملكوت خوفًا على استئناسه بعجائب، وهذا أولى لاختصاره وعدم علم المريد بالعوالم لا يضره؛ لأنه بعد الفتح يتدلى المريد بنفسه إلى العوالم فيكشفها ويشاهد ما فيها بالحق، فعلى هذا يكون للشيخ أثر في الفتح، وإن كان الفاتح حقيقة هو الله تعالى؛ لأنه كالبدر والدليل حيث يقول له: اسلك هذه الجهة فهي أقرب لك، ويدل على أن طريق الاختصار أحسن ما وقع لأبي يزيد البسطامي قُدِّس سرَّه لما وقف على العابدين فلم ير له قدمًا معهم، وكذلك وقف مع المجاهدين والزاهدين والصابرين والمتوكلين وسائر المقامات فلم ير لنفسه مع كلٍّ منهم قدمًا، فقال: يارب كيف الطريق إليك؟، فقال له تعالى: يا أبا يزيد اترك نفسك أي: حظوظ نفسك في الدنيا والآخرة، فالله تعالى اختصر له الطريق بأخصر كلمة وألطفها؛ لأن من يترك حظ نفسه يقوم معه ربه.

ومن صفات الشيخ أن يكون متخلقًا بأخلاق الله،كما قال الشيخ ﷺ: **(لا يصلح من يربي الخلق، إلا من كانت صفته من صفة الحق)** أي: لا يصلح لتربية الخلق، ولا يليق بها كل من يريد تربية الخلق إلا الرجل الذي كانت صفة ذلك الرجل من صفة الحق بأن يأخذ من كل صفة من صفات الله تعالى خطًا يليق به، كما وقع الأمر من النبي ﷺ إلينا بقوله: «**تخلقوا بأخلاق الله تعالى**»

أي: المرضية الكمالية، وهذا التخلق لا يكون إلا بعد التخلق بأخلاق الرسول ﷺ على ما ورد

أيضًا: «تخلقوا بأخلاق الرسول».

فالشيخ لا يصلح للتربية ولا مربيًا للمريدين إلا إذا كان متخلقًا بأخلاق الرسول وأخلاق الله تعالى، أو المراد من كون صفة العبد صفة الحق أن يصير الحق تعالى عين قوى العبد الباطنة، وجوارحه الظاهرة.

وقال قدس سره: [الشيخ من أزال عنك كل حجبك] أي: شيخك أيها السالك الطالب للسلوك والمرشد المسلك لك في الطريق إلى الحق تعالى هو الذي أزال عنك ويرفع لك ما يحجبك عن الله والوصول إليه والاشتغال به، وهذه الإزالة لا تكون إلا بالله؛ لأنه لا يوصل إلى الله إلا الله لكن الشيخ لما كان بالله يوصل المريد إلى الله بإذن الله من الله، فعطف (الشيخ) ﷺ على الجملة المذكورة قوله: (واستأذن الحق لقربك) عطف السبب على المسبب فإن استئذان الحق سبب لإزالة المحجب عن المريد، وفيه أن السبب هو إذن الحق للشيخ بالإيصال للمريد لا استئذان الشيخ من الحق لإيصال المريد، وأجيب بأن الاستئذان سبب الإذن وسبب السبب سبب، فالشيخ المسلك للمريد يزيل الحجب عنه ويرفع الغطاء عن بصره وبصيرته بسبب أنه يستأذن من الحق تعالى؛ لأن يقربه إليه تعالى برفع الحجب والأستار، فالحق تعالى يأذن للشيخ في قربه إليه تعالى، وإذن الحق في قرب المريد إذن للشيخ في إزالة الحجب عن المريد، وكذا استئذان الشيخ الحق لقرب المريد استئذان الحق لرفع الحجب عنه فلا إشكال، فحاصل الكلام أن الموصل لا يكون إلا الحق أو من يكون بالحق، فالشيخ يجب أن يكون بالحق، فالشيخ يجب أن يكون بالحق قائمًا به متحققًا بمقام كنت سمعه وبصره حتى يمكن منه الإيصال إذ لو كان بنفسه فلا يمكن منه ذلك، فثبت بهذا أن السالك بالله واجد له تعالى، والسالك بنفسه فاقد له، ولا يجده.

وبه يجمع بين قول الرسول ﷺ: «من طلب الله وجده»، وبين قول أبي يزيد البسطامي قدس سره: «السالك مردود، والطريق مسدود».

فإن السلوك والطلب بمعنى واحد، فصار مآل قول الرسول ﷺ: إلى أن الطالب واجد لله.

ومآل قول أبي يزيد: إلى أن الطالب غير واجد له، وهما متناقضان ظاهر لكن المراد في الأول الطلب بالله، وفي الثاني الطلب بالنفس فلا تناقض؛ لأن شرطه اتفاق القضيتين في الوحدات الثمانية وهنا ليس كذلك فتأمل.

ثم أكده بقوله: (**الشيخ من نقلك من نار البعد والانفصال إلى جنة القرب والاتصال**) أي: شيخك المسلك لك أيها السالك هو الذي نقلك من نار هو البعد عن حضرة القدس والانفصال عنها بوقوفك مع السوى، وشركك الخفي والأخفى إلى جنة هي القرب إلى الله، والاتصال به اتصال الفرع بأصله من حيث الوصول إلى غاية المرام عاريًا عن الوصل، والفصل المشهودين بين العوام؛ لأنهما بالمعنى المشهود مُحال في حقه تعالى حيث لا وصل ولا فصل ولا قرب ولا بعد.

وفي لسان هذه الطائفة أن البعد هو المسمَّى بالنار وبجهنم، والقرب هو المسمَّى بالجنة، وإن البعد هو المتوهم والقرب هو المتحقق؛ لأن المقامات والمواطن كلها مراتب ظهوره تعالى، فلا بعد إلا على سبيل التوهم فما ثَمَّ إلا قرب، فالمراد النقل من البعد المتوهم الذي يتوهمه المريد إلى القرب المتحقق الذي هو الأمر عليه في نفسه، وهذا لا يكون إلا برفع الحجاب له وكشف الأمور على ما هي عليه، فيخرج المريد عن الوهم والخيال، ويدخل في القرب والاتِّصال فنكشف له حقيقة الحال.

وبما ذكرناه تبين أنه تأكيد لما قبله ومعنى التأكيد على لسان الحقيقة أن يكون في اللاحق ما في السابق مع زيادة وفائدة جديدة؛ لأن التجلي لا يتكرر، ثم زاد الشيخ قدس سره في البيان اهتمامًا بهذا الشأن.

وقال قدس سره: (**الشيخ من أمات نفسك قبل أن تموت، وجال بروحك في عالم اللاهوت**) المراد بإماتة نفس المريد إخراجه عن الالتفات إلى الدنيا وتوابعها، وعن النفس وحظوظها كالميت لا شيء له مما ذكر، وهذه الإماتة إرادية كما أن الخروج مما مرَّ إرادي، والمراد بالموت الثاني الموت الطبيعي، وقد مرَّ معنى الموت بأقسامه (**جال**) في الحرب جولة بفتح الجيم، وجال في

الطواف جولاً بفتح الجيم وضمها وبسكون الواو وجولاً بتحريك الواو، وجول بالتشديد تجوالاً، واجتلال، والجال بمعنى طاف كذا في القاموس.

و(**اللاهوت**) عالم أعلى كما أن الجبروت عالم أو سط، والملك عالم الشهادة والملكوت عالم الغيب الإضافي والحقيقي فهو يعم الجبروت والعظموت واللاهوت.

وقيل: إن الملكوت عالم الأرواح، والمعنى الشيخ المسلك لك أيها السالك الطالب للسلوك الموصل لك إلى القدسية الكاشف لك الحجب المانعة لك من الوصل والمقرب لك إلى جناب حضرة مولاك الناقل لك من نار البعد، والانفصال إلى جنة القرب، والاتصال هو الذي يميت نفسك وهواك عن السوى، ويقطعها عن حظوظها وشهواتها كالميت قبل أن تموت بالموت الطبيعي اللازم للطبيعة الحيوانية، فتكون أنت ميتًا ماشيًا على وجه الأرض كما هو حال أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، وشهد له النبي ﷺ بهذا الحال حيث قال: «**من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر** ﷺ».

وأيضًا الشيخ هو الذي جال وطاف بروحك لا ببدنك؛ لأن الجولان في عالم الغيب بالبدن من خواص خاتم الرسل عليه وعلى آله أفضل - الصلاة وأتم السلام - والكُمَّل من ورثته يطوفون بأرواحهم لا بأبدانهم، فالشيخ يطوف بروحك في عالم اللاهوت ويعرج بك إلى العظموت، ويشهدك منازل الناسوت إلى أن يقول لك: ها أنت ومولاك، فتبلغ غاية الرضا وأقصى المنى، ولا يبقى في قلبك شيء من السوى.

وبالجملة إن لم يأخذ السالك الطريق ممن يكون من الرجال الموصوفين بأوصاف الكمال فلن يفلح.

وقوله: (**الشيخ من نقل أسمك ومحا رسمك**) أي: الشيخ الذي يسلك بك هو الذي نقل اسمك عنك بإفناء وجودك في وجود الحق تعالى، فلا يبقى لك اسم ومحى أيضًا رسمك بإفناء إرادتك في إرادة الله تعالى، فلا يبقى لك رسم، فبالأول يحصل لك الفناء في الله، وبالثاني يحصل لك الاتِّحاد مع الله تعالى بالمعنى الذي اصطلح عليه القوم فيهما وهو الخروج عن الوجود لغير الحق بأن يثبت الوجود له تعالى، ويتحقق بحديث:

«كان الله ولا شيء معه»، والآن كما كان، وبقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]. ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، أو عن صفاته البشرية بأن يدخل في الصفات الحقيَّة، وهو مقام بي يسمع وبي يبصر هذا في الأول، وهو الفناء والخروج عن إرادته لإرادة الله تعالى في الثاني وهو الاتحاد، فمن صار وجوده وجود الله وإرادته إرادة الله فهو متحد مع الله في هاتين الصفتين لا في الذات؛ لأن عينية الأشياء للحق من حيث ظهوره فيها وانصباغه بصبغها.

وأمَّا من حيث الذات فالأشياء أشياء والله الله كما صرح به الشيخ قدس سره في «الفتوحات المكية».

وقال بعضهم: الفناء نفي العبد لاختياره المغاير لاختيار الله تعالى؛ لأن الكمال أن يختار العبد ما اختاره الله له إن يختاره، وإلا فالإنسان لا يجوز أن يكون غير مختار؛ لأنه تعالى وإن نفاه فقد أثبته فقال:﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، فأثبت في هذا القول الرمي وقد نفى.

والبقاء أن يختار باختياره تعالى له الاختيار بعد ما نفى اختياره المغاير لاختيار الله تعالى، فالعبد في هذا المقام مختار من جهة البقاء غير مختار من جهة الفناء، وأمَّا العوام فلهم الاختيار مطلقًا لرؤيتهم الوجود لنفوسهم وأن يعملوا بإرادتهم، ويجوز أن يكون المراد (**بنقل الاسم**) غير ما قلنا: من رفعه بالإفناء، بل معناه الحقيقي، ويكون حقًا قوله:

(**ومحا رسمك**) من عطف السبب على المسبب، **فإن الشيخ** ينقل المريد من اسم إلى اسم من اسم العام إلى الخاص إلى أخص الخاص، أو من الجاهل إلى العالم إلى العراف بالله، أو من اسم المسلم إلى المؤمن إلى الصالح إلى المحسن إلى الشهيد إلى الصديق إلى المحقق إلى غير ذلك من الأسماء المصطلح عليها لهذه الطائفة بسبب محو العادات ورسوماته عنه فتبصر.

ثم قال الشيخ قُدِّس سرَّه: (**الشيخ من أطلعك على حالك، لا من أخذ مالك**) أي: الشيخ المسلك هو الذي جعلك مطلعًا على حالك من النقص والكمال، فيُذهب منك النقص،

فالجواب: من جَدَّ وَجَد، ومن لج ولج ولو تطَلَّبته الماء البارد عند العطش وتطَلُّب الأم الشفيقة إذا فقدت ولدها لوجدته، وعلى تقدير عدم وجدانه لعدم رؤيتك إياه لا لعدم رؤيتك كما قال أستاذنا العلامة الوجيه عبد الرحمن بن الإمام شيخ مشايخي عبد الله بن أحمد بلفقيه علوي -نفع الله بهم- في تائيته شعرًا:

وما قلَّ أهل النُّور والفَضل والصفا ولكنها قَلَّتْ عُيون البَصيرة

فقد كان -نفع الله بهم- يقول: وعليك بدوام الذكر، وكثرة الصلاة على رسول الله؛ فهي سُلَّم ومعراج إذ لم يلق الطالب شيخًا مرشدًا انتهى.

وكذلك قال سيدي الأستاذ أحمد بن موسى المشرع -نفع الله بهما-:

ويفيض عليك الكمال بالاستئذان لك من ربك بأن يكون الشيخ من خواص الخواص الكاملين المكمَّلين، الذين هم مع غلبة التسليم عليهم يأمرون المريد، ويرغبونه في الأشياء، ويرهبونه من أشياء، وينـزلون من مقامهم لمقام المريد حتى يُقيِّم عوجه؛ لأن الشيخ هو الذي يأخذ مالك عنك كالمشايخ بعد قرن عاشر قعدوا على السجادة بدون إذن من الله تعالى، فيأخذون أموال الناس من غير استحقاق فيهم.

وهذا الشيخ كما أنه يأخذ مالك أيضًا يأخذ دينك؛ لأن المريد ناظر إلى شيخه، ويتأدب بآدابه وآدابه مذمومة.

ومن هنا قيل: إن العلماء السوء أشدّ من الشيطان؛ لأن الشيطان يضرك في دينك، وذاك يضرك في دنياك ودينك، فعلى هذا يجوز أن تكون (ما) في (مالك) موصولة أي: لا الشيخ الذي يأخذ منك ما حصل لك من أمور الدين والدنيا، ولا الشيخ الذي هو من خواص الأولياء الذي محقه التسليم لله تعالى في سائر الأحوال وما بقي له اختيار، فإن مثله لا يرى في الوجود محظورًا ينهاك عنه مع أن الصحبة تقتضي الميل إلى الصاحب، وهذا الرجل ما له ميل إلى أحد سوى الله تعالى حتى يُقيِّم عوجه ويُصلح فساده، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

من لا شيخ له يربيه ويرقبه ويوصله إلى الله تعالى، فليلزم الصلاة على النبي ﷺ فهي تربيه بأحسن الآداب النبوية وتهذبه بأشرف الأخلاق المحمدية، وترقيه إلى أعلى ذروة الكمال، وتوصله إلى المحل الأسنى من حضرة الكبير المتعال، وتنعمه برؤية الله، وقربة مع النبي ﷺ، وكان يوصي أصحابه بقراءة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص:١] وبكثرة الصلاة على النبي ﷺ وكان يقول: بقراءة:

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ عرفت الله الواحد الأحد، وبكثرة الصلاة على رسول ﷺ صحبته ﷺ، وكان يقول: من أكثرة الصلاة على رسول الله ﷺ رآه منامًا ويقظة، انتهى.

فاعمل على ذلك ترشد، واعلم أن من أخوف ما يخاف منه على السالك ما نبَّه عليه الإمام الغزالي وغيره من العارفين -نفع الله بهم- وهذا ما قاله الغزالي نفع الله به: إن الله سبحانه وتعالى سبعين حجابًا من نور لا يصل السالك إلى حجابٍ منها في الطريق إلا ظن أنه وصل، وأول حجاب بين الله وبين العبد القلب، فإنه أمر رباني وهو نور من نور الله، وهو الذي تتجلى فيه حقيقة الحق كله حتى إنه يتسع لجملة العالم ويحيط به وتتجلى فيه صورة الكل، وعند ذلك يشرق نوره إشراقًا عظيمًا إذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه، فإذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب ربما التفت صاحب القلب إلى القلب، فيرى من جماله الفائق ما يدهشه، وربما سبق لسانه في هذه الدهشة فيقول: «أنا الحق»، فإن لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به، ووقف عليه وهلك، وكأنه اغتر بكوكب صغير من أنوار الحضرة الإلهية، ولم يصل إلى القمر فضلاً عن الشمس فهو مغرور، وهذا هو محل الالتباس إذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس نور ما يترائى في المرآة فيظن أنه نور المرآة وكما يلتبس في الزجاج بالزجاج،

وبهذه العين نظرت النصارى إلى المسيح، فرأوا إشراق نور الله قد تلألأ فيه، فغلطوا فيه كمن يرى كوكبًا في مرآة أو في ماء، يظن أن الكواكب في المرآة أو في الماء، فيمد إليه يده ليأخذه وهو مغرور انتهى.

وقد ذكروا أن بعض المشايخ عبد روحه ثلاثين سنة لما رأى من إشراقها فظنها الحق، ثم جذبته يد العناية، فرجع إلى الله الذي أنقذه من هذه الورطة الخطرة عصمنا الله من كل ما يبعد عنه بمحض فضله ... آمين.

وفي شرحنا «الفتح المبين من أنفاسه العيدروس فخر الدين» زيادة على ما هنا فراجعه فإنه ينفعك والله واسع عليم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] وإذ وقع لنا فيما تقدم ذكر تجليات الأفعال والصفات والذات إجمالا، فلنتعرض هنا لبعض خواص تلك التجليات ليكون السالك فيها على بينة من أمر ربه.

فنقول: اعلم أن التجلي بطريق الأفعال رتبة في القرب فوق مراتب عامة الصالحين، وفيه يظهر تجريد الفعل عن الأسباب؛ لأنه إذا صح التوحيد تلاشت الأسباب في عين الأسباب ليست وسائط يتوقف عليها الفعل الإلهي، بل يفعل عندها لا بها.

وأحسن ما قال بعض العارفين -نفع الله به- شعرًا:

إذا مـا غبـت عـن حـين وأيـن ... وفي مرآتـك اتحـد الوجـود

رأيـت مـسبب الأسـباب فيهـا ... يـسببها ويفعـل مـا يريـد

وتـشهده خيـالا حـين تقـري ... لأنفـسها فيفنيـك الـشهود

obeikandl.com

ويبقـــك الـــتجلي كـــل حـــين لأنـــك دائـــم خلـــق جديـــد

وفي هذه الأبيات الإشارة إلى أن عالم القدرة أيضًا لا يخلو عن الأسباب إلا أن الأسباب فيه خفية بخلاف عالم الحكمة.

والعارف الكامل المجرد لدى فعل الله لا يبالي بالأسباب ظاهرة أو باطنة، لأنه يرى الحق فاعلاً في كل فعل لا غيره، ويظهر له حكمته البالغة في جزئيات الأفعال وكلياتها حتى يتحقق أنه لا قبح في شيء منها بالنسبة إليه تعالى، فإن كان فيها شيء من ذلك فهو بالنسبة إلى غيره من المظاهر لكونها علامة القهر والجلال والتجلي بطريق الأفعال يحدث صفو الرضا، لأنه يرى في الأشياء كمال الحكمة الإلهية، ويحدث التسليم لئلا يكون معترضًا على الله تعالى، وهذا لا ينافي النهي عن المنكر ولا ينافي عدم الرضا بالكفر والمعاصي ولا ينافي عدم التسليم لفاعلها؛ لأنه يرضى بها من حيث إنها من الله تعالى لا من حيث إنها صارت من نفسه أو من غيره، كما أن من قتل عدو شخص وكان عدوًا لعدوه أيضًا يرضى بقتله من حيث إنه أهلك عدوه، ولا يرضى به لأنه تقوى بهلاكه العدو الآخر الذي كان المقتول أيضًا عدوه أيضًا، وكما يرتضي الدواء المر من حيث إنه يزيل مرضه ولا يرتضيه من حيث المرارة التي ينفر عنها الطبع.

والتجلي بطريق الصفات يكسب الهيبة في تجلي الجلال، والأنس في تجلي الجمال، والتجلي بالذات يكسب الفناء إذا رأى فناء الكل في الواحد، والبقاء إذ رأى الكل بالواحد موجودًا به.

ولفظ الفناء في اصطلاح العارفين- نفع الله بهم- مشترك، فقد يطلقونه على

ترك الاختيار عند الوقوف مع مجرد فعل الله لما فيه من فناء الإرادة والهوى أيضًا للزومه فناء الإرادة، لأن الإرادة ألطف أقسام الهوى، فإنه لو لم يحب لنفسه ما اختار الشيء ولا رجحه على غيره، لكن هذا الفناء هو الفناء الظاهر، لأن الإرادة محلها القلب وهو من الأمور الظاهرة بالنسبة إلى الروح، وأما الفناء الباطن فهو محو آثار الوجود التي هي الروح والقلب والنفس عند لمعان نور الشهود بأن تنمحي نورانيتها في نور الظاهر عليها كانمحاء نور الكواكب عند طلوع الشمس، وذلك يكون في تجلي الذات، كما أن الفناء الظاهر في تجلي الأفعال وتجلي الذات أكمل أقسام اليقين في الدنيا، فيكون بالبصيرة لا بالبصر.

وأما تجلي حكم الذات بالصبر، فلا يكون لغير نبينا إلا في الدار الآخرة وهو المقام الذي حظي به رسول الله ﷺ ليلة المعراج مع كونه في الدنيا لاتصافه بصفات أهل الآخرة لغلبة النورانية على ظاهره؛ ولهذا لم يكن له ظل، وكذلك التجلي الوصفي والفعلي كالتجلي الذاتي -أعني: ليس المراد من الكل رؤية البصر بل الحظ من اليقين الكائن من رؤية البصيرة فافهم.

وعلى ذكر كونه ليس له ظل، فرحم الله صاحبنا الشيخ عمر عقيل المكي حيث قال شعرًا:

دخـــل العـــالم في ظـــل الـــذي ... مـــا لـــه ظـــل وللأغيـــار يمحـــو

واعلم أن مقام الفناء في الصفات هو مقام نتيجة قرب النوافل، ومقام الفناء في الذّات هو مقام نتيجة قرب الفرائض كما هو مصرَّح به في كلامهم.

تنبيه مفيد:

اعلم أن ما يشكل على الأفهام قول سيدي زيد بن أسلم -نفع الله به-:

«إن الله ﷻ ليحب العبد حتى يبلغ من محبته أن يقول له: اصنع ما شئت، فقد غفرت لك».

وقول سيدي الشريف الأستاذ أبي الحسن الشاذلي نفع الله به: «يبلغ الولي مبلغًا يقال له: أصحبناك السلامة ورفعنا عنك الملامة».

وهذا الكلام قد أشتبه على كثير من العوام، فظنوا أن الشخص إذا وصل إلى مقام المحبة والخلة لم يضره ذنب وليس الأمر كذلك، بل المراد أن الشخص إذا تخلق بأخلاق الله وصل إلى مقام يقال له: «**مقام تصريف القدرة**».

وأيضًا يسمى مقام «**كن فيكون**» كما قال الشريف الأستاذ علوي بن الفقيه المقدم -نفع الله بهما- لتحققه بهذا المقام: أقول للشيء كن فيكون بإذن الله تعالى.

وكما قال العيدروس عن ربه أنه قال له: افعل ما شئت فقد غفرت لك، وحينئذٍ فيقال له: اصنع ما شئت؛ لأنك وصلت إلى هذا المقام، ولأنك موضوع عنك وزرك وثقل وجودك وممحو عنك وهم آنيتك، فحالك يناسب هذا التشريف، وهذه الخصوصية لا ما يظنه العوام المنهمكون في الشهوات المتصفون بحظوظ النفس، بل قال سيدي يوسف بن أسباط -نفع الله به- يطيع الله كل أحد ويعصيه إلا المحب.

وقال الأستاذ أبو الحسن الشاذلي نفع الله به: أبت المحبة أن تستعمل محبًّا إلا فيما يوافق محبوبه انتهى.

قلت: وكأني بمعترضٍ من الأنام قد فوق إلى سهام الملام.

وقال: قد أطال صاحب هذه التعليقة في هذا المرام الكلام، وكأنه لم يعرف المناسبة الحاملة لي على إثبات هذه الفوائد العظام، أي ما يدري أن لفظ سالك يجر جميع ذلك، أو كل ما ذكر يحتاج إلى التنبيه عليه طالب سلوك طريق الحق لئلا يقع فيزل أو يتزندق، هذا ولعمري إن ما تركنا التنبيه عليه أكثر والعارف المحقق النَّحرير بذلك أخير، ولكن بما ذكرناه من لوائح الإشارات يتدرج السالك إلى ما تركناه من صريح العبارات، وعلى كل حال فالأعمال بالنيات، والله العالم بخافي الطويات.

وأما قوله في النظم: «**فاعلمه، واعمل**» ففيه إشارة خفية إلى إنكار إطلاق العلم على المخل بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ** ﴾ [فاطر:٢٨] أي: لا يخشى الله من عباده إلا العلماء به، وذلك لمعرفتهم بأنواع مكره تعالى وعدم مبالاته بإهلاك العالم كله، قال الله تعالى: ﴿**فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة:١٧] ولمعرفتهم أيضًا، ورؤيتهم الحكمة والصواب في الانتقام من أهل المعاصي، وإنما ذكر بكلمة «إنما» ليدل بلفظه على انتفاء الخشية من غير العلماء، وبفحواه على انتفاء العلم ممن لا يخشى، لأن العلم سبب ولا يتخلف السبب عن المسبب، فالخشية من لوازم العلم، فينتفي العلم عمن لا يخشى الله تعالى لانتفاء الملزوم بانتفاء اللازم.

تقول مثلاً: إنما يدخل الدار بغدادي، فينتفي دخول غير البغدادي الدار، ولا يلزم منه كون غير الداخل ليس ببغدادي، إلا أنه يدل على كونه بغداديًا سببًا

obeikandl.com

لإجازته لدخول الدار، فينتفي كون الشخص بغداديًّا بانتفاء هذه الإجازة، وليس كونه بغداديًا سببًا لدخول الدار حتى ينتفي كونه بغداديًا بعدم دخوله الدار؛ **فافهم** فإنه مزلة قدم.

فظهر من فحوى هذه الآية أن الطريق مسدود عن إثبات المعارف التي هي علوم الحقائق الموجودات من ذات الواجب وصفاته وسائر الموجودات، ومسدودة أيضًا عن مقامات القرب التي هي الأخلاق والأعمال إلا بالزهد والتقوى عن محبة الدنيا وعن محبة المكاره والفضول وعن محبة النفس وصفاتها، فإنها حينئذٍ تفتح الطريق ويكون طالبها من أولئك الفريق، وذلك أن أدنى معية تكون حجابًا عن القلب حتى تمنعه الصفاء عند ذكر الله ونحوه من الأعمال الصالحة، فيكون منعًا من مواطئة الباطن الظاهر ولو بوجهٍ ما وذلك نفاق في طريق الخواص .

وذلك لأن القلب في غاية الرقة واللطافة **كالمرآة الصقيلة** تتكدر بأدنى نفس وماء، وبصفاء التقوى وكمال الزهد يتصقل القلب ويصير العبد راسخًا في العلم، وغاية ذلك أنه يطلع على ما أراده الله تعالى من خطابه في كتابه العزيز من العلوم الغير المتناهية التي لأجلها لا تنحصر عجائب القرآن، ولا يخلق بكثرة الرد.

وقد نقل الإمام الغزالي -نفع الله به- في **«الإحياء»** عن بعض السلف -نفع الله بهم- أن لكل آية من «القرآن» ستين ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر، ولهذا يحتاج الفهم إلى الوقوف على معرفة جميع العلوم والاطلاع على هم الخلائق أجمعين كما قاله أبو سعيد الخراز نفع الله به.

ونقل الغزالي عن بعضهم أن فهمه يحتاج إلى خمسة وسبعين ألف علم ومائتي

علم، وليس مراد الخراز اشتراط وقوف الراسخ على جميع الراسخين في العلم مع توقفهما في معنى «الأب» في قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] حتى امتنعا عن الخوض فيه.

ونقل في الإحياء عن ابن مسعود ﷺ أنه قال يوم مات عمر: اليوم ذهب تسعة أعشار العلم، ولاشك أن أبا بكر أفضل منه، ولا فضل إلا بالعلم الحقيقي، وإنما أراد الخراز العلوم الكلية الحقيقية لا تفاصيل العلوم المتداولة اليوم، فإن أكثرهم لم يعرفها جمهور الصحابة وأكابر أهل بيت النبوة أصلاً.

بل المراد معرفة جميع مراتب الفهم التي تبلغها أصناف الخلائق بهممهم وتوجههم إلى الحق والانقطاع عما سواه، بدليل أنه قال في آخر كلامه: واطلعوا على همم الخلائق، وهو يصلح تفسيرًا لأول كلامه فيحمل عليه.

وقد يكون العبد عالمًا بالله ذا يقين كامل، وليس عنده علم من فروض الكفايات، وقد كان علماء الصحابة وأكابر أهل البيت -نفع الله بهم- أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة، وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعض الصحابة وبعض أهل بيت النبوة مع الاتفاق على فضل الصحابة وأهل البيت، وليس ذلك إلا بكمال عملهم بالله ويقينهم فيه حتى كان بعض الصحابة، وبعض أهل البيت يردون الناس في علم الفتوى إلى بعض علماء التابعين، ويعلمون علماء التابعين حقائق اليقين ودقائق المعرفة لأنهم كانوا أقوم منهم بذلك.

ومن ثَمَّ كان أهل هذه العلوم أشرف الخلائق وإن كان في غيرهم من العلماء

من هو أعبد منهم، أما العلم فلأن فضيلة الإنسان بفضيلة العلم، وأما العمل فلأن رزانة الأعمال وشرفها على قدر الحظ من العلم، وهم قد جاوزوا العلوم الرسمية إلى العلوم اللدنية من انصباب أنوار المشاهدة وعين اليقين، فعلهم أفضل من أعمال سائر العلماء وإن تعبوا أكثر من تعبهم، ومن ثم قال الإمام الشريف عبد الرحمن السقاف علوي: أوقية من عمل الباطن تعدل ثلاثمائة رطل من عمل الظاهر، وبنحو ذلك قال ولده السكران وولده المحضار، ومن ثم كان أسلافنا العلويون -نفع الله بهم- لشغفهم بهذا المنهج لعلوه جل انتفاعهم واشتغالهم بفنونه حتى قال الإمام الشريف العيدروس: لو بعث الله الموتى ما أوصوا الأحياء إلا بها في الإحياء، وكان الإمام الغزالي يقول: من لم يكن له نصيب من علم الباطن أخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى النصيب منه التصديق وتسليمه لأهله.

وكان الشيخ أبو المواهب الشاذلي يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله إني متطفل في علم التصوف، فقال: اقرأ كلام القوم، فإن المتطفل على هذا العلم هو الولي، وأما العالم به فهو النجم الذي لا يدرك.

فالقليل من عمل هؤلاء يقوم مقام الكثير غيرهم، لأن هؤلاء يبالغون في تنويره بتكميل شرائطه، فالركعة الواحدة منهم تقوم مقام ألف ركعة من غيرهم كما يشير إليه قول ابن مسعود نفع الله به: «إن الجل من هذه الأمة يبلغ عمله يومًا واحدًا أثقل من سبع سماوات وسبع أرضين في الوزن»[1].

وعن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ نظر إلى جبل أُحد: **«رُبَّ رجل من**

---

(١) رواه الحكيم الترمذي (٢/ ٢٠٤).

أمتي يعدل الحرف الواحد من تسبيحه هذا الجبل»[1].

قال الحكيم الترمذي: فاللحظة من سائر العارفين المقربين أعظم من إعمال الثقلين من عمر النبي نوح.

وقال أبو القاسم الصقلي: ركعة من عارف أفضل من ألف ركعة من عالم، ونَفَسٌ واحد من أهل حقيقة التوحيد أفضل من عمل كل عالم وعارف.

وفي الإحياء للغزالي: إن نَفَسًا من عارف أفضل من درجة ألف شهيد.

ومن ثم قال العارفون: إن نَفَسًا من أنفاس الغوث الشريف الجد الفقيه محمد بن علي علوي -نفع الله به- يعدل عمل الثقلين كيف لا؟ وهو القائل: أنا في الأولياء كمحمدٍ ﷺ في الأنبياء.

بل هؤلاء العارفون وإن لم يتعبدوا بالنوافل فهم أفضل يتعبد بها من العلماء الرسمية لقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلى على أمتي»[2]، ولا نسبة لفضله ﷺ على الأمة إلا كنسبة الوجود إلى العدم، وإنما كان فضل هذا العالم كفضله عليه الصلاة والسلام على الأمة، لأنه يكون محل النظر الإلهي وواسطة فيضه كان، لكنه عليه الصلاة والسلام بالأصالة وهذا بالتبعية.

فإن قلت: الاستدال بالخبر المتقدم على هذا العلم الذي تعينه غير تام؛ لأنه وارد في العالم والعابد المطلقين، فيدق بالعالم الرسمي والعابد بلا علم، بل هو المتبادر إلى الفهم.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢/ ٣٠٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥).

فالجواب: ما قدمناه من أن بعض الصحابة كانوا يردون الناس في علم الفتوى إلى بعض علماء التابعين لكونهم أقوم بهذا العلم منهم ويعلمونهم هذا العلم، فلو لم تكن الإشارة في الخبر المتقدم إلى هذا العلم للزم كون بعض علماء التابعين أفضل من بعض علماء الصحابة ولا قائل به.

وبالجملة: فهذا العلم بالنسبة إلى العلم الرسمي كالزُّبد المستخرج من اللبن الذي هو علم علماء الرسم المخصوصين بأصل الإيمان واليقين النظري.

نعم! ولاشك أن للعالم الرسمي فضيلة على العابد العالم بذلك العلم، ولفظ العابد عام يطلق على هذا وعلى هذا.

ومما يدلك على فضل هذا العلم الذي اهتم به العارفون -نفع الله بهم- قول القطب الأوحد إسماعيل الجبرتي الهاشمي العقيلي -نفع الله به- قد ينال المرء بمسالة من مسائل علمنا هذا ما لم ينله بمجاهدة خمسين سنة.

ومما يدل على شرفه أيضًا قول سيد الطائفة الجنيد -نفع الله به-: «الإيمان بطريقتنا هذا ولاية»[1] يعني: نصيبًا منها؛ وإن كان أدنى ليس له حكم الولاية الخاصة، كما أن المؤمن بالنبوة له نصيب منها، وإن لم يحكم له بها.

ومما يدل على شرف هذا العلم أيضًا قول سيدي زروق -نفع الله به-: العافية الكاملة هي سكون القلب إلى الله تعالى باليقين الموجب للرضا والتسليم، والبلية كلها في الشك والاضطرار والتردد بين الخواطر المتزاحمة التي لا يهنأ لصاحبها عيش ولا يقر له قرار.

---

(١) انظر: الكواكب الدرية (١/ ٥٧٣)، وروض الرياحين (ص٥)، وكتابنا الإمام الجنيد (ص١٦٣).

ومما يدلك على شرف هذا العلم أيضًا ما روي: أن رجلًا جاء إلى معاذ؛ فقال: أخبرني عن رجلين أحدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين بعثور الشك؟ فقال معاذ: ليحبطنّ شكه عمله.

قال: فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب!

فسكت معاذ؛ فقال الرجل: والله لئن أحبط شك الأول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها، فعند ذلك أخذ معاذٌ بيد الرجل، وقال: ما رأيت الذي هو أفقه من هذا!

وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه.

وبالجملة: فلا ينفع العمل بدون التنوير المفيد للمعية وانشراح الصدر كما قال معاذ، بل ها التنوير يزيل ظلمة المعاصي فيوفق للتوبة كما قاله سائل معاذ لا عمل بدون هذا التنور، وذلك لأن العمل إنما سمي عملاً عند تكميله بأداء حقوقه.

ولا يمكن ذلك مع بقاء ظلمة النفس كما أشر إليه لقمان فتنبه لذلك أيها الطالب الراغب، فإن أهل المعرفة قالوا: إذا أراد الله بعبدٍ سوءًا سدَّ عليه باب العمل وفتح باب الكسل، وقالوا أيضًا: علامة رضا الله على العبد نشاطه عند الطاعة وتكاسله عند المعصية، وعلامة سخطه عليه نشاطه عند المعصية وتكاسله عند الطاعة.

ومن ثَمَّ قال القطب الشريف عبد الله العيدروس: والكنوز كل الكنوز في دفائن المجاهدات.

وأنشد شعرًا:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وقال أخو العيدروس الشريف القطب علي بن أبي بكر: «بالجد والاجتهاد تدرك غاية المراد، وبالعزمات الصحاح يشرق مصباح الفلاح، وما حصلت الأماني بالتواني، ولا ظفر بالأمل من استوطأ فراش الكسل، وإياك أن تقول: إن قُدِّر شي وصل، وإن كان مقضي في الغيب حصل، فبالحركات تحصل البركات، وبالهز يسقط الثمر، وأم العجز أبدا عقيم».

وأنشد شعرًا:

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
تروم المجد ثم تنام ليلاً يغوص البحر من طلب الآلي
ومن رام العلى من غير كد أضاع العمر في طلب المحال

وفي الحديث: «إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له واعظًا من نفسه يأمره وينهاه»[1]، انتهى.

ومن ثم قال الشاعر رحمة الله عليه:

وليس تنهى النفس عن غَيّهَا ما لم يكن منها له زاجر

واعلم أن القدرة جارية بالسب والمسبب معًا، بتأثير المسبب وبتأثير المسبب، وهى قائمة بالسبب مع استغنائها، وإنما الحكمة اقتضت الارتباط لغلبتها على ظهور

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٩٩).

القدرة في هذه الدار، لذلك اقتضت ارتباط المسببات بالأسباب في الدنيا، كما أن في الآخرة الظهور للقدرة مع بطون الحكمة.

والعمل في الآخرة على ما خرجت عليه من الدنيا إلى الآخرة، فمن وفق في الدنيا للأسباب كان ذلك علامة على حصول مسبباتها من مواعيد الله الكريم عليها كعلامة الدخان على النار، وقد تنال تلك السعادة مع التوحيد بدون ذلك، لكن كما أن الرزق لا ينال غالبا إلا بالحركة مع القطع أن القدرة في إيصاله إلى العبد غنية عن الحركة، وقد يحصل الرزق الكثير بدون حركة، فلذلك تلك السعادة والعمل على الغالب.

وإيضاح ذلك أن أفعال الله على نوعين:

أحدهما: بطريق تدبير الحكمة، أي تكون الشيء إلى مدة معلومة كالشجر إذا غرس يثمر في أوانه.

وثانيهما: بطريق تصريف القدرة مثل قوله: كن فكان في الحال، والذي كوشف بصرف المعرفة من أولياء الله تعالى يرى تصريف القدرة من سر تدبير الحكمة، أي: إن من يقدر مثلاً على قوام البدن بالقوت الجسماني قادر على قوامه بالقوت الرحماني من غير غذاء ظاهر كما قال سيدي أبو عبد الله القرشي نفع الله به: «العارف هو الذي يرى تصريف القدرة وتدبير الحكمة في نظرة سيان».

وذلك أن العارف الذي وصل إلى مقام تصريف القدرة، أعني إذا قال للشيء كن فيكون في لحظة واحدة كإثمار الشجر في ساعة واحدة بخلاف مقتضي العادة، ثم صدر منه فعل على طريق تدبير الحكمة، كأن غرس شجرة وأثمرت هذه

الشجرة على مدة معلومة لا يفرق بينهما، فإذا وجد فرقا ما بين هذين الفعلين بالإعجاب بأحدهما وما استويا في نظرة هذان الفعلان فليس بعارف، وإلا **فالله تعالى** غنى عن الأسباب بل لا اثر لها بل المؤثر هو الله تعالى عند وجودها لا به، غير أنه جرت سنة الله أي: عادته المستمرة التي لا يفعل خلافها إلا لإظهار معجزة أو كرامة في إعطاء الأسباب حقها لإقامة رسم الحكمة لما في ترتيبها من ظهور لطائف العلم وغرائبه، وإهداء بعض، وإضلال آخرين إبقاء لتجلي الجلال والجمال حقه.

ومن ثم قد يفتح الله على بعض عبيده عناية بذلك العبد بابًا من التعريف يعرف به كمال قهره على العصاة بأن يؤاخذه على كل معصية صدرت منه بخلاف المستدرج الذي يجهل حتى يتوهم انه يمهل، حتى لو جرى على هذا العبد المذكور يسير من ذنب حاله بإخلاله بأدب من آداب الطريقة أو الذنب الشرعي الذي هو الذنب المطلق بالنسبة إلى أهل الظاهر وأهل الطريقة والحقيقة لوجد بعد ذلك عقوبته فورا أو في يومه ذلك وليلته تلك، ولا تتأخر العقوبة وراء ذلك، وتلك العقوبة كما قال بعضهم -نفع الله بهم-: إني لأعرف ذنبي في سوء خلق غلامي يؤدبني الله جزاء على ما صدر مني.

وهذا من عناية الله تعالى بعبده رزقنا الله لك، وحَفَّنا بعنايته.

واعلم أنه ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم** فقيل: يا رسول الله، كيف يسبقنا بالعلم؟ **قال**: «**يقول: اطلب العلم، ولا تعمل به حتى تعلم، فلا يزال العبد في العلم قائلًا، وفي العمل مسوقًا حتى يموت وما عمل**»[1] انتهى.

(١) ذكره العراقي في تخريج الإحياء (١٥٣)، وعزاه للخطيب في الجامع (١/ ١٣٢).

ومن ثَمَّ كان بعض مشايخي -رحمه الله تعالى- يقول: الذي يتعلم العلم ولا يعمل به كالذي يتوضأ دائمًا ولا يصلي لله ركعة، وكان كثيرًا ما يقول لبعض تلامذته: توضأ وصلِّ، إشارة إلى ذلك، أي كما علمت علمًا نافعًا فاعمل به وإلا فقد قال الشاعر رحمة الله تعالى:

لو كان للعلم من دون التقى شرفًا لكان من خير خلق الله إبليس

ومن ثم قال ابن مسعود ﷺ: «ليس علم بكثرة الرواية، إنما العلم الخشية» أي: إنما المقصود منه العمل إلى توجبه الخشية اللازمة للعلم.

وأما قوله في النظم: (يجل ليل حالك) أي: بنهار المعرفة بالله تعالى الذي هو مع كمال ظهوره في الخلق احتجب عنهم بصفة غناه الذاتي، واحتجب عنهم بكونه مقدسًا عن صفات الكائنات، والشيء لا يدرك ما ليس فيه فلا تدرك الكائنات له؛ فبالضرورة احتجب عنهم واحتجب عنهم بقهره لمدركات الكائنات إن تصل إليه.

هذا وكمال الظهور لا ينافي الاحتجاب كنور الشمس لما كان في غاية الإشراق التبس على بعض الناس أنه ليس سوى ألوان الأشياء ولولا ظهور التفرقة بين النور وألوان بغروب الشمس لدام الالتباس بأن نور الشمس ليس إلا ألوان الأشياء، لكن إذا غربت الشمس لم توجد ألوان الأشياء أصلا، فعلم إن نور الشمس شي أخر، وألوان الأشياء شيء آخر.

وليس كذلك في وجود الله تعالى فإن إشراقه على الكل بلا تفرقة إلا فلم يرتفع الالتباس، فسبحان الأول والأخر والظاهر والباطن الذي لا يدر كحال البصيرة -الذي هو قوة الروح- كنه حقائق أسمائه وصفاته عن كنه ذاته المطلقة، وإذا كان هكذا حال لبصيرة فكيف حال البصر والعقل؟

ومن **ثَمَّ قال الصديق** الأكبر ﷺ: العجز عن درك **الإدراك إدراك**<

وقال: سبحان من لا سبيل إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، **فهو الملك** الجليل العظيم القهار الواسع العليم الذي ما عرفه حقيقة غيره حتى قال العارف إسماعيل الجبرتي نفع الله به: القران فيه جميع أسماء الله تعالى التي يعرف بها والتي ما يعرف بها، واسمه «الله» جامع لجميع مراتب الأسماء، وهذه الأسماء التي يعرف بها كالشريعة، وذات الله أعجزت القرآن.

وقال أيضًا: الله أكبر عجزت أسماء الله عن معرفة الله، أسماء الله تطلبه كما نطلبه، قال تلميذه العارف أحمد الردَّاد -نفع الله به- يعني: إن الأسماء من حيث كونها اسمًا تطلب عين المسمى؛ فلا تحمل منه الأسماء إلا ما هي قائمة به من المعاني، وأما الأسماء من حيث كون المسمى إياه وعينها فعين واحدة مستغرقة لكل عين ولكل أثر، ولا عين ولا أثر ولا علم ولا خبر، والله بكل شي محيط، انتهى.

فسبحان من لشدة ظهوره احتجب عنا بنوره فلم نعرفه سوى من وجه دون وجه، وبالجملة فله التفرد عن المظاهر بمقتضى «**كان الله، ولا شيء معه**»(١)، وله الظهور فيها بمقتضى ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد:٤] لكنه لا يتقيد بذلك، فإنه من وراء ذلك بمقتضى ﴿**أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ**﴾ [فصلت:٥٤] وصلواته وسلامه على الوسيلة الكبرى إليه وعلى آله وأصحابه الفائزين بالحظ الأوفر مما لديه.

***

(١) تقدم تخريجه.

obeikandi.com

خاتمة الرسالة

وهنا انتهت هذه التعليقة التي استمددنا فيها من عوارف، عوارف العارفين وذوارف لطائف الواصلين خصوصًا كتاب «عوارف المعارف»، وشرحه «زوارف اللطائف» للمحقق الشيخ علي المهايمي -رضي الله عن الجميع ونفع الله بهم- في كل وقت وحين.

وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين والحمد لله رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نعم المولى ونعم البصير.

Obeikandl.com

obeikandl.com

الفَوائد الحِسان
على
الإعلام بإشارات أهل الإلهام

للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي

حَقَّقَهُ ووضع فوائده

الشيخ أحمد فريد المزيدي

obeikandl.com

obeikandl.com

ترجمة الشيخ المصنف

هو سيدنا الشيخ محمد بن على بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، العارف الكبير، محيى الدين بن عربي، ويقال ابن العربي.

ولد بمرسية، سنة ستين وخمسمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى إشبيلية سنة ثمان وسبعين، ثم ارتحل وطاف البلدان، فطرق بلاد الشام، والروم، والمشرق، ودخل بغداد وحدَّث بها بشيء من مصنفاته.

كان عارفًا بالآثار والسنن، قوي المشاركة في العلوم، أخذ الحديث عن جمع، وكان يكتب الإنشاء لأحد ملوك المغرب، ثم تزهد وساح، ودخل الروم، والحرمين، والشام، وله في كل بلدٍ دخلها مآثر.

وقال البساطي: وعنه أخذ ابن الفارض والقونوي

وسئل الحافظ أبو عبد الله الذهبي عن قول الشيخ محيي الدين في كتابه «الفصوص» ما نصَّه: إنه ما صنفه إلا بإذنٍ من الحضرة المحمدية فقال: ما أظن أن مثل الشيخ محيي الدين يكذب أصلاً، مع أن الحافظ الذهبي كان من أشد المنكرين على الشيخ محيي الدين، وعلى الطائفة الصوفية هو وابن تيمية، وممن أثنى على الشيخ قطب الدين الشيرازي، وكان يقول: إن الشيخ محيي الدين كان كاملاً مكتملاً في العلوم الشرعية والحقيقية، ولا يقدح فيه قدح من لم يفهم كلامه ممن لم يؤمن به، كما لم يقدح في كمال الأنبياء نسبتهم إلى الجنون، والسمر على لسان من لم يؤمن بهم.

وكان الشيخ مؤيّد الدِّين الجندي يقول: ما سمعنا بأحدٍ من أهل الطَّريق اطَّلع على ما اطَّلع عليه الشيخ محيي الدين، وكذلك كان يقول: الشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ كمال الدِّين الكاشي، وقالا فيه: إنه الكامل المحقق صاحب الكمالات والكرامات، مع أن هؤلاء الأشياخ كانوا من أشدّ الناس إنكارًا على من يخالف كلامه ظاهر الشريعة.

وممن أثنى عليه الإمام فخر الدِّين الرَّازي وقال: كان الشيخ محيي الدِّين وليًّا عظيمًا.

وممن أثنى عليه الإمام اليافعي: وصرَّح بولايته العظمى كما نقل ذلك شيخ

الإسلام **زكريا الأنصاري** في شرحه للرَّوض، وكان اليافعي يجيز رواية كتب الشيخ محيي الدِّين، ويقول: إن حكم إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطّريق حكم ناموسة نفخت على جبل تريد إزالته من مكانه بنفختها، قال: ومن عادى أولياء الله تعالى فقد عادى أنبياء الله تعالى، وإن كان لم يبلغ حدّ التكفير الموجب للخلود في النَّار.

وممن أثنى عليه الشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي، وترجمه بأنه مربيّ العارفين، كما أن الجنيد مربيّ المريدين، وقال: إن الشَّيخ محيي الدين روح التنـزلات والإمدادات، وألف الوجود، وعين الشهود، وهابه المشهود الناهج منهاج النبي العربي -قدِّس الله سرُّه- وأعلى في الوجود ذكره.

وقد صنَّف الشيخ سراج الدِّين **المخزومي** كتابًا في الرد عن الشيخ محيي الدين، وقال: كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لا يفهم من كلام الفتوحات أو غيرها، وقد وقف على ما فيها نحو ألف عالم أو أكثر، وتلقوها بالقبول قال:

وقد شرح كتاب «الفصوص» جماعة من أعلام الشافعية منهم الشيخ **بدر الدين ابن جماعة**، وشاعت كتبه في جميع الأمصار، وقُرأت متنًا وشرحًا في غالب البلاد ورويناها في القراءة الظاهرة في الجامع الأموي وغيره بالإسناد، وتغالى الناس في شرائها، ونسخها وتبرَّكوا بها وبمؤلفها لما كان عليه من الزهد، والعلم، ومحاسن الأخلاق، وكان أئمة عصره من علماء الشام، ومكة، كلهم يعتقدونه ويأخذون عنه، ويعدّون نفوسهم في بحر علمه كل شيء، **وهل ينكر على الشيخ محيي الدين إلا جاهلٌ أو مُعاند؟**.

مات ختم الولاية ﷺ بدمشق في ربيع سنة ست وثلاثين وستمائة، ودفن بالصالحية، بتربة ابن سراقة.

وانظر: كتابنا: «النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر»، وكذلك: «إرشاد ذوي العقول عن براءة الصوفية من الاتحاد والحلول»، وعمن قريب: «الجامع الأزهر في نصرة الشيخ الأكبر».

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الحول و القوة

قال الشيخ الإمام المحقق المتبحر محيي الدين أبو عبد الله محمد بن على بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ﷺ: هذا كتاب «**الإعلام بإشارات أهل الإلهام**»، سألنا في تقييده بعض من يكرم علينا من الإخوان، فأمثلتنا مرسومة على وفق ما تمنى، و لم أتعدى فيه غرضه، و الله ولى التوفيق لا رب غيره قال تعالى: ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**﴾ [مريم:٢٩]، وقال رسول الله ﷺ للسوداء: «أين الله؟- و كانت خرساء- فأشارت إلى السماء، فقال ﷺ لسيدها: أعتقها فإنها مؤمنة»(١).

باب في الرؤية

قال الصديق ﷺ: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله.

وقال الفاروق ﷺ: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله معه.

وروى عن عثمان ﷺ: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله بعده.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله عنده.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئًا حين رأيت.

ومنهم من قال: ما رأيت شيئًا.

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٨١).

openelkanal.com

ومنهم من قال: من رآه لم ير شيئًا.

ومنهم من قال: لا يرى إلا في شيء.

ومنهم من قال: أغلقت عيني ثم فتحتها، فما رأيت إلا الله.

ومنهم من قال: من رأى نفسه فقد رآه؛ فإن الرؤية تتبع، ومن عرف نفسه عرف ربه.

و منهم من قال: لا تثبت الرؤية إلا بنفيها؛ فمن لم يره فقد رآه.

ومنهم من قال: منذ رأيته لم أر غيره.

ومنهم من قال: لا يراه إلا من عرفه على ما عرفه.

فوائد على الباب المتقدم في الرؤية

* قلت العبد الفقير أحمد بن فريدي المزيدي الأكبري:

قال الشريف ابن ناصر الكيلاني في «مجمع البحرين»: وبيان ذلك أنه لما أراد الله تعالى وجود الممكنات، وأمرها بالتكوين، ولم يوجد وجود يتصف به، إذا لم يكن ثمة إلا وجود الحق تعالى، فظهرت صورًا في الوجود الحق، فتداخلت الصفات الإلهيَّة والكونيَّة، فوصف الحق بصفات الكون، ووصف الحق بصفات الحق، فَمَنْ قال: ما رأيت إلا الله صدق، ومَنْ قال: ما رأيت إلا العالم ما كذب، ومَنْ قال: ما رأيت العالم إلا ورأيت الله قبله، أو بعده، أو معه صدق، ومَنْ قال: ما رأيت شيئًا صدق؛ لسرعة الاستحالة، وعدم الثبات، وعين الوجود، وهو عين الفساد لا أنه بعد الفساد يوجد العين.

وقال سيدي مصطفى البكري في السيوف الحداد: وتختلف أذواق أهل هذه المشاهد، فمنهم مَن يكون ذوقه صديقيًّا، فيقول: مَا رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله.

فأولاً رأى قيوميَّة الحق وتجلِّيه على الشيء، ثم رأى الشيء ولم ينفِهِ ولو نفاه؛ لكان سُكرًا، فكان مشهده كاملاً حيث جمع بين شهود الحق والخلق في آنٍ، لكنه غلب عليه شهود الحق، فرآه أولاً ثم رآي الخلق.

ومنهم: مَن يكون مشهده فاروقيًّا، فيقول: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله فيه: أي متجلِّيًا بقيوميته عليه، وهذا المشهد دون الأول من حيث الذوق.

ومنهم: مَن يكون مشهده مشهدًا عثمانيًا، فيقول: ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله معه.

ومنهم: مَن يكون مشهده مشهدًا عَلويًّا، فيقول: ما رأيت شيئًا إلا ورأيت الله بعده.

وثمَّ فوق هذه الأذواق أذواق كثيرة لا حدَّ لها ولا نهاية، قد ذاقها الأصحاب والأحباب، ساروا على منهج السنَّة والكتاب.

ولقد سألت شيخنا الهمام سيدي الشيخ عبد الغني حفظ الله وجوده للأنام عن مقام المعرفة الخاصة، هل يكون بدون جدٍّ واجتهاد.

فقال: لا، فقلت: ولا بد فيه من الذوق والوجدان، والقال لا يكفي دون الحال.

فقال: نعم، فقلت: وكيف السبيل إلى طريق الذوق والوجدان.

فقال: بملازمة الطاعات ونوافل الخيرات والاشتغال بالله والإقبال عليه، كما نصَّت عليه الأشياخ. فبهذا يحصل الذوق لطالبه أو ما هذا معناه، وسألته عن أهل مقام الجمع.

فقال: أولئك قومٌ سُكارى، فالسكران لا يعول على قوله فإنه يقول: أرى كذا وكذا والصاحي ينكر قوله؛ لعلمه أن ما يدَّعيه غير صحيح في نفس الأمر، وإنما تخيَّل لفرط سكره، إن الأمر كما أخبر وليس كذلك؛ بل الأمر كما هو عند الصاحي، فإن السكر حال مدهش يُذهب بعقل صاحبه فلا يعتد بكلامه بها معناه.

فقول السكران: ما في الوجود إلا الله حق من وجه؛ لأن الوجود الحادث قائمٌ به تعالى، فالوجود على الحقيقة له؛ إذ قيام الكل به، لكنه لما أنكر وجود الخلقيَّة بالكليَّة.

قلنا: بسكره، وردنا قوله: فإنها ثابتة حسًّا وشرعًا وعقلاً، وقد يقول الصاحي مثل قول السكران، لكنه يعني من وجهٍ دون وجه، فمن حيث أن الكل هالك بالنظر لنفسه فإن الشيء لا يعطى لنفسه وجودًا، فإنه معدومٌ بالنظر لها أيضًا، وأمَّا بالنظر لمفيض الوجود عليه فهو ثابتٌ به باقٍ بإبقائه.

فقول سيدي محي الدِّين قَدَّس الله سرَّه: (**فلولاك ما كنَّا**): أي من حيث أن وجودنا بك، ولولاي لم تكن: أي آثار أسمائك الحسنى، فإن الأسماء تطلب الآثار، فإن المانع يطلب من يمنعه، والمعطى كذلك ولا ظهور للآثار إلا بظهور المؤثرات.

ولهذا لم يكن ظهور الكون إلا عن الأسماء وطلبها، كما ذكره الشيخ في «إنشاء الدوائر»، وفي «عنقاء مغرب».

وأمَّا بالنظر إلى الذات العليَّة المتعزز درك كنهها بالكليَّة؛ فهي مُطلقة غنيَّة حتى عن الإطلاق والكل في قيد وفي وثاق، فلا تعلّق لها بشيء إلا من حيث الإمداد، ولا يتعلق بها شيء إلا من حيث الاستمداد، والأسماء الحسنى هي الوسائط التي لولاها كنَّا من البسائط.

ثم قال: «فكنت»: أي «كنـزًا مخفيًّا» ولم تزل على ما كنت عليه إلى الأبد في الأزل وكنَّا بك أعيان ثابتة في العلم ثم أبرزت صورة ما في علمك لا الذي في علمك، فإنه قديمٌ لا تحلَّه الحوادث، وهذا معنى قول الشيخ الأعيان الثابتة: أي في العلم ما شمت رائحة الوجود: أي في العين.

ثم قال: والحقيقة لا تدري إلا بمنحة منك وكشف عنها، فهناك يكون الإدراك بك وإذا كان بك فلا إدراك، أو يكون أراد بالحقيقة الحقيقة الإلهية.

وهي كما قال ﷺ: فالأنبياء والمرسلون لا يدركون كنه الذات العلية؛ بل عمَّ بالنظر إلى الكنه في حيرة جليَّة، وأمَّا التجليات الواقعة في الدنيا والآخرة فلا تخرج عن رتبة التقييد والتجليات المطلقة، فلا حظَّ للعبد فيها إلا أن رتبة التقييد وإدراك التجلِّي المطلق لا يتخلص للعبد على ما حققه الشعراني ﷺ في «الميزان الذرية» إلا عند فنائه لا في حال بقائه مع الحق، وحينئذٍ فما رأى إطلاق الحق إلا الحق فافهم.

قال: وإيَّاك والغلط، فإنه لا حلول ولا اتحاد ولا يلحق عبد رتبة الحق أبدًا ولو صار الحق سمعه وبصره وجميع قواه، فإن الحق تعالى قد أثبت عين العبد معه بالضمير في قوله في الحديث القدسي: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**»، إلى آخر النسق، فإن قيل أن كلام الحق تعالى قديم.

وقد قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وهذا يُشعر بأنَّا معه في الأزل، كما يقول بذلك الفلاسفة.

قلنا: التحقيق أن العالم قديم في العلم الإلهي..

وقال الشيخ عبد الوهاب الشعراني ﷺ في «الميزان الذرية» في الكلام على الرؤية والفرق بينهما وبين المشاهدة:

اعلم يا أخي رحمك الله أن رؤية الحق سبحانه وتعالى لا يعرف حقيقتها إلا من عرف حقيقة رؤية رسول الله ﷺ، أو غيره من الأموات، الذين مضوا، ونحن نبين لك ذلك، فنقول: حقيقة رؤية رسول الله ﷺ **أو أحد من الأموات**، وأنه مثالٌ ينتجه الله تعالى من تلك الذَّات المرئية في عالم الخيال، فيرتسم في النفس بصورة المرئي، فليس مراد الرائي الصادق برؤية رسول الله ﷺ في المنام رؤية حقيقة شخصه ﷺ الموقع في قبره الشريف بالمدينة؛ فإن ذاته الشريفة منـزَّهةٌ عن كُلفة المجيء والرواح من البرزخ إلى مكان الرائي، وربما رآه ﷺ ألف واحدٍ في ليلةٍ واحدةٍ في ألف موضعٍ، وهو في كل موضعٍ على حالةٍ لا تشبه الأخرى، ومثل ذلك محالٌ في العقل، وإن كانت القدرة الإلهية أوسع من ذلك، وهذا هو معنى حديث: «**مَنْ رأني في المنامِ فَقَدْ رآني حقًّا؛ فإنَّ الشيطانَ لا يتمثَّل بِي**[(١)]». فليس معناه أنه رأى روح النبي ﷺ ومظهر ذاته، وإنما معناه أنه رأى مثال روحه المقدَّسة، التي هي محلُّ النبوة، فإن روح رسول الله ﷺ الباقية بعد موته منـزهةٌ عن الصورة والشكل؛ فافهم.

بخلاف المثال؛ فإنه لا يكون إلا مشتملاً على الشكل واللون والصورة،

---

(١) رواه البخاري (٤٢)، ومسلم (٢٢٦٦)، وأبو داود (٥٠٢٣)، والترمذي في الشمائل (٣٩٠)، بتحقيقنا، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٦١، ٤٢٥)، (٥/ ٣٠٦)، وابن ماجه (٣٩٠٠).

وهذا لا بدَّ منه في طريق التعريف، وإلا لم يكن يُعرف.

وكذلك القول في رؤية ذات الله ﷻ، فإنها منـزَّهة عن الشكل والصورة، ولكن لا يتعقل عبدٌ معرفتها إلا بواسطة تخيل مثالٍ محسوسٍ في الصورة الجميلة التي تصلح أن يُمثَّل بها ذلك الجمال الحقيقي المعنوي، الذي لا صورة فيه ولا لون ولا شكل، ثم يطلق على ذلك المثال أنه حقٌّ وصدقٌ؛ لكونه واسطةً في التعريف.

ويقول النائم: (رأيت ربِّي في المنام)، وليس مراده أنه رأى ذات ربه حقيقةً، وإنما رأى مثال ذاته المتخيلة في وهمه.

فإن قيل: إن رسول الله ﷺ له مِثْلٌ، والله تعالى لا مِثل له.

قلنا: هذا كلام من هو جاهلٌ بالفرق بين المِثْل والمثال.

فإن المثل هو المساوي في جميع الصفات، والمثال لا يشترط فيه المساواة.

وتأمَّل العقل؛ فإنه معنًى لا يماثله غيره، وكثيرًا ما يمثل بالشمس وليس بينهما من المناسبة إلا شيءٌ واحدٌ.

وهو أن المحسوسات تنكشف بنور الشمس كما تنكشف المعقولات بالعقل.

وقد ضرب الله ﷻ المثل لنوره بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الآية. وأيُّ مماثلةٍ بين نوره ونور الزجاج والمشكاة والشجرة والزيت، وكذلك ضرب الله تعالى المثل للحياة الدنيا بالماء النازل من السماء.

وضرب رسول الله ﷺ المثل للإسلام بالقبة، وضرب المثل للعمل باللبن، وضرب المثل للقرآن بالحبل.

فأيُّ مناسبةٍ بين هذه الأمور وبين الأشياء المضروب لها الأمثال؛ ولكن لما كان الحبل مثلا يُتمسَّك به للنجاة والقرآن يُتمسَّك به للنجاة صحَّ التمثيل به.

وقِسْ عليه، وكل ذلك من باب المثال لا من باب المثل، فكما صحَّ ضرب الأمثلة لما ذكر صحَّ ضرب الأمثلة لكل عارفٍ لذات الله التي لا مِثل لها لمناسبةٍ معقولةٍ من صفات الله تعالى.

واعلم أننا لو أردنا أن نعرف مسترشدًا سألنا: كيف يخلق الله الأشياء؟ وكيف يعلمها؟ وكيف يريدها؟ وكيف يتكلم؟ وكيف يقوم الكلام بنفسه؟.

لا نقدر نعرفه معنى ذلك إلا بما عنده من صفات نفسه، ولولا أنه عرف نظير هذه الصفات من نفسه لما فهم مثال ذلك في حق الله ﷻ.

قلت: إن المثال جائزٌ، والمثل باطلٌ؛ وذلك لأن المثال هو ما يوضِّح الشيء، والمثل ما يشابه الشيء من جميع الوجوه، وليس شيءٌ في الوجود يُماثل الحق تعالى.

فالمثال هو المرئي في الدنيا والآخرة، كما سيأتي بسطه في الفصول الآتية إن شاء الله تعالى؛ لأنه لا يصحُّ لعبدٍ أن يرى الذات المقدسة؛ لأنها تنفي بذاتها أن يكون في حضرتها سواها.

وهذا المثال هو المراد بقوله ﷺ: «**رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ**[1]».

وفي روايةٍ: «**في صورةِ شابٍّ**[2]». وهو المراد أيضًا بقوله ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلَى**

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٣٤)، والدارمي (٢/ ١٧٠)، والدراقطني في الرؤية (٢٥٣)، (٢٥٤)، (٢٥٩).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٥/ ١٤٣)، وفي الأوسط (٥/ ٩٣).

صورتِهِ[1]»، وفي روايةٍ صححها ابن النجار وأيَّدها الكشف: «**على صورةِ الرحمن**[2]».

فإنه لا يصحُّ أن يكون المراد بذلك صورة الذات؛ لأن الذات المقدَّسة لا صورة لها إلا من حيث التجلي بالمثال، كما يشهد لذلك خبر مسلم في التجلي يوم القيامة[3].

وكما تجلى جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في صورة دِحية الكلبي[4].

ومعلومٌ أن تمثُّل جبريل في دِحية رضي الله عنه ليس معناه أن ذات جبريل انقلبت صورة دحية، وإنما ظهرت تلك الصورة لرسول الله ﷺ مثالاً مؤدِّيًا عن جبريل ما أوحى به إليه.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا**﴾ [مريم:١٠]، فإذا لم يستحيل ذلك في حق الملك وأن جبريل كان باقٍ على حقيقته وصفته في حال ظهوره في صورة دحية، فلا يستحيل ذلك في حق الله تعالى في يقظةٍ ولا منامٍ؛ لاتفاق جميع المحققين أن المرئي مثال الذات لا عين الذات، كما تقدَّم وكما سيأتي.

ومن فهم الفرق بين المثل والمثال لم يقف في مثل ذلك، وقد أشار رسول الله ﷺ بأن الله تعالى مثالاً يقع التجلي فيه حتى يُعرف بقوله: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورتِهِ**».

---

(١) رواه البخاري (٥٨٧٣)، ومسلم (٢٦١٢)، وأحمد في المسند (٢/ ٢٤٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢/ ٤٣٠)، (١٣٥٨٠)، والدراقطني في جزء الصفات (٤٥)، (٤٨)، (٤٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص٣٨)، وابن أبي عاصم في السنة (٥١٧).

(٣) رواه مسلم (٣١٦)، (١/ ١٧٧).

(٤) رواه أحمد في المسند (٢/ ١٠٧).

وذلك أنه تعالى لما كان موصوفًا بالوجود قائمًا بنفسه حيًّا عالمًا مريدًا قادرًا سمعيًا بصيرًا متكلمًا كذلك ولو لم يكن الإنسان موصوفًا بهذه الصفات ما صحَّ له معرفة هذه الصفات في جانب الحق تبارك وتعالى، ولا تعقُّلها.

ولهذا ورد في بعض الكتب الإلهية: «**مَنْ عَرَفَ نفسَهُ فَقَدْ عَرَفَ ربَّهُ**[1]».

ذلك لأن كل ما لم يجد الإنسان له مثالاً في نفسه يعسر عليه التصديق والإقرار به، ومن شكَّ فيما قررناه فليتعقَّل لنا شيئًا لم يخلقه الله تعالى؛ فإنه لا يقدر قطُّ على ذلك، وهذا يصلح دليلاً لمن منع رؤية ذات الله تعالى لولا ما ورد.

ثم اعلم أن الفرق بين الحق تعالى والإنسان أن الحق تعالى يتقلَّب في الأحوال، والإنسان تتقلَّب عليه الأحوال؛ إذ يستحيل أن يكون للحال على الحق تعالى حكمٌ.

قال تعالى: ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن:٢٩].

فوقعت المشاركة في الأحوال كما وقعت في الأسماء، فافهم هذا الفرق؛ فإنه من أوضح الفروق وأجلاها، فَعُلِمَ أنه ليس المراد بالصورة المخلوق عليها آدم أنها ذات سبع[2] فقط؛ لأن الحيوان كذلك له ذاتٌ، وهو حيٌّ عالمٌ مريدٌ قادرٌ متكلمٌ سميعٌ بصيرٌ، ولو كان المراد ذلك لكان يبطل وجه الخصوصية للإنسان، فإن هذه الصفة إنما جاءت له على جهة التشريف له.

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ١٢٢٥)، وذكر قول الشيخ الأكبر بأنه وإن لم يصح من طريق الرواية لكنه صح عندنا من طريق الكشف، وقد صححه السيوطي وشرحه برسالته: «القول الأشبه».

(٢) أي سبعة صفات.

فإن قيل: فما هذا التغيير الواقع للإنسان في نفسه وصورة الحق تعالى لا تقبل التغيير؟

قلنا: الله تعالى يقول: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١].

ورسول الله ﷺ يقول: «فَرِغَ ربُّك مِنْ ثلاثٍ(١)».

وفي حديث التجلي الأُخروي يتجلى لهم الرب في أدنى صورةٍ، ثم يتحوَّل عند إنكارهم إلى الصورة التي عرفوه فيها بالعلامة.

فهو تعالى هو الذي أضاف إلى نفسه هذا المقام، وهو عريٌّ عن مقام التغيير بذاته والتبديل، ولكن التجلي في المظاهر الإلهية على قدر العقائد التي تحدث للمخلوقات مع الأنات، وإذا كان الأمر على ما ذكرنا وكذلك هو ارتفع الاعتراض الوهميُّ، تعالى الله عن ذلك.

وقد قررنا غير ما مرة أنه ينبغي للإنسان أن يعلم ميزانه من الحضرة الإلهية، فإن الجود الإلهي قد أدخله في الميزان، فيوازن العبد بصورته حضرة موجده ذاتًا وصفةً وفعلاً، ثم لا يلزم من الوزن الاشتراك في حقيقة الموزونين.

فإن الذي يوزن به الذهب أو المسك هو صبخة حديدٍ، فليس يشبه في ذاته ولا صفته ولا عدده، فلا يوزن بالصورة الإنسانية إلا ما تطلبه الصورة الإنسانية بجميع ما تحتوي عليه بالأسماء الإلهية التي توجهت على إيجاده، وأظهرت آثارها فيه، وكما لم تكن صَبخة الحديد تُوازن الذهب في حدٍّ ولا في حقيقةٍ ولا صورةٍ ولا

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٦٨)، (٤/ ٢٢٧)، (٦/ ١٢٧)، ونصه: عمرك، ورزقك، وشقيٌّ، أم سعيد.

عينِ كذلك العبد وإن خلقه الله تعالى على صورته فلا يجتمع معه في حدٍّ ولا حقيقةٍ؛ إذ لا حدَّ لذاته تعالى، والإنسان محدودٌ بحدٍّ ذاتيٍّ، لا رسميٍّ، ولا لفظيٍّ، فالإنسان أكمل المخلوقات وأجمعها من حيث نشأته ومرتبته.

فإذا وقفت يا أخي على هذا الميزان زال عنك ما تتوهمه في الصورة من المشاركة للحق في الحقيقة؛ فإن الله تعالى هو الخالق، وأنت العبد المخلوق، وكيف للصنعة أن تعلم صانعها! إنما تطلب الصنعة من الصانع صورة علمه بها لا صورة ذاته، وأنت صنعة خالقك، فصورتك مطابقةٌ لصورة علمه بك، هكذا كل مخلوقٍ ولو لم يكن الأمر كذلك وكان يجمعكما حدٌّ واحدٌ وحقيقةٌ واحدةٌ كما يجمع زيدًا وعَمْرًا لكنت أنت إلهًا، والأمر كذلك على خلاف ذلك.

فاعلم بأيِّ ميزانٍ تزن نفسك، فإنك صبخة حديدٍ يوزن بها ما لا ثمن له، وإن اجتمعت مع الموزون في المقدار، فما اجتمعت معه في القدر ولا في الذات.

تعالى الله عن ذلك، وإنما قال فيما تقدَّم: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ ربَّه[1]»، ولم يقل: (فقد عرف ذات ربه)؛ لأن الذات لها الغنى على الإطلاق، وأنَّى للمقيَّد معرفة المطلق الذي هو الله، بخلاف الاسم الرب؟! فإنه يطلب المربوب بلا شكٍّ، ففيه رائحة التقييد؛ ولذلك أمر الله تعالى العبد أن يعلم: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الأنعام:١٩]؛ لأن الإله يطلب المألوه، بخلاف اسم الذات الخصيص، فإنه غنيٌّ عن الإضافة.

وهنا أمرٌ ينبغي التفطُّن له، وهو أن معرفتنا بالربِّ لا تكون إلا فرعًا عن معرفتنا بالنفس؛ إذ هي الدليل.

---

(١) تقدم تخريجه.

وإن كان وجود الربِّ هو الأصل ففي مرتبةٍ يتقدَّم فيكون له الاسم الأول، وفي مرتبةٍ يتأخر، فيكون له الاسم الآخر، فيحكم له بالأصل من نسبةٍ خاصَّةٍ، ويحكم له بالفرع من نسبةٍ أخرى، كما قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢] هذا يعطيه النظر العقلي.

وأما الذي تعطيه المعرفة الذوقية فهو تعالى ظاهرٌ من حيث ما هو باطنٌ، وباطنٌ من حيث ما هو ظاهرٌ، وأوَّل من عيَّن ما هو آخرٌ، وآخر من عيَّن ما هو أولٌ، وإزار من نفس ما هو رداءٌ، ورداءٌ من نفس ما هو إزارٌ، ولا يتَّصف بنسبتين مختلفتين أبدًا كما يقرره ويعقله العقل، من حيث ما هو ذو فكرٍ.

فافهم تعلم أنه لا يكلف الإنسان بمعرفة أخصِّ وصف لله تعالى؛ لأنه ليس لذلك الوصف الأخص في المبتدعات والمخلوقات مثالٌ، وكل ما لا مثال له فلا علم للإنسان به ولا اسم له عنده ولا علامة.

ومن هنا قال من قال: (لا يعرف الله إلا الله)، أعني أخصَّ وصفه وكُنْهَ معرفته، كما سيأتي بسط ذلك في الميزان إن شاء الله تعالى.

واعلم أيضًا أن مشاركتنا للحق في مطلق الصفات لا تشبيه فيه؛ لأن شرط التشبيه إثبات المشاركة في الوصف الأخصِّ، وهذا لا يصحُّ.

كما أن من قال: (إن السواد عرضٌ موجودٌ، وهو لونٌ، والبياض عرضٌ موجودٌ وهو لونٌ) لا يكون مشبِّهًا السواد بالبياض، فتأمَّل ذلك؛ فإنه نفيسٌ.

وفي الرؤية بالبصر في الدنيا: رؤية الحق تبارك بعين البصر في هذا الدار ممنوعةٌ لغير سيِّدنا محمدٍ ﷺ، وما بقي لغيره إلا الشهود بالقلب دون الرؤية بالعين،

ومن لازم ذلك الحجاب، وإن تفاوت فيه الناس، ويسمَّى حجاب العظمة، الذي لا يرفع عن وجه الذات أبد الآبدين ودهر الداهرين.

كما أشار إليه: «**وليسَ بين العبادِ وبين أن يَرَوا ربَّهم إلا رداءُ الكبرياء على وجهِهِ في جنَّةِ عَدْنٍ**[1]».

فجميع التجليات الواقعة للعباد في الدنيا والآخرة لا تخرج أبدًا عن رتبة التقييد؛ إذ التجلي الذاتي في غير مظهرٍ ممنوعٌ بين أهل الحقائق، كما سيأتي بسطه في الميزان.

وأنشدوا:

لَمْ يبدُ مِنْ شمسِ الوجـودِ ونورِهـا … عَلَى عَالَمِ الأرواح شيءٌ سِوَى القرصِ
وليسَ تنالُ الـذَّاتُ فِي غـيرِ مظهـرٍ … ولو هَلَكَ الإنسانُ مِنْ شدَّةِ الحـرصِ

وإيضاح ذلك: هو أن رؤية الباري جلَّ وعلا من أكبر النعيم، والحجاب عنه من أكبر الجحيم، ولا يصحُّ لنا نعيمٌ قطُّ ولا عذابٌ في غير مظهرٍ؛ لأن غير المظهر كحالة الفناء لا لذة فيه ولا ألم، فإذا وقع التجلي في المظاهر وقعت اللذات والآلام، وسرت في العالم، فلا حكم للنعيم والعذاب (في) البسيط في الوجود أبدًا، وإنما يوجد في المركب.

ومن هنا كان أبو يزيد البسطامي -رحمه الله- يقول: أهل أحدية الذَّات لا نعيم عندهم، ولا عذاب.

وكان يقول: ضحكت زمانًا، وبكيت زمانًا، وأنا اليوم لا أضحك، ولا أبكي.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٧١٠)، ومسلم (١/ ١٦٣).

ثم اعلم أن التجلي الإلهي لا يكون إلا للاسم (الرب) وللاسم (الإله)، فلا يكون للاسم (الله) ولا للاسم (الأحد) أبدًا.

ولذلك قال السامري: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ [طه: ٨٨]، ولم يقل: (هذا الله الذي يدعو إليه موسى)، فإن كل مشارٍ إليه ذو جهةٍ، والله والأحد لا جهة لهما، وهما عينان لا يطلبان أحدًا، فمن تعبَّد وتذلل للاسم (الأحد) فقد تعبَّد نفسه في غير معبودٍ، وطمع في غير مطمعٍ، وعلم في غير معملٍ؛ لأن الأحدية لا تقبله، ولا يصحُّ له معرفتها؛ لمنافاتها وجود العابد، بخلاف الربِّ؛ فإنه أوجد العبد، فهو يتعبَّد له ويتذلَّل.

وكذلك الإله يطلب مألوهًا، كما سيأتي إيضاحه في فصل ارتباط العالم بالحق من بعض الوجوه.

ثم لا يخفى أن التجلي في المظاهر الإلهية لا يكون أبدًا إلا بصورة استعداد العبد، وغير ذلك لا يكون، كما أشار إليه قوله ﷺ: «المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ(١)»، الذي هو الحق «مرآة المؤمن» الذي هو الخلق، فافهم.

فإذن العبد ما رأى في المرآة الإلهية إلا صورة نفسه، وما رأى الحق ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه ما رأى صورته إلا فيه، كالمرآة في الشاهد إذا رأيت المنطبع فيها لا تراها إلا مع علمك أنك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها، فأبرز الله تعالى ذلك مثلاً نصَّبه لتجليه المظهري؛ ليعلم المتجَلَى له من الخلق أنه ما رآه.

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص٩١)، وأبو داود في سننه (٤٩١٨).

وأنشدوا:

جميلٌ ولا يُهوى جَلِيٌّ ولا يُرى   وتشهدُهُ الألبابُ من حيثُ لا تدرِي
وما ثَمَّ محبوبٌ سواه وإنما   وإنَّما سلمى وليلى والربائب للسترِ

وما ثمَّ مثالٌ أقرب ولا أشبه بالرؤية من هذا الذي ذكرناه.

واجهدْ في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرم المرآة، لا تراه أبدًا ألبتة؛ ولكن إن قلت: إن المنطبع في المرآة صورتك صدقت؛ لأنها نشأت من مقابلتك، وإن قلت: إنها غير صورتك صدقت؛ لأن صورتك لم تنتقل، فافهم هذا؛ فإنه من أعظم ما قدرنا عليه في العلم.

ومن ذاقه فقد ذاق الغاية التي ليس فوقها غايةٌ في حقِّ المخلوق بالنظر للمرئي لا للرائي، فإن الناس متفاوتون في كثافة الحجب وصقالة المرائي، فلا تطمع يا أخي ولا تتعب نفسك في أن ترقى إلى أعلى من هذا المرقى، فما هو ثَمَّ أصلا، وما بعده إلا العدم المحض، فهو تعالى مرآتك في رؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رؤيته أسمائه، ثم لا يخفى أن من المحال أن يكون لعبدٍ الرب كله.

كما أن من المحال أن يكون لعبدٍ القرآن كله، فلكل مخلوقٍ ربٌّ؛ فافهم.

وذلك هو الجزء والمدبر فيه لا غير، ولو اجتهدت أن تأخذ لنفسك من المرآة فوق ما يخصُّ صورتك لم تقدر؛ وذلك لأن الله تعالى واسعٌ عليمٌ، وتأمَّل المرآة إذا كانت كرةً وقُوبلت بالعالم العلوي والسفلي وسعته، وارتسم كله فيها، فلذلك قررنا غير ما مرة أن الحق تعالى قد تعرَّف إلى كل مخلوقٍ بوجهٍ لا يشاركه فيه غيره، فما أحاط به أحدٌ من كل وجهٍ، ولا جهله أحدٌ من كل وجهٍ.

حتى المعطل فإنه لا بدَّ أن يستند في وهمه إلى موجدٍ يلجأ إليه في الشدائد.

وغاية تعطيله أنه نفى صفةً أثبتها غيره لا غير؛ لقصور مطمح بصره وضعفه، فلم يحط بصفات الحق كلها، فما ثَمَّ لنا من يعتقد تعطيلاً على الإطلاق أبدًا.

فوجوه المعارف على عدد الخلق، والسلام.

وجميع من تكلَّم في العقائد إنما تكلَّم في عقيدة نفسه الناشئة من التجليات، لا يتعداها أبدًا، ولا يصحُّ له أن يوصل حقيقتها إلى غيره.

فعُلِمَ مما قررناه أن الحق تعالى لم يزل مجهولاً من حيث الوجوه التي لم يقع للخلق التجلي فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين، ومن يراه منَّا في الآخرة لا يرى عين ذاته الحقيقي.

وإنما هو كشفٌ صحيحٌ خياليٌّ مثاليٌّ، صرحت به الأخبار الصحيحة، وإلا فجلَّت ذات الله أن يُحاط بها.

وكان شيخنا الشيخ عليٌّ الخوَّاص ﷺ يقول كثيرًا: ما عرف الحق تعالى أحدٌ من حيث ما يعرف الحق تعالى نفسه أبدًا؛ لأن الأرواح المدبرة إنما ظهرت بصورة مزاج القوابل، فلا تتعدى في التدبير ما تقتضيه الهياكل، ولا يمكن أن يظهر الحق تعالى فيها إلا بصورة ما تقبله، وما هي على صورة الحق في الحقيقة، وإنما المدبر على صورة المدبر؛ إذ لا يظهر فيه منه إلا على قدر قبوله لا غير، «خلق الله آدم على صورته».

فلا يعلم من الحق ولا يرى منه إلا ما هو عليه الخلق، فمن اعتمد على العالم من هذا الوجه فقد اعتمد على أمرٍ محققٍ لا يتغير دنيا ولا أخرى، فليس الحق إلا ما

obeikandl.com

هو عليه الخلق من العلم به، وهو تعالى في نفسه على ما علم، وله في نفسه ما لا يصحُّ أن يُعلم أصلاً، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

فالقدر الذي حصل تدبيره فيك هو ربك الذي عبدته، ولا تعرف إلا هو، وهو العلامة التي يعرف الحق تعالى بها في الآخرة، وهي في الدنيا في العموم على الغيب، وفي الآخرة على الكشف، فالعامة في الدنيا يعلمونها من أنفسهم، ولا يعلمون أنها المعلومة لهم.

ويقول فيها أحدهم: (ما عوَّدني الله إلا كذا وكذا)، وهذا العلم الذي نبَّهتك عليه من العلم بالله ما أظهرته باختياري، ولكن حكم الجبر حكم به عليَّ، فتحفَّظ به، ولا تغفل عنه؛ فإنه يعلِّمك الأدب مع الله تعالى.

وإذا فهمت هذا علمت أن الحق تعالى إنما هو معك بحسب ما أنت عليه وما أنت معه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

ولم يقل قط: (وأنتم معه) إذ لا يصحُّ أن يكون أحدٌ مع الله، فالله مع كل أحدٍ بما هو عليه ذلك الواحد، ولا يصحُّ التجريد عن التدبير أبدًا؛ لأنه لو صحَّ لبطلت الربوبية، وهي لا تبطل؛ فالتجريد محالٌ، فلا تعقل إلهك إلا مدبِّرًا فيك، ولا تعرفه إلا من نفسك، فنفسك عرفت، والسلام.

وقد قال أبو بكر الشبليُّ ﷺ: إني لا أشتهي رؤية الله تعالى. فقيل له: لِمَ؟ فقال: أُنزِّهه عن رؤية مثلي.

فقال له بعض العارفين ﷺ: نفس شهودك أنك أنت الناظر أقبح من عدم تنـزيهك، ويا ليت شعري! أيُّ نظرٍ لك من ذاتك حتى تنظر به، وهل ينظره تعالى إلا هو!.

وفي بعض الهواتف الربانية: «جهلني عبادي فلم يعرفوني، وكيف يدَّعون معرفتي وأنا لا جسم ولا معنى؟! ولو عرفوني في الدنيا ما أنكروني حين أتجلى لهم في القيامة، فهم لعلامتهم عابدون لا لي، ولعين ما أنكروه مقرُّون، فمن قال منهم أنه عبدني فقد كذب» انتهى.

ولا يخفى أن ذلك في حق الضعفاء من المؤمنين، أما العارفون فلا ينكرون الحق تعالى في تجلٍّ من تجلياته؛ لاطلاعهم في دار الدنيا على المرآة الكبرى الجامعة لسائر الصور، المتفرع منها كل معرفةٍ في العالم، فهم يوم القيامة واقفون لا يتكلَّمون، ولا يستعيذون منه كما استعاذ غيرهم، حتى تنقضي جميع التجليات.

وقد علموا من الله تعالى أنه لا يريد منهم أن يعرِّفوه لأحدٍ من المنكرين في ذلك اليوم العظيم؛ ليجنوا كلهم ثمرة اعتقادهم في دار الدنيا.

وفي قوله ﷺ: «إنَّكم سَتَرَون ربَّكم كما تَرَوْنَ القمرَ ليلةَ البدرِ(١)».

وفي روايةٍ: «كَمَا تَرَونَ الشمسَ فِي الظهيرةِ لَيْسَ دُوْنَهَا سِحَابٌ(٢)».

اعلم أن النور الذي يتجلى الحق تعالى فيه في الآخرة إنما هو نورٌ لا شعاع له، فلا يتعدى ضوؤه نفسه، ويدركه البصر في غاية التجلي والوضوح.

فمعنى قوله: «كما ترون القمر ليلة البدر»: يعني إذا كُثِفَ ليلة بدره؛ لأن عند ذلك يدرك البصر المثال المشبَّه بالقمر إدراكًا محققًا.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٤)، (٧٤٣٥)، (٧٤٣٦)، (٥٥٤)، (٥٧٣)، ومسلم (١/ ٤٣٩)، وأبو داود في السنن (٤٧٢٩)، والترمذي (٢٥٥١)، والنسائي في الكبرى (١/ ١٧٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٦٥)، وفي السنة (٣٧، ٣٨، ١٨٣)، وابن ماجه (١٧٧).

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٧٧)، ومسلم (١/ ١٦٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٤٥٧).

ويؤيده قوله ﷺ لما قيل له: كيف رأيت ربَّك يا رسول الله؟ قال: «نورٌ أنَّى أراه»، فما رأى ذلك النور، وهو نورٌ شعشعانيٌّ، والأشعة تذهب بالأبصار، وتمنع من إدراك من تنشقُّ عنه عند تلك الأشعة.

واعلم يا أخي أنه لم يبلغنا أن أحدًا رأى ربَّ العزة بعين رأسه في الدنيا غير رسول الله ﷺ وأما رؤيته تعالى في المنام فوقعت لكثيرٍ من الأمة ولرسول الله ﷺ.

فروى الطبراني وصححه عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رأيتُ ربِّي ﷻ اللَّيلة فِي صورةٍ شابٍّ له وفرةٌ، وفِي رجليه نعلان من ذهبٍ، وعلى وجهه فراشٌ من ذهبٍ، وعلى رأسه تاجٌ يلتمع البصر**[1]» انتهى.

وقد استنكر بعض العلماء هذا الحديث، وما كان ينبغي له الاستنكار، وذلك لأن للحق تعالى تجليًا في خزانة الخيال في صورةٍ طبيعيةٍ، بصفاتٍ طبيعيةٍ، فيرى النائم في نومه تجسد المعاني في صور المحسوسات، هذه حقيقة الخيال، فيجسد ما ليس من شأنه أن يكون جسدًا، لا تعطي حضرته إلا ذلك، فحضرة الخيال هي أوسع الحضرات؛ لأن فيها يظهر وجود المحال، فإن الله تعالى لا يقبل الصور، وقد ظهر بالصورة في هذه الحضرة، كما قبلها في تجلِّيه يوم القيامة في صور المعتقدات، فقد قَبِلَ محال الوجود، الوجود في هذه الحضرة، وفي هذه الحضرة أيضًا يرى الإنسان الجسم الواحد في مكانين في آنٍ واحدٍ، كما رأى رسول الله ﷺ موسى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء في السماء في حال كونه في الأرض، وقال: «**رأيت موسى**[2]».

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٥/ ١٤٣)، وفي الأوسط (٥/ ٩٣)، وذكره الملا علي القاري في المصنوع (١/ ١٠٢)، وقد تقدم الكلام عليه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٢٤٣)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٨٤).

وما قال: (رأيت روح موسى)، ولا (جسد موسى)، ونظير ذلك رؤية الإنسان في منامه جسمه في مدينةٍ أخرى، وعلى حالةٍ أخرى، يخالف حاله الذي هو عليه في بيته، وهو عينه لا غيره لمن عرف الوجود على ما هو عليه، ونظير ذلك أيضًا مشاهدة المقتول في المعركة في سبيل الله، وهو في حال رؤيتك عند ربِّه حيٌّ يُرزق ويأكل.

وقد رأيت في واقعةٍ وقعت لي طيرًا أبيض طويل العنق، أقبل، فابتلع الوجود العلوي والسلفي، وابتلعني من جملة العالم، فصرت أراه من خارجه، وأنا في جوفه، وما بقي له قرارٌ ينـزل إليه ليستقرَّ، ولا سقفٌ يصعد إليه، ثم جاءت بعوضةٌ، فابتلعت ذلك الطائر بما حواه، ثم غابت عن العين.

وهذا نظير رؤية آدم في حديث القبضتين، حين قيل له: «**يا آدمُ، اخترْ أيَّهما شئت. فقال: اخترتُ يمينَ ربِّي. وكلتا يديه يمينٌ مباركةٌ، فلما بسط الحق تعالى يده فإذا فيها آدم وذريته**[1]» الحديث.

فآدم في هذه القصة في القبضة، وهو عينه خارجٌ عنها، فانسخ يا أخي حكم عقلك، حتى تجمع بين الضدين، وتصدق رسولك ﷺ فيما أخبرك به مما أحاله عقلك؛ لأنك لا تتعقل شيئًا قطُّ من ذلك، وميزان العقل موجودٌ معك، ولولا أن حضرة الخيال تقبل المحال ما قدر العقلاء على فرض المحال؛ لأن العاقل لولا صوَّره في نفسه ما قدر على فرضه، وإنما صحَّ لنا رؤية الحق تعالى في المنام مع حديث: «**إنَّكم لَنْ تروا ربَّكم حَتَّى تموتوا**[2]»؛ لأن النوم أخو الموت، فلما كان الموت يطلق على النَّوم

---

(١) رواه الترمذي (٥/ ٤٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٦٤).

(٢) رواه النسائي (٤/ ٤١٩)، وابن أبي عاصم في الآحاد (٢/ ٤٤٦).

بضربٍ من التشبيه قلنا بصحة رؤية الحق تعالى فيه، وكذلك لما تجلى الحق تعالى للجبل خرَّ موسى صعقًا، وصار الجبل دكًّا، فما أطاق موسى الكلام حتى صُعق، وتحلل التركيب منه.

وكان الدكُّ للجبل بمنـزلة الموت له، حتى أطاق سماع الخطاب؛ إذ السماع لمن لا مثل له كالرؤية لمن لا مثل له سواء، فهذا هو السبب المجوِّز لرؤية الحق تعالى في الحياة الدنيا في المنام.

وكان أبو يزيد ﷺ يقول: الحقيقة تأبى أن يكلم الحق تعالى غير نفسه، أو يسمعه غير نفسه؛ فإنه تعالى إذا أراد أن يكلِّم عبدًا لا بدَّ أن يحبَّه، وإذا أحبَّه كان سمعه وجميع قواه، فما سمعه تعالى حقيقةً إلا هو.

ومن المحال أن يطيق حادثٌ سماع كلام القدير أو يتعقَّله، ولم يكن الحق تعالى لسانه عند النحوي، ولذلك كان ﷺ مع كماله يغيب عن نفسه وإحساسه عند الوحي.

واعلم أن حقيقة النوم أنه برزخٌ بين الموت والحياة، فالنائم لا حيٌّ ولا ميتٌ، فله وجهٌ للموت ووجهٌ للحياة، فهو أخو الموت من وجهٍ واحدٍ، لا من الوجهين.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴾ [النبأ:٩] يعني راحةً لكم، ولتألفوا حالكم في البرزخ بعد الموت، فإن حالكم فيه كالنوم في الصورة.

قال شيخنا ﷺ: ومحل النوم ما تحت الكواكب، ومقعر فلك القمر خاصَّةً، فالملك لا رؤيا له؛ لأن نشأته غير عنصريةٍ، هذا حكم الدنيا، وأما في الآخرة فمكان

الرؤيا ما تحت مقعر فلك الكواكب الثابتة، ولذلك كان أهل النار ينامون في بعض الأوقات، نسأل الله العافية.

ثم قال ﷺ في شهود الطائفة -رضي الله عنهم-: الشهود الذي تقول به الطائفة ليس هو الرؤية بل هو غيرها، فهو الله تعالى مشهودٌ لنا في الدنيا غير مرئيٍّ، فلا يلتبس عليك الأمر.

ومن الفرق بين الرؤية والشهود: إن الشهود هو ما تمسكه من نفسك من شاهد الحق المشار إليه، بخبر: «**اعبدَ الله كأنَّك تراهُ**[1]»، فإن في ذلك إدخال الحق في حكم الخيال، فقوله: «كأنك تراه» هو شاهد الحق الذي أقمته في نفسك، وهذه هي درجة التعليم، ثم يرتقي العبد من هذه الحالة إلى حالة الخصوص، وهو شهود كونه تعالى يراك ولا تراه، وذلك أنك إذا ضبطت شهوده تعالى في قلبك عند صلاتك مثلا فقد أخليت شهودك عن بقية الوجود المحيط بك.

وإذا تحققت ذلك علمت عجزك عن رؤيته تعالى؛ لتقييدك وإطلاقه، وضيقك وسعته.

فإذا عرفت ذلك بقيت مع نظره المحقق إليك لا مع نظرك إليه؛ لأن نظرك يقيِّده ويحده، وهو المنزَّه عن الحدود، فعُلم أنه لولا تخيل العقل الحق تعالى للأصاغر في القبلة ما تعلَّقوا من يتأدبوا معه.

وأما الأكابر فلا يحتاجون إلى هذا التخيُّل؛ ولذلك كان القطب دائمًا خلف الحجاب لا يرى ربه حتى يموت، فافهم.

ومن هذا الفرق أيضًا بين الرؤية والشهود: أن الرؤية لا يتقدَّمها علمٌ

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، (٤٤٩٩)، ومسلم (٩).

بالمرئيِّ، بخلاف المشاهدة يتقدَّمها علمٌ بالمشهود، وهو المسمَّى بالعقائد، ولهذا يقع الإقرار والإنكار في الشهود حين التجلي الأخروي، ولا يكون في الرؤية إلا الإقرار.

وأنشدوا:

قلـوبُ العـارفينَ لهَـا ذِهـابٌ إذَا هـي شَـاهَدَتْ مَـنْ لا تَـرَاهُ
وذَا مِـنْ أَعْجَـبِ الأشْـيَاءِ فِيْنَـا نَـرَاهُ ومَـا نَـرَاهُ إذَا نَـرَاهُ
دلـيلي إذْ يقـولُ رَميـت عبـدي فـلا تعجـبْ فَـمَا الرَّامِـي سِـوَاهُ

فما سُمِّي الشاهد شاهدًا إلا لأن ما رآه يشهد بصحة ما اعتقده، فكل مشاهدةٍ رؤيةٌ، وما كل رؤيةٍ مشاهدةٌ، قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [محمد:١٤]، ومن هنا سأل موسى عليه السلام الرؤية بقوله: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وما قال: (أشهدني)؛ فإنه تعالى كان مشهودًا له ما غاب عنه، وكيف يغيب عن رسولٍ من أولي العزم، ولا يغيب عن بعض الأولياء! فما طلب موسى إلا تعجيل التجلي الخاصِّ به في الآخرة، حين طلب مقامه سؤال ذلك في الدنيا.

وأما شهوده تعالى الذي يشهد الأولياء فذلك خُبره وديدنُه من مقام ولايته.

واعلم أن الدليل البرهاني يقضي برفع المناسبة بين العالم وبين هُويَّة الحق تعالى، فلا بدَّ في رؤية من رأى من مناسبةٍ بينه وبين المرئيِّ، ولا يصحُّ ذلك إلا إذا صار الحق تعالى بصرًا لعبده، فإذا صار بصرًا لعبده ذلك رآه لا محالة، ويكون ممن رأى الحق بالحق، فالرائي حينئذٍ عبدٌ، والمرئيُّ حقٌّ، والمرئيُّ به حقٌّ.

فما رأى الحق حقيقةً غير نفسه من حيث هُويَّته، وهذه أكمل رؤيةٌ تكون حيث كانت.

ومحل قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] ما إذا لم يكن الحق بصر العبد.

فتفطَّن يا أخي لهذه المسألة؛ فإنها دقيقةٌ جدًّا.

فإنك تعلم بها أن الله تعالى عبادًا عجَّل لهم رؤيته في الدنيا حين كان بصرهم، وله عبادًا يرونه في الدنيا بأبصار إيمانهم، وفي الآخرة البرزخية بأعين خيالهم يقظةً، ونومًا، وموتًا، فعلم أن من لازم الشهود الرؤية بخلاف الرؤية، وإن كان الرائي لا يحيط بالحق تبارك تعالى.

وأنشد:

إذا أَشْهَدتَ فاثبتْ يا غُلامُ ... تصحُّ لَكَ المكانةُ والمقامُ
فتشهدَهُ بِعَقْلِكَ فِي حجاب ... ولَيْسَ لَهُ الوراءُ ولا الأمامُ
تقوم بِهِ وتقصدُه ومَا هو ... بمقصودٍ لَنَا وهو الإمامُ
وتَسْكُن عِنْدَ رؤيتِهِ سكونًا ... يكون به التحقُّقُ والسَّلامُ

وأنشدوا في الرؤية:

فَرؤيةُ الله لا تُطَاقُ ... لأنَّهَا كُلَّهَا محاقُ
فَلَو أَطَاقَ الشهودُ خلقٌ ... لَطَاقَهُ الأرضُ والطباقُ
فَلَمْ تكُنْ رؤيتِي شُهُودًا ... وإنَّمَا ذلكَ انفهاقُ

فحكم الشهود حكم شهودك صورتك في المرآة سواء، فصورتك دائمًا حائلةٌ بينك وبين ذات المرآة.

وقد أشار إلى ذلك قوله ﷺ: «**اعبدَ الله كأنَّك تراهُ**» بكاف التشبيه للزوم الحجاب المانع للعابد من الرؤية، وهو شهوده أن المرئي غير الحق تعالى، فهو يراه ولا يعرفه مع أنه مشهودٌ له.

وكان شيخنا ﷺ يقول: الخطاب مع الغيبة أقوى من التنـزيه مع الخطاب مع المواجهة والحضور؛ لأن الحقائق تعطي أنك ما حضرت إلا معك، أو مع المثال القائم من صورتك، فمعك حضرت لا مع ربك، أين التراب من رب الأرباب؟ فاعلم ذلك.

ولا يغيب شهوده عنك في رجوعك إليه؛ لئلا تتخيل أنك رجعت إلى أعلى منك، فإنك ما رجعت حقيقةً منك إلا إليك، والحق تعالى لا يرجع إليك إلا بك لا به؛ إذ ليس في الوسع أن يطيقه مخلوقٌ.

وتأمل قوله لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود:١٢٣]، كيف أتى بضمير الغائب في قوله: «فَاعْبُدْهُ» أي: لا تعبده من حيث أنت؟ فإنك إن عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت، وإن عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته إلى المرتبة الإلهية عبدت المرتبة، وإن عبدته من غير مظهرٍ ولا ظاهرٍ ولا ظهورٍ؛ بل هو هو ،لا أنت، وأنت أنت لا هو، فقد عبدته.

وهو قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: ولا تقل: أنت المدرك بالأبصار.

فإن الغيب لو أدرك بها ما كان غيبًا، واعبد ذاتًا منـزهةً مجهولةً، لا تعرف منها سوى نسبتك إليها بالافتقار؛ لأن من عبد ذاتًا منـزهةً مدركةً فما عبد إلا صورة نفسه في المرآة، فما فوق معرفة من عبد ذاتًا مجهولة معرفة؛ لأنه حينئذٍ يكون معروفها لا تحديد فيه، فسبحان من علا في نزوله ونزل في علوه، ثم لم يكن واحدًا منهما، ولم يكن إلا هما لا إله إلا هو العزيز الحكيم.

وقد قدَّمنا أنه لا يتمكَّن لك أن تحضر مع ربِّك إلا على قدر ما تعطيك مرتبتك لا غير، وإن علمك بأن الله تعالى يراك أقوى في التنـزيه من رؤيتك له؛ لأنك لا تراه إلا بصورة المقابلة والتحديد، وقول من قال: (بلا تحديدٍ) إنما هو تسْتيرٌ على العوامِّ؛ إذ التنـزيه لهم أولى؛ لقصورهم عن فهم الأمور على وجوهها الواردة في الشريعة، ومن هنا أنكرت المعتزلة الرؤية مطلقًا، فردُّوا الأحاديث والآيات الواردة في الرؤية، وما كان ينبغي لهم أن يقولوا ذلك إلا في رتبة الإطلاق التي هي حضرة الذات، فإن التجلي في رتبة التقييد والتمثيل قد ثبت في الأخبار الصحيحة، واكتفى الحق سبحانه من عباده أن يعبدوه على التخيل دون الرؤية، كما مرَّ، وكما في قوله ﷺ: «إنَّ اللهَ فِي قبلةِ أحدكم(١)». ومعلومٌ أن المصلي لا يرى إلا الحائط أو الأرض، فما بقي إلا التخيل، ولا يزال المتخيل مراقبًا لما تخيله حتى يقوى، وفي الحقيقة ما أُمرنا بالسجود للقبلة إلا لكون الله فيها ومعها، فإذن العبد قبلةٌ للحق تعالى في صلاته، كما أن الحق قبلةٌ للعبد.

واعلم أنا قد افترقنا عن عُبَّاد الأوثان بأن وضعنا اسم الإله على مسمَّاه، ونسبنا ما ينبغي لما ينبغي بالإذن، وهم وضعوا اسم الإله على غير المسمَّى، فأخطأوا، فسُمُّوا جهلاء أشقياء، ونحن سُمِّينا علماء سعداء، فهم عُبَّاد الاسم فقط، ونحن عُبَّاد الاسم والمسمَّى، فوقع التمييز بيننا وبينهم، وأيضًا فإن التخيل مأذونٌ فيه، ولا كذلك الأوثان المحسوسة، فعُلم أن السجود وإن كان لله فلا يقع في الحسِّ أبدًا إلا لغير الله؛ لأنه تعالى بكل شيءٍ محيطٌ، والجهات كلها نسبتها إلى الحق تعالى، أو نسبة الحق إليها على السواء، وإنما كان لا يصحُّ سجود من خرَّ على قفاه وإن كان الحق

(١) ذكره المصنف في العهود المحمدية (ص٢٨٦، ٢٨٧).

تعالى خلفه كما هو أمامه لأن الله تعالى ما راعى إلا وجهه المقيَّد بمقابلة العبد، كما أنه لم يراعِ من جهات العبد سوى وجهه.

وقد قررنا غير ما مرة في معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج:٢٠]، أنه ما ثَمَّ إلا الله ونحن، وهو من ورائنا محيطٌ، فليس وراء الله إلا العدم المحض، الذي ما فيه حقٌّ ولا خلقٌ يُتعقَّل. وفي الحديث: «لَيْسَ وراءَ الله مَرْمًى(١)»، فكلُّ ما تُخيِّل له وراء فليس هو الله، فهو تعالى المحيط بنا والوراء منا، له من كل جهةٍ لازمٌ لنا، فلا نراه أبدًا من هذه الحيثية؛ لأن وجوهنا إنما هي مقبلةٌ مصروفةٌ إلى نقطة المحيط؛ لأننا منها خرجنا فلم يتمكَّن لنا أن نستقبل بوجوهنا إلا هي، فهي قبلتنا، وهي أمامنا، ومن كان هذا نعته والأمر كُرِيٌّ، فبالضرورة يكون الوراء منا للمحيط بنا، فإذا نظرنا إلى قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾[النجم:٤٢]، فإنما يريد بظهورنا لا بوجوهنا، فإن مشينا إلى المحيط القهقري فهو من ورائنا محيط؛ لأنه الوجود، فلو لم يكن من وراءنا لكانا انتهاؤنا إلى العدم، ولو وقفنا في العدم ما ظهر لنا عينٌ، فمن المحال وقوفنا في العدم بعد الوجود؛ لأن الله تعالى الذي هو الوجود المحض من وراءنا محيط بنا، وإليه ننتهي، فيحول وجوده وإحاطته بيننا وبين العدم.

فليس بين قوله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وبين قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ تنافٌ كما توهم؛ إذ العالم بين النقطة والمحيط، فالنقطة الأول، والمحيط الآخر، والحفظ الإلهي يصحبنا حيثما كنا، فيصرفنا منه إليه والأمر دائرة ما لها طرفٌ

---

(١) رواه مالك في الموطأ (٢/ ٩٠١)، والبزار في مسنده (٣/ ٢٦٢)، وابن أبي الدنيا في التوكل على الله (٣٣).

يُشهد فيوقف عنده؛ ولهذا قيل للمحمدي الذي له مثل هذا الكشف: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب:١٣]؛ لكون الأمر دوريًّا، ﴿فَٱرْجِعُواْ﴾، فلا يزال العالم سابحًا في ذلك الوجود دائمًا إلى غير نهايةٍ؛ إذ لا نهاية هناك، ولا يزال وجه العالم أبدًا إلى الاسم الأول الذي أوجده ناظرًا، ولا يزال ظهر العالم إلى الاسم الآخر المحيط، الذي ينتهي إليه، فإن العالم يُرى من خلفه كما يُرى من أمامه، ولكن يختلف إدراكه باختلاف الحال عليه، ولولا الاختلاف ما كان فرقان.

وإذا قد علمت أن جميع الجهات عند المصلي حقيقة قبلة، كما يشير إليه قول الله تبارك تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، فإيَّاك أن تتوهَّم أن نفسك قد أحاطت بها الجهات كصورتك الظاهرة، ويبقى الحق تعالى في وهمك كالدائرة المحيطة بك؛ فإن نفسك ليست من عالم الحسِّ، بل كما ترى نفسك في غير جهةٍ كذلك تشهد الحق تعالى في غير جهةٍ.

وأما ظاهرك فإنما أمرك الحق تعالى بتوجُّهه إلى جهة الكعبة؛ لجمع هَمِّك على المركز، وظاهرٌ لظاهرٍ، وباطنٌ لباطنٍ.

فإن قيل: فمن يرى وجه الحق تعالى في كل جهةٍ كيف يميز المحظور من غيره؟

قلنا: رؤية الحق تعالى في الباطن رؤيةٌ مطلقةٌ غير مقيَّدةٍ، وليس في عالم الإطلاق تكليفٌ، ولا خطابٌ بابتلاءٍ، فافهم.

وكان شيخنا ﷺ يقول كثيرًا: العبادة لله تعالى بالغيب هي عين العبادة له مع الشهود على حدٍّ سواءٍ؛ لأن الإنسان وكل عابدٍ لا يصحُّ أن يعبد معبوده إلا عن شهودٍ إمَّا بعقلٍ أو ببصرٍ، فصاحب البصيرة لولا شهده بها ما صحَّت له عبادةٌ، فما

عبد إلا مشهودًا غائبًا، وإن كان يشهد تجليه في [الصور] حتى صار يميزه من خلقه ويميز خلقه منه فقد عبده أيضًا على الشهود البصريِّ، ثم لا يكون له ذلك إلا بعد أن يراه بعين بصيرته، فمن جمع بين البصيرة والبصر فقد كمُلت عبادته ظاهرًا وباطنًا.

ومن قال بحلوله في الصور فهو جاهلٌ بالأمرين جميعًا.

وأنشدوا:

حضوري مَعَ الحَقِّ فِي غيبتِي ... حضوري بِهِ فَهْوَ الحاضرُ
هو الباطنُ الحقُّ فِي غيبتِي ... وعِنْدَ حضوري هو الظاهرُ

واعلم أنه لا يلزم من تخيلك الحق تعالى في قبلتك ألا يكون في قبلة غيرك فيكون غيرك يعبد وهمك؛ فإنك وإيَّاه على حدٍّ سواءٍ في ذلك، ولستَ أولى بالحق منه، ومن المحال أن يكون الحق تعالى عند واحدٍ من عبيده، ولا يكون عند آخر، فإنه سبحانه عند اعتقاد كل معتقدٍ، كما أنه من وراء معلوماتهم.

❁❁❁

باب في السماع

قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦].

قال بعضهم: ومن سمعه سمع كل شيء.

ومنهم من قال: لا يسمع كلامه إلا من كان له سمع بلا آلة.

ومنهم من قال: من سمعه في شيء و لم يسمعه في شيء فما سمعه.

ومنهم من قال: لا يسمع أحد ابتداء حتى يُناديه من سره.

و منهم من قال: من سمعه لم يتميز عنده القرآن.

ومنهم من قال: من ادَّعى أنه سمعه فاطلبوه بالفهم عنه؛ فإنه لا يسمع إلا بالفهم.

ومنهم من قال: إنه سمعه يقرأ الكتب المنزلة، و الصحف، وكل كلام ظهر من العالم بلسان واحد.

ومنهم من قال: كن أنت المخاطب إذا قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [المائدة:١].

ومنهم من قال: منذ سمعته؛ لم أجهل لغة ولا اعتاص على معنى.

ومنهم من قال: إذا صحت النيابة في الكلام صحت النيابة في السماع، وقد صحت النيابة في الكلام ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ فسمعت الآذان عبارات محمد ﷺ، وسمع السمع كلام الحق جل وعلا.

ومنهم من قال: العبارات والدلالات للتوصل، والكلام وراء ذلك، والسمع يتبع الكلام؛ فالسمع وراء ذلك كله.

ومنهم من قال: دليل من سمع حُزنه على حكم ما سمع.

***

فوائد على الباب المتقدم في السماع

قال سيدي علي وفا ﷺ في المسامع: اسمع: انظر إلى قصب السماع المُسمَّى موصولاً كيف حياة أنفاس إرادته تتصور في عيونه، فلا يصرفها إلا الأصابع المسكة لنظامه، فهكذا النفس الرحماني العيني المعبر عنه بالقلب المتصور في الأعيان الصنعية، لا يصرفه إلا أصابع الرحمن فيها.

وقال أيضًا: اسمع: إذا نطق بالحق أهله فمن علم الله فيه خيرًا أسمعه، وإلا فلا، من اختاره أسمعه منه، ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ﴾ [طه:١٣]، لسان الصدق سمعه التصديق، سمع هذا اللسان ولاية من سُلبها فهو معزولٌ.

﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٠: ٢١٢].

قال الجنيد: «الإيمان بطريقتنا ولاية[١]»، إذا كان سمع هذا اللسان ولاية فكيف بفهمه فكيف بوجده، إذا سمعت بنطقك ترجمة معنى على صيغة ثم أسمعتها بنطق سواك على صيغة سواها، فلا تشتغل بتلحينها عن تلمح معناها، ولكن اشهد أن مناجيك يريد أن يمتعك بفنون مناجاته، ويوسع عليك مسالك تنزلاته، ومجالي تجلياته، ألم تسمع قول السيد الكامل حين أنزل الكتاب على حرفٍ واحدٍ: «ربِّ وسِّعْ على أمتي».

فوسع إلى سبعة أحرف، إذا كنت في مقام السمع فاستمع وأنصت؛ فإن الرحمة في ذلك.

(١) انظر: الكواكب للمناوي (١/ ٥٧٨)، وكتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص٢٩٩).

ومن ثَمَّ تقول أئمة محاسن الأخلاق: «من أدب السماع ألا تقترح على مسمعك، ولا يَعِب اللسان الربَّاني لسان الوجود الحكيم»، والشيطان صورة الوهم البهيم الذي هو ضد الروح الحكيم عينًا وأثرًا، فلا يمكن تنزل الشياطين بهذا النور المبين؛ لاستحالة انقلاب الحقائق، من نزل به فهو روح حكيم.

اسمع: ألسنة العارفين بالله الحق المبين هي ألسنة معروفهم، قال الله بلسان عبده: «**سمع الله لمن حمده**[1]»، «**ولسانه الذي ينطق به**[2]»، ﴿**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ**﴾ [مريم: ٩٧]، ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: ٣، ٤] لسامعه، فمن سمعه فقد أُوحي إليه، فأحرف الشك إذا أتوا بها في خطابهم ليست لشكهم ولا لترددهم، فيما يعبرون عنه، ولكن للتوسعة على السامعين؛ إذ فيهم من لا يسع إدراكه إلا أحد أمرين، فيقولون: الأمر كذا وكذا؛ ليصوبوا لكل مدركٍ ما وسع فهمه، قال هو سيدي ومولاي:

وَلاَ شَـــكَّ أَنَّ اللهَ لاَ شَـــكَّ عنـــدَهُ   وَلاَ شَـكَّ فِي شركِ النُّفُـوسِ الشَّريكة

اسمع: جاء في الخبر المحمَّدي: «**إن أبا بكر وعمر سمعه وبصره**»، ثم قال: «**إن أصحابه في الجنة**»، فهم أعين نفسه المدركة بمدارك مَلَكة روحه الحكيم يومئذٍ، وهي منه السمع والبصر والذوق واللمس والشم والحفظ والذكر والفكر والتصرف والاختيار.

اسمع: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [الحديد: ٤]، بما ظهر به فيكم من

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣٠٣).
(٢) رواه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٠٦).

معانيه، فهو يراكم بأبصاركم التي تبصرون بها؛ لأنها تجلياته بما هو البصير، ويسمعكم بأسماعكم التي تسمعون بها؛ لأنها تجلياته بما هو السميع، وقِسْ على هذا.

وإن قلت: حينئذٍ هو معكم بعلمه، فصدقت.

وإن قلت: بحياته، صدقت.

أو قلت: بأمره، صدقت؛ إذ لا حياة لهم إلا حياته، ولا علم لهم إلا علمه، وقِسْ على هذا.

ولما لم تكن معانيه غيره قال في الذين أصابهم نوره: «**كنت سمعه وبصره**[1]»، ومن انكشف فيه له بأنه وجوده فقد أحبَّه، فكأنه شهودًا كما لم يزل له وجودًا.

قلت: وأما معناه عند أكابر القوم فقد ورد فيه: قال سيدي علي وفا قُدِّس سرُّه: معنى: «كنت سمعه...» إلى آخره.. أن ذلك الكون الشهودي مرتَّبٌ على ذلك الشرط، الذي هو حصول المحبة، فمن حيث الترتيب الشهودي جاء الحدوث المشار إليه بقوله (كنت سمعه)، لا من حيث التقرير الوجودي.

وقال سيدي محمد وفا ﷺ: صورة جامعة: إذا استغرقت أفراد الوجوب مفردات الإمكان، واستوى جامع الغيب على جامع الإنسان، بشرط المطابقة لا المخالفة، كما قال: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**[2]».

وحقيقة المطابقة: استغراق كل حقيقة لمثلها، كالسمع للسمع، والبصر للبصر، وما أشبه ذلك، وحقيقة المخالفة: استغراق المعاكسة، السمع للبصر، والبصر

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٣٨٤).

للسمع، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]؛ فإذا صح الوفاق فتحت الأغلاق، وبدت الأسرار، وانحلت عقود المشكلات، والله المسئول أن يفتح لنا باب القبول، وأن يوفقنا في فهم المعقول والمنقول، إنه هو البر الرحيم المنعم الكريم.

وقال سيدي محمد وفا في العروش: وبهذا السر العظيم، والأمر الحكيم، والاتِّصافات بسرِّ التخلُّق بالأسماءِ والصفات تسجد له سجداته، وتصلِّي له صلواته، وكذا يسبِّحه تسبيحه، ويحمده تحميده، ويمجِّده تمجيده إلى غير ذلك مما سمع فيه وأطاع وأحسن بعلم صدِّيقيَّته فيه الاتِّباع، ومَن أحبَّ شيئًا عبده، فعبادته ثمرة محبَّته، وثمرة عبادته انخلاع تجلِّي صورة معبوده عليه، وانخلاع صورة معبوده عليه ثمرة محبة المعبود لعبده.

ورد: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، بصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها»، إلى غير ذلك من الأعضاء التي هو بها.

وهذه الصورة الرحمانية التي خلقه الله على مثلها، كما جاء:

«خُلق آدم على مثل صورة الرحمن»؛ وهذه صورة علمية قادرة قدوسيَّة متنزَّهة علوية، لا تماثلها الأمثال ولا تشاكلها الأشكال؛ وإنما هي تجلِّيات أنوار وتنزُّلات قدس ووقار.

وقال أيضًا في «العروش»: واعلم أنه إذا كان السميع هو، فالمتكلِّم الله، وإذا كان المتكلِّم الرحمن؛ كان السميع الحق القائم بروح الإنسان، فالخواطر الواردة على قلوب الخلق هم كلمات الحق؛ لأنها تصدر عن غيب الجمع إلى عين الفرق في حجابي الوهم والصدق من حيث ما هو الفكر والعقل في صيغتي الإخبار والنقل؛

لأن الكلمة التي هي أم الكلمات، وروح العلم الذي هو جامع أسرار الصفات القائمة بغيب الذات، المتجلِّية في كرائم الأمهات وبواطن الأسماء والمسمَّيات برقائق أرواح المعلومات المجرَّدات عن صور الحروف المنطوقات والرسامات والمسموعات والمبصرات؛ عبارة عن القوة القادرة الناظمة والناثرة والموجدة الجاعلة، والمعدمة الفاصلة، لم تزل تَبرز من العدم بحقائق الكلم، وكانت قوابلها المستعدَّة لقبول إلقائها وتلقيها ومرائيها المتهيئة لأنوارٍ تجليها، وصورٍ تحليها؛ قوة القلب الذي كتب فيه الرب، وسرَّ الفهم المجرَّد عن الوهم، وصحة الذوق الخالي عن شائبة الشوق والإلهام القدوس الخالي عن وساوس النفوس.

واعلم أن هذه الحقائق المذكورة والأرواح المشكورة؛ معلومة في مصطلح الصوفية مشهورة؛ لكنه وراء كل مرسومٍ ومعلومٍ سرٌّ خفيٌّ ومكتوم، فمَن تحقَّق بهذه الأسرار والألباب، سمع الخطاب، وفرَّق بين الخطأ والصواب، وتحقَّق أن المتكلم هو العالم، وهو المحيط في كل ناثرٍ وناظمٍ.

وقال الشيخ الأكبر- قُدِّس سرُّه- في الباب الثامن والستين: المراد بـ«كنت سمعه وبصره» إلى آخره: انكشاف الأمر لمن تقرب إلى تعالى بالنوافل، لا أنه لم يكن الحق سمعه قبل التقرُّب، ثم كان الآن تعالى الله ﷻ عن ذلك، وعن العوارض الطارئة. قال: وهذه من أعز المسائل الإلهية انتهى.

وقال الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية (٢/ ٤٨٣): «وأما قوله تعالى:

﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]. فذلك لأهل السماع من الحق في الأشياء لا من بين الأشياء عبارة عن النسب وهي أمور عدمية لا وجودية، فإذا كان الحيث منها كان بلا واسطة، وإذا كان من الأشياء، فذلك قوة الفهم عن الله ورد في

الخبر الصحيح: «**إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده**» فهذا عين قوله: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ**﴾ والذي نطلبه في هذا الطريق كلام الله من بين الأشياء لا في الأشياء ولا من الأشياء وان كان هو عين وجود الأشياء، فإنه ليس عين الأشياء فالأعيان في الموجودات هيولي لها أو أرواح لها والوجود ظاهر تلك الأرواح وصور تلك الأعيان الهيولائية، فالوجود كله حق ظاهر وباطنه الأشياء، فالحديث الإلهي من بين الأشياء أوضح عند السامع في الدلالة انه هو المكلم من أن يكلمنا في الأشياء فافهم والله تعالى الملهم.

وقال الشيخ ابن ناصر الكيلاني في «حكم الفصوص والفتوحات»: «أما ترى أنه تعالى وجد الدَّاعي مع ذكر الاثنين، فعلمنا أن الأمر واحدٌ وما سمعنا متكلمًا سماع الحس إلا الرسول، وما سمعنا كلام الحق يسمع الحس إلا بالسمع المعنوي، فالله والرسول اسمان للمتكلم، فإن الكلام لله سواء كان في الجمع والفرقان.

كما قال تعالى والمتكلم المشهود عين لسان النبي ﷺ: «**فأجره حتى يسمع كلام الله**»[1] فافهم.

قال ﷺ حكاية عن تحققه بهذا المقام الأطهر الأقدس بل أشار إلى العينيَّة كما نصَّ على نفسه في «الفتوحات» في الباب السابع والستين وثلاثمائة يحكي عن التجلِّي الإسرائي ويقول في أثناء حكايته بعد ما حصل ذلك قلت: حسبي، حسبي قد ملأ أركاني، وأزال به عني إمكاني، فحصلت في هذا الإسراء معاني الأسماء كلها، فرأيتها ترجع إلى مُسمًّى واحد وعين واحدة وكان ذلك المسمَّى شهودي، وتلك العين وجودي انتهى كلامه ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٧٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٨/ ٣١).

وأما قوله ﷺ: (فاسمعوا) ولا يسمع إلا مَنْ يكون على استعداد يكون معه الفهم عند سماعه بما أُريد له ذلك المسموع، ولا يكون ذلك إلا لمن يكون له الحق سمعه خاصة، وقد سمع ضرورة بربِّه، ومَنْ ادَّعى هذا السماع، ولم يكن سمعه عين فهمه فدعواه لا تصح كالذين قالوا: سمعنا وهم لا يسمعون، وروح السماع الفهم الذي جاء به السمع، وأما الذين أعرضوا عنه فما أنت بمسمع الصم، قال تعالى:

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣] فافهم.

(وإلى الله فارجعوا): أي بالتوبة فإنها تنتج المحبة، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] والمحبة تثمر مقام قرب النوافل وهو أن يكون الحق سمعه الذي يسمع به.

كما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**ولا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به....الحديث**».

فإذا كان هو سمعه سمع الحق بالحق حقًا من الحق فانجلت المشكلات، وانكشفت المعضلات في المواضع التي تسمح فيها العبارات وتسمح بها الإشارات.

(وإذا ما سمعتم): أي سماع فهمٍ وقبول ما أتيت به وهو كتاب فصوص الحكم.

(فعوا) من وعى يعي إذا حفظ ما سمع، وهو واعٍ: أي إذا سمعتم سمع فهمٍ فعوا فإنها تذكرة وتعيها أذن واعية، ثم بالفهم فصِّلوا فلولا الإيهام ما كان الإبهام، ولولا الإبهام ما احتيج إلى الإفهام، فإن الفهم قوة لا تصرف لها إلا في المبهمات وغوامض الأمور، ويحتاج صاحب الفهم إلى معرفة المواطن.

باب في الكلام

قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

قال بعضهم: لا تسمعه إلا منك.

و منهم من قال: لا يكلمك إلا منك.

ومنهم من قال: من كلمه فيه فقد كلمه.

ومنهم من قال: لو كلمه منه ما ناداه.

ومنهم من قال: لا يكفيك إلا من بطنت حياته.

ومنهم من قال: ما ثَمَّ متكلمٌ إلا هو؛ فمن سمعه عرف ما قلت.

ومنهم من قال: من لم يسمعه لم يعرف كلامه.

ومنهم من قال: إذا كلمك من ظهرت حياته وسمعته فأنت أقرب الأقربين، وإذا لم تسمعه فيه فأنت أبعد الأبعدين، وإذا كلمك من بطنت حياته وسمعته، فأنت القريب، وإذا لم تسمعه فأنت البعيد،

ومنهم من قال: من كلَّمه من الجانب، فهو ذاهب.

ومنهم من قال: من لم يسمع بكلامه ولم يتكلم بسمعه؛ فما كلمه الحق ولا سمعه.

ومنهم من قال: من صار لسانًا كله فذلك كلام الحق، ومن صار سمعًا كله فذلك سمع الحق كله.

و منهم من قال: من فرَّق بين العبارة والكلام، فما كلمه الحق.

ومنهم من قال: الكلام كلام فمن لا أثر عنده، فما صح له كلام.

فوائد على الباب المتقدم في الكلام

قال في الشيخ الأكبر في «الفتوحات» (٤/ ٦١): الكلام والقول نعتان لله فبالقول يسمع المعدوم وهو قوله تعالى إنما قولنا لنا لشيء إذا أردنا أن نقول له كن وبالكلام يسمع الموجود وهو قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ وقد يطلق الكلام على الترجمة في لسان المترجم وينسب الكلام إلى المترجم عنه في ذلك فالقول له أثر في المعدوم وهو الوجود والكلام له أثر في الموجود وهو العلم والموصوف بالتبديل في قوله: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقوله ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح:١٥] في الترجمة، فإنها تقبل التبديل والمعاني تابعة للكلام، فلا يفهم من الأمر الذي حرف به وبدل المعنى الذي يفهم من الأصل ولذلك ألحق التبديل والتحريف بالأصل، وإن كان لا يقبل التحريف ولا التبديل؛ لأنه كلام إلهي لا يحكى ولا يوصف بالوصف الذاتي فإذا وقع التجلي في أي صورة كانت فلا يخلوا أن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام في العرف أو لا تكون فإن كانت من الصور المنسوب إليها الكلام فكلامها من جنس الكلام المنسوب إليها لحكم الصور على التجلي مثل قوله: ﴿عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل: ١٦].

وقالت النملة وإن كان مما لا ينسب إليه الكلام في العرف، فلا يخلو إما أن تكون ممن ينسب إليها القول بالإيمان مثل قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ وقوله: ﴿يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ

وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤] وقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت: ٢١].

وإما ألا تكون ممن نسب إليه قول ولا نطق وهو الذي نسب إليه التسبيح الذي لا يفقه وما قال لا يسمع إذًا الكلام أو القول هو الذي من شأنه أن يتعلق به السمع والتسبيح لو كان قولاً أو كلاماً لنفي عنه سمعنا، وإنما نفي عنه فقهنا وهو العلم، والعلم قد يكون عن كلام وقول وقد لا يكون، فإذا تجلى في مثل هذه الصور فيكون النطق بحسب ما يريده المتجلي مما يناسب تسبيح تلك الصورة لا يتعداه فيفهم من كلام ذلك المتجلي تسبيح تلك الصورة، وهو علم عجيب قليل من أهل الله من يقف عليه فيكون الكلام المنسوب إلى الله عز وجل في مثل هذه الصور بحسب ما هي عليه هذا إذا وقع التجلي في المواد النورية والطبيعية، فإن وقع التجلي في غير مادة نورية ولا طبيعية وتجلى في المعاني المجردة فيكون ما يقال في مثل هذا أنه كلام فمن حيث أثره في المتجلي له لا من حيث أنه تكلم بكذا وتلك الآثار كلها من طبقات الكلام الذي تقدم تسمى كلمات الله جمع كلمة وهي أعيان الكائنات قال تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء:١٧١].

وهو عين عيسى لم يلق إليها غير ذلك ولا علمت غير ذلك فلو كانت الكلمة الإلهية قولاً من الله وكلامًا لها مثل كلامه لموسى عليه السلام لسرت ولم تقل: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٣].

فلم تكن الكلمة الإلهية التي ألقيت إليها ألا عين عيسى روح الله وكلمته وهو عبده فنطق عيسى ببراءة أمه في غير الحالة المعتادة ليكون آية، فكان نطقه كلام الله في نفس

الرحمن، فنفس الله عن أمه بذلك ما كان أصابها من كلام أهلها بما نسبوها إليه مما طهرها الله عنه ،ومن هنا قالت المعتزلة أن المتكلم من خلق الكلام، وفيما ليس من شأنه أن يتكلم، فذلك كلام الله مثل الجماد والنبات وحالة عيسى إلا القائلين بالشكل الغريب فيجعلون مثل هذا من الأشكال الحادثة في الكون، فقد بينا لك معنى كلام الله وكلماته وكلام الله تعالى علمه، وعلمه ذاته، ولا يصح أن يكون كلامه ليس هو، فإنه كان يوصف بأنه محكوم عليه للزائد على ذاته، وهو لا يحكم عليه -عز وجل- وكل ذي كلام موصوف بأنه قادر على أن يتكلم متمكن في نفسه من ذلك والحق لا يوصف بأنه قادر على أن يتكلم فيكون كلامه مخلوقًا، وكلامه قديم في مذهب الأشعري، وعين ذاته في مذهب غيره من العقلاء، فنسبة الكلام إلى الله مجهولة لا تعرف كما أن ذاته لا تعرف ولا يثبت الكلام للإله إلا شرعًا ليس في قوة العقل إدراكه من حيث فكره، فافهم أن النفس للرحمن والكلام لله والقول وهو انتهاء النفس إلى عين كلمة من الكلمات فيظهر عينها بعد بطونها وتفصيلها بعد أجمالها، فإن قلت فائدة الكلام الإسماع وما في الوجود إلا الله، وهو متكلم، فمن أسمع قلنا ليس من شرط السامع أن يكون موجوداً فإنه يقول للمعدوم في حال عدمه كن فيكون المعدوم عندما يتعلق بسمعه الثبوتي كلام الله وأمره بالوجود وكذلك المرئي علة رؤيته جواز رؤيته الوجود بل الاستعداد والتهيؤ سواء كان موجودًا أو معدومًا والجواب الآخر كما أنه تكلم من حيث ما هو منعوت بالكلام يسمع كلامه من كونه سميعًا وهما نسبتان مختلفتان، **فإن قلت** ففائدة سماع الكلام حصول العلم وهو عالم لذاته، قلنا ما كل كلام موضوع لحصول ما لا يعلم، فإن

المتكلم يثني على نفسه بما هو عالم به أنه عليه، فلا يستفيد بل هو للابتهاج بالكمال الذاتي، فالحق لم يزل متكلمًا، وإن حدث في الكون، فلا يدل على حدوثه في نفس الأمر قال تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢]، يعني عندهم وأن كان قد تكلم به مع غيره قبل هذا مثل ما في التوراة وغيرها مما هو في القرآن، هذا إذا قلنا أنه يريد كلام الله الذي هو صفة له وأن كان الظاهر أن السامع أنما سمع كلام المترجم عن الله كما قال «أن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده»...

obeikandl.com

باب في التوحيد

قال بعضهم: لا لسان له إذ لا مخاطب.

ومنهم من قال: لا لسان يتميز بل، الألسنة كلها لسانه؛ فخطابه يتردد إليه منه، وهكذا نظره وسمعه وعقله.

ومنهم من قال: القدرة و الإرادة تنافي التوحيد؛ فإن التوحيد لا غير، وهو غير مقدور ولا مراد؛ فبطل توحيد الوجود لأن توحيد الفعل ثابت.

ومنهم من قال: التوحيد إذا كان له مثبت فهو شرك، و إذا لم يكن له مثبت فليس بمقام.

ومنهم من قال: من وحده به فما وحده ومن وحده بنفسه فإنما وحَّده بنفسه.

ومنهم من قال: التوحيد أنا والمتكلم الحق.

ومنهم من قال: التوحيد نفي التوحيد والتشريك؛ فيبقى هو كما ينبغي له.

ومنهم من قال: إن جعلت العالم واحدًا صح لك التوحيد، وإن جعلته متعددًا لم يصح التوحيد.

ومنهم من قال: التوحيد إثبات عين الواحد، وحكم الأحدية مع قضاء المثبت بإثبات الواحد نفسه بحكم أحدية نفسه.

ومنهم من قال: التوحيد أن تغيب فيه أو يغيب فيك.

ومنهم من قال: التوحيد إثبات الأحكام، و نفي المعاني عن الذات.

ومنهم من قال: التوحيد عينٌ لا علم، فمن رآه عرف التوحيد، و من علمه فلا توحيد له.

obeikandi.com

ومنهم من قال: التوحيد إثبات واحد بلا أول.

ومنهم من قال: التوحيد إثبات الواحد، من غير مشاركة في وصف ولا نعت.

ومنهم من قال: التوحيد معرفة الأسماء.

ومنهم من قال: التوحيد نفى الفعل.

ومنهم من قال: لا يعرف التوحيد إلا من كان واحدًا .

ومنهم من قال: التوحيد لا تصح العبارة عنه؛ لأنه لا يعين إلا للغير، ومن أثبت غيرًا فلا توحيد له .

ومنهم من قال: التوحيد سريانه في نفسه بحكم ما هو عليه.

فوائد على الباب المتقدم في التوحيد

التوحيد: هو حقيقةٌ لا تنقسم، في وحدةٍ لا تتعدد، في عددٍ لا يتناهى، وحقيقته: معنًى لا تحدده القلوب، ولا تتصوره العقول، ولا يوضله بلاغة العبارة بالقول، وغايته: نفي كل غيرٍ، مع وجود شهوده كل غيرٍ، الناطق عنه مقرٌّ بالخبر، والشاهد ذاهلٌ، والغائب عنه جاهلٌ، والمدَّعي له مبطلٌ، والعاجز عنه متخلفٌ، فإنه وراء كل غايةٍ يُنتهى إليها، فكل واحدٍ يُجازى فيه بقدر ظنه؛ لأن شرط العلم الإحاطة، وهو معنًى يستحيل دخوله تحت الإحاطة؛ فلا علم، ووجوده مُكَنَةٌ تستلزم ما لا يُقدر عليه، والمخصوص به هو المعجوز عمَّا حصل له انتهى.

وقال الشيخ أبو المواهب في قانون التأييد بمقامات التوحيد:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ [محمد:١٩]:

حقيقة: أحدية الذَّات غيب في الأزل ووحدانيتها ظهور في الأبد، والواحد القديم ما لا أول له ولا آخر.

دقيقة: عمَلُ التوحيد علْمُه، وعلمه عمَله، لذلك مَن علمه عَمَلٌ، ومَن عَمَل، ومَن عَمِل به عَلِم.

حقيقة: توحيد هو تعداد، وتوحيد أنا إفراد.

فإنْ أردت أنْ تستغرق في بحر الإفراد، وتقف على الساحل مع الأفراد، فاجعل توحيدك هو بلا هو، فهناك تذهب بينونة البين، برفع نقطة الغين عن العين بلا أين، في حضرة الغيب والحضور، ويقابل البطون الظهور.

دقيقة: ليس بتوحيدك يتوحَّد الواحد؛ بل هو على كل حال واحد، كما أن العالم عالم كذلك.

ما وحَّد **الأحَدَ** أحد، سبحانك من حيث أنت ما وحَّدك حقيقة إلا أنت، سبحانك **لا نحصي** ثناء عليك كل ذلك منك وإليك.

حقيقة: توحيد الذات في الأزل بشهود الأَحدية.

لا تشهد حقيقة بمشاهد أبد الواحدية؛ لأن بالأَحدية كان التجلِّي الأوَّل في حضرة أَحدية الجمع، وبالواحدية كان التجلِّي **الثاني في تعين** فرقها؛ لذلك اختلف الشهود لتباين المشهود.

دقيقة: التجلِّي الذَّاتي غير التجلِّي الصفاتي؛ لهذا كان في أحكام التجريد لكل حقيقة ما يخصها من التوحيد.

حقيقة: وجوب الذَّات، هو وجوب الصفات، وتعدادها لا يوجب تعديد الذات بذوات، نعم لا هي عْينُها، ولا هي غيرها، فقد اتحد المسمَّى، وتعددت الأسماء.

دقيقة: تعداد الأسماء يدل على تنـزيه المسمَّى، حيث تكثر أسماؤه في حضرات سبحانه، وهو موحد في غيب قدس ذاته.

حقيقة: تجلِّي ذات الحق تمحق الكائنات، وتجلِّي صفاته توجب لها الثبات؛ لذلك لم تُطَقْ رؤية الذات بالأبصار، ولا يدرك كنهها بالعقول والأفكار، كيف وأنَّى لجائز حادث سقيم أن يثبت لوجوب الوجود القديم؟!

دقيقة: القديم غير الحادث، فإذا اختلفت الحقائق، فقد تعسرت الطرائق؛ لكن إذا أراد وصولك إليه أفناك عنك، فتراه به كما هو حقيقة يراك.

حقيقة: لما تنـزَّه الواحد بكل وجه عن النهاية انتفى الضدُّ والندُّ عند الغاية.

دقيقة: نفي السلوب وإثبات الوجوب هما حضرة التنـزيه، فيما عليه سبحانه استحال من جائزات المحال.

حقيقة: توحيد الهوية، لا يدرك كُنه الماهية، فوحَّده من حيث هو بما هو على ما هو تكن ممن وَحَّد، ولا في الحقيقة ألْحَد.

دقيقة: إشارة هو في التوحيد خاص للخواص، كما أنَّ الإثبات بعد النفي عام للعوام؛ لذلك كانت تلك الإشارة في حضرة محاضر العيان، وهذه العبارة في مقام الدليل والبرهان.

حقيقة: الواقف مع رتبة الدليل بالكائنات محجوب عن عيان المشاهدات قانع بالقشر عن اللباب وإن كان من أولي الألباب.

ألا ترى أنه شتان بين واقف بالباب وبين من هو أهل لكرامة فحوى الخِطاب.

دقيقة: شقائق أبحاث الجِدال أوهام في مهامه الخيال لا تفيد صاحبها غير قعقعة اللسان، مع خلو من الجنان مَن قنع بها زلَّت به القدم، ومَن وقف معها أورثته الندم.

حقيقة: كل حقيقة أخذتها عن الغير، ودلتك على سواء في السير فهي لك حجاب في الحال والمآل هذا، وإن دققت أفكار الأنظار فطيْر العناء في جو الخيبة بك قد طار، فاترك العقل المعقول، وكثرة الأبحاث والفضول.

دقيقة: ما شهد الحقَّ من استدلَّ عليه، وما وصل إليه من زعمَ أنه يسير إليه؛ إذ لو شهده لكان برؤيته في طرب، ولو وصل إليه لزال عنه التعب.

حقيقة: الموحِّد من فنيت رسومه في حضرات التوحيد، وأنسَ بالواحد في مقامات التفريد غلب عليه الشهود بمرايا الكائنات، وجلَّى ما تجلَّى له فيها من حقائق الأسماء، والصفات، فأنشأ لسان تحقيقه في مسالك طريقه.

دقيقة: علامة الموحِّد يا قوم وجدانه في اليقظة والنوم.

حقيقة: وجود المعارف في أهل العوارف تكسبهم إدراك لحقائق الذوقية، بل العنايات الكشفية وغيرهم ليس له هذا الاتِّصاف ولا خلق الإنصاف.

دقيقة: شهِدت شواهد التوحيد لمن استدلَّ به عليه، وانجلت حضرات التغريد لمن إليه، فطوبى لمن رُفعت عنه الأستار، واستغنى عن الجدال والانتظار.

حقيقة: غلبة نور الظهور هو الذي أوجد الستور: أيْ ستور النور بالنور.

دقيقة: ما من شيء إلا دلّك عليه لكنك لا تدري كيف تسير إليه دلت

مصنوعاته على وحدانيته، وبرهنت آياته على فردانيته.

حقيقة: قيام القيومية بالمخلوقات هو الذي أوجد لها قيام الصفات، فلو انمحى من عينيك خبال الخيال شهدت في الكون من لم يزل ولا يزال.

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ(١)

دقيقة: إذا عظم نور المشهود عزَّ إدراكه في الشهود.

حقيقة: ظهور تجلِّي الحقيقة الإلهية، إذا تجلى للحقيقة الإنسانية محا منها ثنوية الناسوت، وأثبت فيها فردانية اللاهوت.

دقيقة: صنعة الفنا هي التي أوجبت لبعضهم النطق بأنا.

حقيقة: تجلِّي وصفه الباقي أوجب فناء العالم والمعالم، ولسان فردانيته في الإفراد حيَّر المتعلم والعالم.

دقيقة: من الفاعل بالاختيار كانت البداية، وبوصف قيوميته قامت الأكوان إلى غاية لها ونهاية.

فالحظْ بنظر بصيرتك أيها الملحوظ، قال تعالى: **﴿وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾** [البروج: ٢٠، ٢٢].

حقيقة: حيطة حضرة ذاته محيط بصفاته، وحيطة صفاته محيطة بسبحات أسمائه، وأسمائه فعالة في الكائنات بما أودعها من بدائع التجلِّيات.

دقيقة: من حكمته ستر ظهور الذَّات بحجاب مظاهر الصِّفات، واختفي بما

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٩٣٥)، مسلم (٤/ ١٧٦٨)، والترمذي (٥/ ١٤٠)، وأحمد (٢/ ٢٤٨).

به ظهر من الكائنات، وغاب بما به حضر، وحاضر من التعرفات.

حقيقة: حضور العبد حضور العجز عن محاضرته في حظيرة مشاهدته، ومطالعته هو نهاية من اعترف وذاق الشراب واغترف.

دقيقة: العجز سلب، والإدراك وجود، فكيف جعل الصديق ذلك غاية المقصود؟!

نعم تفهمه إذا أدركت حقيقة الفناء، وتتحقق به إذا تجلَّت به لك الحسنى بأسمائها الحسنى.

حقيقة: تجلِّي الحقيقة الإلهية للأكوان يتفاوت بحسب الاستعداد والإمكان، لذلك من القوم من يملك الحال، ومنهم من يملك المقام، ومن يملك المقام؛ يثبت له التجلِّي على الدوام.

دقيقة: لما تجردت الحقيقة الذاتية عن الاتِّصاف تكون معناها في القابل لها من الأوصاف، لون الماء لون إنائه، يسقي بماء واحد ونُفضل بعضها على بعض في الأكل.

حقيقة: تجلي الحال في المشَاهد بحسب ما أعطَى المشاهد، فالعوام لا يشهدون غير مشهد حسن الصورة الحسية، والخواص رفع لهم الستر عن صورة الحسّ المعنوية. التي تجلَّى بها اسمه تعالى الظاهر في جميع الأكوان بكل المظاهر.

دقيقة: المزاحم على برقشة الجمال السفلي محجوب عن شهود الجمال العلوي، فاترك المضايقة في طريق المركز الأدنى، وارق بهمتك إلى الأوج الأعلى.

openkandil.com

وقال **الشيخ الباني الكردي في «شرح الحكم الأكبرية»**: ليس التوحيد حكمك وعلمك بالوحدانية أي: بأنه هو لا أنت ولا نفي الأغيار وإثبات الواحد القهار مع بقاء وجودك وشعورك بهذا، ولا نفي وجودك، وإثبات الذَّات المقدسة مع الحلول والاتِّحاد، بل التوحيد نفي الغيرية، وإثبات العينية في الغيرية بلا حلول واتحاد.

كما أشار إليه الشيخ الأكبر قدس سره بقوله: «التوحيد فناؤك أيُّها الموجود وحدك، وبقاؤه فيك وبعدك» أي: التوحيد الذي هو نهاية أن تفنى عن وجودك أيُّها المُدَّعي بأنك موجود حال كونك منفردًا عن هذا الفناء أي: ترى نفي وجودك فيك الثابت بزعمك، وترى بقاء الحق ثابتًا فيك، وترى بُعدك عنه؛ لأنك عدم وهو وجود وبينهما بون بعيد فتعرف بقاؤه فيك بلا دخول ولا خروج، ولا اتِّصال ولا انفصال؛ لأن الوجود لا يدخل في العدم ولو دخل لوجد، ولا يخرج عنه ولو خرج لما ظهر، وقد ظهر وكذا الاتِّصال والانفصال، وهذا لا يكون إلا بتجريد القلب عن الغيرية، ورؤية الإثنينية في العينية، والعينية في الإثنينية فحقًا لا تحجبه الكثرة عن الوحدة، ولا الوحدة عن الكثرة، وحاصل التوحيد أن يثبت معنى مطلقًا منزهًا عن الإطلاق، وهو ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مجزأ ولا مركب ولا داخل ولا خارج ولا متصل ولا منفصل ولا منزه ولا مشبه ولا مطلق ولا مقيد، وهذه المعاني كلها مراتبه فظهر بالصور والمعاني كلها فتقع عليه العبارات كلها، ومنزه عنها كلها، ومنزه في بعض، ومشبه في بعض، فهو الواحد الأحد الموصوف بالوحدانية، وهو المتعدد الموصوف بالإثنينية والغيرية، فأنت أيها العبد لست بموجود بوجود زائد عن وجود الحق تعالى، وأنت موجود من حيث هوية الحق لا من حيث أنك

أنت فافنِ أنانتيك في حقيتك تكن موحدًا وعبدًا لربك، وتكون مُنـزهًا له عن كلِّ خلقه، وتنسحب عبادتك من هنا على جميع عبادة عبدها أحد من الخلق إلى حين وجودك.

ومن هنا قال الشيخ قدس سره: «من عبد الاسم فهو كافر، ومن عبد المسمَّى فهو مشرك، ومن عبد المعني فهو منـزه للحق عن جميع الخلق».

فما سوى الحق اسم والحق المطلق المنـزه عن القيود مسمًّى، والمطلق عن هذا الإطلاق المقابل للتقييد معنى فافهمه فإنه لطيف فإذا أوعيت هذا فهذا التوحيد هو الذي يقول به المحققون الكاملون الواصلون بعد التمكين إلا برد اليقين عندهم الحق بديهي ضروري، ولا حاجة للكسب والفكر والمجاهدة، فليس أحد من الوجودين يوحد الله بهذا التوحيد سواهم فإنهم المجبولون على الدين الخالص، المؤيدون بتأييد الحكيم الخبير، المتصفون بصفات المولّى القدير فعلموا بهذا التوحيد بعلم الله أو بالله أو بإعلام الله على اختلاف درجاتهم.

وهذا غير التوحيد الذي أمر به العبد فإنه مركَّب مخلوق، ولا يصدر عن المخلوق إلا المخلوق وذات كانت منـزهة في نفس الأمر لا بتنـزيه المنـزه، وهو كان بهذا الوصف ولا أنت، والآن كما كان فتوحيده الذي وحَّد به ذاته المعرى عن الغير، والواسطة الذي هو عبارة عن عِلمه بنفسه لنفسه في نفسه لا يعلم بعلم ولا دليل ولا برهان، ولا يزاحمه عقل ولا فهم، ولا إدراك ولا إشارة، فسبحان الله عما يصفون، فالعارف بمعرفة نفسه من غير تعريف الله له إياه، ويزعم أنه عارف بالله وتوحيده، فهو مشرك بالله لإثباته نفسه مع الله وهو غير ومعدوم مع الله في توحيده إيَّاه؛ لأن ميدان الوحدة ماحية لما سوى الله، فالعارف بعرفانه مُشرك بالله، ولا شعور له به،

ويظن أنه موحد وليس بموحد، فهو كمن دخل على السلطان فهو في قصر عظيم فقال: وعزتك ما في القصر غيرك ولم يدر أن وجوده يكذبه.

فاجتهد غاية الاجتهاد قبل يوم الميعاد في خلاصك عن الشرك، وتدبر مِن أي وجهة تقع فيه ولا تخلص أنت من الشرك، ولا تعرف التوحيد المذكور إلا إذا لم ترَ نفسًا، ولا وجودًا، ولا صفة، ولا ذاتًا إلا بنفسه وجوده وصفته وذاته، ولا ترى هذه الرؤية فليس في الدارين ولا يرى فيهما إلا هو، والغير عينه بلا غيرية الغير، فهو الذي قال بعض الأكابر:

ذات لا ترى عين ما يرى، فبطونها كنـز لا يرى، وظهورها عين ما يرى فلا يعرف الله إلا الله؛ لأن ذاته منـزهة عن معرفة العارف لكونها غير معلومة لسواها من جميع الوجوه قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨].

وقال ﷺ: «تفكروا في آلاء الله، ولا تتفكروا في ذات الله».

وقال أيضًا في جواب من سأل عن رؤية الرب: «ويحك نورًا أني أراه، وإني للعبد» أي: كيف أرى؟.

وإن كان بكسر الهمزة فمعناه (إني أراه) بالله لا بنفسي، فهذا لا ينافي ما مرَّ فهو تعالى لا يُشاهد إلا في الصورة من نفس العبد أو غيره.

فأعلم العلماء العارفين اعترف بأنه عرفه حق المعرفة.

وقال الصديق ﷺ: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، فدلَّ على أن ثَمَّة أمر يُعجز عن إدراكه، وإن التوحيد هي الوحدة الحقيقية التي لا يُزاد عليها شيء لا من حيث الظهور، ولا من حيث البطون؛ لأنه تعالى من حيث إطلاقه المنـزه عن

الإطلاق، والتقييد، والتشبيه والتنـزيه غير الظهور والبطون، وأفراد العالم كلها مع أنه ليس بخارج منها، ولا داخل، ولا مُتصل، ولا منفصل ظاهرًا وباطنًا؛ إذ لا يجوز أن يكون معه شيء زائد؛ لأن ذاته غنية عن العالمين، وقال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه»، فالآن كما كان؛ لأن كان وجودية لا زمانية ففيه معنى الدوام والثبوت، فمن هذه الحيثية لا يصح أن يحكم عليها بنفي ولا إثبات.

ومن هذا قال بعض العارفين: من سأل عن التوحيد فهو جاهل، ومن أجاب عنه فهو مُلحد، ومن عرَّفه فهو مشرك، ومن لم يعرف ذلك فهو كافر يعني التوحيد لا يحصل بالطلب والسعي والحيلة، فلا يمكن تحصيله، وطلب المحال مُحال، والجواب عنه ميل وعدَّل عن حقيقة الأمر؛ لأنه لا يدخل تحت حيطة العبادة مع أنه مجهول للنفوس البشرية، فكل من تكلم فيه فقد تكلم بالمُحال بغير دراية الحال، فإنه ليس بالقيل والقال.

قال أفضل الخليقة -صلوات الله وسلامه عليه-: «**سبحانك ما عرفناك حق معرفتك**»، وكذا جميع الأنبياء والأولياء.

وقال سيد الطائفتين الجنيد البغدادي -قُدِّس سرَّه-: «والله، ثم والله، ثم والله ما عرف الله سوى الله».

وكل من يقول: أنا عارف بالتوحيد فهو مشرك بعرفانه بالله؛ لأن الذات المطلقة تأبى عن مشاركة العرفان لها وعن كلِّ مشارك، ومن لم يعرف بأن الحق تعالى له هذا التوحيد مثل ما مرَّ، وأنه تعين بهذه التعينات كلها فهو كافر ساتر لما هو الأمر عليه.

وقال أبو يعزى شيخ مدين: «إذا نظرت إلى نفسي لم أَرَ إلا الله، وإذا نظرت إلى الله لم أَرَ سواي».

obeikandi.com

وقال أبو الحسن الخولي: «مَن لا وجود لذاته مِن ذاته فوجوده لولاه مُحال».

وقال سيدي عمر بن الفارض:

وَمَا هي إلا إن بَدَتْ بِمَظَاهِرِ فَظَنُّوا سِوَاهَا وهي فِيهم تَجَلَّتْ

وقال السيد قطب الدين بن سبعين: «الله في كلِّ شيءٍ بكلِّه، وليس فيه الكل والبعض، فهو لا شك ظاهر وباطن، أول وآخر، وهو بادٍ وملتم لا تقل: كيف لي به؟ فيه عنه تفهم».

فهذه الأقوال شاهدة بأنه لا وجود سواه، بل هو الشاهد مِن الشاهد، والمشهود من المشهود.

وقال الشيخ الكامل المحقق سيدي محمد دمرداش المحمدي الصوفي: «هو الاسم والمسمَّى، والأول بلا أولية، والآخر بلا آخرية، والظاهر بلا ظاهرية، والباطن بلا باطنية، فلا أول، ولا آخر، ولا ظاهر، ولا باطن إلا هو لا هو في شيءٍ، ولا شيء فيه، ولا هو داخل، ولا هو خارج، وينبغي أن تعرفه بهذه المعرفة لا بالعقل، ولا بالفهم، ولا بالوهم، ولا بالحس، ولا بالعين الظاهر، ولا الباطن، ولا يعلم ما هو إلا هو بنفسه يرى نفسه، وبذاته يعلم ذاته لا يراه غيره، ولا يُدركه سواه لا نبي مُرسل، ولا ولي مُقرب» انتهى.

شعر:

جَمَالَك في كـلِّ الحقـائقِ سـائرِ وَلَـيس لَـهُ إلا جَلالُـكَ سَـاترُ

كيف لا؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]. وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة:١١٥].

وقال: ﴿مَاَ مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود:٥٦].

وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد:٤].

وقال أيضًا على لسان رسوله ﷺ: «من عرفني طلبني ومن طلبني وجدني ومن وجدني أحبني ومن أحبني قتلته ومن قتلته كانت عليَّ ديته ومن كانت عليّ ديته فأنا ديته». وقال كذلك: « أنا جليس من ذكرني».

ولم يكتف بذلك حتى أخبر عن نفسه بأنه عين حقائقنا، وقوانا الظاهرة في حديث: «كنت سمعه وبصره».

وقال تعالى أيضًا: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، فلا يخلوا شيء من وجه الله، وإلا ما كان إلهًا، وكان العالم مستقلاً بنفسه وهو محال، فَخُلُوا العالم من وجه الحق، أو خلوا وجه الحق من العالم مُحال. شعر :

ظَنَنــتَ ظُنُونَــا بِأَنَّــكَ أَنْتَــا ... وثَــانِي اثنــين دعْ مَــا ظَننتَــا

فَــإن ظَننــتَ جهــلاً بِأَنَّــكَ أَنتَـا ... فَــاعلمْ بِأَنَّــكَ مَــاقطَّ كُنتَــا

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

فإذا عرفت هذا فهو الغاية القصوى، والفائدة العظمى لا خير لمن لم يحصله، ولا كمال لمن لم يعرفه، فماذا وجد من فقده؟ وماذا فقد من وجده؟ فمن وجده وجد كلَّ الخير، ومن فقده فقد كل الخير.

باب المعرفة

قال بعضهم: المعرفة ربانية.

ومنهم من قال: المعرفة إلاهية.

ومنهم من قال: المعرفة قدسية.

ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه، وما هو عليه.

ومنهم من قال: المعرفة أن تعرف ما أنت عليه، وتعجز عما هو عليه.

ومنهم من قال: المعرفة رؤية المعروف من المعروف.

ومنهم من قال: المعرفة جمعية بينك و بينه.

ومنهم من قال المعرفة علم الحد الذي بينك و بينه، فتكون أنت، أنت وهو هو.

ومنهم من قال: المعرفة أن تلحظ ما سواه منه به، ثم تفنيه فيه؛ فيبقى هو وأنت مدرج.

ومنهم من قال: المعرفة على الحكم.

ومنهم من قال: المعرفة من روائح التوحيد؛ يعرفها أصحاب الأنفاس.

ومنهم من قال: المعرفة الاستشراف على الكل بعينه .

ومنهم من قال: المعرفة لمن استوى على العرش.

ومنهم من قال: من كان عرشًا له صحت له المعرفة. وقيل: فيه عارف.

obeikandl.com

ومنهم من قال: المعرفة خطاب مخصوص من الحق لعبده، يسمى به عارفًا.

ومنهم من قال:المعرفة ما تواطأ عليه الحق و العبد، و استعمل في العالم.

ومنهم من قال:السؤال عن المعرفة جهل؛ فإن المعرفة مثبوتة في العالم، فما ثم إلا عارف على قدره، «أين الله» قالت: في السماء[1]» -وكان الله ولا شيء معه هو الآن على ما عليه كان -كلاهما عارف».

ومنهم من قال: المعرفة سر التكوين.

ومنهم من قال: من أعطى كن فقد أعطى المعرفة.

قلت لبعضهم: سمعت عن شيخ أنه قال: الزاهد من أعطي كن فزهد فيه، فقال: كذا زعم والزعم باطل .

ومنهم من قال: المعرفة شطح.

ومنهم من قال: المعرفة إلحاق السوء بالحسن مع ثبوت الحكم.

***

(١) رواه مسلم (١/ ٣٨١).

obeikandi.com

فوائد على الباب المتقدم في المعرفة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣].

مشهد: حقيقة المعرفة انكشاف يوجب رفع الغطا عما استتر وتغطّى، وهو يكون بحسب كل خطوة ومثول ومقام استعداد وقبول.

شاهد: معرفة الفرد فريدة الأفراد غريبة الوجود بين الآحاد.

مشهد: شهود حضرة العرفان مانع من شهود في الأكوان روح حياتها منادمة الحبيب عند غيبة الرقيب.

شاهد: دليل وجدان العارف ورود واردات المعارف، مناغية له بحديث حبيبه ومشهوده في حضرة وصاله وشهوده.

مشهد: ظهرت مخايل القرب والتداني على عبد يعاني للمعاني سيّما، إذا حلّيتْ بحلية الجمال فقد بشَّرته بقربِ الوصال.

شاهد: لما حضر العارف حضرة الحضور رفعت له الغياهب والستور، فهو وإن توارى عنه المحبوب في بعض الزمان عند مطالعة العيان، فقد تراءى له في الجنان.

مشهد: هبَّ عَرْف روضة الرياضة لعارف اشتاق إلى الوصال، فحرك أشجار ثمار معارفه فقال:

هبَّتْ نسيمُ وصالهم سَحَرًا   فجرى نسيمُ الشوقِ في قلبي

واهتزَّ غصنُ الوجدِ مِن طربٍ فتناثرت ثمرٌ من الحبِّ
وبدت شموسُ الوصلِ خارقةٍ بشعاعها لسرادقِ الحجبِ
وصفا لَه وقتٌ أضاء به وجه الرِّضا عَن ظلمةِ العتبِ
وبقيتُ لا شيءٌ أشاهده إلا ظننتُ بأنَّه حبي

هذا حال من وقته صفا، وذهب عنه الجفا، وحلَّ حضرات الوفاء، مع أهل القرب والاصطفاء.

شاهد: أهل المعرفة لهم حنين إلى المحبوب، وزفرات القلب يذوب، ومدامع لولاها أحرقتهم نار الاشتياق، ولهيب وجْد به منعت الدموعَ الإغراق.

مشهد: استغرق صاحب المعرفة فغاب عن الوجود، وفنى بالمشهود عن الشهود.

وجودي أنْ أغيبُ عن الوجودِ بما يبدو عليَّ مِن الشهودِ

شاهد: لطفَت كؤوس الأذواق، واستعذَبت في يد المذاق، بل حلّيتْ وطابت، وجلّيت وطافَتْ على ملوك ملكوا حضرة التداني، وخلاع سكروا بخمرة المعاني، فلله ما سمعوا في ألحان من توقيع الألحان، حين أنشدهم الحادي معربًا، وأسكرهم مطربًا.

وأمطرَ الكأسُ ماءً مِن أبارقها فأنبت الدّرَّ فِي أرضٍ مِن الذهبِ
وسبَّح القومُ لما أن رأوا عجبًا نورًا مِن الماءِ في أرضٍ مِن العنبِ
سلافة ورثتْها عاد عَن إرم كانت ذخيرة كسرَى عن أبٍ فأبِ

مشهد: غاب العارف بخمرة حبه عن الحس، فانجلى نور محبوبه كالشمس،

فهناك دام له السكر وطفحت الدنان، ودارت عليه كؤوس المحبة بالعرفان.

مـا زال يـشربها وتـشرب عقلـه خَـبَلاً وتُـؤذن روحـه بـرواحِ
حَتَّـى انثنـى متوسّـدًا ليمينـه سـكرًا وأسـلم روحـه للـراحِ

شاهد: العارف إذا امتحن بالهجران قام بالأدب مع الكتمان، وإن عَدَّد وناح لم يكن يقال باح.

يَا شمسُ ضحى جبينها وضَّاح سـاعاتُ وصـلك كلهـا أفـراحُ
عُشاقك لو فعلت ما شئت بهم مـاتوا كمـدًا وبـالهوى مَـا بَـاحوا

مشهد: تجلَّت أنوار بهجة الحضرة فهام العارف لَمَّا نظر هناك نظرة، وعجب حيث شهد وجه جمالها في جميع تطوراتها وأحوالها.

تناهت جمالاً فهي وجه جمالها فمقبلـةٌ تـأتي ومقبلـةٌ تمـضي

شاهد: حضرة مشهد الإحسان تأبى إلا الكمال دون النقصان؛ لأنها طاهرة بوصف القدوسية للقدوس، ظاهرة بذلك لأرباب الأرواح والعقول والنفوس.

لـيس فيهـا مـا يُقـالُ لَـه كامـلٌ إذا كلهـا كمـلا
كـلُّ شيءٍ مِـن محاسـنها كـائنٌ في نفـسه مـثلا

مشهد: تجلِّي كشف العيان بما يزيد على العرفان، هو حضرة انقلاب الأعيان.

ألا ترى كيف شهد العارف ذلك بكليته، وسمع وقت المناجاة بجميع أنيته.

إذا ما بـدت لـيلى فكـلي أعـينٌ وإنْ هِـي نـاجتني فكُـلِّي سَـامعٌ

شاهد: العارف: من جمع الكمال، وحصل له المقال والحال.

حـالٌ وقـالٌ يـشهدان بأنـه حـازَ الكـمالَ بكـل معنـى أنفـس

مشهد: تجلَّت أسرار الكائنات لعارف فهم منها الإشارات، وقرأ ما سطرها من العبارات.

تَأمَّلْ سطورَ الكائناتِ فإنَّها مِن الملأ الأعلى إليك رسَائلُ

شاهد: ليس العارف من نفى جميع الطرق غير طريقه، ولم يشهد سوى سلوكه وتحقيقه، بل المسلك السالك من سلك جميع المسالك.

إشارتنا شتى وحسنُكَ واحدٌ وكل إلى ذاك الجمالُ يشيرٌ

مشهد: العارف من ورد البحر دون العيون، وأبرز حقائق المعارف والفنون.

مِن كل معنى يكاد الميتُ يفهمه حسًّا ويعشقه القرطاسُ والقلمُ

شاهد: العارف مع عزته لأهل الحي، مكرَّمُ لكل من في حمي ليلى ومي.

ومِن أجلِ ليلى صرتُ عبدًا وأكرمهم طفلاً وعبدًا وراجلاً
وبالحي إنْ شاهدتُ حيًّا أحبه فكنتُ لهم خدنًا حبيبًا مواصلاً

مشهد: العارف من هو كمجنون ليلى، قد هام بها نهارًا وليلاً إن اشتاق فإليها، وإن بكى فعليها.

لئن كان هذا الدمعُ يجري على غير ليلى فهو دمعٌ مضيعٌ

شاهد: معرفة الأمين على الأسرار. تأبى أن يطّلع على سرها غير الأحرار، وهذا شأن الكبار دون الصغار.

ومستخبرٌ عن سرِّ ليلى ردَّدته بعمياءِ مِن لَيلَى بغيرِ يقينِ
يقولون حدثنا فأنت أمينها وما أنا إنْ حدثتهم بأمِين

مشهد: تراءى الأقمار الأحرار؛ فحدث بالأخبار بالأحبار، وكذبهم

الأشرار؛ فصلوا جميعًا الإنكار.

وإن كنـــت بالمـــدارك غـــرًّا وتـــرى حاذقًـــا لا تمـــارى
وإذا لم تـــرَ الهـــلالَ فـــسلم لأنـــاسٍ رأوه بالأبـــصارِ

شاهد: العارف ينمو في حال حياته، ويشتهر عند الناس بعد وفاته.

يموت قومٌ ويُحيى العلمُ ذِكرهم والجهـلُ يلحـق أحيـاءَ بـأمواتِ

مشهد: لما طاب العارف بطيب المعارف فاحت منه الأردان، وعبقت في جميع الأكوان.

فإنْ كنت مزكومًـا فلـيس بلائـقِ مقالـك إنَّ المـسكَ لـيس بفـائحِ

شاهد: سرت نسمة شذا خمرة المحبين فاهتدى إليها الناشق الصادق من السالكين.

ولولا شذاها ما اهتديتُ لحانها ولولا سناها ما تصورها الـوهمُ

مشهد: حضر العارف حضرة الوصال، فشرب كؤوسها وتجلَّى لَه الجمال، فزاده الشرب هيب الأوام على مَرّ الليالي والأيام.

شاهد: المعرفة توجب الحيرة والقلق، فميز بِهذَين من كذب وصَدق، وتظهر عليه الأحزان، ويرى البُعد في القرب ولو كان ما كان.

يَا مَن تباعد صبري مِـن تباعـده وضَـاع بـين الحـزنِ والقلـقِ
أدرك بقية روح فيك قـد تلفـت قبـل المـماتِ فهـذا آخـرُ الرمـقِ

مشهد: نور المعرفة هو الدليل، وعلى صاحبه عند القوم التعويل ومن ضلَّ عنه ارتدى، ومَن استضاء به اهتدى.

من لم يكن خَلْف الدليل مسيره طرائقُ أكثرت عليه الأوهام

شاهد: العارف إذا شكر اعترف بالعجز للمشكور، وغيره على العكس للقيام بوصف الغرور.

ومتى أقوم بشكرِ ما أوليتني والشكرُ فيه علوٌّ قدرِ القائلِ

مشهد: العارف من أجَل مشيئة الفعال لما يريد، لا يزال قائما على نفسه بالتشديد يطلبُ حسن التدبير، ويخاف سوء التقدير.

فيا ليت شعري أين أو كيف أو يقَدَّر مَا لا بُدُّ أن سَيكون

شاهد: العارف في مقامه العزيز؛ لا يطرأ عليه التغيُّر لأنه كالأبريز.

أيا سائلي عنه هو الذهبُ الذي وجدناه لا يصدأُ وإنْ قَدمَ الدهرُ

مشهد: العارف تسمع أوصافه فتشتاق إليه، وتراه فتجِلّه وتعظمه وتحنو عليه، وتستقلّ الوصف عند عيانه لعلوّ مقامه ورفعة شأنه.

كانت محادثةُ الركبانِ تخبرني عن وصفِكم وعلاكم أطيبَ
حتى التقينا فلا والله ما سمعت أذني بأحسن مما قد رأى بصري

شاهد: العارف كلما علا به المقام؛ صغرت رؤيته في أعين العوام.

كالنجمُ تستصغر الأبصارُ رؤيته والعيبُ للعينِ لا للنجمِ في

مشهد: أوحى لنا وحي الإلهام في حضرة غابت عنها الأوهام.

قال رسول هذه الحضرة: اعلموا يا أهل الخبرة، أن الحق سبحانه قد ستَّر سرَّه بما به هتكه، وخلَّصه بما به مزحه.

أما ترون النار كيف جعل بها نعيم الانتفاع، وإضاءة الإشراق، وظلمة الدخان، وعذاب الإحراق، فالعارف مَن فصَّل حقائق الحكمة، ورأى بهجة النور في الظلمة، فكان لغلبة نوره لديه، وعظيم ظهوره عليه لا تذْكِّيه النار؛ لأن في جسده سلطان الأنوار.

بل تقول: يا مؤمن جزْ بي فقد أطفأ نورك لهبي، ومَن قَوِيَ عليه رفع هذا الحجاب، فهِمَ منها ما كان للكليم وقت الخطاب.

تكفـي اللبيـبُ إشـارةً مرمـوزةً وسـواه يُـدعىَ بالنـداءِ العـالي

شاهد: ليس المخصوص العارف من شاركه العوام في المعارف، ولا من فهمت أسراره وتراءت الأبصار أنواره، بل مَن ينطوي في الانتشار، ويخفي بظهور الأنوار.

تسترت عن دهـري بظـلِّ جناحـه فعيْني تـرى دهـري ولـيس يـراني
فلو تسأل الأيام ما اسمِي ما درَتْ وأيـن مكـاني مـا عَـرفْن مكـاني

انتهى المراد من قوانين حكم الإشراق.

وقال سيدي مصطفى البكري: المعرفة ثلاثة أقسام: معرفة عوام، وخواص، وخواص الخواص.

فالأولى: معرفة ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حقه تعالى، وكذلك في حق رسله، وهذه واجبة على كل مكلفٍ؛ لئلا يشتبَّه عليه الحال فيقع في الخيال، وليسلم من ورطة التقليد في التوحيد.

قال صاحب الجوهرة: إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل عن ترديد،

وكل من طلب الثانية ولم يحكم الأولى كان جاهلاً بالله؛ فإنها أولى وأولى، ويجب على صاحب هذه المعرفة أن يطلب العلم الواجب في حقِّه؛ ليكون ممن يعبد الله على بصيرةٍ، وإلا كان ما يهدم أكثر مما يبني.

ففي الحديث: «ركعتان من عالمٍ أفضل من سبعين ركعة من غير عالم».

والعالم العامل هو الورع المشار إليه بحديث: «ركعتان من رجلٍ وَرِعٍ أفضل من ألف ركعة من مخلطٍ». رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس. وإلا فمع الجهل أين الورع.

والثانية: معرفة آثار الأسماء والصفات، وظهور أنوار تلك الآثار في القلب؛ ليخلص صاحبه من الآفات، وطريقها تسير الأوقات بالعبادات، وتزكية النفس وترك المخالفات، والجلوس على بساط الفقر والانكسار، وشغل القلب بمراقبة العزيز الغفار، والاقتداء بأستاذٍ شهدت بصحة عقيدته وكماله العارفون، وأقرَّت بحسن منازلاته ومواجيده الواصلون، ليسلك به مقام التعلق، ويرقيه إلى التحقق، ويوصله إلى التخلق، وهناك يدرك الأسرار بطريق المنازلة والذوق، ويأكل لا من تحت الأرجل بل من فوق، وطريق التصوف عند السادة الصوفية، كله تخلق بالأخلاق المصطفوية، فمن زاد تخلقه زاد تصوفه، والتخلق يحتاج إلى السلوك، وهو يفتقر إلى المرشد العارف.

قال الشعراني ﷺ في الميزان: أما سلوكك بغير شيخٍ فلا يسلم غالبًا من الرياء والجدال والمزاحمة على الدنيا، ولو بالقلب من غير لفظٍ، فلا يوصلك إلى ذلك، ولو شهد لك جميع أقرانك بالقطبية فلا عبرة بها.

openkanal.com

وقد أشار إلى ذلك الشيخ محيي الدين في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات فقال: «من سلك الطريق بغير شيخٍ ولا ورعٍ عمَّا حرَّم الله فلا وصول له إلى معرفة الله تعالى المعرفة المطلوبة عند القوم ولو عبد الله تعالى عمر نوح ﷺ».

ثم إذا وصل العبد إلى معرفة الله تعالى فليس وراء الله مرمى ولا مرقى بعد ذلك، وهناك يطلع كشفًا ويقينًا على حضرات الأسماء الإلهية، ويرى اتصال جميع أقوال العلماء بحضرة الأسماء، ويرتفع الخلاف عنده في جميع مذاهب المجتهدين؛ لشهود اتصال جميع أقوالهم بحضرة الأسماء والصفات، لا يخرج عن حضرتها قول واحد من أقوالهم.

وهذه المعرفة نتيجة التخلي عن الأخلاق الذميمة، والتحلي بالأوصاف الكريمة، فأثمرت التجلي بالأسرار العظيمة، وفي الحديث: «الأخلاقُ مخزونةٌ عند الله تعالى، فإذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيرًا منحه منها خلقًا».

وقال ﷺ: «إنما بُعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق».

قال صاحب عوارف المعارف: «فالصوفية راضوا نفوسهم بالمكابدات والمجاهدات حتى أجابت إلى تحسين الأخلاق، فنفوس العباد أجابت إلى الأعمال وجمحت عن الأخلاق، ونفوس الزهَّاد أجابت إلى بعض الأخلاق دون البعض، ونفوس الصوفية أجابت إلى الأخلاق الكريمة كلها».

والثالثة: معرفة كنوز أسرار الذات العليَّة، وهذه المعرفة خاصة بأكابر المحققين من الأولياء الراسخين، وقد أشرنا إلى طلب هاتين المعرفتين بقولنا في ورد السحر المُسمَّى بالفتح القدسي والكشف الأنسي، والمنهج القريب إلى لقاء الحبيب:

إلهي عرفني حقائق أسمائك الحسنى، وأطلعني على رقائق دقائق معارفك الحسنى، وأشهدني خفي تجليات صفاتك، وكنوز أسرار ذاتك.

وطريق هذه المعرفة لا يكون إلا عن محض المِنَّة، وكرامة صاحبها استقامته على نهج الكتاب والسُّنة.

قال أبو يزيد البسطامي قدَّس الله سرَّه: لو نظرتم إلى رجلٍ أُعطي من الكرامات حتى تربَّع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة، ولما قصد زيارة ذلك الرجل المشهور بالزهد ودخل المسجد، رمى ببصاقه تجاه القبلة، فانصرف ولم يسلِّم عليه وقال: هذا غير مأمون على أدبٍ من آداب رسول الله ﷺ فكيف يكون مأمونًا على ما يدَّعيه، فاتِّباع القدم المحمدي نعمة وأي نعمة، والزيغ عنه نقمة لا يماثلها نقمة، فإن شؤم هلاك الدين لا يعادله شؤم، نعوذ من ذلك بالله الحي القيوم.

وإذا نظرت بعين التحقيق في هؤلاء الزنادقة المنابذين لأهل الطريق لم ترَ عندهم غير شقشقة اللسان الخالية عن الدليل والبرهان، وإذا بحثت مع أحدهم أسفر وجهه عن أخلاق البغال بكلام أبرد من برد العجوز؛ لتمثله في صف النعال، ويستدلون بأدلة، كبيت العنكبوت وحجه عادت بتوالي الأيام مقطوعة الثبوت كأنها ألعاب الشمس، وهي أبعد عن الحق من أمس يتمسكون بكلام السكارى، ويحتجُّون بأقوال الحيارى، مع أن الصحاة إذا خالفوا نص الشارع لا يعول على كلامهم، ولا يلتفت بعد وجود الحق الصراح لما يضاده من أفهامهم، اللهم إلا أن يكون فهمًا لا يعارض نصًّا، ولا يوجب في مقام قائله نقصًا.

هذا مع أن تلك الشطحات مؤولة، وعن مؤدي اللفظ الظاهري إلى ما يليق محولة، ولهم كتبٌ في الألفاظ المصطلح عليها كثيرة، فكيف يفهم من لم يدرِ رموزهم العسيرة، وضعوها غيرةً على الأسرار أن تُذاع لدى الأشرار.

قال سيدي الشيخ عبد الغني النابلسي ﷺ في رسالته المُسمَّاة بـ«إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود»:

والحاصل أن جميع علماء الظاهر لا حق معهم في الطعن على القائلين بوحدة الوجود من المحققين العارفين، القائلين بذلك على وجه الحق والصواب كما ذكرنا، أما القائلين بوحدة الوجود من الجهلة الغافلين والزنادقة الملحدين، الزاعمين بأن وجودهم المفروض المقدر هو بعينه وجود الله تعالى، وذواتهم المفروضة المقدرة هي بعينها ذات الله تعالى، وصفاتهم المفروضة المقدرة هي بعينها صفات الله تعالى، الذين يحتالون بذلك على إسقاط الأحكام الشرعية عنهم، وإبطال الملَّة المحمدية، وإزالة التكليف عن نفوسهم، فالطعن عليهم بسبب القول بوحدة الوجود على هذا المعنى الفاسد طعن صحيح، وعلماء الظاهر مثابون بذلك كمال الثواب من الملك الوهَّاب، والعارفون المحققون في هذا الطعن من غير خلافٍ قد أشار إليهم الشيخ عبد الكريم الجيلي، قدَّس الله سرَّه، في كتابه المُسمَّى شرح الخلوة في أوائله من الوصايا حيث قال:

يا أخي.. قد سافرت إلى أقصى البلاد، وعاشرت أصناف العباد، فما رأت عيني ولا سمعت أذني أشر ولا أقبح ولا أبعد عن جناب الحق تعالى من طائفةٍ تدَّعي أنها من كُمَّل الصوفية، وتنسب نفسها إلى الكُمَّل وتظهر بصورتهم، ومع هذا لا تؤمن بالله ورسله ولا باليوم الآخر، ولا تتقيَّد بالتكاليف الشرعية، وتقرر أحوال الرسل وما جاءوا به بوجهٍ لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من الإيمان، فكيف من وصل إلى مراتب الكشف والعيان، ورأينا منهم جماعة كثيرة من أكابرهم في بلاد أذربيجان وشروان وجيلان وخراسان، لعن الله جميعهم.

فالله الله يا أخي.. لا تسكن في قريةٍ فيها واحد من هذه الطائفة؛ لقوله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، وإن لم يتيسر لك فاجتهد ألا تراهم ولا تجاورهم، فكيف أن تعاشرهم وتخالطهم، وإن لم تفعل فما نصحت نفسك، والله الهادي.

وقال الجنيد ﷺ لرجلٍ ذكر المعرفة وقال: (أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقرُّب إلى الله تعالى): إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البر ذرة إلا أن يحال بي دونها.

وقال ﷺ: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

وقال ﷺ: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسُّنة.

وقال ﷺ: ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات.

وقال ﷺ: رأيت في المنام أني أتكلم على الناس، فوقف عليَّ ملكٌ فقال: ما أقرب ما تقرَّب به المتقربون إلى الله تعالى؟ فقلت: بعملٍ خفيٍّ بميزان، وفي قولي وهو يقول: كلامٌ موفقٌ والله، وقيل له: من أين استفدت هذا العلم؟ فقال: من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجةٍ في داره.

ورُئي في يده سبحة فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ في يدك سبحة، فقال: طريق وصلت به إلى الله تعالى لا أفارقه، وكان يدخل كل يومٍ حانوته ويسبل الستر، ويصلِّي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته، كذا في الرسالة القشيرية.

فانظر يا أخي بعين الإنصاف إلى حال هؤلاء الزنادقة، وما هم عليه من سوء الاعتقاد مع ادِّعائهم المعرفة بالله تعالى التي هي أعز منالاً من بيض الأنوق ومن مناط العبوق، وحال السلف الصالح تجد بينهم من البون كما بين النور والظلام، والعلم والجهل التام.

فإن القوم تخلَّقوا وهؤلاء تشدَّقوا، وأولئك اتَّبعوا وهؤلاء ابتدعوا، وأولئك على الحق ائتلفوا وهؤلاء اختلفوا، والقوم ساروا وما وقفوا وهؤلاء وقفوا وتخلفوا، أجمع أهل الحق على اتِّباع الشريعة فخالفوهم، وعلى مخالفة الشيطان وجنوده فحالفوهم، وقد قلت سابقًا محذرًا من هذه الطائفة التي عليها دوائر السوء دائرة وبها طائفة، ولا بدَّ من معرفة الأخلاق الحسنة كالتقوى والزهد والورع ونحو ذلك واستعمالها، ومعرفة الأخلاق السيئة كالحسد والحرص والرياء ونحوها واجتنابها، ثم الدوام على ذلك من غير تحولٍ عنه، ومطالعة مواجيد العارفين من أهل الكمال، والاقتباس من أنوارهم، والمشي على طريقتهم مع محبتهم، وتحسين الظن بهم وبكلامهم نثرًا ونظمًا، وإساءة الظن بنفسه إذا لم يفهم شيئًا من مواجيدهم الإيمانية لكمالهم ونقصانه، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيمٍ. وانظر: السيوف الحداد (ص١٠٥) بتحقيقنا.

❁❁❁

باب الحب

قال بعضهم: الحب لا يصح.

ومنهم من قال: ما تم إلا حب، ومنهم من قال: الحب نعت لا صفة.

ومنهم من قال:الحب سر إلهي، يعطي في كل ذات على حسب ما يليق بها.

ومنهم من قال: كيف تنكر الحب وما في الوجود إلا هو، ولولا الحب ما ظهر؛ فمن الحب ما ظهر، وبالحب ظهر، والحب سار فيه، و الحب ينقله!

ومنهم من قال: لا يصح نكران الحب؛ فبالحب حرك المحرك، و بالحب تحرك المتحرك و سكن الساكن، و بالحب تكلم المتكلم و صمت الصامت.

ومنهم من قال: الحب سلطان يتبعه كل شيء.

***

فوائد على الباب المتقدم في الحب

قال أبو المواهب الشاذلي: قال الله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: من الآية٥٤].

نفحة: نظرت عن العناية لعبد سبقت له عواطف الحنَان من الحنَّان؛ فدخل حضرة الامتنان بالأمان.

لمحة: لوامع حضرة السنا برقت بالأسماء الحسنى، فهل رأيت ذلك الجمال؟ وهل همْت بالوجد بين الرجال؟

نفحة: حقيقة المحبة نار تحرق الأكبار، ولوعة تنمو وتزداد.

وفي فؤادِ المحبِ نارُ جوى   أحرُّ نارُ الجحيمِ أبردها

لمحة: يا من نظر حسْن الغيد بحيّها والبطاح؛ فغدا مفتونًا بدلال تلك الملاح.

جمالُ ليلى تجلَّى   فاشهد وِطبْ وتملَّى

نفحة: حقيقة المحبة كتمان سرّ المحبوب فيما تجلّى على المحب من مشاهدة الغيوب.

لمحة: سرت نسمة المحبوب للمحب فطار فرحًا وشوقًا، فكيف به لو رأى جماله عيانًا كان يموت حقًا.

نفحة: حقيقة المحبة خلاص جوهر الروح من الأعراض وفناء النفس من الحظوظ والأعراض.

لمحة: إن شئت أن تلتذ بلمحة شهود العيان؛ فتذلل لمحبوبك في كل الأماكن والأزمان.

نفحة: أعظم المحبة ما يسكن القلب أول وهلة، وتزعج منه جمع الخواطر بلا مهلة.

لمحة: المحب مَن لا يغَيِّره عذْل الرقيب، بل يزيدِه ذلك حبًّا في الحبيب.

نفحة: المحبة الحقيقية جذبة اضطرارية غير اختيارية عند المحققين من الصوفية.

لمحة: سوق الشرق به قطب المحبة والذوق؛ **لهذا** ترى الأشباح تابعة للأرواح.

نفحة: إذا قوى على المحب الشوق استعرت فيه النيران، فترادفت عليه الهموم والأحزان، فاستمع قصص أخبارهم عن أحبارهم.

لمحة: روح المحب المشوق كالغصن الممشوق، كلما مرَّت به نسمة لطيفة أوجبت له حركة ظريفة.

نفحة: المحب أبدًا يخاف فوات الوصال، وينشد لسان حاله قول من قال:

لمحة: سمع المحب في ليله شبه صوت محبوبه في المنام، فنهض وبادر للقيام، فإذا هو من الهيام وغلبة الأوهام.

نفحة: تفوتت أحوال أهل الغرام، وتباينت في الحال والمقام.

فالمريد صحا بعد سكره، وانطوى في نشره، والمراد كلما صحا؛ ازداد سكرًا فلذلك طاب عَرْفه نشْرًا.

لمحة: إذا تراءى جمال المحبوب من عالم الغيوب زاد الهيام، وامتنع الكلام إلا عند الشكوى من ألم البلوى.

نفحة: حضر المحب مع المحبوب في المقام؛ فسكرَ سكرْ الهوَى والمدامَ، فلا عجب إن غاب واستمع وطاب.

لمحة: دخل المحب ليلة حمي الحبيب، عند غفلة الواشى والرقيب، فالتذَّ بسماع الخطاب في حضرة الأحباب.

نفحة: إذا سمع الحبيب بالوصال، وآنس محبه بشهود الجمال؛ فذلك إذن له بالخطاب يا من رفع له الحجاب.

لمحة: من لم يحصل له من المحبةِ ذَرَّة أو حبَّة، فقد حُجِب من النعيم باليأس، وليس في شيءٍ من الناس.

نفحة: تالله لا يطيق الكتمان مَن قلبه بالمحبة ملآن.

لمحة: صاحب مقام الصبر دون التصبر في المحبة ملوم، فإذا عُوقب فليس بمظلوم.

نفحة: قلب المحب لا يرعوي عن المحبوب، وإذا قال غير ذلك فهو كذوب.

ألستَ وعدْتَني يا قلب أني ... إذا ما تبت عن ليْلَى تتوبُ
فها أنا تائبٌ عن حبِّ ليلى ... فما لك كلما ذكرت تدوبُ

لمحة: من لم يفن ويموت في هوى الحبيب، لم يحصل في وصله على أوفر نصيب.

فلا ينالُ حياةَ القربِ عاشقنا ... إلا إذا صارَ في إعدادِ قتلانا

نفحة: علامة المحبة قيام المحب بأوامر محبوبه، واستجلاء ما مَرَّ من شئونه وخطوبه.

تعصى الإله وأنت تظهرُ حبه ... هذا لعمري في القياسِ بديعُ
لو كان حبُّك صادقًا لأطعته ... إنَّ المحبَ لَمن يحبُ مطيعُ

لمحة: حال الحب الصادق ينتقل ويترقَّى، حتى يكون بذلك من غيره أرقى.

obeikandi.com

نفحة: قلب المحب عن محبوبه لا ينقلب انقلاب الحبيب، وهذا هو الشأن وضده الأمر العجيب.

لمحة: غلبة نار الجوى هاجت بالهوى، فأحرقت روح الحب فذابت وتدفقت من آماقه وسالت.

وقال الصدر القونوي ﷺ في «النفحات الإلهية»: للمحبة أسبابٌ شتَّى، وموجبات متعددة.

منها: ما هو نتيجة عن مناسبةٍ واقعةٍ بين بعض صفات المحب والمحبوب؛ يتحدان من حيث تلك الصفة، وإن تَفَاوَتَتْ حظوظهما.

منها: لاستحالة ظهور حكم صفة ما في موجودين أو شخصين على السوية؛ بل لا بد من حصول التفاوت؛ لتفاوت استعدادات الماهيات الغير المجعولة المقتضية لقبول الوجود الواحد الشامل جميعها على الأنحاء المختلفة بصورِ حصصٍ متنوعة.

ولهذا تعذَّر وجدان المثلية بين اثنين من جميع الوجوه ذاتًا وصفةً وحالاً، بل غاية ذلك الشبه من بعض الوجوه.

ثم نقول؛ وقد تكون المحبَّة الحاصلة بين اثنين نتيجة اشتراك، ومناسبة في بعض الأفعال، أو في بعض الأحوال، أو في المرتبة؛ كالاشتراك في النبوّة، والولاية، والخلافة، والعلم بالله أو بما شاء الله من حيث الذات.

والمراد من قولنا: من حيث الذات أن العلم عندنا قد يكون ذاتيًّا؛ فلا يدخل في قسم الصفات، فلو لم يذكر القيد المنبَّه عليه لَظُنَّ أن ذكر العلم تكرارٌ، فإنه داخل في قسم الصفات.

وإذا تقرر هذا فنقول: المحبةُ حقيقةٌ كليةٌ مشتركةُ الحكم بين الرتبة الإلهية والكونية، فمناسبتها ثابتة بين الحق والخلق، فتصحُّ نسبتها إلى الحق من وجهٍ وباعتبارٍ، وإلى الخلق أيضًا كذلك؛ بموجب حكم المناسبة التي سنزيد في بيانها إن شاء الله، ليس من حيث ما يتوهَّمه المحجوبون من أن الحق يحب عباده من حيث مغايرتهم إيَّاه أو فيهم من يحبه من كونه خلقًا وسوى؛ ويغترون بما يفهمونه من قوله ﷻ: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، وبقوله: ﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، و﴿يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:٤٦] ونحو ذلك.

وهذا عندنا من المستحيلات، فإنه من المحال في مشرب التحقيق أن يحب شيءٍ ما سواه من حيث ما يغايره إلا بموجب حكمَ معنى مشترك بينهما، من حيث ذلك المعنى ثبت بينهما مناسبة تقضي بغلبة حكم ما به الاتحاد على حكم ما به الامتياز والمباينة.

فبحكم العلم بتلك المناسبة أو الشعور بها على العالِم، أو الشاعر أن يطلب رفع أحكام المباينة بالكلية، وظهور سلطنة ما به الاتحاد؛ لِتصح الوصلة التامة، وتظهر سلطنة الواحد الأحد، فلا جائزٌ أن يحب الحق الخلق أو الخلق الحق.

وإنما ثم أسرار أُخر ذاتية، وصفاتية، وفعلية، وحالية، ومرتبية من حيث هي تثبت المناسبة فتحصل المحبة، غير ذلك لا يجوز.

فأما «الصفاتية»: فإن الوحدة صفة ذاتية للحق، والكثرة صفة ذاتية للعالم؛ فهما متقابلان من هذه الوجه، لكن للوحدة كثرة نسبية من حيث ما يتعقّل أن الواحد نصف الاثنين، وثلث الثلاثة، وربع الأربعة، وخمس الخمسة، فهذه أحكامٌ لازمةٌ

لوحدة الواحد، ولا توجب كثرة في حقيقته، فإنها أمورٌ اعتبارية لا وجودية، وهكذا يجب أن يتعقّل جميع الصفات الإلهية ليس غير ذلك.

ثم نقول: ولكثرة أيضًا وحدة تخصُّها هي معقولية وحدة الجُملة من حيث هي جملة وكلية، فمتى علم أحدهما بالآخر، أو تعقل بينهما ارتباط؛ فبموجب حكم القدر المشترك، فما علم هذا بذلك إلا بما فيه منه، فافهم.

ثم قال الوارد المتعين لسانه في القلب الجامع الإنساني وهو من مقدمات كتاب: «علم العلم»: اعلم أن مستند الآثار كلها ممن تُنسب إليه هو التوجه الذاتي المؤثر فيه بالحال الجمعي؛ لكن من حيث كينونة المؤثر فيه في ذات المؤثر وارتسامه في نفسه، والحال الجمعي ناتج عن الحركة الحُبيَّة؛ وموجب الحركة على اختلاف ضروبها طلب التحقق بالمحبوب المقتضي للحركة نحوه، والمحبة كيفية لازمة لاستجلاء العالم ما في الاتحاد به؛ ظاهرًا وباطنًا، جمعًا وتفصيلاً؛ كما له لذةً وابتهاجًا، عاجلاً أو آجلاً، مؤقتًا أو غير مؤقت.

و «علم العالم»: عبارة عن كمال إحساسه بذاته ولوازمها، وكمال الإحساس مشروطٌ بصحة الإدراك، وكمال الحياة المستلزم رفع كل حجاب والتباس.

و «الالتباس»: عبارة عن امتزاج أحكام المراتب، وتداخل أحكام الحقائق بسبب الوجود الواحد المشترك بينها؛ الموحد أحكام الكثرة المختصة بكل منها؛ وعوز مانع من كمال انبساط حكم المدرك من حيث إدراكه على شئون ذاته المستجنة فيه، وما يزيد الانبساط عليه بموجب قيد ينافيه الإطلاق.

و «رفع حكم الالتباس والجهل من المتصف بهما»: عبارة عن مزيد وضوح

له فيما تعلَّق إدراكه به من قبل؛ ويستلزم إعراضه عما كان حاكمًا عليه بسبب إقباله وميله إليه.

وعبارة عن انبساط ذات المدرك وإطلاقه وكمال نوريته المنفِّر ظلمة كل حجبة أوجبها التعدُّد والاختلاف.

و«الحجبة»: عبارة عن الإعراض عن سرِّ ما سمِّي حجابًا، والتشوُّف إلى ما لحظ بعين المحجوبية، وللمحجوب درجةُ المطلوب المتوسل إليه، وللحجَّاب درجة الوسيلة؛ ومرجع ذلك إلى جمعٍ وتفصيلٍ قد يعبر عنهما بقبض وبسط يستلزمان البطون والظهور؛ اللَّذيْنِ لا يتحققان إلا بشهودِ القدر المشترك بينهما، وغلبة حكم الوحدة الجامعة بين العالم، وما قصد معرفته على أحكام كثرتهما الموجبة للجهل والحجبة، ولما كان الحق محيطًا بكل شيءٍ، وكانت أحكام وحدته غالبة على أحكام كثرة المعلومات؛ لهذا كان علمه بنفسه مستلزمًا لعلمه بكل شيء، فافهم.

❁❁❁

باب في إشاراتهم في أنواع شتى

منها المتشابه:

قال بعضهم: من نظر نظر.

وقال بعضهم: من صام صام.

وقال بعضهم: من صلى صلى.

وقال بعضهم: من قام قام.

وقال بعضهم: من اعتبر عبر.

وقال بعضهم: من زكى زكى.

وقال بعضهم: من آمن آمن.

وقال بعضهم: من أسلم أسلم.

وقال بعضهم: من أحرم أحرم.

ومن غير المزدوج والمزدوج:

قال بعضهم: دعيت فلم أجب فسكرت.

وقال بعضهم: رأيته فعميت.

وقال بعضهم: كما كان ولم أكن فيكون الآن وليس هو.

وقال بعضهم: الوجود في الآن.

وقال بعضهم: من كنته فإنه يكونك.

obeikandl.com

وقال بعضهم: العرش ظل الله والإنسان العرش.

وقال بعضهم: وقد قيل: قد أذن بالصلاة فقال: إنما جعل النداء للغافلين، مذ دخلت إليه لم أخرج.

وقال بعضهم: الصلاة مناجاة لا رؤية؛ ولهذا شرعت بالحركات.

وقال بعضهم: الجناية جناية.

وقال بعضهم: من تكلم تكلم.

وقال بعضهم: التقوى زاد، و الزاد للمسافر لا للمقيم، من لا سفر له لا زاد له.

وقال بعضهم: «الحج عرفة»[1]، والراحة المبيت في المزدلفة والحثي في منى.

وقال بعضهم: من أعطانا شيئًا فعليه الكون لنا لا له، هو له ما نحن له.

وقال بعضهم: أشهدني فلم أره باسطني فلم أعرفه.

وقال بعضهم: ليس لي أمر فأفوضه إليه.

وقال آخر: حين سمع قارئًا يقرأ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم:٨٥]: كيف يحشر إليه من هو جليسه؟ وقرأ بعضهم: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ﴾.

وقرأ بعض الناس: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الأعراف:٤٩]، وقرأ بعضهم: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ﴾ [الحجر:٩٩]، وقال آخر: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ [طه:١٢١] إذ كان عصى غيره ما كانت.

وقال بعضهم:

---

(١) رواه الترمذي (٣/ ٢٣٧)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٤٠)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٣).

خَيالُكَ فِي عَيْنِي وَذِكْرُكَ فِي فَمِي وَمَثْوَاكَ فِي قَلْـــبِي فَأَيْنَ تَغِيبُ(١)

وقال بعضهم: ما لي إلى الله حجة و الحمد لله.

وقال بعضهم: إنما يتوكل عليه من يرى غيره.

وقال بعضهم: عجبت لمن عرف الله كيف أطاعه.

وقال بعضهم: لا تغتروا بدخول إبليس النار؛ فإنه تعالى يقول: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ [ص:٨٥].

وقال بعضهم: رجال الله كالسراب.

وقال بعضهم: الشرع أمانة، و الحقيقة أمن.

وقال بعضهم: لا يصام إلا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن.

وقال بعضهم: الرحمن على العرش وقف، والابتداء استوى له ما في السموات.

وقال بعضهم: ما أنا بليلة مباركة يفرق في كل أمر حكيم.

وقال بعضهم: رسل الله، الله.

وقال بعضهم: المطيع يسيء الظن بربه.

وقال بعضهم: الطاعة تجر إلى النور، و المعصية تجر إلى النار، والنور أشد إحراقًا.

---

(١) في الفتوحات المكية (٣/ ٤٦٧).

وقال بعضهم: الأخلاق ربانية، والآداب شرعية.

وقال بعضهم: العلائقَ حقائق؛ فمن غاب عنها سمي في قطعها.

وقال بعضهم: على قدر ما يقطع العبد من العلائق؛ يفوته من الحقائق.

وقال بعضهم: المحجوب من اتسعت معارفه، والعالي من قلَّت معارفه.

وقال بعضهم: هجران الخلائق من سوء الخلائق.

وقال بعضهم: ليس فوق الصلاح مرتبة، وهي مطلب رسل الله، وهم أعلم بالخلائق بالله.

وقال بعضهم: العلم للخلق، والحقيقة للحق.

وقال بعضهم: الأحكام لا تبطل الحكمة، والحقيقة لا ترفع الاسم والرَّسم.

وقال بعضهم: الإمام لا يلتفت.

وقال بعضهم: المريض أكله دواء.

وقال بعضهم: الحرج كلامه التجاء.

وقال بعضهم: الصفاء بلا كدر وهو الصفاء.

وقال بعضهم: ليس التكحل في العينين كالكحل.

وقال بعضهم: الكحل يحتاج إلى العين؛ لأنه يحب الثناء.

وقال بعضهم: العيون تحتاج إلى الكحل؛ لأنها تحب الزينة.

وقال بعضهم: من لم تكن له جهة كان وجهًا كليًّا.

وقال بعضهم: العلم، العلم الإرادي.

وقال بعضهم: قلة الغذاء غذاء.

وقال بعضهم: من هرب من الخلق إلى الله ما عرف الله.

وقال بعضهم: السكون من الله تهمة.

وقال بعضهم: الحركة مع الله رحلة.

وقال بعضهم: الرجل من يقابل الألوهية بالعبودية، وقرأ بعضهم: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في﴾.

وقال بعضهم: لا يكون ربًّا حقيقة من لم يكن عبدًا.

وقال بعضهم: تجريد التوحيد شرك؛ لأنه ممن تجردت.

وقال بعضهم: إخلاص المعاملة للواحد لا يصح.

وقال بعضهم: ترك الحلال محال؛ لأنه لابدَّ منه.

وقال بعضهم: ادعى الهوى الألوهية، ومن غالبه فقد أثبت له ما ادعاه.

وقال بعضهم: منازعة الطباع جهل الحكيم من استعمل طبعه.

وقال بعضهم: من استعمل طبعه وصل إلى الله مستريحًا.

وقال بعضهم: بني الشرع على ضدِّ الطبع، وأنا أسمع، فقلت: بني الشرع على الطبع؛ و لهذا قبله.

وقال بعضهم: من تباعد من الشهوات جهل سرها، ومن تبعها يحتاج إلى ميزان.

وقال بعضهم: الحلف قعوده رصد.

وقال بعضهم: ليل الغريم فكره ونهاره ذله.

وقال بعضهم: المظلوم حي قيوم.

وقال بعضهم: المحزون در مكنون، سر مصون لا يعرفه إلا مثله.

وقال بعضهم: الكلام «هو»، والمنزل «عند»، والجملة «على»، والطينة «مع»، والرؤية «إلى، والفرح «ب»، والسماع «من»، والمعرفة «ل».

وقال بعضهم: الحرية عبودية كاملة.

وقال بعضهم: العقل سراج إلى زيت الشجرة المباركة.

وقال بعضهم: من ارتحل لم ينتقل.

وقال بعضهم: سقط القمر في الصلاة عن العارفين إذا سافروا.

وقال بعضهم: سفر الأجسام يضع شطر الصلاة، وسفر الأرواح يضع الصلاة؛ لأن الخطاب سفلي.

وقال بعضهم: السرور في البلاء بـ«ليس».

وقال بعضهم: التلذذ بالكلام حجاب، وليس بصاحب كلام.

وقال بعضهم: من اشتغل بربه لم يعرفه.

وقال بعضهم: الصمت ضالة.

وقال بعضهم: النعمة حياة.

وقال بعضهم: الإفلاس بضاعة الرجال.

وقال بعضهم: الفتوة ترك الحول والقوة.

obeikandi.com

وقال بعضهم: ولي الله «لا».

وقال بعضهم: الدواء داء، والنظرة إلى المحبوب دواء العيل، وهي تسقم القلوب.

وقال بعضهم: من سافر احتاج إلى الزاد، قلت له: ومن قام احتاج إلى القوت؛ فأين يهرب؟.

وقال بعضهم: الإنسان ساعته، وساعته نفسه.

وقال: من فصل بين الأخلاق السنية والدَّنية اتسع بحره فغرق.

وقال بعضهم: ما ثَمَّ إلا رفعة مطلقة، ما ثَم تواضع أصلاً؛ لأن الكل إليه يصير، ومن صار إليه فهو في رفعة.

وقال بعضهم: ما في الوجود مقابل أصلاً، غنى بلا فقر، من قتل نفسه لشيء فهو لما قتلها.

وقال بعضهم: غرائب الأمر عند الغرباء.

وقال بعضهم: التقلل من الدنيا علة، و التكثير منها علة.

وقال بعضهم: الاعتماد على الله يقوي ألهوية الأسباب.

وقال بعضهم: الرغبة في الطاعات حرص.

وقال بعضهم: الصبر مقاومة وهو سوء أدب في حق الكامل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء:٨٣]؛ فتمييز اليد عند الأخذ شركٌ محض في الملك.

openlkandl.com

وقال بعضهم: الذِّكر الخفي حين إلا في موطنه بأهله.

وقال بعضهم: تحقيق الإخلاص تقوية إبليس.

وقال بعضهم: الرجل من جعل نفسه سفينة نوح.

وقال بعضهم: الرجل من كان الروح أباه.

وقال بعضهم: الرجل ذو نفس واحدة.

وقال بعضهم: الرجل من كانت له رجلان ولم يسع بهما.

وقال بعضهم: ليس الرجل من يخترق الهوى؛ وإنما الرجل من سكن، وقرأ على بعضهم في حمام: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣]، فقال: وما له ما تحرك، فقلت له: هذه إشارة لا حقيقة؛ فإن الحركة للدعوى والسكون ما فيه دعوى، وأعرف الموطن حقيقتها ما سكن أي ما ثبت؛ فدخلت الحركة و السكون.

وقال بعضهم: الرجل من لا ينتظر.

وقال بعضهم: الرجل من لا يعرف ما سوى الله.

وقال بعضهم: الرجل من نفذ في كل شيء.

وقال بعضهم: الرجل من اعتدل، فعامل الأوقات بحسب ما جاءت به، وعامل الموطن بحسب ما يقتضيه.

وقال بعضهم: الرجل من إذا نطق سمعه كل شيء ما سوى الثقلين.

وقال بعضهم: الرجل إذا سجد سجدة لله لم يرفع رأسه أبدًا؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة. وقال بعضهم: الرجل من أعطي النيابة.

وقال بعضهم: الرجل من يعرف جميع الألسنة، ولا يعرف له لسان فيقيد به.

وقال بعضهم: الرجل من أعطي ما أعطيت الرسل وثبت على اتباعهم ولم يتزلزل.

وقال بعضهم: الرجل معتكف في الحضرة بسره.

وقال بعضهم: الرجل من لا يؤثر فيه فقدان العوائد.

وقال بعضهم: الرجل من استحق أن يأخذ كل شيء، ويضيف إلى نفسه كل شيء.

وقال بعضهم: الرجل من قال: الله، فأعدم كل شيء، فقال له: من كان حاضرًا: الرجل من قال: الله، فأوجد كل شيء.

وقال بعضهم: الفتي من تفتى على الحق.

وقال بعضهم: الرجل من نزع القدر، فقلت له بعد الاطلاع ، فسكت.

وقال بعضهم: الرجل من عرف قيمة كل موجود عند الله، فوفاه قسطه.

وقال بعضهم: الرجل من لا يغتاب بحضور كل شيء.

وقال بعضهم: المشيئة عرش أعلى لا عرض فوقه.

وقال بعضهم: ما في الوجود مختار.

وقال بعضهم: ما في الوجود مختار.

وقال بعضهم: خَلع النعلين حكم لا حقيقة.

obeikandi.com

وقال بعضهم: إثبات العلل زلل.

وقال بعضهم: القبضتان ميزان.

وقال بعضهم: الإنسان هو المقصود من الوجود.

وقال بعضهم: الإمداد واحد.

وقال بعضهم: النفخة واحدة.

وقال بعضهم: ما ثَمَّ محجوب.

وقال بعضهم: لأهل النار حجاب، ولأهل الجنة حجاب.

وقال بعضهم: كل مركب محجوب.

وقال بعضهم: الراجل أشرف من الفارس؛ لأن الفارس صاحب مركب، وكل صاحب مركب محجوب؛ لأنه محمول.

وقال بعضهم: الفوت غنيمة.

وقال بعضهم: الرجل سماء ظليلة؛ وأرض ذليلة.

وقال بعضهم: الرجل شمس.

وقال بعضهم: الرجل بدر.

وقال بعضهم: الرجل من ظهر عليه ما عبد له ولو كان جمادًا.

وقال بعضهم: الأرض مقام في البلاء.

وقال بعضهم: الرجل عاطش أبدًا.

obeikandl.com

وقال **بعضهم**: الرجل من ينفق.

وقال بعضهم: الرجل من ينفق عليه.

قال جامع هذه الإشارات: ما قيدت منها إلا ما سمعته من قائله؛ إلا ما ذكرت اسمه والحمد لله، وجملتها مائتان و بضعة وستون كلمة.

وصلِّ اللَّهُمَّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ صَلَاةً تفتح بها علينا فَتح العَارفين

obeikandl.com

السورة	الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة	﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾	٣٠	١٦٩
	﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾	٣٠	١،١٣٩،١٦٩،١٧١ ٢٧
	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	٣٠	١٣٩، ١٦٩
	﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾	٣٤	١٣٠
	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ ....﴾	٧٤	١٤٣
	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ....﴾	٧٤	١٤٣،٩٨
	﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٧٥	٣٥٤
	﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾	١٠٥	١٧٢، ١٨٣
	﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾	١٠٦	٢٠١
	﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾	١١٥	٣٤٣، ٣٦٩
	﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾	١١٧	١٧٢
	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	١٥٢	٣٢٧
	﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾	١٩٥	٢١٨، ٣٩١
	﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٣٥٢
	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾	٢٥٣	١٧٧
	﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٥٩	١٣٢
	﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾	٢٦٠	١٣٢

obeikandi.com

	﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾	٢٦٠	١٣٢
	﴿قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾	٢٦٠	١٣٢
	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم....﴾	٢٦٨	٨٥، ٢٢٢، ٢٢٤
آل عمران	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾	٢٨	٣٦٧
	﴿ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾	٩٧	٣٣٢
	﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾	١٠٣	١٨٤
	﴿يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾	١٤٦	٣٩١
	﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	١٥٨
	﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ ....﴾	١٦٩، ١٧٠	١٨٦
النساء	﴿وخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفا﴾	٢٨	١٥٦
	﴿أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ...﴾	٥٩	١٣٨
	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ﴾	١٤٢	١٠٠
	﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيما﴾	١٦٤	٥٥، ١٦٤
	﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾	١٧١	٣٥٥
المائدة	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾	١	٣٤٥
	﴿يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ...﴾	١٦	١٨٤
	﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ....﴾	١٧	٢٩٧
	﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	١٧١، ٣٨٦، ٣٩١

obeikandi.com

	﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ....﴾	٨٣	٣٧٣
الأنعام	﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾	١٣	٤٠١
	﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	١٩	٣٢٦
	﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ ....﴾	٣٨	١٤٥
	﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾	١٠٣	٣٣٩
	﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾	١٠٤	١٨٣
	﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ ....﴾	١٥١	١٥١
	﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾	١٦٥	١٧٥، ١٧٧
الأعراف	﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ....﴾	١٢	١٢٧
	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ...﴾	١٧	٢١٧
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾	٢١	٢١٧
	﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ....﴾	٤٣	١٣٨، ١٨٨
	﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾	٤٩	٣٩٥
	﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ....﴾	١٢٩	١٧١
	﴿أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾	١٤٣	٣٣٨
	﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا ....﴾	١٧٩	١٦٧
الأنفال	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَى﴾	١٧	٣٦٩

obeikandl.com

	﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ﴾	٢٣	٣٥٢
	﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾	٢٥	٣٨٤
التوبة	﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾	٦	٣٤٥، ٣٥٠
	﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ عَسَى اللهُ ....﴾	١٠٢	١٥١
يونس	﴿أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ .....﴾	٦٢	١٨٧
	﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	١٨٨
هود	﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٥٦	٣٤٩، ٣٧٠
	﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾	١٢٣	٣٤٠
يوسف	﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا.....﴾	٤	١٠٤
	﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾	٥٣	٨٣، ٥١
الرعد	﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ......﴾	١١	١٧٢
	﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾	١٥	٢٥٠
	﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾	١٧	٢٠٠
	﴿وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم ....﴾	٢٣، ٢٤	١٧٤
	﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلُوبُ﴾	٢٨	٦٧
إبراهيم	﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٢٢٣

	﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٤	١٤٤
	﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾	٢٦	١٤٤
الحجر	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾	٢٩	١٥٢
	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾	٧٥	٥٩
	﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ﴾	٩٩	٣٩٥
النحل	﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾	٦٨	٥٥
الإسراء	﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾	١١	١٥٦
	﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ..﴾	٢١	١٧٥
	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾	٢٣	٢٧٤
	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ .....﴾	٣٦	٨٧، ٩٠
	﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾	٦٥	٢٤٧
	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾	٧٠	١٧٠
	﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾	٨٥	١٥٨
الكهف	﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً﴾	٨٢	١٧٦
	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ....﴾	١٠٧	١٥٣
مريم	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾	١٠	٣٢٣

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
	﴿يَـٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَـٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾	٢٣	٣٥٥
	﴿ إِلَيْهِ فَأَشَارَتْ﴾	٢٩	٣١٥
	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾	٩٧	٣٤٧
	﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ﴾	٥٢	٥٥
	﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴾	٨٥	٣٩٥
	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾	٩٧	٣٤٧
طه	﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ﴾	١٣	٣٤٦
	﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾	٣٩	١٠٦
	﴿هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَى﴾	٨٨	٣٢٩
	﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾	١٢١	٣٩٥
	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى﴾	١٢٨	٦١
الأنبياء	﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾	٢	٣٥٧
	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾	٨٣	٤٠٠
الحج	﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾	٥٢	٦٨
	﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ﴾	٦٠	١٧١
المؤمنون	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ . .... ﴾	١١٥	١٦٩
النور	﴿لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾	٢١	١٥٤
	﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	٢٤	٣٥٥

obeikandi.com

الشعراء	﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾	٢١٠-٢١٢	٣٤٦
النمل	﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾	١٦	٣٥٤
القصص	﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾	٨٨	٣٧٠
	﴿اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ...﴾	٣٥	١٠٧، ١٨٣، ٣٢١
العنكبوت	﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	٦٩	٢٤٤
الروم	﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾	١٥	١٨٨
	﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ ...﴾	٤٠	١٢٢
لقمان	﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾	١٤	١٥٦
	﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾	٢٨	١٤٢
الأحزاب	﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾	١٣	٣٤٣
	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ.....﴾	٣٣	١٨٤
	﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى... ﴾	٥٦	١٨١
فاطر	﴿يَزِيدُ فِي الخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾	١	١٧٧
	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ ....﴾	١٠	١٥٣، ١٨٦
	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾	٢٨	٢٩٧
	﴿الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ....﴾	٣٤	١٨٧
	﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ ....﴾	٣٥	١٨٧

يس	﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾	٧٠	١٦٧
الصافات	﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾	١٦٤	١٧٢
ص	﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ...﴾	٢٤	٢٧٥
	﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ﴾	٧١	١٢٨،١٧١
	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾	٧٢	١٧٠ ،١٥٦
	﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾	٧٥	١٧٠ ،١٦٧
	﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾	٨٥	٣٩٦
الزمر	﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى ....﴾	٢٢	٦٧،١٢٠
	﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ ...﴾	٢٣	٢٤٦
غافر	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾	٧	١٧٢
	﴿هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾	٣٩	١٨٦
	﴿صَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٦٤	١٥٢
فصلت	﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾	١١	١٥٧
	﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾	١٢	١٥٦
	﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾	٢١	٣٥٥
	﴿هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾	٤٤	١٨٣
	﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ ...﴾	٥٣	٢٨٠ ،١٧٤ ،١٣٦

obeikandl.com

	﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾	٥٤	٣٠٨
الشورى	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾	١١	٢٩٣
	﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾	١٣	٢٤٠
	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحا مِّنْ أَمْرِنَا....﴾	٥٢	١٨٣
الزخرف	﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾	٣٢	١٣٨، ١٧٧
الجاثية	﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾	٢٩	٣٥٤
محمد	﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾	٩١	٣٦٠
	﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾	١٤	٣٣٨
الفتح	﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	١٥	٣٥٤
ق	﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ ....﴾	٣٧	٦٢ ،٦٧، ٢٢٧
الذاريات	﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً﴾	٤	١٧٢
	﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٧٠
الطور	﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾	٢٠	١٨٨
النجم	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾	٣، ٤	٣٤٧
	﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾	١٠	٥٥

obeikandl.com

الرحمن	﴿الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ القُرْآنَ.....﴾	١ – ٤	١٨٤
	﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾	٢٩	٣٢٤
	﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾	٣١	٣٢٥
الواقعة	﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ....﴾	١٦–١٨	١٨٨
	﴿وَحُورٌ عِينٌ .....﴾	٢٢ – ٢٣	١٨٨
الحديد	﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾	٤	٣٠٨، ٣٢٠، ٣٣٢، ٣٤٧، ٣٧٠
المجادلة	﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾	٢٢	١٤١
الجمعة	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً....﴾	٢	١٨٢
	﴿فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٦	١٨٦
الملك	﴿خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ .....﴾	٢	١٨٥
نوح	﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾	١٤	١٧٥
المزمل	﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾	٥	٥٥
الإنسان	﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾	٢	١٤٢
	﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾	٢١	١٨٨
المرسلات	﴿وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً﴾	١	١٧٢
النبأ	﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾	٩	٣٣٦
عبس	﴿أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا.....﴾	٢٥ – ٢٧	١٣٠
	﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾	٣١	٢٩٩
المطففين	﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	١٤	٢١٨

البروج	﴿وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾	٢٠-٢٢	٣٦٣
البلد	﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾	١٠	١٥٣
الشمس	﴿وَمَا وَنَفْسٍ سَوَّىٰهَا﴾	٧	٢٢٧
	﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾	٨	١٥٣
	﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٩	٢٢٨
الكافرون	﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾	١	٢٢٥
الإخلاص	﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٢٢٥، ٢٩٢

obeikandl.com

فهرس الأحاديث

طرف الحديث	رقم الصفحة
«إن للملك لمة، وللشيطان لمة...»	٤٧، ٥٦، ٨٥، ٢٢٢
«إن في أمتي محدثين ومكلمين وإن عمر منهم»	٥٦
«إن الشيطان يجري من ابن آدم.....»	٥٦
«إن في أمتي محدثين ومكلمين....»	٥٧،٧٢
«إن أبا بكر وعمر سمعه وبصره»	٣٤٧
«إن أصحابه في الجنة»	٣٤٧
«إن إبليس لما أنزل إلى الأرض.....»	٦٧
«إن ذكر الله تعالى في جنب الشيطان كالأكلة في جنب ابن آدم»	٢١٨
«إن عفريتًا من الجن يكيدك...»	٦٨
«إن العبد إذا أذنب ذنبًا نكتت في نكتة سوداء.....»	٢١٨
«إن الشيطان يأتي أحدكم.....»	٨٧
«إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم......»	٣٠٦
«إن سارة – عليها السلام- كانت.....»	١٠٤
«إن في أمتي أقوامًا أفئدتهم....»	١٤٥
«أن الله تعالى ابتدأ خلق الأشياء....»	١٥٥
«إن الله خلق آدم من قبضة.....»	١٧٥
«إن الله تعالى خلق آدم من ثلاث طين.....»	١٧٦

obeikandl.com

«إنَّ اللهَ فِي قبلَةِ أحدكم» ٣٤١

«إن الله عز وجل خلقني من نوره.....» ١٨١

«إن المؤمن من الطين الأبيض.....» ١٧٦

«إن لكل آية من القرآن ظهرًا» ١٩٩

«إنَّكم سَتَرَون ربَّكم كما تَرَوْنَ القمرَ.....» ٣٣٣

«إنَّكم لَنْ تروا ربَّكم حَتَّى تموتوا» ٣٣٥

«إنما هي أعمالكم ترد عليكم» ٢٠٩

«إنما بُعثتُ لأُتمم مكارم الأخلاق» ٣٨١

«أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة في أول وقتها...» ٢٦٣

«إذا أراد الله بعبد خيرًا....» ٦٧

«إذا أراد الله بعبد خيرًا جعل له.....» ٣٠٤

«أرحنا بها يا بلال...» ٢٦٢

«أبيت عند ربي يطعمني ويسقني» ٢٣٠

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ ٣٦٣

«أكرموا عمتكم النخلة» ١٤٤

«أرواح الشهداء في أجواف.....» ١٥٨

« أنا جليس من ذكرني» ٣٧٠

«أول ما خلق الله جوهرة خضراء......» ١٧٤

«أول ما خلق الله العقل....» ٧٧،١٥٥،١٥٧،١٧٠

«أول ما خلق الله العقل» ٥٠

«أعدى عدوك نفسك التي.....» ٨١
«اعبدَ الله كأنَّك تراهُ» ٣٣٧
«أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم....» ١٢٢
«الإثم خفقان القلوب....» ٦٦
«الإثم ما حاك في صدرك» ٦٦
«أُعطي يوسف وأمه....» ١٠٤
«اتقوا فراسة المؤمن....» ٥٩
«استفت قلبك ولو أفتاك المفتون» ٦٧
«الحج عرفة» ٣٩٥
«الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» ١٨٦
«اللهم آت نفسي تقواها.....» ٢٢٨
«النساء حبائل الشيطان» ٨٦
«الوحدة خير من جليس السوء.....» ٢٧٥
«أهل العليين: ذوو الألباب» ٨٠،٩٧
«أي شجرة يشبه ابن آدم؟...» ١٤٣
«أين الله؟.....» ٣٧٢،٣١٥
«السلطان ظل الله في الأرض....» ١٣٧
«القلوب بين إصبعين من أصابع....» ٩١،٩٦
«المؤمنُ مرآةُ المؤمنِ» ٣٢٩
«الناس معادن كمعادن الذهب.....» ١٤٥

obeikandl.com

«بعثت بجوامع.....»	١٧٧
«بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»	١٨٢
«تخلق بأخلاق الرب»	١٥٠
«خمَّر الله طينة آدم أربعين صُبْحًا»	٤٥
«خلق الله آدم على صورته»	٤٥
«خلق الله آدم على صورته»	١٠٠، ٧٥، ١٢٩، ١٤٠، ٣٢٢
«خلق الله الحنطة والشعير والكرم....»	١٤٤
«خلق الله تعالى الأرض....»	١٥٥
«خلقت طينة أحبابي من طينة خليلي....»	١٧٨
«خلقت أنا وأنت من طينةٍ واحدة»	١٧٨
«خلقت أنا وأنت من نورٍ واحد»	١٧٨
«خير الذِّكر الخفي»	٧٤
«رأيتُ ربِّي في أحسنِ صورةٍ»	٣٢٢
«رأيتُ ربِّي ﷻ اللَّيلة فِي صورةِ شابٍّ له وفرةٌ،...»	٣٣٤
«رأيت موسى»	٣٣٤
«رُبَّ رجل من أمتي يعدل الحرف الواحد.....»	٣٠٠
« رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»	٢٠٨
«رُفع عن أُمتي الخطأ والنسيان....»	٨٧
«سافروا تصحوا وتغنموا»	١٨٥

«سجد لك سوادي وخيالي....»	٢٤٩
«سمع الله لمن حمده»	٣٤٧
«صفوة من قسم لهم من حظوظ...»	٥٩
«طلب العلم فريضة على كل مسلم»	٢٠٢
«عجبت من أقوام ينقادون.....»	١٥٤
«على صورةِ الرحمن»	٣٢٣
«عليك بالصلاة، فإني استوصيت.....»	٢٦٣
«فإذا ذكر الله خنس الشيطان»	٩٠
«فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به»	٣٤٨، ٣٤٩
«فأجره حتى يسمع كلام الله»	٣٥١
«فَرغَ ربُّك مِنْ ثلاثٍ»	٣٢٥
«فضل العالم على العابد كفضلى على أمتي»	٣٠١
«فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»	٢٥٩
«في صورةِ شابٍّ......»	٣٢٢
«كان الله ولم يكن معه شيء»	١٥٧، ٣٠٨
«كَمَا تَرَونَ الشمسَ فِي الظهيرةِ لَيْسَ.....»	٣٣٣
«كنت كنزًا مخفيًّا.....»	١٧٠
«كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به»	٣١٩، ٣٤٨، ٣٧٠
«كيف خلق الله آدم عليه السلام؟ قال: خلق رأس آدم.....»	١٧٦
«لئن يهدى الله بك رجلًا.....»	٢٧٨

obeikandi.com

«لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، أكلأني كلاءة الوليد»	٢٠٤
«لا زال الناس بخير ما تباينوا....»	١٧٥
«لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.....»	٢٥٣
«لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة»	٢٠٠
«لقد أعطي يوسف شطر...»	١٠٤
«لن يسعني السماوات والأرض....»	٩٥
«لولاك ما خلقت الكون»	١٧٠
«لولا أن الشياطين يحومون....»	٥٣، ٦٤
«ليأتينَّ على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه....»	٢٧٣
«ليس شيء واحد خيرًا من ألف.....»	١٧٥
«لَيْسَ وراءَ الله مَرْمَى»	٣٤٢
«مررت ليلة أسري بي عالي السماء...»	١٠٤
«من رآني فقد رأى الحق...»	١٠٠، ١٣٧
«مَن عرف نفسه فقد عرف ربه»	٤٣، ٨٣، ٩٦، ١٠٠،٢٠٤،٣٢٦،٣٢٤
«من عرفني طلبني ومن طلبني وجدني.....»	٣٧٠
«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»	١٨٦
«مَنْ رأنِي فِي المنام فَقَدْ رآنِي.....»	٣٢٠
«من قال في القرآن برأيه، فليتبوأ مقعده من النار»	١٩٩
«من كان له من قلبه واعظٌ.....»	٦٧

«موتوا قبل إن تموتوا» ٢٠٩
«نحن معاشر الأنبياء أجسادنا أرواح» ١٨٥
«نظرت إلى رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء.....» ١٠٦
«هبط عليّ جبريل....» ١٠٦
«هي ورب الكعبة: ريحانة تهتز....» ١٨٨
«وجعلت قرة عيني في الصلاة» ٢٤٥، ٢٦٢
«ولا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه.....» ٣٥٢
«وكل بالمؤمن مائة وستون ملكًا....» ٦٨
«وليسَ بين العبادِ وبين أن يَرَوا ربَّهم إلا رداءُ الكبرياء...» ٣٢٨
«ولسانه الذي ينطق به» ٣٤٧
«وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ......» ٢٢٦
«يا آدمُ، اخترْ أيَّهما.....» ٣٣٥

obeikandl.com

أهم المصادر والمراجع

- اصطلاحات الصوفية للشيخ ابن عربي.
- الإمام الجنيد سيد الطائفتين، للمزيدي.
- رسائل ابن سبعين، تحقيق المزيدي.
- إحياء علوم الدين للغزالي.
- إيقاظ الهمم شرح الحكم لابن عجيبة.
- الأعلام للزركلي.
- الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي، تحقيق المزيدي.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزابادي، المكتبة العلمية.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- تاج العروس، للزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦.
- الترغيب والترهيب للمنذري، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٦٨م.
- التعرف لمذهب التصوف، للكلاباذي، الكليات الأزهرية.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، دار الكتب المصرية ١٩٦٧م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري.
- جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي.
- جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، للمزيدي.
- جمهرة اللغة، لابن دريد، حيدر آباد ١٣٤٤.
- حكم الفصوص وحكم الفتوحات لشريف ابن ناصر الكيلاني، تحقيق المزيدي.
- الحلية لأبي نعيم.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي.
- الرسالة القشيرية للأبي القاسم القشيري.

obeikandi.com

- روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني، تحقيق المزيدي.
- إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول، للمزيدي.
- الزهد لأحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سنن الترمذي، طبعة المكتبة الإسلامية.
- سنن الدارمي، دار إحياء السنة النبوية.
- سنن أبي داود.
- سنن ابن ماجه، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٣م.
- سنن النسائي.
- سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة ببيروت ط١، ١٩٨١م.
- السيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد للشيخ مصطفى البكري.
- شذرات الذهب لابن العماد.
- شرح الحكم الصوفية (الكردية) للشرقاوي، تحقيق المزيدي.
- شرح الأنفاس الروحانية لأئمة السلف الصوفية للديلمي.
- شرح مشاهد الأسرار القدسية للست عجم بنت النفيس، تحقيق المزيدي.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، دار العلم للملايين.
- صحيح البخاري، فتح الباري.
- صحيح مسلم.
- طبقات الصوفية للسلمي.
- طبقات الأولياء لابن الملقن.
- الطبقات الكبرى للشيخ الشعراني.
- الطواسين للحلاج.
- عجائب الآثار للجبرتي.

- العظمة لأبي الشيخ.

- عيون الأخبار، لابن قتيبة، دار الكتب المصرية.

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر.

- الفتوحات المكية للشيخ الأكبر.

- الفهرست، النديم، دار المسيرة، ط٣، ١٩٨٨م.

- فوات الوفيات، لابن شاكر.

- فيض القدير للمناوي.

- فيض القدير، للشوكاني، ط٣، ١٩٧٣م.

- قوت القلوب لمكي، بيروت.

- قلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد لأبي الهدى الصيادي.

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر.

- كشف الخفاء، للشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني.

- كشف الظنون، لحاجي خليفة.

- الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي.

- كيمياء السعادة للغزالي.

- لطائف الأعلام للكاشاني.

- لطائف المنن للشيخ الشعراني، طبعة القاهرة ١٣٥٧ هـ.

- لسان العرب، لابن منظور.

- مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت.

- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده.

- مرآة الجنان لليافعي.

- مرآة الحقائق للشيخ إسماعيل حقي، تحقيق المزيدي.

obeikandi.com

- روح البيان في تفسير القرآن لحقي.

- مسند الإمام أحمد.

- المصنف، لابن أبي شيبة.

- المصنف لعبد الرزاق.

- معجم الأدباء لياقوت الحموي.

- معجم البلدان، لياقوت الحموي.

- معجم الشعراء، للمرزباني.

- معجم قبائل العرب، لعمر رضا كحالة.

- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة.

- الميزان الذرية في بيان عقائد الفرقة العلية للشعراني، تحقيق المزيدي.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي.

- نشر المحاسن لليافعي.

- نفحات الأُنس للجامي، العلمية بيروت.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير.

- الوحيد في سلوك أهل التوحيد للقوصي، تحقيق المزيدي.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان.

- النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر، للمزيدي.

obeikandi.com

التعريف بالمحقق

هو الشيخ أحمد بن الشيخ فريد بن الشيخ أحمد بن الشيخ مزيد الحسني الشعراني السوهاجي، الشافعي القادري الأكبري الأحمدي، أبو الحسن والحسين، المزيدي.

من مواليد حي- الشعراني- بالقاهرة.

نشأ في أسرة سلفية، كان والده من كبار مشايخ السلفية، وله رسائل حسنة في الفقه وفضائل الأعمال.

بدء الشيخ المحقق حياته في المدارس السلفية وأخذ عن أشهر مشايخها في مصر ولازمهم، وصنَّف وحقق كتبًا كثيرة في منهجهم الوهابي، حتى هداه الله للعلم الشريف، والسبيل الحق السوي الصحيح، فأقبل على التصوف ودأب على خدمته، والسعي على نشر علم السادة الصالحين والعلماء العارفين، أدام الله خيرهم ... آمين.

-تخرج من كلية أصول الدين-جامعة الأزهر- قسم الحديث وعلومه.

فقد تلقى العلم عن أكثر من خمسين عالم من بلاد مختلفة، أولاهم عنده شيخ القوم والطريق المربي سيدي: مصطفى بن عبد السلام-قدس الله سره-.

حصل على إجازات متعددة في الحديث وعلوم الشريعة.

- عمل عميدًا لمكتبة المصطفى-بشبرا مصر.

عمل خبيرًا وباحثًا للمخطوطات العربية بمعهد المخطوطات-بالجامعة العربية- القاهرة.

-وهو أحد الثلاثة الذين رشحوا لجائزة مؤسسة التقدم العلمي بالكويت سنة ٢٠٠٥ وذلك باعتباره من الشخصيات البارزة في تحقيق التراث ..

أنشأ دار الحقيقة المحمدية للبحث العلمي وتحقيق تراث السادة الصوفية.

بعض أعمال الشيخ المؤلف والمحقق في التصوف وعلومه

لوامع الأنوار وروض الأزهار في الرد على من أنكر من المتكلمين، لعبد الحافظ المالكي، المعاني الدقيقة الوفية فيما يلزم نقباء السادة الصوفية للأبشيهي، المواهب المحمدية بشرح الشمائل الترمذية، المنهل العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي للسخاوي، المنهاج السوي في ترجمة النووي-مع تحرير التنبيه ورسائل للنووي، جلاء القلوب من الأصداء الغيبية ببيان إحاطته بالعلوم الكونية للشيخ الكتاني، سر الأسرار للشيخ عبد القادر الجيلاني، فتوح الغيب للشيخ الجيلاني، قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر للتاذفي، السيف الرباني في عنق المعترض على القطب الجيلاني لابن عزوز، بهجة الأسرار ومعدن الأنوار للشطنوفي، خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر لليافعي، كتاب الزهد لهناد السري، والزهد لأبي حاتم الرازي، ولوكيع، ولأبي داود، الفوائد في الزهد لأبي جعفر الخلدي، شرح تائية ابن الفارض للقيصري، شرح التائية للقاشاني، أشرف الوسائل إلى فهم كلام الشمائل لابن حجر الهيتمي، تحفة الزوار لقبر النبي المختار لابن حجر الهيتمي، الشمائل المحمدية للترمذي، الأحاديث النبوية في الترغيب والترهيب لليافعي، الشفا في حقوق المصطفى ﷺ للقاضي عياض، الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع للشعراني، إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين للشعراني، ومختصر فرائد القلائد، الكوكب الشاهق في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق، العرائس القدسية في معرفة الدسائس النفسية لمصطفى البكري، والسيوف الحداد في أعناق أهل الزندقة والإلحاد، والروضات العرشية شرح الصلاة المشيشية، وكروم عريش التهاني شرح صلاة ابن مشيش الداني، الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر للديري، كتاب الأربعين في إرشاد السائلين، روضة الحبور ومعدن السرور لابن الأطعاني، الأرواح للعلواني، الحقيقة الباهرة في أسرار الشريعة الطاهرة لأبي الهدى الصيادي، الكليات للصيادي، حالة أهل الحقيقة مع الله للرفاعي، روح الحكمة لأبي الهدى، فصل الخطاب للرواس، الحكم المهدوية للرواس، النفحات الشاذلية شرح البردة البوصيرية لحسن العدوي، الفرقان للرواس، النطق المفهوم من أهل الصمت المعلوم لطغرو التركماني، الطريق إلى الله للشيخ فريد المزيدي، إحياء القلوب شرح حكم سيدي محمود الكردي، شرح الحكم الصوفية (الكردية) للشرقاوي، شرح الحكم الأكبرية للبابي الكردي، شرح الحكم الغوثية لابن علان الصديقي، حكم سيدي مصطفى البكري، شرح الحكم الأكبرية للداموني، قوانين حكم الإشراق للمواهبي، البيان والمزيد-شرح حكم أبي مدين- لباعشن، قلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد لأبي الهدى الصيادي، شرح حكم ابن عطاء للشرقاوي، الشرف المؤبد لآل محمد للنبهاني، تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس لابن عطاء، أصول الهداية لابن باديس، الورع للإبياري، أبو يزيد البسطامي سلطان العارفين

obeikandl.com

للمزيدي، بهجة المسافر في مناقب الشيخ عدي بن مسافر، بوارق الحقائق للرواس، الطريقة الرفاعية للرواس، بحر الفوائد للكلاباذي، بيان أحوال الناس يوم القيامة للعز بن عبد السلام، راحة الأرواح للصيادي، الرقائق الرواسية للصيادي، الدرة البيضاء للرواس، صوت الهزار وزيق العزار للصيادي، حديقة المعاني في حقيقة الرحم الإنساني للصيادي، برقمة البلبل للرواس، شمس المعارف الصغرى للبوني، جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوي، شرح مشاهد الأسرار القدسية للست عجم بنت النفيس، رسائل الشيخ ابن سبعين، الانتصار للأولياء الأخيار للموصلي، الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي، محاسن الأخبار في الصلاة على النبي المختار ﷺ للأبشيهي، الإمام الجنيد سيد الطائفتين، الدلالة على الله للصقلي، الأنوار في علوم الأسرار للصقلي، نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار لبن علوان الحموي، جمع المقال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال (١٠-رسائل) المزيدي، شعاع النور في أحكام القبور، للمزيدي، كشف النور عن أصحاب القبور للنابلسي، تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا عليه الصلاة والسلام لابن عظوم، لسان القدر في نسيم السحر للجيلي، قاب قوسين وملتقى الناموسين للجيلي، النور المتمكن للجيلي، شرح الصلاة الأكبرية لابن عبد الجليل القادري، أنوار النبي أسرارها وأنواعها لابن سبعين-شرح المزيدي، المعزى في مناقب سيدي أبي يعزى للتادلي، المنهاج الواضح في كرامات سيدي أبي محمد صالح للماجري، تمام الفيض في باب الرجال الصوفية الجلوتية للشيخ إسماعيل حقي، تحفة الكرام في مناقب سيدي أبي بكر بن قوام لولده، ديوان الأدعية والتوحيد لابن علوان الحموي، الكرامات الجبرتية للشيخ ابن الأشكل، مقامات العلماء للغزالي، سر العالمين وكشف ما في الدارين للغزالي، المصباح في أذكار المساء والصباح للمنبجي، البهجة السنية في آداب الطريقة الخالدية النقشبندية للخاني، فتوح الجوارح للشيخ الكتاني، الصدق والتحقيق لمن أراد ان يسير على الطريق للجنيدي، شرح الصلوات مسبعات الدردير، للجنيدي، السير والسلوك إلى الله تعالى للجنيدي، أصول الطريق، للجنيدي، حكم الفصوص وحكم الفتوحات للشريف ابن ناصر الكيلاني، عقد الزبرجد شرح اسمه محمد ﷺ لأبي البركات الأحمدي، إبداء الخفاء شرح أسماء المصطفى ﷺ للحرالي، فخر الأبرار شرح ما في اسمه محمد ﷺ من الأسرار للشرف الخليلي، شرح الأنفاس الروحانية لأئمة السلف الصوفية للديلمي، النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر للمزيدي، إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول للمزيدي، شعائر العرفان لسيدي محمد وفا، ونفائس العرفان، المعاريج، وغير ذلك كثير طُبع، وتحت قيد الطبع، ولله الفضل والمنة.

وصل اللهم على سيدنا محمد ﷺ وآله وصحبه وسلم كثيرًا

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
إهداء	٣
مقدمة التحقيق	٧
مقدمة في معرفة الخواطر	٩
الخاطر عن السادة الصوفية	١٠
ترجمة الشيخ المصنف	٣٣
نموذج من صور مخطوط تقسيم الخواطر	٤١
مقدمة المصنف	٤٣
فصل القلب موضع جميعها	٤٧
القسم الإلهي من الخواطر	٥٦
قسم لسان الغيب من الخواطر	٥٨
قسم لسان سر السر	٥٨
قسم لسان السر	٥٩
قسم لسان الروح	٦٠
قسم خاطر العقل	٦١
قسم لسان الملك	٦٢
قسم لسان القلب	٦٢
قسم خواطر النفس	٦٤
قسم خاطر الشيطان	٦٤
بيان مقتضى الحكمة في تركيب أركان صورة الإنسان ومشابهتها بصورة العالم	١٣٣
بيان ما يجتمع في الإنسان من عناصر العالم وجميع قواه	١٣٩
بيان ما ركب الله في الإنسان من طبائع جميع الموجودات السجية والخليقة، وما أنشأ فيها من جميع المعنى الذي يكون محمودًا ومذمومًا	١٤٣

obeikandl.com

في بيان فطر الإنسان، وتركيب الأركان، وارتباط الأعضاء الرئيسة وغيرها، ونبذة من شرح تشريح الأعضاء، وما يتولد من الأركان، والأمزجة من الأخلاق، وبيان ما اصطنع الله بحسن أفعاله في ترتيب جنود الجسد الإنساني. ١٤٦

بيان ما جمع الله تعالى في الإنسان من طبائع جميع الأشياء وقواها، وما أبدى فيه من الفطرة التي هي أصل الإنسان، وبها يكون الإنسان كاملاً في قبول أحكام العبودية، ومعرفة الربوبية، وبلوغه بها إلى كمال التسوية التي وصف الله تعالى بها آدم عليه السلام بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:٢٩]. ١٥٢

بيان ما أبدى الله تعالى من العدم إلى الوجود من العلويات والسفليات وما خص به الإنسان من بينهما ١٥٥

فصل في ماهية الإنسان ١٥٨

بيان تفضيل الإنسان على ما يرى في الكون ١٦٨

في بيان سفر الإنسان إلى الآخرة بالوحدانية وشاهدًا على المشاهدة السرمدية. ١٨٥

خاتمة الكتاب ١٨٨

صورة خط المصنف ١٨٩

العرف العاطر ١٩١

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ١٩٣

صورة الصفحة الثانية من المخطوط ١٩٤

ترجمة المصنف ١٩٥

مقدمة المصنف ١٩٩

معرفة الخواطر ٢٠١

معرفة النفس ٢٠٤

الواردات أعم من الخواطر ٢١٢

كيفية تفرع الخواطر ٢٢٠

الفرق بين الروح الإنساني والحيواني ٢٢٧

تنبيه يتعلق بلفظ السر ٢٣٤
السالكون أربعة أقسام ٢٤٠
أحوال العارفين ٢٦٥
أصناف الصادقين في دخول الخلوة ٢٧٢
كيفية الوقوف على المرشد الكامل ٢٩١
أسباب خشية العلماء ٢٩٧
الخاتمة ٣٠٩
الفوائد الحسان ٣١١
ترجمة الشيخ الأكبر ٣١٣
باب في الرؤية ٣١٥
فوائد على الباب المتقدم ٣١٦
باب في السماع ٣٤٥
فوائد الباب ٣٤٦
باب في الكلام ٣٥٣
فوائد الباب ٣٥٤
باب التوحيد ٣٥٨
فوائد الباب ٣٥٩
باب المعرفة ٣٧١
فوائد على الباب المتقدم ٣٧٣
باب الحب ٣٨٦
فوائد الباب ٣٨٦
باب في إشارات القوم في أنواع شتى ٣٩٤
فهرس الآيات القرآنية ٤٠٥
فهرس الأحاديث ٤١٦
أهم المصادر والمراجع ٤٢٣
التعريف بالمحقق والمؤلف ٤٢٧
فهرس الموضوعات ٤٣٠

obeikandl.com